

١٧١

الحمد لله

في تفسير القرآن الكريم

السيد علي محمد بن أبي بكر بن أبي طالب
تأليف

الأستاذ الميرزا محمد باقر
المدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم سابقا
متاح في المطبعات بمصر

المجلد الثاني عشر

طبع بمطبعة

مصطفى السباعي الحكيمة وأولاده بمصر

وتفوق طبع محفوظ

بأشرطه - محمد أمين عمره

شوال سنة ١٣٤٧ هـ

وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الشعراء مكية

(إِلَّا آيَةً - وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ - وَمِنْ قَوْلِهِ - أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ -

إِلَى آخِرِ السُّورَةِ مُدْنِيَّةٌ ، وَهِيَ ٢٢٧ آيَةً)

(وَهِيَ سَبْعَةُ أَقْسَامٍ)

(١) مُقَدِّمَةٌ فِي تَسْلِيَةِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى أَعْرَاضِهِمْ عَنِ الدِّينِ وَفِي الْاِسْتِدْلَالِ عَلَى اللَّهِ بِجَهَابِ الطَّايِبَةِ

(٢) وَقِصَّةُ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ

(٣) وَقِصَّةُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(٤) وَقِصَّةُ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(٥) وَقِصَّةُ هُودٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَصَالِحَ

(٦) وَقِصَّةُ قَوْمِ لُوطَ وَشُعَيْبَ

(٧) خَاتَمَةُ السُّورَةِ فِي وَصْفِ الْقُرْآنِ بِأَنَّهُ نَزَلَ بِهِ جِبْرِيلُ وَأَنَّهُ شَهِدَ بِهِ عَلَاحُ بْنُ إِسْرَائِيلَ وَأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى

مِثْلِهِ الشُّعْرَاءُ الْح * يَرَوِي أَنَّهُ ﷺ قَالَ ﴿ أُعْطِيَ طَهَ وَالطَّوَّاسِينَ مِنَ الْوَحْيِ دُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ﴾

(الْقِسْمُ الْأَوَّلُ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَمَ * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * لَعَلَّكَ بَاحِجٌ قَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ *

إِنْ نَشَأْ نُنزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْيُنُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ * وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ

مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ * فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبُؤًا مَا كُنُوا بِهٖ
يَسْتَهْزِئُونَ * أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ أَنْتَبَسْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَافٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ *

(بسم الله الرحمن الرحيم)

التفسير اللفظي

(طسم) تقدم تفسير البسملة في الفاتحة و - طسم - في أول آل عمران وسيأتي هنا (تلك آيات الكتاب المبين) أي هذه الآيات التي في هذه السورة آيات القرآن الفاهرا يحجزه المبين بإحلال والحرام والأمر والنهي (اعلمك باخضع نفسك) قالته ولطف لعل لا لشقاق أي اشفق على نفسك أن تقتلها حسرة وحزنا على ما فاتك من اسلام قومك وقوله (إلا يكونوا مؤمنين) أي خيفة امتناع كونهم مؤمنين والمراد بهم قريش وكان حريصا على إيمانهم محبة له ، فلا تجزع يا محمد (إن نشأ) إيمانهم (تنزل عليهم من السماء آية) دلالة مابجة الى الايمان (فظلت أضاعفهم لها خاصمين) متقادين لما وصفت الأعناق بصفة العقلاء أجزيت بجراحهم وظلّ للماضى في معنى المضارع كما تقول ان زرتنى أكرمك أى أكرمك كما قال الزجاج (وما بأنهم من ذكر) طائفة من القرآن (من الرحمن) يوجه الى نبيه (محدث) إلا كانوا عنه معرضين) لإجددوا اعراضا عنه واصرارا على الكفر (فقد كذبوا) أى بالذكر بعد اعراضهم وأمعنوا فى التكذيب - تى استهزؤا (فسياأنهم) اذا مسهم العذاب يوم بدر أويوم القيامة (أنبؤا ما كانوا به يستهزؤن) فيعرفون أحق كن فيصدق أم باطل فيكذب ويستهزؤ به (أولم يروا الى الأرض) أولم ينظروا الى عجائبها (كم أنبتنا فيها من كل زوج) نصف (كريم) محمود كثير المنفعة فان النباتات بلغت أنواعها ٣٣٠ ألف نوع ولكل منها منافع ومناظر وخواص وطبائع وعجائب تخالف الثاني ، والانسان الذى هو أرقى المخلوقات فى الأرض له فى كل نبات منفعة ، فنه الدواء ومنه الغذاء ومنه الروائح العطرية ومنه خشب السفن ومنه شبايبك المنزل وبعض السفن فى البحر والزيت والفاكهة التى تبنى منها والعطرى والمائى والحطبى والسكرى والمز (إن فى ذلك) أى فى انبات تلك الأصناف وفى كل واحد منها (لآية) على ان الخالق تام الحكمة عليهم سابق النعمة واسع القدرة وقد علم الله أن أكثرهم قد طبع على قلوبهم فلا يجرى إيمانهم (وما كان أكثرهم مؤمنين) وان ربك هو العزيز) فى انتقامه عن كفر (الرحيم) لمن آمن منهم وتاب . انتهى التفسير اللفظي للقسم الأول . وههنا لطيفتان

﴿ اللطيفة الأولى فى معنى - طسم - ومعنى - كهيعص - ﴾

هذا ما فتح الله به فى فجر يوم الأحد ٣٠ سبته بر سنة ١٩٢٨ فى معنى - طسم - وفى معنى - كهيعص - ومعنى - كهيعص - لم يتخطى الى فى هذا الصباح ، وذلك أن المقصد من هذه الحروف توجيه النفوس الى المعاني المهمة فى السورة من تعليم وتهذيب ، فترى أن الكاف تشير الى أن تذكر قصة زكريا فى أول السورة وأنه دعا الله أن يجعل له وليا يكون نافعا لبنى اسرائيل بعد وفاته فأجيب دعاءه ، والسبب فى الاجابة أن هذا الدعاء قصد به العموم لا الخصوص ، فليعلم للمسلمون أن الانسان لانتم انسانته إلا بأن يوجه همه لتنافع العامة كما فى أمر زكريا ، وهذه المعاني استنبجت من هذه القصة لمكان الكاف فى زكريا وفى الذكر ، وأما الكاف فى ربك فكأنه يقول سبحانه ان ربهم هو ربك أيها المسلم فلنفعل ما فعلوا فان الله يعينك كما أعانهم وهذا هو المقصد من القصص فان القصص انما يراد للتذكير والقدرة

ومن الحزن والمؤلم أن يمرّ السلم على هذه الآية وهو غافل عن النبات ، فيأثمها الذكي الطامع على هذا التفسير سألتك بالله الذي أنزل الكتاب وخلق النبات أن تكون مرشدا للسالمين لهذا العلم ، نغذاً وأصدافاً وأصباحاً وادرسه دراسة هذه صورتها « ذهب الى الحقل وقرأ هذه الآية ثم تقدم الى أنواع النبات وانظر الى تنوعها واختلافها ، وإياك أن تنكث في الظواهر ، إياك أن تقول أنا آتت بالله وكفى فهذا قول العاقلة بل الإيمان بالله يقتضى التغلغل في النظر الى عجيب اتقان صنعه » فإذا ذهب الى الحقل رأيت آيات

﴿ الآية الأولى . تنفس النبات ﴾

إن الانسان والحيوان يتنفسان وهما كذلك النبات يتنفس . إن الانسان يخرج بتنفسه من غار حامض السكر بونيك كل يوم (٢٥٠) جراماً من السكر بون الصرف ، وعلى ذلك لودام الانسان والحيوان يتنفسان على طول الزمان لازم أن الهواء الجوى ينفذ ويموت الانسان والحيوان بعد زمن وإن كان طويلاً لأن الاكسوجين الذى يمتصه الجنس البشرى فى السنة الواحدة (١٦٠٠٠٠) مليون مرة مكعباً . ويقال ان الحيوانات الباقية تنفس أربعة أضعافه ، فإذا كان هذا هو الذى يمتصه الحيوان وكان مغزجيه من النجم بالقدر المتقدم بحيث يكون سكان القطر المصرى وحدهم يخرجون من أفواههم فى السنة (٤٠٠٠٠٠) طن من الفحم فى السنة ، فإذا تصورنا عموم ذلك فى كل حيوان وانسان تصورنا كيف يمكن فناء هذه الاجزاء بعد حين ولكن انظر الى عجائب الصنعة الإلهية . انظر الى حكمة بديفة وآية غريبة . ذلك أن النبات يحتاج فى تركيبه الى الفحم وذلك الفحم انما ياخذ مما لفظه الحيوان وهو حامض السكر بونيك وفيه اكسوجين وكر بون أى خـم ، فانظر كيف سار ذلك الحامض السكر بونيك من الحيوان الى النبات ودخل فى جسمه وحل هناك بعملية تحت تأثير الشمس ولفظه النبات الى الجوّ . ألا تنتهجب معى كيف تركب الاكسوجين والسكر بون فى جسم الانسان والحيوان وكيف لفظه الحيوان فدخل فى جسم النبات فتحلل هناك بتأثير الشمس ومتى تحلل خرج الاكسوجين الى الهواء فدخل فى أجسام الناس والحيوان بصفة عملية التنفس . أليست هذه آية من آيات الله وعجائبه . يارب ان الناس غافلون بل ربما يمرّ عالم النبات على هذا وهو غافل عن تركيب هذه الدنيا يعيش ونحن لاندرى أن هناك معامل تحلل انما حامض السكر بونيك وتلك المعامل فى النبات ولاندرى أن لطف الهواء بالاكسوجين والاكسوجين يأتى من النبات ونعيش ولا نعلم أن أنفاسنا تخرج فى الهواء خفاً وذلك الفحم يصير فى النبات الذى تلبسه ونوقد به النار وتغذى به وتبدأوى وغير ذلك

﴿ الآية الثانية ﴾

اعلم أن النبات لا يتنفس إلا الاكسوجين النافع لنا إلا تحت تأثير الشمس ، ألا ترى أنك لو وضعت عشباً نائماً تحت إناء زجاجى يسمنه فى علم الطبيعة (قابلية وضعية) وهذا الاناء بشكل اسطوانى فإذا وضعته مغلولاً وهو مملوء ماءً فى إناء فيه ماء بحيث يبقى الماء غامراً العشب فى القابلة وعرضته للشمس فلانبت أن ترى قلاعيق غاز صغيرة تظهر على سطح الأوراق ثم تصعد الى أعلى القابلة وتدفع الماء تحتها ولا يزال الغاز يجتمع هناك حتى تمتلئ القابلة منه وهذا هو غاز الاكسوجين الصرف فلما دخلت فيه شمعة مشتعلة لزادت نوراً شديداً وهذا دليل على أن هذا هو الاكسوجين . أما اذا كان ذلك بالليل فالن النبات لا يتنفس الاكسوجين بل يخرج بالليل حامض السكر بون كما يفعل الحيوان لأنه لا يستخرج الاكسوجين إلا بتأثير الشمس فإذا نام الناس فى غرفة مغلقة فيها عشرة أعشاب حية فان هواء الغرفة يفسد بتنفسها كما يفسد بنفس عشرة أشخاص ، واعلم أن تنفس النبات بالليل ليس كثيراً كتنفسه بالنهار فلا يلزم من ذلك فساد التناسب بينه وبين الحيوان فى التبادل فافهم

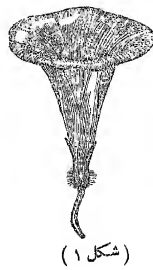
﴿ الآية الثالثة ﴾

اعلم أن النبات يتصاعد منه بخار كما يتصاعد من البحار والبحيرات ولذلك يقول العلماء انه كلما كثرت الشجر

في بلد زاد المطر لأن البخار يذهب إلى الجوّ كما يذهب من البحر ويكون سحاباً ، وقد جرب ذلك الاستاذ (موشيروك) في (لندن) فانه غطى العشب بقبالة من الزجاج باحتراس فرأى على سطوح الأوراق قطرات من الماء وهي السماء بالندى ، وعلى ذلك استنتج العلماء أن أكثر ما يراه الناس على النبات من الندى ليس من السماء وإنما هو من البخار المتصاعد من النبات ولذلك وجدوا انه يتساعد من بعض النبات مضاعف وزنه ماء في اليوم والليلة ، وهناك نباتات تقدم ذكرها في هذا التقدير تسمى (نبات الأباريق) تنهض بأقداح اسطوانية تمتلئ ماء به يسقى الناس ويقاؤون من الهلاك فتعجب من صنع الله تعالى . انظر كيف كانت الشمس مرسلة أشعتها على البحر وعلى النبات فإذا فعلت ؟ أطارت من البحر بخاراً فصار سحاباً وحالت من النبات كسوجينا فاطف الجوّ فتفتسنا . فانظر كيف أثارت الشمس البخار من البحر والا كسوجين من النبات فكان المطر طياتنا والا كسوجين وهم الأهم لتفتسنا ، فيا ليت شعري هل نلنا من دخل في تحايل الاكسوجين أو في صعود الماء بخاراً ان الانسان في الحالين يقول ما يقوله المسلم في الصلاة عند الرفع ﴿ اللهم لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت ولا راء لما قبضت ولا ينفع ذا الجند منك الجند ﴾ . يعيش الانسان ويموت وهو في جوف الاكسوجين حالته الشمس من النبات وفي نعمة النبات والحيوان والماء بسبب خروج البخار من البحر بخاراً الشمس وبخروج البخار من النبات فيرتفع إلى أعلى فيصير سحاباً وقد تطاير بخاره من النبات الذي هو الخزن البري للماء كالبحر

﴿ الآية الرابعة . الزهرة ﴾

قلت لك في أول هذا المقام خذ أعجابك واذهب إلى الحقول والزهر والبساتين . قلت لك ذلك ولكن لم أشرح لك شيئاً في الحقول إنما ذكرت لك أشياء عامة ، فهناك ما تدرسه وأنت في الحقول وهذه الدراسة درست سورة الشعراء ومقصودها درست علوم القرآن ودرست علوم حب الله تعالى ودرست الدين ودرست التوحيد وكنت في نفس الوقت عابداً ، كلا . كلا . فأنت أفضل من ألف عابد لأنك بعد هذا الدرس الآتي ستكون عالماً حقيقة مطالعاً على آثار جمال الله الظاهر البديع المدهش . انظر معي ألهكم الله العلم وعشقك في الحكمة وحبيبك في لقاءه وانظر إلى وجهه الذي من مقدماته دراسة المخلوقات بشوق وهلف وحب (انظر شكل ١ وشكل ٢ وشكل ٣ وشكل ٤ وشكل ٥)





(شكل ٥)

انظر الى الشكل الأول فان الزهرة قطعة واحدة وزاه في حقولنا المصرية كثيرا وشكل ٣ ترى فيه الزهرة مفصلة أوراقها ، وفي شكل ٣ ترى عضو الاناث مكونا من خيط ينتهي من أعلاه بجسم مفرطح يسمونه السمة وأسفله يسمونه المبيض وهذا المبيض فيه بويضات صغيرة وهي أصول البذور يتكون منها بعد التلقيح الخمر وشكل ٣ عضو الذكور وأعضاء الذكور تكون حول عضو الاناث وهي خيوط صغيرة يعاها جسم صغير متفتح يسمى بالانثير أوفيه مسحوق وهو الطلع ووظيفته كوظيفة المنى وقد تعدد أعضاء الذكور في الزهرة حتى اذا فسد بعدها قام الباقي مقامه والذكور حول الانثى كأنها تحفظها من حوادث الجو والشكل الخامس هو الشكل الذي للحفظ وللزينة وأوراق التوج تحيط بها أوراق السكاس لحفظها من حوادث الجو والشكل الخامس هو الشكل الذي رسمناه في سورة الأنعام ونعيده هنا لزيادة الفائدة ، فالزهرة الكاملة مؤلفة من حافظ السكاس محيط به ووسط داخل في ذلك المحيط والمحيط به مؤلف من طبقتين والأوراق الخضراء المسماة بالسكاس ، والأوراق الملونة التي في داخلها المسماة بالتويج وهي ملونة بألوان بهجة تسمى الناظرين وتسمى أوراق السكاس بسلا وأوراق التويج بئلا ، والذي هو في الوسط « قسبان » أعضاء التذكير وهي المسماة بالاسدية جمع سداة والسداة كما رأيت في الشكل مركبة من خيوط تنتهي بجزء متفتح فيه طلع وهذا الانتفاخ يسميه النبايون (الانثير) والذي عليه هو الغبار أو الطلع أو البلقن ، والقسم الثاني أعضاء التأنيث وهي المسماة بالمداق جمع مدقة كما رأيت في الرسم وهذه المداق تنشأ من قاعدة الزهرة وهي المسماة (التخت) وأسفل المدقة يقال له مبيض وأعلاها يسمى السمة وما بينهما يسمى (القل) ، وقد تقدم إيضاح هذا في سورة الأنعام وفي سورة طه

فاذا ذهب الى الحدائق والحقول فانك تراه هذه الأربعة واعرفها فان السكاس والتويج هما المحافظان والاسدية والمداق هن المقصودات بالذات ، فانظروا تعجب ترى المداق تقوم مقام الاناث في الحيوان والاسدية تقوم مقام الذكور ولذلك تجد كل أنثى قد عطف على الذي يجانها وهو قد انعطف نحوها كما رأيت في الرسم وكيف يكون التزاوج بينهما ، كيف يكون ذلك وأكثر الناس لا يعلمون ، يقول الله تعالى - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت - تناقض واختلال . انظر تجد أن الطلع وهو الغبار المسمى (البلن) يقع من الانثير على السمة في أعلى المدقة فيلقح بذورها في المبيض بأسفل المدقة . إن البلقن المذكور غبار دقيق اذا بحثناه بالآلة المعظمة وجدنا أشكاله هندسية منها السكروى والهرمى والببيض والمستطيل والمثلث ومنها الأملس والمخروط والشائك واذا أمسكتك بحث دقيقة من ذلك الغبار وجعلتها تحت المنظار المعظم وجدتها عبارة عن حويصلة لها غلاف مزدوج وفي جوفها سائل تسمى فيه كريات تسمى بالملايين سموها (الأحياء الأثرية) فالاسدية والمداق

تجتمع في زهرة واحدة كما رأيت ويقع الغبار على السمة فيتعلق بأهداب لها هياك ثم ينزل الغبار المذكور وله تنوء يستطيل ويخترق القلم حتى يصل إلى أسفل المدقة وهو المنصف وفي هذا المنصف جراثيم البذور فإذا لامسها ذلك التنوء النازل من الطلع تلقحت ونمت ومارت. بذرا إذا بلغ وغرس في الأرض نبت وأثمر. هذا إذا كان في زهرة واحدة وهي القاعدة العامة وذلك كالورد والنفسيج والآس والرياحن والشتيق والدقفة وقد تكون سلة واحدة وملفة واحدة في الزهرة كما في نبات مائي يسمى (ذنب القرس) وقد تكون الاسدية على زهرة والمدقة على زهرة أخرى في النبات الواحد وذلك كالخيار واليقطين والكسكنه والكوسا والقرع وقناء الجار وقد تكون الاسدية على شجرة والمدقة على أخرى كما في الصنوبر والصنوبر والصنوبر والصفصاف والبطم والئين

﴿ الزهرة الكاملة ﴾

الزهرة الكاملة هي التي لها كأس وتويج ومعدة ومدقة كما رأيت وإن فقد منها واحداً فكثير فهي غير مستوفية

﴿ الزهرة القانونية ﴾

هي الزهرة التي تشابهت فيها أقسام الكأس والتويج كالخوخ والكوز والاوز وإن اختلفت سميت الزهرة غير قانونية مثل (السلة) و (رأس السمك)

﴿ الزهرة المنتظمة ﴾

هي التي أوراق الكأس والتويج والاسدية فيها على عدداً واحداً أو مضروب عدداً واحداً. إذا فقدت الزهرة الاسدية والمدقات فهي عقيمة لا يكون لها يزور كبعض الزهور البستانية الزهرة القز وكالورد البستاني إذا فهمت ما ذكرته لك عرفت كيف قسموا النبات إلى أجناس وأنواع ورتب وفصائل الخ ذلك التقسيم على حسب الزهرة منتظمة وغير منتظمة ، قانونية وغير قانونية ، كاملة وغير كاملة ، وأجزاء التويج وأجزاء الكأس أم متصلة أم منفصلة ، وهل اتصلت بالصف الذي يليها أم انفصلت عنه ، وما عدد أوراق كل من الكأس والتويج والاسديات والمدقات وما أشبه ذلك ، فهذا الاختلاف أمكن تقسيم النبات إلى أنواع بلغت آلاف وألافاً فتجب من العلم والحكمة

﴿ زهر العليق ﴾

الزهرة قانونية الكأس خمس قطع متصلة عند قواعدها ، التويج خمس كذلك لكنها متبادلة الوضع مع القطع التي في الكأس ، الاسدية كثيرة ولكنها موضوعة على التويج والمدقة مؤلفة من عدة جوفيات

﴿ الخجاري ﴾

الزهرة قانونية ذات خمس فليس ، الكأس خمس قطع متصلة ، التويج خمس قطع متصلة متبادلة مع قطع الكأس الاسدية كثيرة ، المدقة عدة جوفيات متصلة وعدة أقلام وعدة سمات مختلفة

﴿ جمال العلم والحكمة ﴾

اعلم أنه قد يقع على السمة الواحدة التي في أعلى المدقة آلاف الآلاف من الغبار الدقيق المنتشر عليها من السداة ، ومعالم أن الواحدة منها فيها ملايين من مخلوقات سابعة كما قدمنا ومع ذلك هي لا تحتاج إلا إلى واحد من ذلك كله ، فهذه كلها أشبه بخطاب جازوا إلى عروس واحدة فتقبل واحداً وترفض الباقين

﴿ الآية الخامسة . اهتزاز النبات عند التلقيح ﴾

قد لاحظ الأستاذ الفسيولوجي (بورداخ) أن النبات يهتز في أثناء التلقيح اهتزازاً خاصاً فتعطف السداة نحو السمة وقد تشاركها هذه فتعطف نحوها كأنهما تتعاطقان ، ثم إن الحرارة تعظم في أثناء التلقيح وبعض النبات لا تعرف اشتداد حرارته عند التلقيح إلا بقياس دقيق وبعضها تظهر بالتعبير مترامعات وبعضها ترتفع وتشتد الحرارة حتى إذا لمست الزهرة شعرت بحرارها ونجبت كيف لا تحترق الزهرة بهذه الحرارة وذلك كزهرة

النبات المسمى (ارام) بلدان الفرنجة ومنه نوع في إيطاليا تبلغ حرارته (٦٢) بميزان سنسكراد وهذا النبات أسديته في زهرة ومذقته في زهرة أخرى وكلاهما على شجرة واحدة كالخيار ، ثم إن تقطيع البساتن التي هي مفردة الجنس يكون بالهواء بألحشرات كما هو واضح في هذا التفسير فيما تقدم ﴿ الآلة السادسة . النبات يحسن وتغيرك ﴾

قد ظهر لك مما تقدم أن في الحيوان مبدأ الحس ومبدأ الحركة . قال (بشاش) العالم الفيسيولوجي الفرنسي المسمى سنة ١٨٠٢ م « إن في النبات حسا بالسموم فهي تشبه والكهربائية تحته ، وبعض النبات إذا سقى الأفيون نام نوما عميقا ، وهكذا السلامة (جورث) و (مقار) « إن الحامض البروسيك يسم النبات بسرعة كسرعة سم الحيوان به ، وايضا يلاحظ الناس أن النبات الحساس ينسكش إذا لمسته مادة مهيجة . وقال (كلودوري) « إنك إذا هيجت أطراف ورق الحس درت بعض عصارها ، إن بعض النباتات التي يستنبتها الناس في القاعات تكون يانعة أثناء النهار ولكنها في الليل تقايق أزهارها وترخي أغصانها وتنام ، هكذا السطخ الحساس متى لامست بعض أوراقه انطابق بعضه على بعض وذبل « فالحس في هذا النبات تبعته الحركة كما علمت ، وهناك نبات هندي اسمه (دسوديا) إذا أشرفت الشمس عليه تحركت ورقتان فيه بالتقارب والتباعد على النوام كعقرب الدقائي في الساعات ، وإذا قطعت غصنا منه ظلت أوراقه تتحرك بعد القطع مدة طويلة وربما كان ذلك بضعة أيام ، ومنها (مصيدة الفأر) وهو نبات له غدد إذا وقعت فيها ذبابة انطقت أهدابها عليها ولسعبتها بأشواكها ، فإذا حاولت الذبابة الفرار انقضت السكاس عليها حتى تمخد أنفاسها ، وإذا اردت فتح السكاس يبدك عنوة تفرقت ولم تفتح وانما تفتح من تلقاء نفسها متى ماتت فريستها

﴿ الآلة السابعة ﴾

يشاهد في كثير من الأزهار أن السداة عضواً كبير والمذقة عضواً أيضاً كانهما في زمن اللقاح يهتزان اهتزازاً ظاهراً أحدهما نحو الآخر لاتمام اللقاح وقد تعطف أحدهما دون الأخرى وبعض الأزهار المائية تقطف نهاراً على سطح الماء فإذا جاء الليل غاصت في قاع البحر

﴿ الآلة الثامنة ﴾

إن العلماء رأوا أن الطلع وهو المسمى (البكن) الذي عرفته فيما تقدم قد يكون له في بعض النبات أجفة أو أهداب يسبح بها على الماء أو يطير في الهواء لاتمام العمل الذي خلق له

﴿ الآلة التاسعة . شجر المسافرين ﴾

في (مداغشكر) شجرة تسمى (شجرة المسافرين) وهذا النوع تحمل كل واحدة منه ٢٤ ورقة وطولها يختلف ما بين متر و ٨٠ سنتيمتراً وقد يكون مترين وخمسين سنتيمتراً ، وعرضها من متر إلى متر و ٨٠ سنتيمتراً وهي أشبه بمظلات وتحت كل ورقة منه ما يشبه القارورة وفيه نحو لتر من الماء الصافي . ويكثر هذا الشجر في الصحاري وينفع المسافرين أيام القيط حيث لا يوجد ماء فيشق تلك القارورة فينسكب منها الماء الصافي فيروى عطشه ثم يتركها فتعود كما كانت أي يلتحم مكان الشق

﴿ الآلة العاشرة وهي الأخيرة . شجرة اللين ﴾

هذه الشجرة توجد في بلاد أمريكا وأهل المكسيك يستخرجون لبنها . وقد كشف هذه الشجرة (اسكندر هينولت) وقد حلل العلماء لبنها فوجدوه كالألبان الحيواني وهو أكثر شها بالقسدة وفيه أيضاً مقدار كبير من شمع يشبه شمع العسل وأشاروا بترية هذا الشجر لارتفاع شحمه وهذه الشجرة من الفضيلة الدفلية تنبت في أواسط أمريكا وتبلغ في الارتفاع ثلاثين متراً ونحو في (فنزويلا) حيث تقل الأمطار وقد تمر على الشجرة أشهر لاتصيدها قطارة ماء حتى ترى كأنها ميتة فإذا جرحتها بمعدة انسكب منها سائل أيضاً كبير الشبه

بالبن راحته بسية خفيفة وطعمه يسب القشدة الحلاة وهو مغسأ . يمكن تناوله بكدمات كبيرة صباحا ومساء
ولا يحصل منه ضرر مطلقا وهو لزج القوام اذا عرض للهواء خشبته مادة صفراء متجمدة كالجليد . ثم ان بعض
النبات يفرز مادة مثل (سن الفيل) . فانظر كيف أخرج النبات سق فيل ولبن وشعما وهو أيضا يضيء كالتنم
في سور قبل هذه ويسقي الناس ماء في الصحراء

أيها الذكي . هذا هو المقصود من قوله تعالى - أولم يروا ان الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم -
يقول الله لجميع الناس ومنهم المسلمون لأن هذا القرآن تذكرة لنا معاشر المسلمين أعميم أيها الناس فلم تنظروا
محجائب النبات المذكورة وذلك بعد أن أنذر بقوله - إن نشأ نزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها
خاضعين - فكأن الله بهذا الكلام يقول للعقلاء إن لم تفكروا في آياتي وتعاقلوها كآيات التي في النبات فاني
أهلككم كما أهلكت أهل أمريكا الأصليين وكما أهلكت أهل استراليا . فأن لا أبقى في أرض إلا الذين
يعشون فيها عن عجائب صنئتي إن نشأ نزل عليهم من السماء بلية ولكننا أبقيناهم عسى أن يفكروا فيما
خلقنا فيصنعوا لهارة أرضنا فلانهم لم يفكروا . هذا هو مقصود القرآن على ما يقتضيه الزمن . ومن العجب أن
القسم الثاني من السورة يهوه هذا النحو . ألم ترأى نبأ موسى المذكور فيه كيف كانت حاجة موسى لفرعون
على هذا الخطافه لما سأله مارب العالمين لم يحبب بالعضا ولا باليد وانه قادر على ذلك بل ابتداء بما ابتداء به في أول
السورة فقال - رب السموات والأرض وما بينهما - فلما راجعه - قال ربكم ورب آبائكم الأولين - فلما
راجعه - قال رب المشرق والمغرب وما بينهما - فجعل عماد الدعوة راجعا خلق السموات والأرض وخلق
الانسان والمشرق والمغرب التي كانت من نتائج النور وما بينهما من نبات وحيوان وانسان فرجع الأمر الى
التنظري هذا العالم ، فبين من هذه الأساليب القرآنية أن هذا الدين جهله أهله وسيظهر أمرهم ويعلو شأنهم
ويرتقي المسلمون بالعلوم والمعارف والكمال

فمن هذا فليفهم المسلمون قوله تعالى في (سورة ق) - والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها
من كل زوج هيج * تبصرة وذكرى لكل عبد منيب * ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنان
وحب الحصيد * والتخل باسقات لها طلع نضيد * رزقا للعباد -

فانظر أيها المسلم الذكي كيف قال - تبصرة وذكرى لكل عبد منيب - وقال - رزقا للعباد - فإذا
كان المسلمون لا يقرؤون هذه العالوم فقد أعرضوا عن التبصرة والتذكرى وأعرضوا عن الرزق لأنه قال - رزقا
للعباد - فهما (أمران) علم وغنى - ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا - فهنا أعرض عن
التذكر وعن التذكرى فتكون المعيشة ضنكا

أيها الذكي قل للمسلمين هذا كلام ربكم يقول - ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا - أي في
الدنيا - وتحشره يوم القيامة أعجى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا * قال كذلك أتتك آياتنا
فنسيتها وكذلك اليوم تنسى - وآيات الله منها ماذكر هنا وهو إخراج النبات وما فيه من كل زوج كريم والله
يقول انه جعله - تبصرة وذكرى لكل عبد منيب - وجعله - رزقا للعباد - فالعروض عن هذه العالوم
والتعرض عنها أعرضوا عن ذكر ربهم وتكون لهم عيشة ضنكا فالقول خاوية والور خالية من
الثروة وهذا هو الذي حصل للمسلمين اليوم ، فالباشرناثة والأثم تريد إقتناصهم لجهلهم وتأخذ أموالهم وهم
غافلون لأنهم ليسوا مستبصرين كما أمر ربهم ولم يحافظوا ولم يبصروا عما خلقه ربهم لهم من الرزق فقلت
العقول من العالوم والجبوب والور من القود ، فملك أيها الذكي أن تعلم هذه الآراء للمسلمين بما وهبك الله
من قوة بيان . وكيف يتسنى للمسلم أن يدرك قوله تعالى - ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون *
فقرأوا الى الله - وكيف يتسنى له ذلك إلا اذا درس أمثال ما كتبناه هنا وتفكر فيه فبحسب بأن دافعا يدفعه

الى ربه مشتاقا الى لقائه اوه رفقة كما أحسست في نفسك وانت قرأ هذه الآيات العظم وقد دهشت بما رأيت من بحاج ربك . فن هنا فليفهم لم قال الله - فغفروا الى الله - بعد قوله - ومن كل شيء خلقنا زوجين - ومن هذا تفهم بعض أسرار القرآن التي يحجز عنها كثير من الناس . أليس من هذا السر أن التصبر بالزوجين يرجع الى حال الذكورة والانوثة في النبات . أليس هذا هو الذي عليه العول عند علماء النبات في تقسيمه انظر الى ما كتبه العلامة (ليبو) إذ شاهد أن الزهر في النبات تميز وفي أفرعه اما غير متميز بتنا أومتيز لكن على غير الطريقة التي يميز بها في أكثر النباتات ثم آمنه النار في التميز فترى انه إما خشبي واما ذكر واما أنثى وأن الزهر الخشبي يختلف في العدد والوضوح واجتماع أعضائه الذكر والتأنيث . وأن الزهر سواء أكان ذكرا أو أنثى إما أن يكون ذا مسكن واحد أو مسكنين أو كثير المسكن وعلى ذلك قسم النبات الى (٢٤) رتبة

الأول أحادي أعضاء التذكير . ثنائي أعضاء التذكير . ثلاثي أعضاء التذكير والرابع والخامس والسادس والسابع والثاني والتاسع والعشاري وذو أحد عشر عضواً تذكير . الثاني عشر أعضاء التذكير فيه زائدة عن (١٩) مندخمة في التويج . الثالث عشر أعضاء التذكير الزائدة عن (١٩) مندخمة في أسفل المبيض . الرابع عشر له أربعة أعضاء ذكور اثنان أطول من اثنين . الخامس عشر له ستة أعضاء ذكور أربعة أطول من اثنين السادس عشر أعضاء التذكير المجتمعة خمسة بواسطة خطوط الحشفة . السابع عشر فيه أعضاء التذكير اجتمعت خمسين بواسطة خطوط الحشفة . الثامن عشر فيه أعضاء التذكير اجتمعت خمسا كثيرة بواسطة خطوطها . التاسع عشر فيه أعضاء التذكير اجتمعت خمسا بواسطة (الانثرا) وقد عرفتها فيما تقدم . العشرون فيه أعضاء التذكير التتمعت بعضو التأنيث . الواحد والعشرون فيه أعضاء تذكير وتأنيث وخشبي في نبات واحد . الثاني والعشرون فيه أعضاء ذكور وأنثى في نباتين . الثالث والعشرون فيه أعضاء ذكور وأنثى في نبات واحد أو أكثر . الرابع والعشرون نباتات خفية أعضاء التناسل

هذه هي الرتب والرتب تنقسم الى أجناس عالية والجنس العالي يشتمل على أجناس والجنس على أنواع

﴿ الحروف الهجائية والزهرة ﴾

أولست ترى أن الزهرة بما فيها من كاس وتويج وعضو تذكير وعضو تأنيث واتحادها عددا واختلافها واقترانها واجتماعها وما أشبه ذلك كوّنت رباً وأجناساً وأنواعاً عدها العلماء فبلغت (٣٣٠) ألفاً . أليس هذا العدد كله نتج من اختلاف هذه الأعضاء وجوداً وعدماً وكثرة وقلة واجتماعاً واقتراحاً على آراء بعض العلماء . فأشبهت الزهرة فم الانسان فانه جميع (٢٨) حرفاً أو (٢٥) أو أقل وأكثر وبهذه الحروف كوّنت لغات والحروف المعبودة كوّنت لغات والأعضاء المعبودة في الزهر باختلافها كوّنت رباً وأجناساً وأنواعاً وأصنافاً في النبات - فبارك الله أحسن الخالقين - انتهى الكلام على القسم الأول من السورة

(الْقِسْمُ الثَّانِي)

وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ إِنَّ أَنْتَ الْكَوْمُ الطَّامِنُ * قَوْمٌ فِرْعَوْنُ لَا يَنْقُوتُ * قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ * وَيَعْصِيَنَّ صَدْرِي وَلَا يُنْطَلِقُنِي لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ * وَلَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ * قَالَ كَلَّا فَادْهَبْ بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ * فَآتَيْنَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ * قَالَ أَلَمْ تُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ نَهْمِكَ مَبِينٍ * وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكِ الْبَنِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْم-

الْكَافِرِينَ * قَالَ فَسَلِّهَا إِذَا أُنَا مِنَ الصَّالِّينَ * فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْكُمْ فَوَهَبَ
 لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ * وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنَّهَا عَلَى أَنْ عَدَّتْ بَنِي إِسْرَائِيلَ *
 قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ * قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ *
 * قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تُسْمِعُونَ * قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ * قَالَ إِنْ رَسُولُكُمْ
 الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ * قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ *
 قَالَ لَنْ أُنْخِذَ إِلَهاً غَيْرِي لَآ جِئْتُكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ * قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ *
 قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَأَتَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثَمَنٌ مُبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ
 فَإِذَا هِيَ بَيْعُتُهَا لِلنَّاطِقِينَ * قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ
 مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ * قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ *
 يَا بَأُوكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٌ * تَجْمَعُ السَّحَابَ لِمَقَاتٍ يَوْمَ عَمَلُومِ * وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ
 مُجْتَمِعُونَ * لَمَكُنَّا تَتَّبِعُ السَّحَابَ إِنْ كَانُوا مِنْ الْعَالَمِينَ * فَلَمَّا جَاءَ السَّحَابُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ
 أَئِنْ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْعَالَمِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * قَالَ لَهُمْ
 مُوسَى أَتَقُولُوا مَا أَنْتُمْ مُتَقُونَ * قَالُوا جَاءَ أَهْلُكُمْ وَعَصِيهِمْ * وَقَالُوا بِيْزَةٍ فِرْعَوْنُ إِنَّا لَنَحْنُ
 الْعَالَمُونَ * فَأَتَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ * فَأَتَى السَّحَابَ سَاجِدِينَ *
 قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبُّ مُوسَى وَهَارُونَ * قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ
 لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ
 خِلَافٍ وَلَا تَصْلَبْكُمْ أَجْمِينَ * قَالُوا لَا صَبِيرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ * إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ
 لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ * وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي أَنْسُكُمُ
 مُتَّبِعُونَ * فَأَرْسَلْنَا فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ
 لَنَا لَنَافِلُونَ * وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ
 كَرِيمٍ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ * فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ * فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَحْمَانِ
 قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَذْكُورُونَ * قَالَ كَلَّا إِنْ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ * فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى
 أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ * وَأَزَلَفْنَا لَهُمُ الْآخِرِينَ

* وَأُتِيتُنَا مُوسَى وَفِيهِ نَمَّةٌ أَتَمِّعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْأَخْرَبِينَ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَكَلِمٌ مِّنَ الرَّحِيمِ *

﴿ التفسير اللفظي ﴾

قال تعالى (واذ نادى ربك موسى) أى واذا ذكر وقت ذلك (أن انت) أى انت (القوم النالين) بكفرهم واستمادهم بنى اسرائيل والذلالهم ثم أبذل منهم (قوم فرعون) أى فرعون وقومه (الأتبعون) أى اتهم زاجرا لهم فقد أن لهم أن يتقوا وهذه الجلة مستأفة للعت والاعتراف (قال رب إني أخاف أن يكذبون) الخوف غم يلدق الانسان لأمر سيئ (ويعنى صدرى) بتكذيبهم إياى معطوف على - أخاف - (ولا يطلق لافى) وذلك للعتة التى كانت على لسانه (وأرسل الى هرون) لبوازنى ويعينى (ولهم على ذنب) أى دعوى ذنب وهو قتلته القبطى (فأخاف أن يقتلوا) به (قال) تعالى (كلا) أى لن يقتلك (فأذهباً بآياتنا إنا معكم مستمعون) سامعون ما يقولون وما يقال لكم (فأبنا فرعون فقالوا إنا رسول رب العالمين) الرسول يكون بمعنى المرسل فىنبى ويجمع ويكون بمعنى الرسالة كما هنا وهى مصدر يستوى فيه المفرد والمثنى والجمع فهو مصدر وصف به ، ومن هذا المعنى قول الشاعر

لقد كذب الواشون ما فهمت عندهم * بسر ولا أرسلتهم برسول

أى برسالة ، وقوله (أن أرسل معنا بنى اسرائيل) بمعنى أى أرسل لأن معنى الرسول يتضمن الارسال والارسال فيه معنى القول فسكون - أن - مفسرة ، يقول خذ بنى اسرائيل يذهبوا معنا الى فلسطين فأتينا فرعون فقالا أرسل معنا بنى اسرائيل (قال) فرعون جوابا لموسى كيف تسكن معنا عليك ونحن غديناك ورييناك وعليناك (ألم نربك فىنا ولدا) أى ألم تسكن مغيرا فريناك (ولبت فىنا من عمرك سنين) قيل ثلاثين سنة ثم خرج الى مدين عشرينين ثم عاد اليهم يدعهم الى الله ثلاثين سنة ثم بق بعد الفرق خسين (فعلت فعلتك التى فعلت) يعنى قتل النبطى ، قال ذلك تو يخاله بعد تعداد النعم عليه (وأنت من الكافرين) بنعمتى إذ قتلت أحسد خواصى ، وهذا القول من فرعون يتضمن ﴿ أمرين ﴾ الأول ﴿ الملق على موسى بالترية وهو طفل ﴾ الثانى ﴿ توبيخه بأنه كفر نعمته بقتل النبطى فأجاب عن الثانى لأنه أهدم ﴾ قال فعلتها إذن وأنا من الضالين (من الجاهلين أو من الخطئين لأنه لم يعتمد قتله أو من الجاهلين عما يؤول اليه الوكر لأنه أراد به التأديب لجاء القتل خطأ (ففررت منكم) الى مدين (لما خفتكم فوهب لى رنى حكا) حكمة (وجعاني من المرسلين) فليس ذلك قدحا فى نبوتى كما يظهر من كلامك ، وأجاب عن الأول بقوله (وتلك نعمة) أى أولئك نعمة (فنهنا على) وهى (أن عبث بنى اسرائيل) وتركتى وحذف همزة الاستفهام هنا كحذفها فى قول عمر بن عبد الله بن ربيعة

لم أنس يوم الرحيل وقتها * وطرفها من دموعها غرق

وقولها والركاب واقفة * تركنى هكذا وتطلق * يقول وهل تلك نعمة تمنها على وهى انك استعبدت بنى اسرائيل وتركتنى فلم تستعبدنى ، وكيف تمن على بالترية وقد استعبدت قومى ومن أهين قومهم فقد ذل فاستعبادك بنى اسرائيل أحبط احسانك الى ولولم تستعبدهم ولم تقتل أولادهم لم أرفع اليك حتى تر بينى وتركفى ولسانك لى من أهلى من بر بينى ولم يلقونى فى الهى . وهذه الأجوبة الشريفة السديدة يجب أن تكون أجوبة الشريين لأهل أوروبا فقد استعبدوا أمراءهم والأمراء يخوفون الأمم ويلونهم بما نالوا من المال والجاه على أبدي أهل أوروبا . فليقل كل مسلم للأوروبى الذى له عليه يد كيف تمن على وأنت أذلت أمنا ولولا اذلالك لما لم تعطينى تلك النعم - فلك الخيرات من بلادى ولافضل لك إلا كما فضل فرعون على

موسى . إن الله ماقص . هذا القصد إلا للاعتبار والادراك . وتفهيم الأمم الاسمية كيف تسكون المحافظة على العشيعة وعلى الأهل . وكيف يتقادم الغاصبون الغالبون . وكيف يجب أن يقابل الناس لهم ظهر المجن إذا أساءوا معاملة الأمم المطاوعة وأن ينكروا انعامهم فانما انعام الأمم القاصية كالانعام المومنين ببناء مسجد كما قال الشاعر

بني مسجدا لله من خير حله * فكان يشهد الله غير موفق

كطاعة الأيتام من كد فرجها * فويلك لاترني ولا تنصق

ولما سمع فرعون الجواب ورأى أن موسى لم يرجع بما خاطبه به شرع في الاعتراض على دعواه (قال فرعون وما رب العالمين) أى انك تدعى انك رسول رب العالمين فما هو؟ (قال موسى بجيبا له رب السموات والأرض وما بينهما) طلب فرعون الحقيقة والحقيقة ان كانت للأزواج فبالترتيب وان كانت للأفراد فانها بالتجليل والمسؤل عنه هنا لا أجزاء له لأنه غير مركب فلذلك أجاب بأظهر الخواص وهو انه رنى السموات والأرض وما بينهما (إن كنتم موقنين) أى ان كنتم تعرفون الأشياء بالدليل فكفى خفاق هذه الأشياء دليلا والايقان هو العلم الذى يستفاد بالاستدلال (قال فرعون (إن حوله) من أشرف قومه (الانتمعون) معجبا قومه من جوابه يقول يقوم تجسوا من موسى سأله عن الحقيقة فأجاب بذكر الأفعال فأجاب موسى مستدلا بما هو أقرب الى أنفسهم وهو التناسل المستمر في النبات والحيوان والانسان والجباب التى تقدمت في القسم الأول وشرحناها بما تقر به أعين أهل العلم وذكر ما هو أهمها وما كان القصد الأكبر منها وهو الانسان وأجابه (قال ربكم رب آبائكم الأولين) ومن نظر في علم الأجنحة وعلوم الأمم وعلوم التشريع وعلوم الطب أدرك نظاما بدأ بهدش العقول . فبقى فرعون في موقفه يريد الاجابة بالحقيقة بالأفعال (قال إن رسولكم الذى أرسل اليك لجنون) أسأله عن شئ ويحجبني عن آخر فأجاب موسى بهجاب الشمس وشروقها وغروبها وانتظام مداراتها وتنوع المشارق والمغرب كل يوم بحيث لا يخلل لحظة يشير بذلك الى علوم الفلك وجميع العلوم الرياضية كما شرفه الى العلوم الطبيعية وبالأول الى العلوم العامة وهى علوم ما وراء الطبيعة . ولذا قال (إن كنتم تقولون) أى ان كان لكم عقل علمتم أن لاجواب لكم فوق ذلك لأن دراسة العلوم الطبيعية التى كان من أشرف نتائجها خلقكم وخلق آبائكم الأولين ودراسة العلوم الرياضية ومنها الفلكية لمعرفة شروق الشمس وغروبها واستكمال سائر العلوم ونظامها اجالا بعلم ما وراء المادّة . كل ذلك دلالة على أن هناك إلها صوّر هذه العوالم كلها وأبدعها وزينها وربّها وحسبها ونظامها . فلما رأى فرعون ذلك عدل عن البراهين الى استعمال القوة كما فعل الذئب مع الحمل إذ شرب الذئب من ماء النهر والحمل المسكين واقف في أسفل النهر الجرى فقال له أيها الحمل قد كدرت الماء فقال الحمل أنا في أسفل النهر الجرى فليس من المقول أن يجرى الماء اليك بل هو يجرى نحوى من عندك فقال أنت كمت شمتنى في العالم السابق فقال لم أخفق إذ ذاك فقال لعل أباك أراخاك هو الذى شمتنى وانقص عليه وأكمله

هذه هى الحجج التى يجمع بها الأقوياء فاذا ما ضعفت الحجج استعملوا القوة . هكذا هنا في محاجة فرعون لموسى فانه لما لم تعد الحجج لبس جلد النمر (قال لئن اتخذت إلها غيرى لأجعلنك من المسجونين) وهذه أيضا عينها ما فعله الأمم القوية مع الأمم الضعيفة كأهل أوروبا مع المسلمين الذين يربدون الانقضاء عليهم ونهب بلادهم وملكتهم وتسخيرهم وقوله - من المسجونين - أل فيها للعبد أى الذين تعبد بهم وهزم في أشد حالات الضنك فهذا أشد من قوله لأجعلنك مسجوننا فاضطر موسى أن يترك الأدلة العقلية ويذكره بالمجازات وخوارق العادات (قال أولوجئتكم بشئ مبين) أى أتفعل ذلك ولوجئتكم بحجة بينة لأحوالكم وزمانكم لأنكم قوم مغرمون بالسحر والغرم بالسحر منصرف عما عداه من العلوم العقلية لأن السحر صرف النفوس عن الحقائق الى أمور اخترعها الوهم وأبرزها الخيال . فأما الحقائق فانها مستورة محجوبة عن هذه الطائفة

فنجتني من جنس عالمكم . وإذا كان الله ما أرسل رسولا إلا بأمر قومه فكذلك ما أرسل رسولا إلا بغير حج من جنس ما يرادله قومه . فترى أمة العرب مفرقة بالسلافة بغير القرآن معجزا لهم وكانت الأمم المصرية مفرقة بالسحر فأرسل موسى لهم ليجمعهم فيما هم فيه . ولدت الصحابة ولال عجزها الأعران الجواهر بل بها عرضيان لفصل النبوة ، اقتضت حال الأقوام الذين أرسل إليهم الرسل والا فالتقائي أولى بالبحث وأجدر بالتعقيب . يقول موسى لئن أهتمت أمور العلوم العقلية والنظر الصعيب في هذه الدوام المشبعة فدونكم ما اعتادوه من السحر وفائده في سورة البقرة قوله تعالى - يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون * الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون * وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله - فانظر وتعجب من الماورئين محاوره موسى مع فرعون ومحاوره سيدنا محمد ﷺ مع قومه . فانت ترى موسى يقول الله على لسانه لما لم يفكر فرعون في الدوام المحيطة بنا كما تقدم في هذه الآيات ولم يذكر السموات والأرض والشرق والغروب وخلقهم وخلق الآباء الأولين الذين لا يهيشون إلا بهائم الطبيعة قال له هنا - أدلو جيشك بشئ مبین - يقول له يا فرعون أنت أعرضت عن التفكير بعقلك والرجوع للحقائق فذكرك أنقصصر عن الحقيقة ولو أعتيتك بشئ مقبول عندك لما انصرفت عما يقوله سائر العقلاء وهو العاقل عليك في السحر هكذا في سورة البقرة ذكر الله القوم . ذكرهم الله بخلقهم وخلق آبائهم الأولين مثل ما هنا وذكر السماء والأرض كما ذكرنا هنا وذكر انزال الماء من السماء وهذا لا يكون إلا بحرارة الشمس التي تقرب وتشرق ولما لم يفهم ذلك قال لهم - فاتوا بسورة من مثله - . ألا تعجب أيها الفسك - ألا ترى إلى ما يرمي إليه القرآن وما يقصد به . ألا ترى أن المقامين متشابهان مقام موسى مع فرعون ومقام محمد ﷺ مع قومه . ألا ترى أن العلوم الكونية هي مقصود القرآن وأن السلافة والسحر ليسا مقصودين . ألا ترى بعد هذا أن الله لما أنزل القرآن جعل المقامين متشابهين . ألا ترى لماذا ؟ لأنه علم أن المسلمين سيغفرون بقولهم من عرف البلاغة عرف سر القرآن وهو المجزأة الوحيدة . تقول نعم مجزأة وحيدة عند من هم أهل البلاغة من العرب أومن تخالحوهم ولكن هذه البلاغة جعلها الله حجة عند طائفة مضمومة . أما الأمم كلها وأرباب العقول فقد جعل الله الحجة القائمة عليهم هذا النظام البديع والخلق العجيب . ومن عرف اللغة العربية وبلاغتها ووقف عند هذا الحد فهو مغرور مغفل لأنه قصر القرآن على ما يعرفه العرب الجامعون وهذا جهل فاضح فان القرآن باب لفتح العقول وفهم العلوم وإحراك أسرار الكون . فاذا وقف المبلغ عند هذا الحد فهو نائم ساه بل عليه أن يدخل العلوم من أبوابها وأن يأمر الأمم الإسلامية بمعرفة سائر العلوم لأن القرآن هو بابها . وأهمري ما البلاغة إلا حلية الكلام فإن حلية العقول إذن ؟ حلية العقول هي العلوم ، إن في مثل هذا المقام يظهر انجاز القرآن . يذكر السحر وإبطاله بعد اليأس من فهم الدوام المحيطة بنا ، ويذكر البلاغة بعد اليأس من العقل إذ يقول - وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله -

بمثل هذا فليدرس القرآن ، وبمثل هذا فليستعظ المسلمون والأفاني أنذرهم صاعقة عاد وثمود فليقرؤوا العلوم فقد أوضح القرآن مناهجها وأبان طرقها وأظهر مسالكها وبين أن الكلام على البلاغة وعلى السحر بعد اليأس من فهم العقول الكونية فقال الله هنا (قال) فرعون مجيبا لموسى (فأتت به إن كنت من الصادقين) في أن لك ليلة فإن يدعى النبوة لابد له من حجة (فأتى عصاه فإذا هي ثعبان مبين) أي ظاهر أنبائه * يقال إنما لما صارت حية ارتفعت في السماء فتميل ثم انحطت مقبلة إلى فرعون فقال بالأي أرسلك إلا أخذتها فأخذها موسى فمادت عصا كما كانت فقال وهل غيرها قال نعم وأراء يده ثم أدخلها في جيبه ثم أخرجها فإذا هي بيضاء من غير برص لها شعاع كشعاع الشمس (وزرع يده فإذا هي بيضاء للناظرين)

حيثئذ (قال) فرعون (للاي) حال كونهم مستقرين (حوله) ومقول القول (إن هذا الساحر عليم) فائق في علم السحر (يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فإذا تأمرون؟) وهذا التعبير الذي أفاد أن فرعون مع أدعائه الربوبية قد تشاور مع قومه ، يقصد منه في القرآن أن الشورى يجب أن تكون في الاسلام لأنه اذا قال الله لنبيه ﷺ - وشاورهم في الأمر - وزاد على ذلك أن فرعون مع أدعائه الالهية تشاور مع قومه فان ذلك دلالة واضحة أن الشورى أمرها جليل عظيم وأن الأمم الكافرة لما جعلت الشورى في أعمالها دام ملكها أمدا طويلا كما نرى من الآثار المدهشة للقدماء المصريين الدالة على ملك عظيم دام آلاف وآلاف من السنين . فالشورى إذن أمرها عظيم فلما شاورهم (قلوا أرجه وأخاه) أى أخر أمرهما ولا تباغتهما بالقتل بحيلة الفتنة (وابعث في المدن حاشرين) شرطا يحشرون السحرة (يأتوك بكل سحار علم) والتعبير بالسحار ليعينوا له أنهم أقوى من موسى في سحرهم (يجمع السحرة ليقات يوم معلوم) لما دقت به من ساعات يوم معين وهو وقت الضحى من يوم الزينة (وقيل للناس هل أتمم مجتمعون) هذه الجملة تفيد الاستبطاء والحث على الاسراع كما قال تأبط شرا

هل أنت بائع دينار لحاجتنا * أو عبد رب أخا عون بن مخراق
أى ابعت أحدهما ليأنا سر بها . ثم قال (هلنا تبع السحرة ان كانوا هم الغالبين) هلنا تبعهم في دينهم ان غلبوا . ومعلوم أنهم على دينهم فذكروا اتباعهم على سبيل الكناية يقصد بها أنهم لا يتبعون موسى والا فهم في ذلك الوقت على دين المصريين ومنهم السحرة فكيف يتبعونهم من جديد (فلما جاء السحرة قالوا فرعون أنت لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين * قال نعم وانكم إذن لمن المقتربين * قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ماثقون) وذلك بعد أن قالوا له إما أن تبقى وأما أن نكون نحن الملقين (فألقوا حبالهم وعصمهم) المدهونة بالزئبق الذى تفرقه حرارة الشمس فيطيار . ويقال ان الحبال كانت فوق سبعين ألفا وكذا العصى (وقالوا بعزة فرعون إنما نحن الغالبون) وهذا القسم مبنى على اعتقادهم في انفسهم ولأنهم أنروا بأقصى مالههم من السحر (فأتى موسى عصاه فاذا هى تلقف) تتلعق (ما يافسكون) ما يلقونه عن وجهه بالقوى والتزوير حتى أنهم جعلوا الناس يتخيلون العصى والحبال حيات تسمى (فأتى السحرة ساجدين) لأنهم علموا أن هذا منتهى التخيل السحري . ولما ابتلعت الحية ما زوروه ايقنوا ان هذا فوق العلم فآمنوا وخروا ساجدين لأنهم علموا أن هذه قوة فوق قوة الناس وليس فوق الناس إلا الله وهو الذى ارسل موسى ومقتضى اللغة ان يقال خروا ساجدين ولكن عبر بالانقياد أولا للشاكلة وليلد على أنهم لم يتبالسكوا انفسهم من الدهشة العلمية فكانهم أخذوا فطرحوا وهذه أعجب ما يكون من جهة البلاغة اللسانية ثم أبدل من قوله - فأتى السحرة ساجدين - قوله (قالوا آمنا برب العالمين * رب موسى وهرون) وذلك لشاعرهم يعزل فرعون عن الربوبية وبأن سبب الايمان ما أجزأ الله على يدى موسى وهرون (قال آمتم له قبل أن أذن لكم انه لكبريكم الذى علمكم السحر) فعلمكم شيئا دون شيء أوتوا طامعا معكم ، وانما كان ذلك من فرعون ليلبس على قومه (فلسوف تعلمون) وبال ما تعلمتم ثم بين ذلك الوال فقال (لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجعين * قالوا لاضير) لاضرر علينا في ذلك في الدنيا (إنا الى ربنا منتقلون) أى لأننا نقلب أى نصير الى ربنا في الآخرة مؤمنين مؤملين غفرانه وهو قوله تعالى (إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا) أى لأن كنا (أول المؤمنين) من أتباع فرعون (وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادى إنكم متبعون) أى يتبعكم فرعون وقومه ليحولوا بينكم وبين الخروج أى أسرهم حتى اذا اتبعوكم مصيبيكم كان لكم تقدم عليهم بحيث لا يدركونكم قبل وصولكم الى البحر بل يكونون على أركم حين تلجون البحر فيدخلون مدخلكم فاطبق عليهم فأغرقهم . وجاء في التوراة في سفر الخروج في الاصحاح الحادى عشر أن الرب أمر أن يطلب كل رجل من صاحبه وكل

أصراً من صاحبها أمتة ذهب وأمتة فضة وأن الله سيعت كل بكر في أرض مصر من الإنسان والحيوان وأمرهم أن يذبح كل أصل بيت شاة يوم الرابع عشر من شهر الخروج ويذبحون الفاتحين والعبيد السلياً من الدار ويأكلون اللحم تلك الليلة مشوي بال نار مع فطير وأمرهم أن يأكلوه ببجلة ويأكلون الرأس مع الأكلع والجوف . هذا هو المسمى (فصح الرب) وهذا الدم علامة على بيوت بني إسرائيل حتى يحفظ كل بكر من بني إسرائيل ويتخطاهم الموت إلى أبكار المصريين ويكون أكل الفطير سبعة أيام ويكون هذا فريضة أبدية تذكاراً للخروج من مصر من يوم (١٤) إلى (٢١) من الشهر كل سنة . وهكذا أمر موسى وقومه بذلك ففعلوا كل هذا ونجا أولادهم وصار ذلك سنة أبدية . ولما مات الأبرار من الإنسان والحيوان في جميع بلاد مصر أصف الليل اشتغل الناس بالأهوات وبؤاسرائيل أخذوا غنمهم وبقرهم وأخذوا عجيزتهم قبل أن يفتقر ومعاجزهم مصرورة في ثيابهم على أكتافهم وفصل بنو إسرائيل ما أمرهم الرب وارتحل بنو إسرائيل من رعسيس إلى سكوت ستانة ألف ماش من الرجال ماعدا الأولاد ونهبوا العجين الذي أخرجوه من مصر خبزاً مطبوخاً . وكانت أقامة بني إسرائيل في مصر (٤٣٠) سنة فهذه الليلة هي عيد الفصح إلى الأبد . وكان الخروج في شهر أيب . فهذه سبعة أيام يؤكل فيها الفطير تذكاراً لخروج بني إسرائيل من مصر (فأرسل فرعون) حين أخبر بسراهم (في الدائن حاشرين) وهم الشرط يحشرون الجيش ليتهم قال (إن هؤلاء لشردمة قليلون) لأنهم ستانة ألف وهم قليلون بالنسبة لجوشه (وانهم لنا القانظون) القانظون ما يعيقنا (وانا لجميع حازرون) واحذرون من عادتنا الحذر واستعمال الحزم في الأمور (فأخرجناهم) أي خلقنا فيهم داعية الخروج بهذا السبب فعملتهم عليه (من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم) وهي المنازل الحسنة والمجالس الجليلة (كذلك) مثل ذلك الإخراج أخرجناهم (وأورثناها) أي أورثنا جنسها أي جنس الجنات والعيون والكنوز والمقام الكريم (بني إسرائيل) وهي أرض المعاد التي هم سائرُونَ إليها . يقول الله كما جئنا المصريين على الخروج من هذا النعيم جئنا بني إسرائيل أن يروا فطره في أرض المعاد فساروا ليلاً (فأتبعوهم) أي لحق فرعون وقومه موسى وأصحابه (مشرقين) وقت شروق الشمس ليصلوا إلى ما أعد لهم من أرض الموعد (فلما رآه الجعان) بحيث رأى كل منهم الآخر (قال أصحاب موسى إنا لمدركون) للمحقون (قال كلا) إن يدركوكم فإن الله وعدمكم الخلاص منهم (إن معي ربي سيهدين) طريق النجاة منهم (فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر) القلزم (فانقلب) أي فضرب فانقلب وصاروا في عشر فرقاً بينها مسالك (فكان كل فرق كطود العظام) كالجليل المنيب الثابت في مفرقه فدخلوا في شعابها كل سبط في شعب (وازلقنا) وقرَّبنا (ثم الآخرين) فرعون وقومه حتى دخلوا على أثرهم مداخِلهم (وأخينا موسى ومن معه أجمعين) بحفظ البحر على الهيئة المذكورة إلى أن عبروا (ثم أغرقنا الآخرين) بإبطاء عليهم (إن في ذلك لآية) لعلهم يعجبون لا توصف (وما كان أكثرهم مؤمنين) فلا القبط الباقون في مصر آمنوا بها وابتدؤا إسرائيل فأنهم بعد ما نجوا عبدوا الجبل وقالوا إن نؤمن لك حتى نرى الله جهره ولم يؤمن إلا القليل . فكما لم يكن أكثر العرب مؤمنين وقد رأوا ما في الأرض من النبات في القسم الأول هكذا هؤلاء لم يؤمنوا بالمجزة التي وقعت على يد موسى وهو انفلاق البحر، فهذا نبي أن الالتجاء إلى خوارق العادات لا يفيد إلا أولى العلم كسحرة فرعون فرجع الأمر إلى أن الإيمان النافع إنما يكون للعالماء كعلماء الطبيعة والفلك والنبات وعلماء السحر وهم المتبحرون فيه لأنهم لم يخرجوا عن تعصمهم في أسرار الطبيعة فأصبح الأمر راجعاً إلى قوله تعالى - شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط - فأما الذين يقلدون أو يظنون أن خوارق العادات كافية فهم غافلون (وان ربك هو العزيز) المنتقم من أعدائه (الرحيم) بأوليائه . انتهى التفسير اللفظي للقسم الثاني من السورة . وههنا خمس طائفت (١) في قوله تعالى - ألم تر ربك فينا ولداً -

- (٢) روى قوله تعالى ... قال فعلتها إذن وأنا من الصالحين -
 (٣) روى قوله تعالى ... وثلك نعمة تمنها على أن عبدت بني إسرائيل -
 (٤) روى قوله تعالى - إن هذا الساحر علم -
 (٥) روى قوله تعالى ... فأخرجناهم من جنات وعيون - ولأقدم قبل هذه اللطيفة جوهره في قصص القرآن
 ﴿جوهره في قصص القرآن من كلام الإمام الشافعي رضي الله عنه ومن كلام علماء العصر الحاضر﴾
 (١) ما يقوله الإمام الشافعي في قصص القرآن

جاء في الإحياء في الجزء الأول صفحة ٢٣ ما نصه ﴿روى أن عبد القاهر بن عبد العزيز كان رجلاً صالحاً ورعاً وكان يسأل الشافعي رضي الله عنه عن مسائل في الورع والشافعي رحمه الله يقبل عليه لورعه ودل الشافعي يوماً أيما أفضل الصبر أو الحجة أو التمكن فقال الشافعي رضي الله عنه التمكن درجة الأنبياء ولا يكون التمكن إلا بعد الحجة فإذا امتحن صبر وإذا صبرمكن ، ألا ترى أن الله عز وجل امتحن إبراهيم عليه السلام ثم مكنته وامتحن موسى عليه السلام ثم مكنته ، وامتحن أيوب عليه السلام ثم مكنته ، وامتحن سليمان عليه السلام ثم مكنته وآتاه ملكاً عظيماً والتمكن أفضل الدرجات ، قال الله عز وجل - وكذلك مكنا ليوسف في الأرض - وأيوب عليه السلام بعد الحجة العظيمة مكنت قال الله تعالى - وآتيناه أهله ومثلهم معهم - الآية . فهذا كلام الشافعي رحمه الله يدل على تبصره في أسرار القرآن وإطلاعه على مقامات السائرين إلى الله تعالى من الأنبياء وكل ذلك من علوم الآخرة * وقبل للشافعي رحمه الله تعالى متى يكون الرجل عالماً قال إذا تحقق في علم فعله وتعرض لسائر العلوم فظفر فيها فإنه فعند ذلك يكون عالماً فإنه قيل لجالينوس أنك تأمر للداء الواحد بالأدوية الكثيرة المجمعة فقال إنما المقصود منها واحد وإنما يجعل معه غيره لتسكن حدة لأن الأفراد قاتل . فهذا وأمثلة مما لا يحصى يدل على رتبته في معرفة الله تعالى وعلوم الآخرة ﴿ انتهى بالحرف من الإحياء للإمام الغزالي أقول إن الشدة خير مهذب للنفوس فانظر ما جاء في كتاب تبسّر الوصول جامع الأصول ﴾ عن أبي هريرة قال خرج رسول الله ﷺ إلى المسجد فوجد أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فأسألهما عن خروجهما فقالا أخرجنا الجوع فقال وما أخرجني إلا الجوع فذهبوا إلى أبي الهيثم بن التيهان فأمرهم بشعير ففعل وقام إلى الشاة فذبحها واستعذب لهم ماء (١) معلقاً عندهم في نخلة ثم أتوا بالطعام فأكلوا وشربوا من ذلك الماء فقال ﷺ لتسألن عن نعم هذا اليوم ﴿ أخرجه مسلم ومالك والترمذي

وعن علي رضي الله عنه قال ﴿ بينما نحن جالوس مع رسول الله ﷺ إذ طلع علينا مصعب بن عمير رضي الله عنه ما عليه إلا بردة مرقعة بفرو فلما رآه ﷺ بكى للذي كان فيه من النعمة ثم قال كيف بك إذا غدا أحدكم في حلة وراح في حلة أخرى وضعت بين يديه صحفة ورفعت أخرى وسترتم بيوتكم كاسترا السكبة قالوا يا رسول الله نحن يومئذ خير من اليوم نكفي المؤنة ونفترغ للعبادة فقال بل أنتم اليوم خير منكم يومئذ ﴿ أخرجه الترمذي فاجب هذا الحديث الصحيح الذي أماط اللثام عن حال المسلمين في جميع العصور فانهم لما مالوا للمال والدعة والترف حرمهم الله الملك ولما كانوا هداة للآثم ناقمين لها مكنتهم الله في الأرض وهذه قاعدة عامة فإذا رأيت الله عز وجل يذكر قصص القرآن فاعلم أنها رمز إلى أمثال هذا ، وتري قابس اليوناني المتقدم ذكره في (سورة البقرة) عند آية - وبشر الصابرين - يقول إن السعادة لا تكون إلا بعد عاناة الشقاء والصبر في هذه الدنيا وكذلك ما يقوله عالم آخر في كتاب ﴿ الكوخ الهندي ﴾

أقول وإنما نقلت هذا ليسكون نصب أعين أولى العلم عند قراءة قصص القرآن ، فهذه القصص نموذج لما يفعله الله عز وجل بالمصلحين في الأمم الإسلامية فهو يتلى بالحنة ثم يلهم الصبر ثم يعطيهما التمكن وقليل من

الناس من يوفق للتكئين . ان قصص الانبياء اذا لم تلاحظ فيها هذه الآراء والمعاني لم تؤثر في العقول ولم تهذب النفوس ولم تهبط فكرة ، فمن هذا الباب فليعلم المسلون ومنه فليدخاوا لاصلاح النفوس و مداواة عيالها وأستقامها واذن يكونون خير أمة أخرجت للناس

(٢) مايقوله علماء العصر الحاضر في علم التاريخ ، فهناك ما جاء في بعض المجلات العلمية للتكئين (جون مادوكس) دكتور في الفلسفة من جامعة (بال) بأمریکا وها هوذا

سمع أحد علماء الرياضة أدبيا كبيرا يتناول قصيدة (ملتون) الخالدة وهي (التعيم المفقود) بصوت مرتفع ولم يكدها بغيرغ من انشادها حتى سأل العالم الرياضي من حوله ؟ أى شئ تعبدى هذه القصيدة في عالم الحقائق ولما أخفق في الحصول على جواب يخلق في نفسه الاقتناع صريح بأن الشعر لاجدوى منه وبالتالي دومنتوج لاقبيلة . ولاريب في أن عقيدة العالم الرياضي في الشعر وهي عقيدة المعارضة أشبه بعقيدة رجل الأعمال في التاريخ إذ يرى نانبه مان قارئ أبة قطعة تاريخية عمالعمل الانسان في ماضى الحقب لينتج منهاهما كانت مقسمة الاسلوب بأية قاعدة علمية معينة يستطيع بها أن يشيد جسرا بل ولايحصل منها على أية فائدة تعبدية في مشروعه العلمية ، وسرعان ما يصرح : و كذا أن دراسة التاريخ لا تؤدى بصاحبها الى أى غرض نافع وأن الوقت المبذول فيها ضائع هباء . ويذهبى أن اثبات القيمة العلمية من قراءة التاريخ يتوقف طبعا على تفسير كلمة (عملي) فان كان معناها لايفيد إلا الدنانير والدراهم والاستيلاء على الأكدياس منها فيجب أن يقرر في الأذهان أن دراسة التاريخ لاتعمل الانسان تعلما مباشرا كيف يحصل على المال . وإذا كان في معنى كلمة عملي مايدل على شئ آخر غير التنقيب عن الذهب فقد اختلف الحال عن سابقها . أما اذا أفاد معناها إثارة جهود الانسان للعمل مندفعا اليه بتأثير مثل من الأمثلة السابقة النبيلة ، أرأن يكون معناها توسيع نظرات الانسان الى الحياة وأتدريه على واجبه منها بأدق الوسائل وأتقنها وأترقية مستوى معاملاته . اذا كان هذا فان قراءة التاريخ أعلى قيمة وأجدى على الأذهان من أية دراسة أخرى . ويذهبى أنني حين أبجد دراسة التاريخ فأنى أقصد بهذا تحييد التاريخ المسطور حديثا بدقة علمية ذلك لأن الاطلاع عليه يشق مواضع الدهشة منا فيها يختص بالماضى ولولا أن انسانا في العصور البائدة قد سبق في الطريق المؤدى الى تحقيق مايدور بخاطره من الاطلاع ومايتلف الى ادراكه منها لبقينا الى اليوم على حالتناطمعية الأذى نعيش في المغاور ونرتدى الثياب المتخذة من جلود الحيوان وحينما صارأجدادنا على اهتمام بإيجاد أحسن الوسائل لأداء الأعمال واثارت في نفوسهم عوامل الرغبة في الوقوف على ما ابتكرته الشعوب الأخرى من الطرق لتأدية تلك الأعمال نفسها لعب التقدم دوره الحقيقي في عمران الحياة . إن في دراسة التاريخ منظارا لاغنية لنا عنه لفهم العصر الذى نعيش فيه ولنتمكن بواسطته من التفكير ما بين العناصر الأولية في الحياة اليومية وبين تلك العوامل العارضة الزائلة ، وإذا عرفنا التاريخ معرفة وثيقة فأننا نصبح كما يقول الكتاب الانجليزى (مورلى) أشبه كل الشبه بالطائر الذى يحلق في أعلى طبقات الحق كى يستطيع أن يرى سلسلة من الجزائر بحيث تكون نظارته اليها كأنها أجزاء من سلسلة جبال واحدة قد طفت عليها الأمواء وليست كأنها قطع منفصلة كل الانفصال عن اليابسة . وإذا قلنا الحاضر بالماضى فسرعان ما نجد أن العصر الحالى يفوق سابقه في النواحي المادية والعقلية والأدبية فقد زالت العبودية والرق وأخذت قوة الرجال الجسمية والعقلية في قوامتهم على النساء تقل وتناقص بينما قد اتسع نطاق الشعور بمساعدة الضعفاء والعطف عليهم وسرت روح العدالة والرحمة بين كل شعب بل وبين الشعوب قاطبة بعد أن كانت لا تتجاوز قلوب الأفراد في الأسرة أو القبيلة الواحدة فكيف نستطيع وقد نفهم نواحي التقدم في هذه الحالات ؟

لايتسنى لنا ذلك إلا بدراسة الماضى الذى نتمخض عنها

لقد كان (فون سبيل) السياسى الألماني والمؤرخ المحقق قبل الحرب السبعينية يقول دائما في الكلام عن

التشؤن السياسية ، إن من يعرف « من أين » لا يد أن يعرف « إلى أين » ولا ريب في أن السياسة غير الواقفين على حقائق الادور يرتكبون الأغلاط دائماً لأنهم لا يعرفون ماذا أحدثت في الماضي تلك الخطاات السياسية التي ينتهجونها في حاضرهم

إن دراسة التاريخ تزودنا بالمعلومات الضرورية للحصول على فهم صحيح عن الجماعات الانسانية العامة . ولا سبيل إلى أن نتقف على منشأ أوضاع حكومتنا ولغتنا وأصودرحنا للحرية وأفكارنا ومبادئنا الأدبية إلا بقراءتنا للتاريخ وبغيره لا ننفقه شيئاً من كل هذا وهوترائنا النفيس في عصرنا الحالي بل إن التاريخ ليعطينا بالوسائل التي نستطيع بها التسكهن عن المستقبل والتأهب لملاقاة الأيام ، ولأضرب لذلك مثلاً بحادث وقع على مشهدى أيام الحرب العالمية فقد تسادل ذات يوم أحد الجنود قائلاً ؟ ماذا سيكون مصير أمبراطور ألمانيا في نهاية هذه الحرب هل حقا سيشقى ؟ أتلى الجندى هذا السؤال وأردفه بالصمت برهة عرض فيها لذكرته حوادث اناضى ثم قال كلا . انه لا يشقى ولكن سيقى وبذلك يحال بينه وبين جلب الأذى والأخطار على العالم مرة أخرى ، مثله مثل نابليون بونابرت في غاته أيامه . ويدهى أن هذا الجندى ليس على موهبة التنبؤ ولولا درايته بالتاريخ ومواقع فيها مضى من أمثال هذه الظروف والحالات لما تسنت له هذه المقارنة التي تضمنتها اجابة على نفس سؤاله . إن الراية بالماضى ومواقع فيه ذات جسدوى عظيمة ليست في معاونتها إيانا على حل المسائل العتية الأعية غيب ولكنها أيضا تعاون الأفراد على معالجة شؤونهم الخاصة وأن الذين يحيطون سفن أساطهم حيث طاحت آمال غيرهم من قبل لا يلبون إلا أنفسهم فقد كان واجبا عليهم محتوما أن يدرسوا تجارب سواهم من الرجال ، والتاريخ لا يعيد نفسه ألبتة إعادة دقيقة إذ أن العوامل لن تكون هي نفسها في كل زمان ومكان وبذلك لا يكون تحليلها دقيقا ، ومتى ثبت هذا تجلت قيمة المقارنة مابين الحاضر بمحادثه وبين الماضى ومأم فيه . وأزيد من هذا أن دراسة التاريخ تبعث من نفوسنا الهممة على أداء واجباتنا التي أنيطت بنا فان الأمثلة السامية التي تقبها مما فعل الأبطال في الماضى تولد النشاط لدى الناضين بأعباء الحاضر . ولا ريب في أن مافعل (ليونيداس) ومواطنوه الاسبارتيون من أجل اليونان في مضيق (ثرموپولى) لابد وأن يحفظا على كل وطنى شجاعته في الدفاع عن وطنه بل ويكون بمثابة المحرك لأعصاب ذراعهم بينما أن وقوفنا على كيفية نبوض الرومانيين وتفوقهم في الانتصارات التي لم يسبق لها مثل على يدى (هانيبال) . كل هذا يلهب حساسة الناسين عن أوطانهم إلى الهابة . يجب أن ندرس التاريخ فإذا ما استوعبناه ووقفنا على خفاياه امتلأت أذهاننا بسور جة عن العراثر والصفات ومناظر يتجسم فيها مصير الأفراد والجماعات بل والأهم وبالأفكار العظيمة عن النظام الاجتماعى وارتقائه وبذلك نشعر بأنفسنا وقد كبرت وبقولنا وقد اتسع نطاقها . ويقول (الورد يكون) اقتباسا عن أحد مؤرخى اليونان « إن التاريخ فلسفة تعلمنا بالأمثلة بل أن مشله مثل كل علم جليل النية اذا درسناه بدقة ونظام خلق فينا ذاكرة يسهل عليها الرجوع الى الحوادث مهما يبعد بيننا وبينها الأمد وعينا دقيقة الملاحظة وقدره على تفهم العلاقات بين الأسباب والنتائج . انتهت الجهورية

﴿ اللطيفة الأولى والثالثة - ألم نربك فينا ولينا - الى قوله - وتلك نعمة تمنها على أن عديت بنى اسرائيل - ﴾ اعلم أن هذا القول قصه الله علينا ليعلمنا كيف تكون المحافظة على الوطن وحسب الاخران فان فروعون لما من على موسى بأنه ربه قال موسى كيف تمت على بذلك وأنت لولا استبدادك لنا ما تسنى لك ذلك ، وقد وضع هذا المقال في تفسير الآية وانما جعلها لطيفة ليشكر فيها الأذكاء

﴿ اللطيفة الثانية في قوله تعالى - قل فعلتها إذن وأنا من الصالين - ﴾

اعلم أن موسى عليه السلام لم يعقه ما اتفق له من قتل القبطى خطأ عن المضى في الأعمال النافعة وانما جاء ذلك القصص لنا لضرب الذكر صفحا عما مضى من الأعمال ونتجه الى أعمالنا العالية الشريفة ولا نجعل

ما اتفق لنا من الخطأ بحسب ما يلائم الناس عاقلنا عن الإخبار بالهامة ، فليجاء المسلم في عمله وليتم بما وجب عليه وليتناكر أن سيدنا موسى عليه السلام لما ذكر القبطي فبات لم يفقه ذلك عن ترقية بني إسرائيل واسعادهم ﴿ في الحقيقة الرابعة . السحر عند الفراعنة ﴾

لقد ذكرت هذه القصة في القرآن مرارا وتكرارا وفيها ذكر السحر عند قدماء المصريين وفيها أن المصري انفلقي لموسى فلاسمك مجاء عن قدام المصريين من السحر لتطاع على عقائدهم وآرائهم ولتعلم أن قصة موسى وفرعون وراواها من الأخبار كل عجيب وغريب ، لأنقل لك ما وجد على ورق البردي وفي الآثار المكتوبة على الأبحر لتعجب من الأمم ومن علوم الأوائل ولتعلم أن الله عز وجل له في الأمم عجائب وغرائب قال المرحوم أحمد باشا كمال ما ملخصه ﴿ قد كان السحر له تأثير غريب قبل اليوم بخمسة آلاف سنة ولم يكن لطيف أن يدأري بالعقابر إلا بعد أن يدأري بالعزائم السحرية ، فالعزيمه مقيمه على الدواء المادى ، وقد ذكر حادثة في الأسرة التاسعة عشرة وهي أن فتاة ابنة ملك (بنتن) قال واعلمها بغداد طلب أبوها من مسيس الثاني أن يرسل لها أحد المعبودات المصرية فأرسل لها المعبود (خونسو) فودع خونسو إلى الملك وطلب منه أن يخرج العفريت من ابنته المسماة (بنت رشت) فأخرج الجني وهذا الجني شرط قبل خروجه أن يصنعوا له مهرجانا لوداعه فأجابه لذلك وجعلوا له يوما عظيما مشهورا فأحب الملك أن يبق المعبود المصري عنده دائما ولكن بعد مدة مرض وحر الأطباء في أمره فجاء له (خونسو) ليلا كأنه باسق من ذهب وأبلغ عليه أن يرده إلى بلده فلما طلع النهار أرجعه إلى بلده فشنق من مرضه ﴾

(١) وكانوا يعتقدون أن الجن تنشق من السوده الوحيدة ومن رمد العين والانتهاز وغيره ، وقد دوتوا في رسائل الطب كيفية استخراج الجبان المؤذية وطردهم إلى أسفل سافلين لينجوا من أذاهم ، وذكر رحه الله عز يتين اشهرتا بحسن الاجابة والقبول وكان الأطباء يتلونها على كل مرض ولشهرتها عسدروا بهما ورقة (ايروس الطبية) وهالك ترجمة العزيمه الأولى وهي تكرر بالدقة مرارا متى وضت الأدوية على أى عضو مريض لكي يزول عنه سبب المرض والعين اذا كان استعمال العلاج من الظاهر ، وأنا رأيت ألا أذكرها بنصها لعدم فائدها ، وإنما أقول ان ملخصها يرجع إلى الاستغاثة بالالهة (أشوريس) التي خلصت (حوريس) من الأشياء الرديئة التي فعلها أخوه (ست) حين قتل أباه (أسوريس) والاستغاثة أيضا بالالهة (اسيس) المعبودة الكبيرة يستغيث بها من مخلصه من معبود الآلام ومن معبود الآلام ومن الموت ومن الموتة ومن المصراع والمصرعة . ويقول ياشمس تكلمى بلسانك (يا أشوريس) تشفع بتدخلك ، الشمس تكلمت بلسانها واشوريس تشفع بتدخله ، فاذن عليك أن تخلصني من كل شئ ردى انتهى

أما العزيمه التي تتلى اذا كان الدواء من الباطن فهالك ملخصها ﴿ بعد شرب الأدوية بخاطب الأدوية يقول هامى أيها الأدوية واطردى الأوجاع من قلبى ومن أعزائى ، العزيمه طيبة لأجل الأدوية والأدوية طيبة لأجل العزائم ، ثم يرجع ويقول كلاما كالسابق إذ يقول ان (موريس) و (ست) جى بهما إلى البناء الكبير بعين شمس وحصلت الحكمة بينهما ففار (موريس) لأنه كان على الأرض يفعل ما يشاء كالمعبودات معه ويكرر هذا القول مرارا وهو يتعاطى الجرح ﴾

ولم عزائم أخرى لأبعاد الهوام والديدب وعزائم للحبة والقبول ويمثلون شخصا على هيئة العدو ويتلون العزيمه ويضربون ذلك القتال بالمدية فان العدو يحصل به محاصل بصورة الشمع على زعمهم وكانوا يتخيّلون انهم يرون الشمس نصف الليل ويستحضرون الشياطين الذين يجابون لهم ما يريدون . هذا ملخص ما ذكر الباشا في ﴿ مجلة الموسوعات ﴾

وهالك ما ترجمه أستاذى في علم التاريخ والجغرافيا المرحوم أحمد بك نجيب عن اللغة الألمانية المترجمة عن

الورق البردى المصرى ترجمة عربية ، إذ نقل ربه الله سبحانه ابن الملك (خوفو) أحد ملوك الأسرة الرابعة وهو
 الباقى للهرم الأول بالحيزة سنة ٣٧٠ قبل الميلاد . ان هذا الملك جمع أولاده الثلاثة وألزم كل واحد منهم أن
 يتص حكاية من أغرب التواريخ المصرية فامتثلوا أمره ، وأتى لأخص لك حكاياتهم ، لماذا ؟ لأن هذا أغرب
 التواريخ فاطلاعت عليه كالاطلاع على تاريخهم ، وأيضاً ان القرآن ذكر سحرهم ، فهاك سحرهم تنق على
 عجائب الدنيا وخرافات الأولين وتعلم كيف ذكر هذا السحر فى القرآن ولماذا ذكر وكيف كانت هذه الدنيا
 ومنشؤها ، وإذا رأينا أنفسنا متعجبين من خرافاتهم التى كانوا يزعمونها حقائق فربما جاءت أقوالهم بعدنا قعدونا
 مخرفين - وفوق كل ذى علم علم -

﴿ الحكاية الأولى . قال ابنه الأول ﴾

(أنجوبة حصلت أيام الملك نيتا وهوبن الأسرة الثالثة ومات سنة ٣٩٠)
 وقف الأمير خفرع الباقى للهرم الثانى وقال لأبيه (خوفو) أنا أقص عليك أنجوبة حصلت مدة أبىك (نيتا)
 (ومعنى الأب هنا السلف) حينما ذهب إلى معبد المعبود فتابع سيد عنتخ تورى (مكان بمدينة منفيس به المعبد)
 وزار أكبر علماء السحر وكانت زوجته تحب رجلاً من أهل المدينة وكانت ترسل إليه خادماتها كل يوم وهو
 يجلس معها فى البستان مشغراً مسروراً وأرسلت له يوماً صندوقاً فيه ملابس لطيفة فأتى مع الخادمة ومضى
 على ذلك جلة أيام فقص ذلك للمدنى منزلاً خلوياً فى بستان زوجها فطلب منها أن تكونا معا فيه فأمرت أمين
 المنزل أن يهيئ لها هذا المنزل فى البستان لينشأ فيه ففعلت وجلستا معا فيه كما يشاءن أما الخادم الأمين فانه
 أخبر صاحب البستان وهو زوجها كبير القراء وهو الكاهن فقال الكاهن لهذا الأمين أحضر لى شمعاً من
 الصندوق المصنوع من الأنوس والفضة المذهبة فصنع تسليماً من الشمع طوله سبعة أشبار ثم طمس عليه بالسحر
 ثم قال للأمين متى جاء للمدنى ليقبض كما كان يغسل كل يوم فى هذا الماء فأتى عليه التمساح الذى من الشمع
 ثم جاء المدنى وجلس معها على عادته وشرباً فى هناء وسرور وجاء العاشق لزوجة الكاهن ليقبض فى البركة
 فأتى الأمين عليه التمساح من الشمع فانقلب إلى تمساح حقيق بنفس الطول وخطف المدنى وغاص فى قاع الماء
 وكان اسم هذا الكاهن (ويابوز) وبيق (ويابوز) الكاهن المذكور سبعة أيام مع الملك والمدنى غاطس
 فى البحر فى جوف التمساح ثم طلب منه أن يريه عجيبة فى رجل مدنى فى زمانه فترجعه معه للبركة وتلا العزيمة
 على التمساح أن يحضر الرجل المدنى فأحضره فغضب الملك وقال كيف تغلب هذا الرجل بهذا التمساح فأخذ
 الكاهن التمساح اذا هوشم كما كان وليس حيواناً وقص عليه قصص زوجته وهذا المدنى فغضب الملك وأمر
 أن يرجع الكاهن التمساح كما كان وينزل فى الماء وقد تم ذلك وأمر بإحراق المرأة فى جانب البستان
 فلما أتم الأمير خفرع هذه الحكاية قال لأبيه (خوفو) هذه حكاية حصلت مدة أبىك (نيتا) فترتب
 الملك (خوفو) لى رغبة خبز ومائة قدر بوزة (الجعة) وأمر بذبح ثور وكذلك أمر بحرقين من الروائح
 العطرية . كل ذلك لروح الملك (نيتا) وقدم أيضاً إلى روح أول القاريين طعاماً وقدرًا عظيماً من البوزة وقطعة
 لحم كبيرة وحفا من الروائح العطرية

﴿ الحكاية الثانية . أنجوبة وقعت فى أيام الملك (خوفو) نفسه ﴾

(ترجمت حرفياً من اللغة الألمانية وهى مترجمة من اللغة المصرية القديمة حرفياً أيضاً)
 عند ذلك قام الأمير (هرد داف) ابن الملك (خوفو) وقال انك لم تسمع إلا ما كان فى الزمن الماضى ولم
 نشاهده بأنفسنا فهو يحتمل الصدق والكذب ولكنى أخبرك عن شيخ فلاح مصرى يعيش (١٠٠) سنة
 ويأكل كل يوم (٥٠٠) رغيف ويشرب مائة قدر من الجعة ويأكل ربة ثور وهو يقدر أن يرد رأس الانسان
 المقطوعة الى مكانها فهو يحيى الموتى وإذا جرح جرحاً على الأرض خلفه خضوع له الأسد ومشى خلفه مدة مايجر

الحيل وأنه يعرف حساب (إبت) وفيه الأسرار المكنونة للعبود (توت) ويقال إن هذا الحساب وحدة المقاييس لتصور الخيوان والإنسان فإن هذه الدورات الخفية التي صنعوها والحياكل التي اخترعوها لابد لها من مقاييس فهو إذن (إبت) فقال الملك (باهر دداف) أحضره لي وكان اسمه (ددى) فركب زورقا في النيل وسافر إلى بلدة (ددى) في إقليم (دوسنفر) ولما وصل (هردداف) إلى الجسر تركه وسار مجحولا على كتفه من خشب الأبنوس وقوائمه من خشب أرز لشان مشبك بكلايب من الذهب فلما وصل إلى منزل ددى سلم عليه بسلام لا تعرفه الآن ، وكان (ددى) راقدا على سرير فوق مسطبة وخادم يروح على رأسه مجروحة وآخر يغمز (يكيس) رجليه وهذه صورة السلام في السلام عليك حالتك حالة كل من صار في دور الشيخوخة والحرم ، في دور الاحتضار والموت ، في دور النزول في القبر ، في دور الدفن والموارة في التراب الذي تصير إليه عاجلا أنت أيها الفاضل المحترم وإلى أثبت إليك من بلاد قاصية لأندابك وهي رسالة من أبي جلالة الملك (خوفو) وإنك متى حضرت تأكل أكلا فائرا بقلته لك الملك أبي ويواليك بمثله ففسر واثق في هذه العيشة الراضية حتى تلحق بأبائك المرتاحين في قبورهم ، فقال ددى سلام سلام باهردداف يا ابن الملك ، يامن يحبه أبوه ويكافئه ويحمله قدره ويرفع شأنه فوق السكراء والشيوخ وإن (قك) حية ، ومعنى قك يعني صورتك الخيالية بعد الموت التي كانوا يعتقدون أنها تسكن في الصورة التي يصنعونها على هيئة جسم الميت ويقسمون لها دور الخبز وكل ما كول وبرغمهم أن هذا يجعل تلك الصورة حية ، ثم إن الأمير (هردداف) ساعده على القيام وسافر معه على الجسر فقال (ددى) مر لي بزورق واحضر أولادى كلهم مع كتبى فأمر له بزورقين مجهزين بجميع لوازمهما ولما وصل الأمير هردداف هو وددى إلى (منفيس) وهي ميثر هيندا الآن دخل ددى على والده الملك فقال له الملك : هل ما يقال إنك تحب الميت حق قال نعم احبى الإنسان والحيوان فقطع رأس أوزة أمامه فأخذ الأوزة وجعلها في الجهة الغربية من الأيوان وجعل رأسها في الجهة الشرقية منه وأخذ ينزل العزائم السحرية فقامت الأوزة تمشى وتنبختر وكذا الرأس صار يقفز نحو الجنة فالتقيا ولما وصلت لها وقفت الأوزة وجعلت تصبح . فقال له الملك أصبح إنك تعرف حساب (إبت) في الأسرار المكنونة للعبود توت . قال لا أعرفه ولكن أعرف مكانه أنه في علبة مصنوعة من حجر ريسى (كندا) موجودة بمنزل اسمه (سبتي) بمدينة الشمس (عين شمس) ولست أنا الموعد بها بل الموعد بها أكبر أولاد المرأة (ددت) امرأة الكاهن المسبى (را) الخادم للعبود وسخيو للعبود المذكور وعندها أن يعطى أولادها أكبر الوظائف في القطر المصرى وأكبرهم يكون هو الكاهن الأعظم لمدينة الشمس وهذه المرأة تلد في الخامس عشر من شهر تبتى (طوبه) وأكرم الملك هذا الساحر كما كثيرا ورب له كل يوم ألف رغيف من الخبز ومائة قدر من البجعة ونورا ومائة رطله من البقول والخضرا انتهى

﴿ الحكاية الثالثة هي أعجوبة وقعت في أيام الملك سنفرور ﴾

لما انتهى الأمير خفرع من كلامه قام أخوه الأمير (بيوفر) وتقدم للسلام أمام أبيه الملك وخوفوه وهذه الحكاية ملخصة فدا بين المؤلف وبين تلميذ بمدرسة عالية وقد نشر هذا الحديث في جريدة الاخلاص تحت عنوان ﴿ السحر في وزارة المعارف ﴾ وهناك نص الحديث

(س) - لقد جاء في الكتب السجارية وفي العلوم الأثرية أن قداماء المصريين كانوا بارعين في السحر فهل

بقى من هذا العلم شيء الآن

(ج) إن السحر اليوم في وزارة المعارف

(س) عجبا . كيف تقول هذا وأنت كنت مدرسا بها وأنا تلميذ بل أنا كنت تلميذا بالمدرسة الخديوية .

أجدا تقول أم أنت من الهازلين ؟

(ج) انى لا امزح وإنما أقول لك حقانا وزارة المعارف قد عمها السحر من اوطا إلى آخرها وهذا

السحر قد انهم العقول

(س) أوضح قاني لم أدر ما تريد

(ج) ان كل شئ يصرف العقول عن الحقائق يسمى سحرا . ألا ترى أن المنوم (بالكسر) يأتي في المراسم العامة ويضع سكرًا في فم المنوم (بالفتح) ويقول له هذا حنظل فيلقطه للمنوم ويشعر وإذا عكس الأمر استحق الحنظل وابتنعه وهو قرير العين . وهذا أحد أنواع السحر فقد صرف المنوم عن الحقائق حتى صار الخاو مرا والمتر جالوا . أولست ترى أن الرجل يقول له المنوم (بالكسر) أنت امرأة فيفعل فعل المرأة ويسمى نفسه باسم المرأة ثم يقول له أنت ملك فيفعل فعل الملك وهو مصدق ذلك في كل حال والناس يشاهدونه في المراسم . إن هذا نوع من السحر بلا جدال

(س) وهل هذا التنويم يدرس في المعارف

(ج) لا ولكن التنويم في المعارف أشد وأشد . لا جرم ان كل ماصرف العقول عن الحقائق حكمه حكم التنويم فإذا رأينا فعلا يؤدي إلى هذه النتيجة عددها سحرا وان لم يسمه العامة ولا القاموس سحرا . إن المقام مقام حكمة وعلم . وهل لك أن أقص عليك عجيبة من مرويات قدماء المصريين السحرية المكتوبة على ورق البردي سواء كانت على الحقيقة أو خرافية . ذلك أن الأمير يوفرا وهو أخو الملك (خضرع) قام أمام أبيه الملك (خوفو) وقص عليه أحجية وقعت وقت ظهرت على يد أكبر العلماء المسمى (ززام عنخ) ذلك أن الملك (سنفرو) كان منقبض الصدروفوف له أكبر العلماء أن يتوجه جلالة إلى بركة قصره ويجعل فيها زورقا مصفحا بالذهب جيلا فيه عسرون فتاة بكرا يتخذفن فيه بمجاذيف من خشب الأبنوس المحلى بالذهب وهن محليات بالقلائد والعقود ولا بسات ملابس (شبيكة) ففعل وركب فسرهن به في الزورق ونظر رجال الزورق ومن فيه وجال الأشجار والأزهار حول البركة فأنشرح صدره وكانت الفتيات صفيين ولكل صف قائدة فوقع حجر دهنج من قرط إحدى القائدات في الماء فارتأنت لذلك وتوقفت عن العمل هي ومن معها فضمن لها الملك مثل حجر قرطها فقالت لا أبني سواء وهذا الحجر أخضر زاهي اللون كالزمرد فتكسر الملك فاعانته أكبر العلماء المذكور وقرأ العزيمة على الماء وكان عمقه اثني عشر ذراعا فانطبق أحد نصفي الماء على النصف الثاني وصار عمقه أربعة وعشرين ذراعا وصار مكان النصف يبسا فوجد حجر الدهنج في الأرض على سقف من الزجاج فالتقطه وناله لصالحته ثم تلا العزيمة مرة أخرى في الماء فرجع الماء حالته وأنشرح قلب الملك هو وفتياته

(س) وما فعلت المعارف من هذا

(ج) ان أكبر العلماء أشبه بحكام أوروبا في كلياتهم والملك سنفرو وفتياته أشبه بملوك أوروبا وجودهم والماء أشبه بالعلم فكلاهما للنحية والحجر الواقع من قرط الفتاة هي النعم والحيات المخبوءة في أرض مصر مثلا وما فيها من النعم . أما العزيمة فهي أن أولئك الفلاسفة والحكماء في أوروبا يعطون التعاليم للملوك ملوك سينا ولولا نقص وينقصون على العلوم فيحذفونها ولا يبق إلا قشورها . ألم تر أن التلاميذ قبل زمن الاحتلال وفي أوائله كانوا يدرسون علم الأشياء في الابتدائي والفلك والحيوان والانسان والنبات في التجهيزي . ألم تحذف هذه العلوم من البلاد؟ اليس الانسان يرى بعينه النبات ويرى الحيوان وأجسام الناس ويرى الكواكب

(س) بلى ولكن لا يدرسها لأنه ليس في منهج الدراسة

(ج) هذا هو السحر الحقيقي وما فعل سحر أكبر علماء سنفرو لم يفده إلا حجرا هو قرط ولكن سحر أوروبا الآن أفادها فطر اكيرا وبالطرح خير من القرط بل فيه ما يساوى الآن ألف حجر من هذا . ومن تلك العزيمة قول السول المحتة أعطينا التثنية الشهادة فيعتر المتعلم بذلك وكفى بالمرور جهلا وأمالء الذي ارتفع عن أحد

نصف البركة فهو هذه العلوم انتشمت من البلاد بالتدريج في زماننا والناس في مصر - ماهون لاهون مسحورون وأما الحجر فهو مال مصر كله وأما الأخذ فهي أوروبا فانها لا تنجر على نهب أموالنا ونحن علماء ، انما تأخذ ونحن جهلاء ، فإذا أراحت العلم انكشفت لها كنوز مصر وأخذتها والا فلماذا تدرس هذه العلوم في مدارسها ولماذا ترى أمتنا المصرية كانت تدرسه قبل قدم الانجليز وأصبح ذلك نسباً منسياً ، بل ما بالنا نرى الكتب الانجليزية التي كانت تدرس فيها بعض هذه الأشياء غيبت وحل محلها قصص كحكايات الجانم والأطفال (س) إذن السحرون من أوروبا

(ج) نعم والناس اليوم مسحورون يسبون في الحقول و ينظرون النبات والحيوان و ينظرون نوع الانسان و ينظرون النجوم وهم غافلون لأن المنوم قال لهم هذه هي شهادة العلوم فغفلوا (س) وهل الوزراء المتعاقبون شاركوا الانجليز ؟

(ج) لم يكن للوزراء قبل الاستقلال أمر أما بعده فالوزراء رجالات الأمة فيغيرون و يرجعون الامور الى ناصبها وما ذلك عليهم بعزير . وأما اذا رجعت مصر الى عهدها الاختلالى (س) سمح الله) فالسحر يستمر والجهالة تدوم وليس للمصريين إلا أن يفكروا جميعاً . انتهى الحديث وبه تم السلام على الحكايات الثلاث

﴿ تقديس كتب السحر وأكابر السحرة عند قدماء المصريين ﴾

جا ، في كتاب ﴿ أدب الدنيا والدين ﴾ عند قدماء المصريين ما نصه : بصفحة ١١٨ « كانت كتب السحر داخلية في العلوم المقدسة ومندرجة أيضاً في علوم البيان وكتب الطب والحكمة ، وكانت هذه الكتب تحفظ في دور الكتب الملكية المجاورة للعباد والهاكل ومن المحفوظات الآن في مدينة لندن ورقة بردية في السحر اكتشفها كهان في القاعة الكبرى من معبد كنتوس مذكور على جوانبها أن الأرض كانت مظلمة حتى ظهر القمر فجاءت أضواء أشعت سطحتها ، فأنى ذلك السكان بهذه الورقة الى خوف أعدمولك الأسرة الرابعة ، أما السحرة فكانوا ينقسمون الى ﴿ طائفتين ﴾ الواحدة قانونية والأخرى غير قانونية فاقانونيون هم الذين كانت تأذن لهم الحكومة بمباشرة السحر وتعتمد عليهم وتعول على آرائهم في الطوارئ ولذلك كان لهم النفوذ الأكبر والمقام الأسمى أمام الفراعنة والرعية و واشتهر في هذا العلم كثير من أبناء الملوك والأمراء كالمنحجب بن جاني وزير الملك المنحجب الثالث الذي نبغ في السحر حتى أقاموا له تمثالاً محفوظاً اليوم بالمتحف المصري تحت (٣) عمرة . ومن اشتهر أيضاً بالنبوغ في هذا الفن الملك سيزوستريس حتى فاق جميع السحرة في عصره ، وكانت الفراعنة يجلون هؤلاء السحرة ويثمنونهم -هم- بلبقونهم بكتابة بيت الملك وكتابة الحياة و يدعونهم لتفسير أحلامهم والانتصار بهم على أعدائهم باظهار أعاجيبهم المدهشة كاحصل في قصة سيدنا موسى عليه السلام أرلعل الألباب السحرة لتسليتهم ورياضة أفكارهم ، وكان الساحر لا ينبغ في هذا العلم إلا بعد القرن الطويل ومضى مدة طويلة في حسن السيرة والسريرة ومقاومة شهوات النفس والفكس بالطهارة والعفاف والامتناع من أكل اللحوم والأسماك والافراد والافزواء في الخلوة كل أيام حياته ولا يجوز أن يتحرف أية حرفة أخرى حتى تشغله عن مهمته وظيفته . وقد أنقذ السحرة هذا العلم وتقنوا في أساليبه وأحكموها حتى لم يتركوا غاية جهدهم فيه ورسخت قواعده في أذهانهم حتى كان أحدهم يأتي بأكبر الخوارق التي تبهر الأبصار والبصار بدون تكلف كأنها ألوهية صليانية . وما ذكر عنهم أنهم فلقوا البحار وقطعوا رأس رجل وفصلوها عن جسده ثم أعادوا له بدون أن يشعر بأذى وجعلوا التماثيل والأشباح المصنوعة من الشمع تتحرك بحركات مختلفة طوع ارادتهم وكانوا يحتشون عن الأبصار وهم جالوس في المجلس فلا يظنهم أحد حتى ان الداخل لا يعتقد أنهم موجودون في هذا المجلس و يقرؤن الرسائل المطوية داخل ظروفها فيخبون بما فيها بدون أن

يفسوها ويخبرون الناس بماضهم وحاضرهم ومستقبلهم . ومن أعجب أمر أفاضلهم أنهم قلدوا نظام الطبيعة حتى صنع أحدهم من الشمع تمثال تمساح صغير ثم تلا عليه صيغة سحرية فتحرك هذا التمثال وسلطه على رجل زان استحق العقاب فابتلعه وألقاه في البحر . انتهى
هذا ماجاء في الكتاب بضم وضه ولست أذكره على أنه حقيقة ولكن أقول هكذا كان القوم يعتقدون والحمد لله رب العالمين

جمال العلم وبهجة الحكمة

اعلم أيها الذكي أن ما كتبه الآن لا يفيد فائدة بحسن السكوت عليها ولولا أنه قد جاء مكتوبا في الورق البردي ما كتبه فلا أدرك الآن جمال العلم وبهجة الحكمة ونور الله المشرق في هذه الدنيا وسره الظاهر وبجائه المدهشة . اللهم أنك أنت الظاهر والباطن وأجل الأنوار وأبعد الأسرار هذه النفوس الانسانية التي سكنت أجسامنا وزينتها بحواسنا وكرمتها بعقولنا وأقدرتها أن تعرف الكائنات عاويها وسفلها . اللهم أنك أنت الذي أبدعت أرواحا علوية أدارت الكواكب ودرت الأشباح الأرضية وخلقت أخرى أصغر منها كالنفوس الانسانية وشوقتها إلى أن تطلع على كل عجب وغريب ، ذلك لأنها قسمة من نورك وسر من أسرارك فهي أبدا تحق إلى الجلال والكمال وتصبو إلى ادراك الأسرار ، ومن عجب أننا نحن من أجل الأسرار وأبعد العجايب لكننا نجهل أنفسنا ولا نظن لما فيها من الجلال البديع والنقش الغريب . يا الله كأنك حكمت علينا بالحبس في الجهل حتى ندفع عن أنفسنا غالبا كما يدفع الرجل مهر عروسه ، وما ذلك المهر إلا دراسة هذا الوجود وبجانبه وتحلى النفس بالأخلاق الفاضلة وهناك تجلي لها معانيها فتعرف أنها قسمة من نورك فتطير روحا إلى لقائك وتموت فرحة بمشاهدتك . أما في الآن كتابان كنت دائما أحافظ عليهما لأخصهما في هذه اسورة لمناسبة قصة سحرة فرعون ، فهاهي هذه الآن قطع ولم يوظفي لذلك إلا بعض الاخوان قبل أن تضع الفرصة فباعت أن هذا الإيقاظ أمر إلهي فيه في النفس ما كان خاملا ، والكتابان أحدهما يسمى السحر الحلال في الألعاب السجارية وبعض فوائد صناعية مجربة ، والثاني يسمى المختار في كشف الأسرار . أما أولهما فهو مؤلف مستخرج من العلوم الحديثة وفيه فوائد فائقة وعجيبة ويظهر لي أنها كلها صحيحة وأقربية من الصحة والكتاب الثاني مؤلفه يسمى الشيخ زين الدين عبد الرحيم بن عمر الدمشقي كان في القرون الوسطى فلا سمعك أولا ما اصطفتيه من كتاب السحر الحلال . ثم أقفي ببعض ما اصطفتيه من كتاب المختار في كشف الأسرار لترى جمال الله المحبوه في العناصر ، وتنتفع بفوائد ومنافع في الحياة ولطائف فروع الحلال وتؤنس الجلاس وأخرى للاعتبار والاحتراس من الناس . أما كتاب السحر الحلال فقد اصطفتيه منه (٣٣) فائدة وهاك بيانها

الفائدة الأولى . كيفية جعل رأس عجل مطبوخ يعج على المائدة كأنه حي

الطريقة في ذلك هي أن تأخذ ضفدعة حية وتضعها في أسفل الرأس من جهة الحجر تحت طرف اللسان الداخلي ويكون وضعها عند أخرج الرأس من الطنجرة حالا وهو شديد الحرارة بحيث أن حراره تلذع الضفدعة فتصرخ هناك فيخرج صوتها من فم ذلك الرأس نظير صوت الجبل تماما واحترز أن لاتضعها إلا عند ارادة استعمال ذلك قبل أن يبرد الرأس أو تموت الضفدعة

الفائدة الثانية كيفية إطفاء شمع مشعلة واشعال شمعة أخرى مطفأة في وقت واحد

(أولا) ينبغي أن تكون الشمعتان كاملتين وفنائلهما جديدة لم تمسها نار (ثانيا) أن تشق طرف الفتيلة التي تريد أن تشعلها بواسطة دبوس ونحوه وتضع في ذلك الشق قطعة من الفوسفور (١) بقدر حبة خطاف وجعل

(١) يجب الاحتراز السكلي عند استعمال الفوسفور ، ينبغي أولا أن لاتمس بأصابعك لكلا يعلق بها شئ

المسافة بينها وبين الشعلة المشعلة مقدار خمس أقدام ، وخذ بيدك غدارة وأطلقها على المشعلة فيطفئها البارود بعزمه و يشعل الثانية التي في رأسها الفوسفور

﴿ الفائدة الثالثة . كيفية عمل برق في حجرة ﴾

ينبغي أن تكون الحجرة التي تريد أن تصنع فيها البرق صغيرة ومغلقة ، ولا يكون فيها منفذ الى الخارج يدخل منه الهواء ثم تأخذ إناء من نحاس أو نحوي فتشعل فيه شيئا من العرق مع الكافور ويتركه في غليانه حتى يتحرق العرق والكافور برمتها ولا يبقى شيء في الإناء ، وحينئذ اذا دخل أحد الى تلك الحجرة و بيده شمعة موقدة يرى في الحال لمعان برق شديد في المكان ، وذلك البرق لا يخشى منه ضرر لا للإنسان الذي يشاهده البرق ولا البيت الذي يسقط فيه

﴿ الفائدة الرابعة . كيفية اظهار شبه قوس قزح ﴾

طريقة ذلك أن تملأ بك ماء وتقف في باب أرفى شبك حجرة نافذ منها نور الشمس الى الداخل وتجعل تظهر لك موجها الى أشعة الشمس ثم تنفخ ذلك الماء بخا بحيث يكون نور الشمس واقعها عليه فيظهر للناظرين قوس منقنع نظير قوس السحاب

﴿ الفائدة الخامسة . جعل الورق غير قابل للاحتراق ﴾

عليك أن تأخذ قطعة من ورق الكتابة الاعتيادي وتغمسها بماء الشب ثم تجففها وتعيد ذلك عليها مرتين أو ثلاث مرات وتجففها في كل مرة جيدا فاذا وضعها بعد ذلك على لحيب الشمعة لا تحترق أصلا

﴿ الفائدة السادسة . تشكيل شراب حتى يضيء في الظلام ﴾

عليك أن تأخذ قطعة من الفوسفور بقدر الحصة الصغيرة وتقسمها الى قطع ثم تنقسمها في وعاء من نثار يكون فيه مقدار ثلاثة فناجين اعتيادية من الماء وتلقوه على نار خفيفة وخذ زجاجة طويلة بيضاء لها سدادة من جنسها تكون مضبوطة وافتحها وضعها في ماء حار ثم ارفعها وأفرغ فيها مقدارا من ذلك الماء الذي كانت فيه وأضف اليه الماء المغلي بالفوسفور حالا وأنغمس السدادة في الغراء وسدّها القنينة بالسرعة لكي لا يدخل الهواء كليا فيبقى هذا الماء لمعا مدة ليلة أشهر . فاذا وضعها في مكان مظلم احتزن من أن تحركها واذا كان وقت حرو وجفاف هز القنينة فترى حينئذ لمعانا أشبه بلععان البرق في وسط الماء

﴿ الفائدة السابعة . طريقة لبقاء الزهور محفوظة زمانا وابرارها في غير أوانها ﴾

خذ زهرا من أى نوع شئت بشرط أن يكون كأس الزهرة (١) سالما متمكنا وتوحيجا (٢) قريب الفتح واقطعها بمقراض نازكا لها عنقا طويلا ما أمكن وليس طرفها المقطوع بقطعة من الشمع الأحمر وعند ما تحب لها بقطعة ورق ناشقة وضعها في محل ناشف . فاذا أردت بعد حين أن تبرزها وأخرجها واقطع منها محل الشمع الأحمر وضعها في ماء به قليل من ملح البارود أو الملح الاعتيادي واطركها حتى تنفتح وتأخذ انصارتها

﴿ الفائدة الثامنة . طريقة لغليان حامض التريك من دون نار ﴾

ضع في زجاجة كمية قليلة من حامض التريك وزدها قليلا من برادة النحاس الأصفر فترى الحامض في غليان شديد ضمن الزجاجة حتى انه من قوة حرارته يبلع لذعا مؤلما

منه فتأخذ قطعة من الورق وتبلها بالماء وتمسك بها لأنه سريع الانهاب عند الضغط أو التقسيم وإذا اتفق واصق شيء منه بالأصابع والتهب يصعب جدا اطفأؤه فربما آذى وآلم بشدة طيه فلابسته حينئذ لإلغمس بالبول وغير هذه الوسيلة لا يزيد إلا النهاب . ولكي يؤمن خطرها العنصر أمنا ناعداستماله ينبغي أن يوضع في قنينة مملوءة من الماء بحيث ان الماء يغمره بجملة والأحوط أن يسك بواسطة ملقط فلينبه جيدا

(١) هو ورقاتها المحضر المحيطة بالتويج (٢) هو الأوراق الملونة

﴿ الفائدة التاسعة . إظهار ماء في لون وتحويله الى لون آخر بدون صباغ ﴾

الطريقة لذلك أن تأخذ قنبلة بيضاء جلية وتفرغ فيها مقدارا من روح القلي وتحل فيها كمية من برادة النحاس الأصفر فيزرق حينئذ السائل ، فإذا سددت القنبلة اختفى لونه فاذا أردت اظهار اللون ثانية افتح القنبلة بالتأني فيزرق وهكذا

﴿ الفائدة العاشرة . طريقة لتغيير هيئة جماعة في مكان ﴾

تأخذ كمية من الملح وأخرى من الزعفران وتقلعهما في قليل من العرق وبعد أن يتم مزيجك هذا خذ قطعة من القطن وانغمسها فيه حتى تشرب منه جيدا ثم أشعل طرفا منها وأشعل بها المصابيح الموجودة في المحل فشكل شخص أبيض يقع عليه هذا الضياء يصبر لونه أخضر وتستحيل حرة الحدود الى لون زيتوني مشرب

﴿ (١١) طريقة لتغيير لون طائر أو تويج زهره ﴾

لاجراء ذلك ينبغي ان تستحضر زجاجة واسعة يمكن أن تسع الطائر الذي تريد ان تحول لونه واستحضر لها سداة من الفلين مجوفة على قدر غلط عنق الطائر الذي ينبغي أن يكون راسه خارجا والأجود ان تكون الفلينة منقسمة الى شطرين يقع بينهما التجويف بحيث يمكن ضمهما على عنق الطائر من دون أن يتأذى أو يجرح وبعد أن تكون هيات ذلك تأخذ الزجاجة وتلقي بأسفلها أوقية من الكلس الجديد وثلاث دراهم من ملح الشادر وعند مآري الغليان قد ابتدأ في الزجاجة تسرع بوضع السداة مركبا فيها عنق الطائر حسب التفصيل المتقدم حتى تكون جثته ضمن الزجاجة ورأسه في الهواء وينبغي ان تكون الزجاجة طويلة لئلا يلحق الطائر الى اسفلها فيتأذى وتبقى الطائر على هذه الحالة نحو دقيقتين الى ثلاث دقائق فيتغير لونه الطبيعي الى لون آخر واحترس ان يبقى أكثر من ذلك فانه يتألم وربما يموت . وكذلك تصنع اذا أردت ان تغير لون زهرة ما ولكن يكفي أن يكون في الفلينة ثقب بحيث يدخل فيه عند الزهرة

﴿ (١٢) كيفية جعل صينية القهوة تدور من نفسها على الجلاس ﴾

تأخذ سلحفاة وتلصق بظهرها قطعة من الشمع العسل إلى الصاقا محكما بالتسخين ثم تأخذ الصينية فتلصقها بتلك الشمعة على ظهر السلحفاة بعد تسخين مكان الالتصاق من الصينية بحيث تتحسك جدارا بعد ذلك تغطي الصينية بقطعة من القماش ترسلها حول أطرافها لئلا تظهر السلحفاة من تحتها وتضع عليها القناجين وتوجهها الى الجلاس ومن طبع السلحفاة ان تدور فتدور هكذا من واحد الى آخر بحيث يظهر للناظرين أن الصينية تدور من نفسها

﴿ (١٣) كيفية وضع شئ في العين واخراجه من الفم ﴾

تأخذ قطعة من الرصاص أو نحوه بطول فمحتين وغلظ قعقة أو أقل مستديرة من قوامها وطرفها بحيث لا يبقى لها حرف يחדش داخل العين وتأخذ قطعة أخرى على هيئةها تماما فتضع الواحدة في فك خفية ثم تأخذ الثانية فتدخلها أمام الناظرين في عينيك في (المحاق الانسي) أي في طرف العين الذي من جهة الأنف وهكذا تعيها تحت جفناك الأسفل بالتدريج مع الفرق منحرفا بها الى الجهة الوحشية فاذا غابت باجمعها أخرج أصبعك من عند العين الى جهة الخد مدبرا إياه بالتدريج أيضا كأنك تضغطها تحت الجلد حتى توصلها الى الفم ومتى وصل أصبعك الى قرب فك ألق منه القطعة الثانية التي وضعتها أولا فتتحيل للناظر أن القطعة التي خرجت من فك هي التي وضعتها في عينك . وهكذا يمكنك العكس أيضا فتعيد تلك القطعة الى فك وتدير أصبعك منه الى العين عكس ما فعلت أولا ومتى انتهى أصبعك الى العين تضغط به تحت الجفن ضغطا منحرفا الى جهة الأنف مرتين أو ثلاثا فتخرج القطعة وتسقط وابق القطعة الثانية في فك ولا تخرجها إلا خفية لئلا يكشف سر الصناعة . ولكي لا يسمع لها صوت عند اصطكاكها بأسنانك أو يتغير منطقك بسببها ينبغي أن تضعها وراء

المنة مما يلي الأنابيب مادامت في ذلك

(١٤) ﴿ كيفية تحويل نصل سكين من الفولاذ الى نحاس أصفر ﴾

خذ أوقية من صفائح النحاس الأصفر الرقيقة وطهرها على النار حتى تنقى وبعد أن تقسمها الى قطع صغيرة ضعها في كأس زجاج وأرق عليها ثلاث أواق من حامض التريك وأتركها خمس أو ست ساعات فيذيب النحاس وينحل وبعد أن يسكن من غليانه انغمس فيه نصل السكين فيكتسب غشاء من النحاس المحلول

(١٥) ﴿ طريقة نظيرها الفولاذ كأنه سائل ﴾

تأخذ قطعة من الفولاذ أو الحديد وتحميها الى درجة الاحمرار الكامل ثم تغمسها بملقط باليد الواحدة وتأخذ باليد الثانية عصا تنضع في رأسها قطعة من الكبريت وتلقبها على قطعة الفولاذ المحمرة فيذيب الكبريت ويسيل عن قطعة الفولاذ التي يظهر للناظر كأنها هي السائلة

(١٦) ﴿ استخراج عشرين طلقة من قنينة نظير صوت الغدادة ﴾

خذ قنينة من الزجاج الأسود متينة الجدران وضع فيها مقدار نصف لتر من الماء مع خمسة وتسعين جراما من برادة الحديد وستين جراما من زيت الزاج وسد القنينة وأتركها حتى تسخن ومتى سخنت افتحها وأدن إليها من جهة فيها قطعة ورق ملتهبة فيخرج منها طلقة ثم أعد السدادة وهكذا تكرر هذه العملية فيخرج منها عشرون طلقة

(١٧) ﴿ كيفية اصطناع الجليد من الماء في فصل الصيف ﴾

خذ قنينة اوشبهها من الفخار واملاها ماء مغاوا ثم أضف إليها ثمانين جراما من ملح البارود وعشرين جراما من عرق الطيب ثم سدّها سدا محكما وأنزلها في بئر عميقة وأبقها هناك نحو ثلاث أو أربع ساعات ثم أخرجها بعد ذلك واكسر القنينة فتجد الماء قد تجمد

(١٨) ﴿ سرّي خاص في عدد ٣٧ ﴾

أي عدد من الأعداد الآتية ضربت فيه عدد (٣٧) يحصل ثلاثة أرقام متشابهة أخذت بالنسق من (١) الى (٩) حسب نسق الأعداد المضروب فيها وهي هذه (٣-٦-٩-١٢-١٥-١٨-٢١-٢٤-٢٧) وهذه صورة العمل

٣٧	٣٧	٣٧	٣٧	٣٧	٣٧	٣٧	٣٧	٣٧
٢٧	٢٤	٢١	١٨	١٥	١٢	٩	٦	٣
٩٩٩	٨٨٨	٧٧٧	٦٦٦	٥٥٥	٤٤٤	٣٣٣	٢٢٢	١١١

(١٩) ﴿ طريقة للكتابة بحبر يظهر ويختفي ﴾

تأخذ مقدارا من تراب الزينك وتحله بالماء المحلل وتضيف عليه شيئا من الماء الاعتيادي ثم تكتب به على الورق فلا يظهر له لون ، فإذا سخنت الورقة على النار ظهرت الكتابة بلون أخضر ومتى رفعت عن النار يذهب اللون وهكذا . وهناك طريقة أخرى لاطهار الحبر السري على الورق بعد الكتابة به وهي أن تأخذ كمية قليلة من البصل الاعتيادي مع جزء من عصير الليمون الحامض وتمزجها معا في وعاء من زجاج وتكتب مادنت على الورق وبعد أن تجف الكتابة أعرضها على الحاضرين فلا يرونها إلا ورقة بيضاء وعند ذلك يمكنك في أي وقت شئت اظهار الحبر وذلك بعرض الورقة لحرارة النار فتظهر لك الكتابة بلون ذهبي لا يمحى

(٢٠) ﴿ طريقة لأجل الكتابة بالاحبر ﴾

غطس ورق الكتابة في محلول الزاج الأخضر أي (كبريتات الحديد) وانشره على خيطان منصوبة حتى يشف تماما ثم خذ من مسحوق العقص الناعم جدا وأفرك به الورق بكرة تصنعها من خرق نظيفة ثم أزل ما بقي

على الورق بالاتصاف بفرشة ناعمة ثم اصنع منه دفترًا فان بليت قلما أوقشة بماء أو بصباق ورسمت به على هذه الورقة تظهر لك الرسم أسود كالواستعملت حبراً ، وهذه يستغنى عن الدواة وقلم الرصاص

(٢١) ﴿ كيفية منديل يدل على المطر ﴾

خذ منديلاً وصوّره عليه صورة رجل حامل شمسية مصبوغة بكأوريد الكو بليت فان كان الطقس حسناً ناشفاً ظهرت الشمسية زرقاء ، وان اختلفت صارت رمادية ، وان أمطر صارت بيضاء وان غسلت زالونها تماماً

(٢٢) ﴿ منديل غير قابل الاحتراق ﴾

خذشبا ونوشادرا وانجمنهما بزالل بيض واطل بهما منديلاً ، فاذا ألقيته بالنار لا يحترق

(٢٣) ﴿ طريقة لأجل امساك النار ﴾

خذزرنينخا أصفر مورقاً وشبا مائياً وامزجهم بزالل البيض وادهن بهذا يدك فاذا مسكت النار لا تحرقك

(٢٤) ﴿ طريقة لجعل بيضة تطير لثانها ﴾

خذ بيضة حمام واقفها وأفرغ مافيها واملاها من الندى ثم سدّها بقليل من الزفت واطلها بدهان أبيض نظير لونها وحينما تريد تطيرها ضعها في الشمس فتراها تطير لثانها

(٢٥) ﴿ طريقة لعمل حبر سرى ﴾

خذ من حليب الثين واكتب به على الورق وبعد أن تنشف الكتابة أعرضها على حرارة النار فتظهر الكتابة بلون ذهبي غامق

(٢٦) ﴿ طريقة لعمل حبر لا ينظر إلا في الليل ﴾

خذ نوشادرا وحله في حليب واكتب به فيظهر في الليل ولا يظهر في النهار

(٢٧) ﴿ طريقة لنزع الحبر عن الثياب ﴾

خذ نوى المشمش اللوزي ودقه ناعماً وافرك به القطعة الملوخة فيزول الحبر عنها

(٢٨) ﴿ طريقة لإهلاك البراغيت ﴾

انقع مسحوق الكبريت الأصفر في خل كاف يغمره مدة ثلاثة ايام ثم رش به الموضع المطلوب فتقرّ البراغيت منه ولا ترجع اليه أبدا مادامت تنشق رائحة الكبريت (مجرّبة)

(٢٩) ﴿ طريقة لإهلاك البق ﴾

خذ (١٦) جزءاً من الصابون وجزأين من الزرنخ الأجر وجزأ من الكافور وضع الجميع في مقدار كاف من العرق حتى يصير المزيج كالزهر وادهن به الموضع القاطن فيه البق فيجمد للاحالة (مجرّبة)

(٣٠) ﴿ طريقة لإهلاك الصراصير ﴾

امزج قليلاً من مسحوق الزرنخ بفاتحة مشوية وضعها في الخلات التي تكون فيها الصراصير فهلك للاحالة . ولكن يجب الاحتراس من أن يصل اليها الأولاد فيأكلوها فيسموا

(٣١) ﴿ طريقة لطرد النمل الصغير النر ﴾

امزج بملء ملعقة صغيرة من الطرطير المقيّ بملعقتين من الدبس وضع المزيج في ماء وحركه واجعله حيث رايت النمل وفي الصباح تجد نملاً كثيراً ميتاً على وجهه والبقية قد ارتفعت وهربت ثم اهرق النمل الميت عن وجه المزيج وأعد هذا العمل في كل مكان يظهر فيه النمل فهلكه بأقرب وقت

(٣٢) ﴿ ضوء الفوسفور ﴾

بمزج (١٢) قحمة من الفوسفور و (٤) دراهم من زيت الزيتون في قنبلة صغيرة ثم تسد هذه القنبلة سداً غير محكم وتضعها في وعاء فيه ماء مسخن حتى يذوب الفوسفور فتسد القنبلة حينئذ سداً محكمًا تنهمر حتى

تسلك طريق فكلمها فتحت بصد ذلك أخاوت إضاءة تكفي لإظهار الكتابة وتقدم إضاءتها هذه بنعم سنين انتهى ما أردته من الكتاب الأول

وأما الكتاب الثاني فإن مؤلفه يقول انه عمله للملك السعدي ذكر فيه حيل المتنبئين والشيوخ السكاذبين والأخبار والرهبان وأسابغ الكيمياء وطلايب السكوز وهكذا . فلا ذكر لك ما فيه فوائد لا يستتار والاعتاظ

﴿ القصة الأولى في كشف أسرار من ادعى النبوة ﴾

قد كان ظهر في آخر خلافة السفاح بأصفهان رجل يعرف بأسحق الأخرس فادعى النبوة وتبعه خلق كثير وملك البصرة وعمان وفرض على الناس فرائض وفسر لهم القرآن على ما أراد ثم قتل . وكان حديثه انه نشأ بالمغرب ففعل القرآن ثم تلا الانجيل والتوراة والزبور وجميع الكتب المنزلة ثم قرأ الشرائع ثم حل الرموز والأفلام ولم يترك علما حتى أتقته ثم ادعى انه أخرس وسافر فترجل بأصفهان وخدم قوما في مدرسة وأقام بها عشر سنين وعرف جميع أهلها وكبرائها . ثم بعد ذلك أراد الدعوة ففعل له أذهانا ودهن بها وجهه حتى لا يمكن أحد النظر اليه من شدة الأنوار ثم نام في المدرسة وأغلق عليه الأبواب فلما نال الناس وهدأت الحواس قام فدهن وجهه من ذلك الدهن ثم أوقد شمعتين مصبوغتين لهما أنوار تفوق السراج . ثم صرخ صرخة أزعج الناس ثم أتبعها ثانية وثالثة ثم انتصب في المحراب يصلي ويقرأ القرآن بصوت أطيب ما يكون وبنغمه أرق من النسيم فلما سمع الفقهاء ترانوا وأشرفوا عليه وهو على تلك الحالة خارت أفلاكهم من ذلك ثم عملوا المدرس بذلك فأشرف عليه وهو على تلك الحال فلما رآه خروا غشيا عليه . فلما أفاق عمد الى باب المدرسة ليفتحه فلم يقدر على ذلك فخرج من المدرسة وتبعه الفقهاء حتى انتهى الى دار القاضي والأخبار قد شاعت في المدينة فأخبر القاضي بذلك فنزع القاضي وأصل الخبر بالوزير واجتمع الناس على باب المدرسة وهو قد فتح الأقفال وترك الأبواب غير مفتحة . فلما صار القاضي والوزير وكبراء البلد الى الباب اطعم عليه الفقهاء وقالوا له بالذي أعطاك هذه الدرجة افتح لنا الباب فأشار بيده الى الأبواب وقال تفتحنى أيتها الأقفال فسمعوا وقع الأقفال الى الأرض فدخل الناس اليه وسأله القاضي عن ذلك فقال انه منذ أربعين يوما رأى في المكان أنزول دليل واطلع على أسرار الخلق ورأها عيانا فلما كان في هذه الليلة أتاني مسلكان فأيقظاني وغسلاني ثم سلما علي بالنبوة فقالا السلام عليك يا بني الله نفخت من ذلك وطلبت أن أرد عليهم السلام فلم أطق وجعلت أعمل لرد الجواب فلم أقدر على ذلك فقال أحدهما افتح فاك بسم الله الأزلي ففتحت في وأنا أقول في قلبي بسم الله الأزلي فجعل في في شيئا أيضا لا أعلم ماهو أريد من التلج وأحلى من الشهد وأذكر من المسك فلما حصل لي إمعان نطق لساني فكان أول ما قلت أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله . فقالا وأنت رسول الله حقا . فقلت ماهذا الكلام أيها السادة . فقالا إن الله قد بعثك نبيا . فقلت وكيف ذلك والله تعالى قد أخبر عن سيدنا محمد انه خاتم النبيين . فقالا صدقت ولكن الله أراد بذلك انه خاتم النبيين الذين هم على غير ملته وشريعته فقلت اني لا أدعي بذلك ولا أصدق ولا لي معجزات . فقالا يوق في قلوب الناس تصديقك الذي أنطقك بعد أن كنت أخرس منذ خلقت . وأما المعجزات التي أعطاك الله عز وجل فهي معرفة كتبه المنزلة على أنبيائه ومعرفة شرائعه ومعرفة الأسن والأفلام . ثم قالوا اقرأ القرآن فقرأ أنه كما أنزل . ثم قالوا اقرأ الانجيل فقرأ أنه . ثم قالوا اقرأ التوراة والزبور والصحف فقرأت الجميع كما أنزل . ثم قالوا قم فأبذر الناس . ثم انصرفا عنى وقت أنا أصلى وهذا آخر خبري فمن آمن بالله وبمحمد ثم بي فقد فاز ومن كذب فقد عطل شريعة محمد وهو كافر والسلام . فعند ذلك سمع له خلق كثير واستقام أمره وملك البصرة وعمان وغيرهما واستفعل أمره ولم يزل كذلك حتى قتل وله شيعه يعلمان الى يومنا هذا قبيحهم الله تعالى

﴿ القصة الثانية ﴾

ظهر في ستة تسعين وخمسة صاحب من الاسماء عليه يقال له (سنان) وزل (بمسيط) وحكم فيها وفيها لها من القلاع وكان خيرا باحليل والنواميس الافلاطونية وسمع به أهل تلك الجبال وأطاعوه طاعة لاحد لها حتى انه كان يقول أريد الساعة عشرة من الرجال تصعد على السور ويردون أرواحهم فيسارعون الى تلف أرواحهم وهذا رباط لا يقدر عليه أحد وكان يعمل لهم مثل هذه الحيل كثيرا وهذا مشهور عن سنان وهي صفة عمل أهل النار ، ومن جلة حيله انه كان حفر في محاسنه المصطبة التي يجلس عليها حفيرة بمقدار ما اذا جلس الانسان فيها جاءت الى رقبته ثم حسنها وباطها وعمل لها غطاء من الخشب الرقيق مقورا على مقدار ما يسع رقبة الرجل ثم أخذ طبق نحاس وقوره في وسطه ثم جعله مصرعين ولم يطلع عليه أحد فكان اذا أراد أن يفعل ذلك أخذ من يتخاره من أصحابه بعد أن يهبه الأموال العظيمة ثم يوصيه بما يقول وينزله في الحفرة ويغطي عليه ويخرج رأسه من القوارة ثم يأخذ الطبق المقور فيضعه في رقبته ثم يسقط عليه السواقط فلا يظهر منه شيء إلا رأسه ثم يجعل في طبق شيئا من الدم ثم يشبع انه قد ضرب رقبته ، ثم يدعو أصحابه اليه فاذا حضروا أمرهم بالجلوس فاذا جلسوا واستقر بهم الجلوس قال لمالوكه اكشف هذا الطبق فيكشفه فيجسبون فيه رأس صاحبهم فيقول له حدث أصحابك بما غابت ما قبل لك فيحدثهم بما أوصاه فتذهل عقولهم من ذلك ثم يقول له في آخر الكلام أيا أحب اليك الرجوع الى أهلاك الى ما كنت فيه من الدنيا أو السكنى في الجنة فيقول وما حاجتي بالرجوع الى الدنيا والله ان خردة مما أعد لي في الجنة ما أبيعها بمثل هذه الدنيا سبع مرات فانتبهوا يا أصحابي وأنتم عليكم سلامي وأرجو أن تسكنوا في جوارى في الجنة ، قاله الله والحذر من مخالفة هذا الصاحب الذي هو خليفة الامام وهو الحاكم في الموقف كما قال لي الخائف جلت قدرته والسلام ، فاذا سمعوا ذلك صدقوا ثم ينصرفون فاذا انصرفوا عنه أطلعهم من الحجرة وسجبه الى الليل فيضرب رقبته ويدفنه . فهذا الخبيث قد استعبد أهل تلك الجبال مدة حياته وإلى يومنا هذا الرباط باق

﴿ القصة الثالثة في كشف أسرار من ادعى النبوة أيضا ﴾

ظهر في خلافة المعتز بالدار المصرية رجل ادعى النبوة وزل (تنيس) وكان يعرف بفارس بن يحيى الساباطي وسلك مسلك عيسى ابن مريم عليه السلام وادعى احياء الميت وبراء الأرض والأجمد والأعمى ، وبني له صومعة بتيس على البحر شمالي البلد وهي باقية الى يومنا هذا ثم أحيا لهم الميت أيضا ، ثم ذكر طريق الغش والابهام فلا تظيل به وإنما نذكر كنه بعض معجزاته التي يقول انه كشف أسرارها ، قال انه كان يمشي على الماء على ساحل البحر فيطلع السمك اليه من البحر ويقبل أقدامه وذلك انه كان يأخذ من خبز الآدي جزأ ومن الباذرور جزأ ومن حب الفشاء جزأ ثم يدهقها ناعما ويجهتها بدهن الياسين ويطبخ به أقدامه ثم يمشي على ساحل البحر فيقطع السمك على رائحة الدواء ويلبس أقدامه فيتوهم فيه الأوهام بالنبوة وغيرها ، ولاكتشف بهذا القدر في ادعاء النبوة

﴿ القصة الرابعة . الشيخ الكاذبون ﴾

ثم ذكر الشيخ فائتي على الجند إبراهيم بن أدهم والحسن البصري وسرى السقطي ومعروف الكرخي وأبي سليمان الداراني وغيرهم ، فهذه هي الدرجة الأولى . أما الدرجة الثانية فهم أصحاب الرياض والعلم بالأسماء مثل عبادان وبهلول والشيخ أبي العباس ، قال وقد ظهر ستة ثمان وثلاثمائة رجل يعرف بالحسين بن منصور الحلاج وكان يدعو الناس الى عبادة الله فوشوا به الى علي بن عيسى الوزير فأحضره وضربه ألف عصا وقال انه كان ينشد هذا الشعر

وحمة الود الذي لم يكن ۞ يطلع في إفساده الدهر

مانالى عند نزول البلاء * جهنم ولا مسقى الشر
ماقتلى عضو ولا فصل * إلا وفيه السم ذكر

قال وأما الدرجة الثالثة من المشايخ فهم أصحاب الدفن المختارة والتباخير ، فهذه الطبقة هي المسمومة وإنما نذكرها هنا لنوفق المسامعين الى الشيوخ الكاذبين الذين يجهلون الدين وسيلة للدنيا وهذا الكتاب قد جعله الله من السيوف المرفهة لقطع دابر هذه الغاية من بلاد الاسلام وهذا مناسب للسحرفي القرآن لأن ماستسهه هنا ملحق بالسحر فيحترس المسامعون منه

﴿ قصة الخامسة ﴾

قال . فن المشايخ أصحاب الزوايا من أهل هذه الدرجة ، فمنهم من يتعاطى الزلزل في التنوير وقد أوقد فيه فطر من الخطب فينزل فيه ثم يغيب ساعة ويطلع وعلى يده طاجن فيه سمك مقل أو دجاج محشو أو خروف مشوى أو ما أتفق من ذلك فيذهل الناس ويغرق عقولهم وذلك أن هذا التنوير يكون مرصص (كذبا) الأعلى فتكون حرارة التنوير من أعلاه وأسفله بارد إلا أن هذا التنوير يكون محكم البديان وله حاج من الحديد في أسفله ولذلك الصاج خلوف في الحائط مهندس محكم بحيث إن النار جميعها تكون في الصاج ومقدار ما يضع يده على حافة التنوير يسبح ذلك الصاج بما عليه من النار في ذلك الخلوف فيبقى أسفل التنوير خاليا من النار باردا فيقعده فيه ويكون قعوده بقدر ما يعلم أن الخروف مثلا قد استوى فإذا طلع أخذه معه وأطعمه لمن قد حضر ، وإذا كان هو أسفل التنوير فإن أعلى التنوير لا يقدر أحد أن يقابله من وهج النار

﴿ قصة السادسة ﴾

ومنهم من يفعل غير ذلك قبضهم الله تعالى فينزل في النار وقد روي جميع جسد به القرايص التي تجمع من النار وفعلها ، ولذا ذكر القرايص التي يعملونها لمنع النار ، فمن ذلك يؤخذ الضفدع ويساق حتى ينضج ويتقوت ولا يبقى له أثر ثم يرفع عن النار حتى يبرد فإذا برد جسد الدهن على وجه الماء فيأخذ ذلك الدهن ثم يضيف اليه شياً من البارود اللجج ثم يبلطخ به جسده وجميع أعضائه ويدخل النار فانها لا تضره شياً . ومنهم أخزاهم الله من إذا عمل السماع أخلى الزاوية من الماء فإذا رقصوا عطشوا فيشكون للشيخ ذلك فيقول هانوا شياً وخذوا ماء للشرب فيعطونه ابريقاً أو غيره فيأخذه بيده ثم يفتح بابه ويدور في الطابق ثم يدفع لهم الوعاء ملأنا ماء مبخرًا بسمك فيقول هذا من نهر الكوثر (أخزاه الله) فيشرب الجماعة من ذلك الماء وقد حارت عقولهم من ذلك « وكشف ذلك » انه يأخذ مصران غنم فيدفع به غسله ثم ينقعه بماء الورد سبعة أيام وبعد ذلك يأخذه فيربط طرفه الواحد ربطاً جيداً ثم يجعل في طرفه الآخر عقدة قصب ثم ينفخه في الهواء حتى ينفخ فإذا جف رفعه عنده فإذا أراد العمل به أخذه ثم ملأه ماء وقد جعل فيه قليل مسك وما ورد ثم جعله في قيصه وقد عمل له حالات من تحت قبة التقيص من كه الشمال الى كه اليمين فإذا أراد أن يبقى الجماعة جعل رأس المصران في فم الوعاء وهو دائر من حيث لا يعلم به أحد ثم ينفك رأس المصران لظفره فينزل الماء في الوعاء ثم يدفع لهم الوعاء ويدعى ما أراد ويقع منهم غير ذلك

﴿ قصة السابعة ﴾

ومنهم من يكون في السماع ويتقدم الى الشمعة أو الى المصباح فيمد يده ويشعل أصابعه العشرة فتشتعل كما يشعل الشمع فإذا أشعلها أطفأ ما يكون من الشمع ولا يزال يرقص وأصابعه تشتعل حتى يضيح الخلق ثم يمدى الشمعة فيشعلها ويطلق أصابعه وهذا ناموس عظيم ، والسر في كشف ذلك انه يأخذ من الدواء الذي ذكرناه في نزول التنوير فيبلطخ أصابعه جميعها الى العقد ويدعها حتى تجف ثم يأخذ النفط ويلبسه على ذلك الدهن ثم يشعل في النار فلا يزال يشعل حتى ينفذ النفط ولا يدرك يده شئ من الحرارة فافهم . ومنهم من يدهن يده

بالدهن ثم يوصل له عشرة قمع من اللبد الأحمر الطالقاني ثم يلبسها أصابعه العشرة ثم يسقيها بالنظ ويشعلها فتشعل ولا تنقره شيئا . ومنهم من يكون جالسا في الزاوية وعندده جماعة فيشتمى كل واحد منهم على الشيخ شهوة فيحضر شهواتهم على الوصف الذي طلبوه وقد كنت اجتمعت في بلاد الحجاز بشيخ يعرف بسليمان وكان من أهل المغرب فكنا عنده ثمانية أنفار فاشتبهى كل واحد منا شهوة فقام الى بيت الخلوة يصلي ويدعو ثم خرج فلم نشعر إلا والذي طلبناه قد حضر ففرق عقول الناس وشاع ذلك عنه وبأته الفتوحات من كل اقليم وكشفت عن هذا السر فوجدت للشيخ قعيدة في المدينة وعندده في بيت الخلوة طائر يأتي بيت القعيدة ، فإذا اشتبهى كل واحد مافى قلبه قام الشيخ الى بيت الخلوة ثم كتب جميع ما طلبته الجاعة في بطاقة ثم علقتها على الطير ثم أرسله فجميع ما يكون قد طلب منه ترسله القعيدة فلا يشعرون إلا وقد حضر فيذهل من كان حاضرا فافهم أسرار هؤلاء القوم ودهاءهم . ومنهم الذين كراماتهم أكل الحيات والنار ، فوالله لو فعل هذا أمام أطفال اضحكوا على من يفعله ، فيا عيان القلوب أهذه كرامات الصالحين ؟ فاشتهوا بنايام وتيقظوا

﴿ القصة الثامنة في كشف أسرار كذبة الوعاظ ﴾

ثم تكلم عن الوعاظ فقال ومن دهائهم أن أحدهم يصعد على المنبر بخشوع وسكينة فإذا شرع في الكلام وذكر أهوال يوم القيامة بكى بدموع آخر من الجبر ، فإذا أراد ذلك يأخذ الخردل فيمسحه ثم يمتعه بأفخار يوما كاملا ثم يسقى به المني الذي يمسح به وجهه ثم يتركه حتى يجف فإذا حصل على المنبر مسح وجهه بذلك المنديل تنزل دموعه مثل المطر وهذا أول ما لهم من الدهاء ، ومن ذلك أنهم يجهزون بعض نسائهم في زى أرباب البيوت فيظهرنهم قد أخفى عليها الزمان ولا تقدر تبذل وجهها في السؤال إلخايق فيعطف عليها القلوب ويردد الكلام في ذلك المعنى ويرورديه أخبارا وحكايات ثم يخلف ثوبه ويرمي عليها ويقول والله لوملكت يدى شيئا من النفقة لكنت أنا أحق بهذه المشوبة ولكن العذر واضح فهذا نواب يساق اليك فإذا رأت الجاعة ذلك لم يبق أحد حتى يردفها بشئ على قلبه ومكنته وما يحصل فهو للشيخ الوعاظ

﴿ القصة التاسعة في كشف أسرار كذبة الرهبان ﴾

اعلم أن بعض هذه الطائفة أعظم الأهم كذبا ونفاقا ودهاء وذلك أنهم يلعبون بقول النصارى ويستبيحون النساء وينزلون عليهم الباروك ولا يعلم أحد أحوالهم وهم أضرب الخلق وأخس من غيرهم لأنهم إذا خلوا بأنفسهم يعترفون بأنهم على ضلالة وقد غيروا الأحوال والأفعال والأقوال ولهم أعمال عظيمة لاعتد ولا تحصى وهم يأكلون الأموال بالباطل ويرتبون الكذب وزخارف القول وهم أكذب الخلق على كل حال ، فنه من عمل لديه عبدا وجعل له ناموسا من بعض النواميس يأكل به أموال النصارى ، وهاتان اثبت الآن لك شيئا من ذلك فأقول ، اعلم أن هؤلاء القوم أعظم ناموس لهم قنديل النور في كنيسة قائمة بيت المقدس وهو من عمل الرهبان وقد ارتبط عليه جميع النصارى وأصحابهم وأجناسهم ، وقد كان الملك العظيم ابن الملك العادل قدس الله روحه دخل الى القمامة يوم سبت النور فقال للراهب لا أبرح حتى أبصر هذا النور كيف ينزل فقال له الراهب أيما أحب اليك هذا المال الذي يتحصل من هذا الوجه أو أطلاعك عليه فانك ان كشفت سره عدمت هذا المال فاتركه مستورا مصانا واربع هذا المال العظيم ، فلما سمع ذلك علم باطن قول الراهب فتركه على حاله وخرج ، وهنا ذكر أن الراهب يضع الكبريت في حق في رأس قبة الكنيسة والحق معلق في سلسلة وهي تدمن بدهن البيلسان وبين كيفية ذلك فلا نطيل به

﴿ القصة العاشرة . أهل الكيمياء ﴾

وذكر أهل الكيمياء ، قال ومن أعظم ما وقفت عليه أن السلطان الملك العادل نور الدين بن زنكي جرى له حديث يكتب بهاء الذهب لمخلصه أن رجلا أعجميا جاء الى دمشق ومعه ألف دينار جعلها في بنادق وصرفها

في غلالة ومباها (طبرمك خراساني) وقال لعطار هذه تنفع بالسموم وباعيا له بخمسة دراهم ثم ليس أنظر انشاب وأخذ يحسن للناس ويجالس العلماء ويقول أنا أقدر أن استخرج الذهب ولكن ذلك يكون لخدمة المسلمين في الجهاد وهو في ذلك الوقت ينفق بالعين والشمال فبلغ خبره الملك فأخلى به وأخذ عليه العهد أبصر المسلمين بالمال وقال له لا بد من (الطبرمك الخراساني) فبيحت الجيش والوزراء في جميع الدكاكين وهو معهم إلى أن وصلوا إلى المكان المعلوم فاشترها الملك منه ثم وضعها الملك بنفسه في البودقة فخرجت سبيكة ذهب فأعطاه الملك مالا وجهزه يستين جلا منها شراب عمل تيس وديماط ومن عمل اسكندرية ومنها سكر بالأجبال والأجبال والجبالين ثم أعطاه خيمة ومطبخا وفراشين ونفقة الطريق إلى بغداد وإلى الحج وكتب معه كتابا إلى سائر البلاد بالرعاية والخدمة والاعانة ثم خرج السلطان وأرباب النبوة إلى وداعه وراح وقد وصل هذا إلى البحر المكرم وحصل له الاكسبر الأعظم . ومن أعجب ما في هذه القضية انه كان بدمشق رجل يكتب أسماء المغفلين الخرفين فسمع بهذه القضية فكتب في رأس جريدته « السلطان نور الدين محمود رأس المغفلين » فشاء ذلك ولم يعلم أحد بالجن القضية حتى قيل للسلطان قد كتبك شخص رأس المغفلين فقال أى شئ أبصر من تغفل حتى يكتب اسمي (هاته) فنزلت إليه الجند وقالوا له بسم الله كالم السلطان فأخذ الجريدة في كفه ومشى معهم فلما وقف قدام السلطان قال أنت فلان الذى نكتب أسماء المغفلين ، قال نعم ، قال وكتبتى ، قال نعم وهذا اسمك ثم أظهره ، فقال وما ظهر لك من تغفلى حتى كتبتى ، فقال ومن يكون أغفل منك جاءك أنجمي نصاب عمل عليك حيلة ودك عليك ألف دينار أخذ بها مال السالمين وراح ، فقال راح بأنى بطبرمك وكأنك به وقد جاء معه الطبرمك فعمل منه أموالا لا تحصى ، فقال له ياخوئد ان رجح الأنجمي وجاء محوت اسمك من الجريدة وكتبت اسمه وما يكون في الأرض أغفل منه . فلما سمع السلطان ذلك ضحك وقال اعطوه شئ ينفقه عليه فأعطوه شئ وراح . وكان كلما أفسس أخذ الجريدة ووقف على باب القلعة فإذا ركب السلطان ففتح الجريدة ويقول مجاه وهذا اسم السلطان مكتوب فيضحك ويطلق له شئ ، فانظر الى هذا الذك والجسارة على بيع ألف دينار بخمسة دراهم فأقام السلطان على هذا حتى توفاه الله والطبرمك لم يأت

وأختم هذا القول بما جاء فيه من كشف أسرار الصيارف وتلاعهم قال ، اعلم وفقك الله أن هذه الطائفة من جملة اللصوص وقطاع الطرق ولهم أمور لا يعلمها إلا كل فاضل وأحوال لا يطلع عليها إلا راجع العقل وهم أشد الناس أجراما وأصنعهم في اخذ أموال الناس مع أن فيهم متميزين وذوى هبة ووقار ولهم في الذك أبواب فأول ما رأيت في الهند رجلا صيريا له من الخشمة شئ عظيم وجيع التجار تورد اليه أموالهم ويستدينونها منه قليلا قليلا ورأيت قد صنع شئ لم يسبق اليه وذلك انى رايت في يده خاتما بقص وعليه نقش فأدعت الجالوس عنده وأدعت النظر الى ذلك الخاتم فرأيت اذا قبض الذهب من التاجر يجعل فص الخاتم من قدام لسان الميزان إلى ناحية الصنح . وإذا دفع للتاجر الذهب حول فص الخاتم إلى قدام لسان الميزان فإذا قرب الخاتم لعب لسان الميزان لعبا زائدا فاعلمت أن هذا الخاتم فيه شئ من الذك ولم أزل أبحث عنه وأفكر فيه . ففي بعض الأيام انقلص لي في شئ فقلت هذا والله ذك لم يسبق اليه وإذا فص الخاتم من حجر المغناطيس فإذا قبض الذهب أدار الخاتم إلى ناحية الصنح فيأخذ لسان الميزان هواه وينمى من النزول بقدر ما يجذب من الحجر فيكون في الوزنة زيادة متقال وأكثر من ذلك . انتهى ما أردته من الكتاب الثاني

هذا ما اخترته من الكتباين ونقلته ولكنى لم أجرب شئ منه . وإنما أردت بالسحر الحلال أن يدل ماصح منها على جبال الله وبدائع صنعه . وأما ما اخترته من الكتاب الثاني فذلك ليعلم المسلمون كيف كان الغش والتدليس في بلاد الاسلام ليحترسوا منه الآن والجد لله رب العالمين

ولما انتهت من هذا المقام حضر الى عالم ذكى فقال ما قصد من هذه الحكايات الخرافية . فقلت لقد

أوضحته فيما مضى وهما إذا أوضح الختام فأقول إن القصد من هذه الحكايات ﴿أولا﴾ أن نعلم التفسير حقه فنذكر السحر عند قدماء المصريين ﴿ثانيا﴾ أن نذكر ما كانوا يزعمون أنهم يفعلون البحر بالزائم فأنهم ضرب سيدنا موسى البحر ببصاه فهي مجزأة ولكن هؤلاء يزعمون أنهم يفرقون البحر بالزيم فيكون موسى عليه السلام أتى بمجزأة تبهرهم ﴿ثالثا﴾ أن هذا التفسير مأهول إلا روضة من رياض العلم ، فإذا كان أهل ألمانيا ينقلون عجائب قدماء المصريين ومن أعينهم وقد بقيت هذه الحكايات في بطون الزواريس المصرية ألافاً من السنين ثم احتفظ بها أهل أوروبا من ألمانيا وغيرها فيكتبون لأنكر الناس بها لاسيما أن القرآن قد أشار إليها واعتنى بها ومدح سحره فرعون وشرفهم بالإيمان لأنهم محققون في العلوم ﴿رابعا﴾ أن البراعة في العلوم فرض كفاية وقد قدمنا في (سورة البقرة) أنواع السحر ، وأن بعض السحر الآن يجب تعليمه فهو فرض كفاية (راجع ما كتبناه في البقرة) فافهم هناك كيف يقول الله - وما يعلمان من أحد حتى يقولوا لئن نحن فتنه - الخ ﴿خامسا﴾ أن علم السحر المذكور متوقع بعضه خرافة وبعضه له أصل ولعلنا إننا لانهم بالتفاصيل وإنما نذكر كرها بما مضى في هذا التفسير في سورة البقرة فقد ذكرت لك هناك كيف يؤثر المنتم على المنتم وقد بينا لك ذلك في الحكاية الثالثة المتقدمة ، فتأثير زيد في عمرو أمر له وجود اليوم في المسارح العاقبة يراها الناس في الشرق والغرب ، وإعلم أن للنفس الإنسانية قوة كاملة إذا استثارها الإنسان نفعته * قال الورد (أقرى إن كبتنا) الشهر العالم بالفراسة بلغ من شدة قوى عقله في نقطة واحدة أن استطاع أن ينسى جميع أوجاعه فلا يشعر بها وهذا يصدق على جميع الذين يستطيعون أن يتحكموا في إرادتهم فانهم بذلك يتمكنون من تحريك نفوسهم من ربة الأوجاع الصغرى وانتعاشهم (وبهارة أخرى) أنهم يصلون إلى حيث يمتلك العقل قياد الجسم ويصبح السيد المطلق الأمر انتهى

هذا ما يقوله الورد أقرى الإنجليزي . ويقول الفلاسفة ﴿إن النفس الإنسانية لها تأثير في بدنها مثل كفيات الفرح والحزن وكانهم الذي يجعل الماشي على الحائط يسقط مع انه لومشي عليه وهو على الأرض سقط ومتى قوى عزيمته مشي على الحبل وعلى الحائط ولا يسقطون لأنهم أذهبوا عنهم هذا الوهم ﴾ ويقولون ﴿إن النفس الإنسانية كما تؤثر في جسمها تؤثر في غيرها لأنها أرق من عالم الماديات والسحر عندهم لا يحتاج الساحرة إلى معين وصاحب الطلمات يحتاج إلى معين كروحانية الكواكب وأسرار الأعداد وخواص الموجودات وأوضاع الفلك المؤثرة في العالم العنصرى والفرق بين السحر والمجزة أنها قوة إلهية تبعث في النفس ذلك التأثير فإني مؤيد بروح الله على فعله ذلك والسحر إنما يفعل ذلك من عند نفسه وبقوته النفسانية وامتداد الشياطين له في بعض الأحوال ونحن نعرف الفرق بينهما بأن المجزة أصاحب الخير والسحر لصاحب الشر﴾

ولبعض المتصوفة خوارق للعادات ، وإذا قدر أحدكم على فعل الشر فلا يأتى له لأنه مقيد بالأمر الإلهي ومن أنه منهم فقد عدل عن طريق الحق وربما سلب حاله ، ومن الطلمات أعمال قوم قابلهم ابن خلدون بالمغرب يعرفون بالعاجين وهم يشيرون إلى الكساء أو الجلد فيحترق ويشيرون إلى بطون القم بالهيج فتجبعج ويسمى أحدهم هذا العهد باسم البعاج ، هكذا قال ابن خلدون لأنهم أكثر ما يتحللون من السحر بهيج الأغنام وهم يخيفون بذلك الأغنياء فيعطونهم من أموالهم ، قال وهم لهم وجهة رياضية بدعوات كفرة وإشراك لروحانية الجن والكواكب سطرت فيها صحيفة عندهم تسمى (الخزيرة) قال وقد شاهدت أعمالهم الكفرية وهي حقيقة . انتهى ملخصا

أقول ، وإعلم أن هؤلاء البعاجة قد أخبرني بهم أحد أبناء (طيطوان) وقال أنهم يجلسون على هيئة الصوفية في جهة مرا كش ويدعون أنهم على طريقة شيخ زاهد ومتى جلسوا في مكان وأخذوا يتلون أقوالا مخصوصة أمكن أحدهم أن يطير فوق القبة التي فوقهم وإذا كان وحده لا يقدر ، وإذا أهدى إليهم أحد شاة

بقروا بعلمها بأيديهم وسكاكينهم ثم شوروها بجملتها وأكلوها ، فلما سمعت هذه الحكاية قلت انهم من أولاد أولئك البهجة تسموا باسم الصوفية تسترا لأن هذا عمل من الأدب له ، وإعلم أيها الذي أن طوائف كثيرة من الذين ينسبون للصوفية يخفون الناس بأنهم يؤذونهم وهم في ذلك كذوبون يريدون أن الناس يظنونهم الطعام وهم تأخون في يوتهم وهذا ظلم بين فيجب إزالة هذه الطوائف من المسلمين ، وإذا وجد سائر تصرف أولئك في الطريق فلا فائدة لهم على إبداء العاملين وكفاك معجزة موسى وعصاه وكيف كانت تلقف ما يافكون وإعلم أن الأمة الإسلامية يجب عليها أن تلعن هذه الحقيقة ، وأن لاتدع أهل الطرق يعشون بالمسامين ويخفونهم فهذا ضياع للأمة ولأن تأثير الواحد على أحد الرجل النافع للأمة يغلب آلاف من أولئك الساحرين والذين يدعون أنهم صوفية وماهم بصادقين وقد تبين هذا بنفسى وعلمت أن الخداع عم الأمم الإسلامية والله لا يهدى الخائنين

﴿ حقيقة ﴾

اعلم أنه لا فرق بين أولئك الذين يقاتلون الناس بالمدافع والغازات الخائفة أو يسمون لهم السم في الطعام والذين يأتون بالعقاقير الطبية ويقاؤون الناس بها سرا والصوص والسارقين وأمنائهم وبين الذين يستعملون السحر أو يتصرفون في الناس أو يخبرون بالفيجات حقا أو باطلا لأجل أخذ أموال الناس بالباطل ، فكما أننا نقتل الطبيب الذى عرف السم فقتل به الناس ونقتل الذين يماريون بالغازات الخائفة ويموتون الناس أو يعمونهم هكذا يجب علينا أن نقاتل السحرة والذين يبيعون الغنم كما قاله ابن خلدون وأولئك الذين يقرؤن أدعية ويخفون الناس بأنهم قادرين أن يؤثروا فيهم . فهذه الطائفة من المسلمين الذين يقولون نأكل أموال الناس بطريق إختافهم من دعايتنا عليهم وكرامتنا ، لا فرق بينهم وبين السحرة فكأنهم يتصرفون لأن الله لم يجعل الكرامة وسيلة لجلب الطعام وإنما جعلها وسيلة للهداية ، فإذا وجدنا من يفعل هذا حقارنا وعلمنا أنه هو والساحر سواء لا فرق بينهما وعما يريدان أكل أموال الناس بالباطل وإعلم أن الله أزل هذه الآيات ليرينا أن الحق يغلب السحر لأن عصا موسى ابتلعت عصى السحرة هكذا يجب على علماء الاسلام أن يزيلوا هذه الخرافات من المسلمين ، وليعلموا أن القرآن جاء لإزالة السحر لا لتقويته ، ومن عمل السحر وزعم انه كرامة فهو ملعون ، وإعلم أنك إذا تصدبت لرقى الأمة الإسلامية لا يؤثر فيك مؤثر أبته وتغلب كل من يمارتلك والاسلام يحتاج الى مصلحين والله هو الولي الحميد ومماثل النفوس إلا كسل النبات فيها السام ومنها المغذى ، فلتفعل مع النفوس الساحرة والتي تصيب بالعين مانعها مع الحشائش الضارة بزرعنا ومع الحيوانات الصغيرة المسماة بالمسكروب فانا نتجهد لإبادتها فلا فرق بينها وبين النفوس المنحرفة

وإعلم أن هذه الدنيا دار اشتبه فيها الباطل بالحق . ألا ترى أن أكابر العلماء يقولون انها دار خيال ويستدلون بقوله تعالى - كل شيء هالك إلا وجهه - ويقول بعضهم - هالك - اسم فاعل وهو حقيقة في التباس الفعل فكأن الدنيا هالكة الآن . ويقولون إن ما في هذه الدنيا من سموات وشموس وأرضين ونبات وحيوان وضياء . كل هذا له حقائق غير هذه وإنما هذه ظل الحقيقة والحقيقة وراءها ولقد تبادوا في ذلك حتى أوضحوه وهذه تسمى ﴿ نظرية اينشتاين ﴾ فقد جاء في بعض الجرائد المصرية يوم ١٢ فبراير سنة ١٩٢٥ ما يأتى

﴿ جبايرة العقول ﴾

(اينشتاين ونظريته . الزمان والمكان)

في عام ١٩١٥ والحرب العظمى في أشد أدوارها خطرا أعلن نابغة الألمان الدكتور اينشتاين الجزء الخطير

من نظريته وهي النسبية العامة التي تبحث في هندسة خاصة بالكون ليست بالإقليدية ودخل ضمناً في هذا البحث أمر الجاذبية وظلّ مابال عن النسبية العامة والجاذبية محصوراً في داخل حدود ألمانيا إذ كانت منزلة عن العالم في هذا الأوان ، فلما وضعت الحرب أوزارها خرجت النسبية العامة خارج ألمانيا ، وحدث أن كان للكسوف الكلي للشمس عام ١٩١٩ م وهو عام الهدنة وفيه تحققت بعض آمال أينشتاين فانشرت النظرية انتشاراً عظيماً في هذا العالم وفي الأعراف التي نليه حتى انك قلما ترى مجلة لاتذكريها وأجملتها لا يلقى فيها محاضرات عنها وانتشرت الكتب الانجليزية والأميركية ، وأعطيت جوائز مالية كبيرة لمن يشرح النظرية شرحاً متما ختصراً فأنت ترى أن عام ١٩٢٠ و ١٩٢١ وما بعدهما هي أعوام الثورة الفكرية في الخارج أي خارج ألمانيا والجد لله ، غرقة الاهتمام بالنظرية قائمة بين أبناء مصر الآن . والرجع بعد هذه الكلمة القصيرة الى النسبية العامة التي ذكرناها فنقول إن أمر خطورتها يتعلق بشئ واحد وهو النظري الكون بعين غير العين التي ألفنا أن ننظر بها . كنا ننظر الى الكون قبل (اينشتاين) بمنظار مجسم فنقول هذا شئ ونعني به كل ما ندسه أوزاره ، أما نابعة الألمان فيقول يا قوم ليست هذه حقيقة ، ماهي الحقيقة إذن ؟ مسألة من أخطر المسائل تلك هي السؤال عن الحقيقة ؟ هل لوقت لك ان الشمس طالعة وهي في رائقة النهار وكان لك عينان ترى بهما تلك الغزاة ، اليست هذه حقيقة ؟ يقول العلم الحديث كلا ، باللهول . أليست تلك الكتلة النارية التي أراها شمسا يقول العلم الحديث . العالم . فإسكن لا صوت فيه وأما العقل هو الذي يصنع كل ذلك فليس السرفى العالم بل السرفى هذا الذي تشمله بين عظام ججيمتك ، مامعنى هذا ؟ معناه في نظرنالاسفة الكون الآن أن هذا الفضاء الواسع فيه تموجات مختلفة الطول فان كانت هذه التموجات الأثرية بحالة خاصة وطول خاص أثرت على أذنك فقلت عنها صوتاً وان كانت بحالة أخرى وطول آخر غير السالفة قلت انها صوته إذ ميزتها عينك ، فأنت ترى أن الأمواج تملأ هذا الأثير من الفضاء وهي لانصنع صوتاً ولانحدث ضوءاً أشبه بأموامج البحيرة الزاكدمائها وانما عقلك هو الذي اخترع كل هذه الكلمات من نور ووصوت . مامعنى خري الماء لنفس الماء ، ومامعنى خفيف الريح للأغصان ان لم تكن أنت واقفا هناك بالغالب . أليس الصوت والضوء أشياء وأمورا خاصة بك دون الطبيعة وتزبد الفلاسفة اليوم على ذلك أنه قد يكون في أثير هذا الفضاء الواسع موجات أخرى تختلف في سرعتها عن تموجات الضوء والصوت ، ولكننا لانراها ولا نعرف عنها شيئاً إذ ليس لنا من الخواس غير الجسم . و بعد كل هذا ماهي الحقيقة ؟ ان كان العالم مظهراً ماداً صامتاً وان كانت كل هذه الأشياء التي نراها هي صنع أعيننا أو من صنع عقولنا كما يقولون إذ أن مركز الابصار في المخ وبه وحده ترى صور الكون على استقامتها بعد أن تكون معكوسة على شبكة العين أي ان الشمعة الموقدة ترسم على الشبكة معكوساً نورها الى اسفل ومركز الابصار في المخ هو السكيفل باعتدالها . والآن فلنرجع الى الحقيقة وأمرها في نظراينشتاين . الحقيقة في نظره ليست كل هذه الأشياء التي نراها إذ انها مهما تجسست فهي ظواهر فقط وفرفى كبير بين الظاهرة والحقيقة . نعم هذه الأشياء التي أماننا هي ظل الحقيقة كما يقول العالم الألماني (منكوسكي) والتي منه استمدت (اينشتاين) آراءه في النسبية العامة فقد قال (منكوسكي) في مجمع علوم مدينة (كولونيا) عام ١٩٠٨ قبل ظهور النسبية العامة الخاصة بالسكان والزمان ما يأتي بالحرف

« يجب علينا من الآن ان نعتبر ان الفضاء قائم بنفسه أو الزمان قائم بنفسه مظل الحقيقة التي ماهي إلا اتحاد السكان بالزمان وإيجاد عالم منهما يحدث فيهما الحوادث وهي الأشياء . فالأشياء في نظره هؤلاء الجبابرة ماهي إلا حوادث ناشئة من تقاطع « أربعة إحد اثبات » ثلاثة منها للسكان وواحد للزمان فلقوانين التي تحكم هذا الاطار المكزوني هي الحقيقة بعينها » ٥١

فانظر رعاك الله كيف كان علماء هذا العصر يقولون إن هذا العالم ظل الحقيقة وأن حقيقة هذا الانسان

وهذا الثوب وهذا الحجر وهذه السموم إن هي إلا حركات في الأثير لا أكثر ولا أقل وهذه الحركات تختلف فتختلف الآثار على حواسنا الخمس ، غواصنا هي الشبكة التي بها اصطدنا هذا العالم فإذا متنا كان العالم في نظرنا غير هذا . انظر الإثر المشهور ﴿ من مات فقد مات قيامة ﴾ وانظر للسكان المصري المذكور فيما تقدم الذي صنع الشمع تساحا والتساح ابتاع الرجل فلما أخذه مرة أخرى صار شعرا ، وكان الله أوجد هذا في الدنيا سواء أ كان خرافة أم صدقا ليثبت فينا فكرا جديدا . وكما أصبح الخداج الصناعي شعرا هكذا أصبح هذه الشهوات والشهوات الحيوانية شيئا لا قيمة له في النظر الحقيقي بل هذه العوالم ما هي إلا حركات بالنظر الحقيقي المصري وذلك الفكر الجديد أن هذه الدنيا لو كشف غشاها لوجدنا الهوم والقوم والأخزان والطمع والمال والولد والغنى والفقر وما أشبه ذلك انما هي عوارض جاءت بها الحواس وهي التي خدعتنا ونحن بها نخدعون ألا ترى أن الناس يتعاطون المخدرات ليغيثوا عن الحواس ولكن تلك سبيل ضلال والصراط المستقيم . هرة الحقائق حتى ترى الأشياء على ما هي عليه بل ليس في الوجود سوى واجب الوجود وسواء غابا هي شؤنه . فانظر كيف كانت هذه الجملة مقولة لحكام المسلمين . ثم انظر كيف جاء علماء العصر الحاضر فقالوا ﴿ انما الوجود خداع الحواس ﴾ قال الشاعر

ففر بعم تعش حيا به أبدا * الناس موتى وأهل العلم أحياء

﴿ خطاب للأمم الاسلامية ﴾

(ان هذه العوالم واجبة وجوبا كفاثيا)

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه

ومن لا يعرف الشر * من الناس يقع فيه

إيها المسلمون هذه صفحة من تاريخ الشعبذة والشعوذة في الأمم الاسلامية . فالشعوذة أمثال ما ذكرناه هنا من إيهام الناس بوضع الإبرة في العين وإخراجها من القم وبالعكس وهي ترجع لنفخة اليد والشعبذة ترجع للعوالم الطبيعية مثل مسألة البيضة التي تطير بخاصية صيرورة الماء بخارا فيها بخاراة الشمس كما تقدم . هذه صفحة من تاريخ أولئك الذين اتخذوا الدين سائلا للمال ولللاك كما ترون في مسألة الذي أوهم الناس أن الراس بعد قطعه أخبر أنه مختار من الله كما رأيتم وبهذه الوسائل المضللة استعبدوا الأمم الاسلامية قديما وجعلواهم كالأنعام يخطونهم بل هم أضل من الأنعام . مثل هذا زلت قصة السحرة في القرآن . زلت قصة السحرة ليدكر الله المسلمين بالتفكير لئلا يضلوا فوالله لا منجى من هذا إلا بالعلوم والعرفان . ليقرا المسلمون جميع العوالم الطبيعية والكيميائية طلبا لمناقضها واحتراسا من يتخذونها ذريعة لطمس العقول واستضعاف الأمم الاسلامية . إن الأمم الأوروبية قد نبغت في كل علم وكل فن ولما عرفوا أمثال هذه الخدائات اتخذوها ذريعة للغبية في الحرب فاضطعوا الغارات الخائفة والمهينة لفتح الممالك الأخرى ولم يجهاوها وسيلة للتدليس على أهم حتى يجعلهم دواب يخطونهم كما فعل أولئك الرؤساء المضلون الذين جعلوا أتباعهم غنيمة لهم وتركوهم في غيابة العماية والجهالة فضاعت تلك الممالك ولم يبق لها شرف ولا غطر . وهذا هو السبب في الخطأ الأمم الاسلامية اليوم قد خدتها الرؤساء تخديرا دام أثره الى هذه الأجيال . ولقد تقدم في سورة الكهف عند قوله تعالى - وما كنت متخذ المضلين عضدا - أن حسن بن الصباح منع أتباعه من العلم تخديرا لعقولهم وتخديرا من الاطلاع على ما يكنه قلبه من اضماتر تعميم الجهالة . فهاك مقالته (سديو الفرنسي) في صفحة ١٣٧ في الكتاب المترجم بالعربية عنه قال مانصه ﴿ كان لأبي عبدالله آخر رؤساء الكرمانية التصرف المطلق في المتعصين لمذهبه فخرج نهجه رجل يسمى حسن بن الصباح (انظر مذهبه في سورة الكهف وانظر مذهب أحد أتباعه في زماننا

بالحند الذي قسّم أتباعه من بضعة فيه نشرت في الاهرام وذكرتها في سورة إبراهيم) سافركثرا وتصر في العلوم وعرف فرق الدين الحمدي وأخذ في نهاية القرن الحادى عشر من الميلاد يفتن الناس ويختمهم على اتباع مذهب جديد يغلب على الظن أنه قريب من (مذهب الكرمانية) فتيهه جوع غفيرة ملك بهم عدة قلاع وحصون واستوطن حصون الموت المشيد على هضبة قرب (قزوين) فلقب بشيخ الجبل وأعلن الصداوة للنصارى والمسلمين ورأى نفسه بينهم بمنزلة الإله الذى شفه الاقتصاص من الظالمين للظالمين ونفتت أواصره فيمنعه فكان إذا أمر يقتل أحد منهم بادر بالقاء نفسه من شاهق جبل على اسنة الرماح أو طعن بقلبه بخنجر أو يقتل أحد من غيرهم بادر بقتله ولو وزيراً أو سلطاناً أو خليفة عباسياً . أنه أخبر قومه أن شارب الخشيش يذوق جميع لذات الفردوس فكانوا كالبهائم بسبب السكر بالخشيش مستعدين لارتكاب أكبر الكبائر ولذلك سماهم الأورخون (الحشاشين) لا الحشاشين أى القتالين كما زعمه الفرنجة . كلا . وأذن لهم في النهب فنهبوا وجاؤا بأسلحتهم في الشام حتى بلغوا جبل لبنان وبنوا في الشام أماكن محصنة ونهبوا جميع القوافل التي تمر بأرضهم وقطعوا الطرق ولمسكوا في غرة القرن الثالث عشر من الميلاد كثيرا من المنازل في العراق ولشام وحصونا أخرى قرب دمشق وحلب وتوطنوا من ابتداء سنة احدى وستين ومائة وألف ميلادية بالعراق الفارسي وبذل (الملك شاه) عزائمه في اعدامهم ولم يباؤا بذلك بل يقال ان نظام الملك الذى كان الوزر بالاعظم لهذا السلطان قتله أحدهم لشدته تعصبه وغيرته على مذهبه الدينى ، وكان هؤلاء الحشاشون مع الفاطمية كحزب واحد لشدة مخاصمتهم وادمان مشاجرتهم مع أهل السنة انتهى بالحرف

ولقد تقدم كما ذكرت هنا في سورة إبراهيم أن أغا عنون بالحند الآن يقول أتباعه انهم معه أشبه بأتباع حسن بن الصباح له وانهم سارّون على منهمجهم حذوا القذة بالقذة وأن العبادة له هوال الله ، وقد أرسله الانجليز الى الديار المصرية أيام غياب عباس باشا حلى الخديوى السابق ليكون ملكا لمصر باعتبار أن الفاطمية كانوا بها سابقا وهذا من أتباعهم فكان ذلك سببا في أن المغفور له السلطان حسين باشا كامل رضى بتولى الملك فى مصر ، فانظر لأهم أوروبا الذين يقرّون التاريخ يأخذون منه ما يوافق سياستهم ، فينظر المسلمون فى ماضى تاريخنا فان قصة السحرة ماجاءت للإنصحر من المدلسين ولسكن الجبل هو الذى أوقع آبائنا فى أيدي المضلين الماكرين ، وأنا أجد الله الذى جعل هذا التفسير كحد فاصل بين زمان العرفان الآتى وبين القرون المتأخرة التى أورثنا ضلالة وملأت بلادنا بالمضلين من الشيوخ الذين اتخذوا الدين وسيلة لجمع المال ولحوز الملك ولا اتحاد مع الحكام الأجانب أو غيرهم . كل هذا لأن الله يحاسب الناس على ضياع عقولهم ونبد نوره الذى وهبه لهم وذكائهم والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم

وقال (سدبوى) أيضا في صفحة (١٢٢) ماضه ﴿ ظهر فى زمن الأموية عدة فرق دينية تعبوا فى ازالها كالخوارج والقدرية والأزارقة والصغرية ، وفى عصر العباسية فرقة المعتزلة وفرقة الراوندية الزاعمة أن الخلقاء يعبدون كعبادة الإله وتعتبر دورهم كعبة جديدة وقائلهم المنصور فقا باؤه بأعظم ما يكون من الشجاعة والبأس ليعبده قهرا عنه وظهرت أيضا فرقة الزيدية القائلة بحرمة أكل الحيوان وتلك الانسان شيئا خاصة نفسه ﴿ اه أليس هذا كله من سحر العقول بالتأثير والابهام والتغريب ، وليس ينبغى المسلمين من هذا إلا قراءة كل تاريخ وكل علم واتّباع الحلة المثلى ونعميم التعاليم والاحقت كلمة العذاب . هذا هو الذى جاءت لأجله قصة السحرة فى سور القرآن ، فانظر الى المنصور أيام صولة الدين وعزّته كيف قاتل من يعبونه ، وانظر الى حسن ابن الصباح والى بعض شيوخ الطرق اليوم كيف يجمعون أنفسهم فى مصاف المقتسين كأنهم معبودون وكأنهم هم المختصون بالشفاعة وكيف يحرم بعضهم أن ينظروا أتباعه لوجهه بل لا يسمون عليه إلا وهم مطاعون رؤسهم وكيف كثرت هذه الخرافات فى أمم الاسلام وخالف الناس أخلاق الصدر الأول . لهذا انحطت المدارك وذهبت

الأم الإسلامية فحيا الجهادة وقد اشرقت وهدت والله هو الولي الحليم . ثم الكلام على القسم الثاني من السورة

(الْقِسْمُ الثَّالِثُ وَالرَّابِعُ)

وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ * قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَفْلِلُ
لَهَا عَافِيَةً * قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَبْصُرُونَكُمْ * أَوْ يَعْلَمُونَ * قَالُوا
بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ
الْأَفْكَهُونَ * فَأْتَاهُمُ عَذَابِي الْإِلَهِي * الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ
يُطِيعُنِي وَسَقَمِينَ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ * وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ
يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ * رَبِّ هَبْ لِي مَسْكَنًا * وَالْحَقْلِي بِالْعَصَافِيِّ * وَأَجْمَلُ لِي
لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ * وَأَجْمَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ * وَأَعْقِرِ لِأَيِّ إِنَّهُ كَانَهُ مِنْ
الضَّالِّينَ * وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ * يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ
سَلِيمٍ * وَأَرْزِلْ لِي الْجَنَّةَ الْمُنْتَزِعَةَ * وَبَرِّزْتُ الْحَجِيمُ لِلْعَاوِينَ * وَقِيلَ لَهُمْ أَبْرَأَ مَا كُنتُمْ
تَعْبُدُونَ * مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْصُرُونَ * فَسَكَتَ كُفْرًا فِيهَا هُمْ وَالْعَاوُونَ *
وَجُنُودٌ أَلِيْسَ أَجْمَعُونَ * قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ * تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ *
إِذْ نَسُوا لَكُمْ رَبَّ الْعَالَمِينَ * وَمَا أَصَلْنَا إِلَّا الْحُرُوفَ * فَسَا أَنَا مِنْ شَاقِقِينَ * وَلَا صَدِيقٍ
حَكِيمٍ * فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَكَرَّرُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ
مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ
أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَمَا أَسْأَلُكُمْ
عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ
وَاتَّبَعَكَ الْأَوْدَلُونَ * قَالَ وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * إِنْ حَسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ
* وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ * إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ * قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْتَ يَا نُوحُ تَتَّبَعُونَ
مِنَ الْمُزْجَمِينَ * قَالَ رَبِّ إِنْ قَوْمِي كَذَّبُونِ * فَأَفْتَحْ يَدَيَّ وَيَنْتَهُمْ فَتَنًا وَنَجِّنِي وَمَنْ
مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَأُنَجِّنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْهُودِ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ *
إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ *

التفسير اللفظي

قال تعالى (واتل عليهم) على مشركي العرب (نبا إبراهيم) إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون) أى أى شئ تعبدون ، وهذا الاستفهام للاستخفاف بما يعبدون وأنه لا يستحق العبادة (قالوا نعبد أصناما فنفضل لها ما كفرن) أى نقيم على عبادتها لإلنا نهارا (قال هل يسمعونكم) أى دعاءكم (إذ تدعون) هل يصيكم الآلهة إذا دعوتهم (أو يغيثونكم) فى معاشكم إذا أطعتموهم (أو يضررون) فى معاشكم إذا عصيتموهم (قالوا) لا (بل وجدنا) ولكن وجدنا (آباءنا كذلك يفعلون) يعبدونها فنحن نعبدهم مقتدين بهم (قال إبراهيم) (أفرأيت ما كنتم تعبدون) أتم وآباؤكم الأقدمون) وما كان يعبد آباؤكم الأولون (فأنهم عدو لى) أى أعداء لعابدهم لأن عبادتهم أضرت على العابدن من الأعداء وانما نسب الأمر لنفسه ليكون أدعى إلى القبول وأفرد العدو لأنه فى الأصل مصدر وأريد به الجنس (إلارب العالمن) استثناء منقطع أى ولكن رب العالمن ثم وصفه بثان صفات ترجع إلى إفاضة الخير والنعمة على العبد فانه أولا خلقه (١) من نقطة (٢) ثم هداه لثدى أمه ولما بعده من أمور المعاش والعلم والصلاح نفسه (٣) وأنعم عليه بالطعام (٤) والشرب لبقاء بدنه (٥) وأنعم عليه بالشفاء إذا مرض وذلك إما بالشفاء أو بما باجأة الدعاء حتى إذا دنا أجله (٦) أماته فاذا جاء اليوم المعلوم (٧) أحياه وإذا جاء دور حسابه غفر له خطاياه وأدخله الجنة ، فلخص ذلك أن إبراهيم دعا قومه إلى الله بما دعا به موسى وبما دعا به محمد ﷺ ألا ترى أن نبينا ﷺ جاء على لسانه فى أول السورة - أولم يروا إلى الأرض كم أبنتنا فيها من كل زوج كريم - وإلى موسى كيف ذكر السموات والأرض وخلقهم وخلق آبائهم الأولين والشرق والمغرب وما بينهما ، وهذا ذكر خلق الإنسان وتطوره فى جميع أحواله من يوم الولادة إلى الوقوف بين يدى الله تعالى فرجع الأمر إلى العلوم الطبيعية التى هى المنفذ الوحيد للسعادة فى الحياة - من حيث منافعها وفى الموت من حيث التفكير فيها ، فانظر كيف جعل الله سعادة الآخرة متوقفة على التفكير بما به حياتنا من غذاء وشرب ودواء وهديا لذلك ولغيره ، انظر كيف ذكر خلقنا وذلك عيه هو علم الأجنة وعلم التشريح وذكر الهداية وذلك منوط بعلم الحكمة وعلم الدين والشرايع وذكر طعامنا وذلك متوقف على درس الأشياء المحيطة بنا والاجتهاد فى استنباطها وذكر السقى وذلك يكون بالماء وهو ينزل من السحاب الجارى بالهواء المعرك بالحرارة السارية من الشمس الجارية فى مدارها الجاذبة لما حولها من السيارات المجنوبة بغيرها من الشمس وس ذكر المرض وهو أنواع كثيرة تختلف اختلافا كثيرا تحتاج إلى دراسة خاصة وعلماء يختصون بها وذكر الشفاء منه وذلك يدرس جميع العقاقير الطبية والمناسبة بينها وبين الأمراض وآثارها فى أجسامنا واختلاف الآثار باختلاف الأقاليم والفصول والأشخاص وأن هذا تشتت الحاجة إليه فى المدن وتقل فى البنى لجودة الهواء وقلة أنواع الغذاء وعدم تسكاتها الموجب تعفن الأخلاط فى الجسم فهم أقرب إلى الصحة من أهل المدن كما أن الحيوانات الوحشية تقل فيها الأمراض وتكثر فى الحيوانات الأهلية كما تكثر فى الناس لفساد الهواء والازدحام فى المدن والحياة التكيفية والأمور العارضة ، كل ذلك يستوجب ذكر الشفاء ثم إذا جاء أجل الإنسان مات ليخلو وجه الأرض لمن بعده لأنه لو بقي الناس بلاموت لآزدحوا ولعسرت الحياة فآلوت نعمة على الأموات وعلى من بعدهم من الأحياء وكراهة الموت ناشئة من جهل هذا الإنسان وعدم إلمامه بعلم الحكمة ونظام هذه الدنيا . ولو فكر العقلاء وأدركوا الحقائق لفرحوا بالموت وكيف لا يفرحون بما هو نعمة عليهم - إن النعمة والرحمة حاصلتان فى حسن النظام العام والنظام العام لا يتم إلا بأن يرحل قوم من الأرض لتخلو لمن بعدهم لأنهم لو بقوا معهم لكانت الحياة لاتفاق . فهذا الاعتبار كان الموت من النعم العامة كالخلاء وبما كان قدما المصيرين قد أدركوا هذه الحقائق . ألا ترى إلى خطاب ابن الملك للساكنين فى الحكايات المتقدمة

في هذه السورة وقوله له انك بلغت الحلال اثني احياء بعدما وانك عن قريب ستوضع في التبر الى آخر ما عدا
منه فارجع اليه فيما تقدم

(٨) ثم يبعث الانسان بعد الموت لينال جزاء ما عمل في الحياة الدنيا والبعث نتيجة هذه الحياة
في هذا القول استدلال على الله وعلى الآخرة بعلم الغائبة كما فعل موسى وكما جاء في أول السورة عند دعوة
رسول الله ﷺ وهذه المعاني الثمانية هي قوله (الذي خلقني) الى قوله (والذي اطلعني) ان يغفر لي خطيئتي
يوم الدين) ثم اخذ يدعو الله بدعوات خمس متدرجا فيه من حال الحياة الى حال الموت على منوال ما تقدم في
كلامه ، فأولا طلب من الله أن يهبه (حكما) أي كالا في العلم والعمل باستعانة بذلك لخلافة الله ورئاسة المخلوقين
وذلك هو صفة الصالحين التي تلحق الانسان بهم ولذلك أعفها بالثانية فقال (والحقني بالصالحين) أي وفقني
للحكمة في العمل لأنظم به في عداد السالكين في الصلاح بحيث لا يذنبون ذنبا دغيرا ولا كبيرا وذلك متى حصل
يعقبه الصيت والذكر الحسن وهو قوله (وأجعل لي لسان صدق) جاها وحسن صيت في الدنيا يبق أثره (في
الآخرين) الى يوم الدين ولذلك ترى جميع الأمم محبين لاراهيم عليه السلام وقد جاء من ذريته نبينا ﷺ
يحدث أصل دينه ويدعو الناس الى التوحيد كما دعا اليه ، ولما كان ذلك ليس بعده لإثواب الآخرة قال (وأجعلني
من ورثة جنة النعيم) في الآخرة ، فانظر كيف طلب الحكمة في العلم والعمل وذلك يلحق بالصالحين وذلك يورثه
الصيت والذكر الحسن وبعد ذلك تكون الجنة فلم يبق إلا أن يدعو لأقرب الناس اليه بعد أن أمم الدعاء
لنفسه فقال (واغفر لاني انه كان من الضالين) عن طريق الهدى وهذه الدعوة للوفاء بوعد أبيه كما جاء في آية
أخرى - وما كان استغفار ابراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه - الآية ثم أتبع ذلك بدعوة يريد بها وصف
أحوال الآخرة فقال (ولا تخزني يوم يبعثون) أي ولا تخزني بمعايبي على ما فرطت أو نقص مرئيتي والضمير
في يبعثون للعباد لأنهم معامرون ، ثم أخذ يبين حال يوم البعث فقال (يوم لا ينفع مال) كثرة المال (ولا بنون
*) إلا من أتى الله بقلب سليم) خالص من الذنب وحب الدنيا أي لا ينفعان أصلا إلا مخلصا سليم القلب من
العيوب وكبار الذنوب فان مثل هذا يجعل المال فيما خلق له ويرشد البني الى الحق ويعلمهم الخير ليكونوا
مطيعين لله (وأزلفت الجنة للمتقين) فصار لهم منزلا (وبرزت الجحيم) أي ظهرت (للعاوين)
للكافرين ، ثم أخذ يصف ما يهانيه هؤلاء من قذفهم في النار وطرح بعضهم على بعض وحشر الآلة معهم والجن
وتخاصمهم مع المعبودين عند مظهر الحق وقولهم كيف نعدلكم رب العالمين وما دعانا الى عبادتكم إلا الجرمون
ثم اعلانهم اليأس من كل شافع وكل صديق قريب ثم تحسرهم وتعتيهم بعد اليأس أن يرجعوا الى الدنيا يؤمنوا
وهذا هو قوله تعالى (وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون) من دون الله في الدنيا من الأصنام (هل ينصرونكم)
يمنعونكم من عذاب الله (أو ينصرون) لأنفسهم (فتكذبوا) جعوا وقذفوا وطرحوا بعضهم على بعض
(فها) في جهنم (هم والعاورون) الذين أغوهم وهم الآلة والجن (وجنود ابليس أجمعون) أتباعه (قالوا)
وهم فيها يخضعون) مع آلهتهم ورؤسائهم وذرية ابليس (ثالثه إن كنا) انه أي الحال والشأن كنا (إني)
ضلال مبين) ويخلى الله السمع في الأصنام كما يخلق الطق (إذ نسويكم رب العالمين) في استحقاق العبادة
(وما أضلنا) ما صرفنا عن الايمان (إلا المجرمون) * فإنا من شافعين) كما للمؤمنين من الملائكة والأنبياء
والعلماء الذين أفاضوا عليهم العلم في الدنيا فاتفقوا بالعمل في الآخرة فسكانت الشفاعة وقوله (والصديق جسيم)
ذي قرابة بهمهم أمرنا (قلوان لناكرة) لوللتعني أي ياليت لنا رجعة وجواب التي (فكسبون من المؤمنين)*
لن في ذلك آية) أي أن فبا ذكر من قصة ابراهيم نجاة وعظلة للمنبصرين فان ما جاء في هذه السورة مقو
للتعقل واتباع الحكمة والعلم فقد استبان لك كيف شرح حال الحياة الانسانية من خلق وهداية وطعام وشراب
ودواء وموت وحياء ووصف أحوال السعداء والأشقياء وتخاصمهم وكيف يتخضعون عند ظهور الحقائق وبلقي

بعضهم للثبته على بعض ، وكيف أبان أن الحياة الآخرة لا خير فيها إلا لمن أخذ المقصود منها وهو سلامة القلب من جهها ومن الكفر والنفاق ثم كيف أظهر القوم اليأس وتمنوا أن يرجعوا إلى الحياة كره أخرى وانظر كيف كانت الآية هنا مؤيدة لآية موسى إذ صرف العقول إلى الحكمة والعلم ولم يعبأ إلا بالنظر في السكائنات ولم يكن لمجزة العصا واليد سبيل إلى الهداية إلا عند السحرة الذين هم علماء فأصبحت قصة إبراهيم وموسى ومبدأ السورة في مستوى واحد ولم يذكر في هذه السورة من قصص إبراهيم غير ذلك . كل هذا يندلج في السحرة ولطريق الشعراء الذين يقولون ما لا يفعلون بل الشعر الذي به تحسين اللفظ وأحداث الصور التخيلية التي ذكرها علماء البيان والبدع والمعاني جهلت بفتح باب الخيال فهي مقدمات لولوج باب الحكمة والعالم الطبيعية فمن ظن من الأمة الإسلامية أن علم الشعر مقصود لذاته فقد جهل وضل ضلالا مبينا . نعم علم الشعر وتاريخه من عصور الجاهلية إلى عصرنا الحاضر والنظر في تطوره وتطور الأمم التي كان فيها الشعراء والاعتبار بما كان في تلك الدول من ظلم وعدل وخفض ورفع . كل ذلك نافع في اتساع عقول المسامرين كما أخذ بذلك المسامرون في مصر بدار العلوم وغيرها في هذه الأيام ، وستتم هذا البحث إن شاء الله في آخر السورة عند ذكر الشعراء ، وقوله تعالى (وما كان أكثرهم مؤمنين) أي أكثر قومه مؤمنين به كما حصل لموسى ولمحمد صلى الله عليهما وسلم وكل واحد منهم دعا قومه بالنظر والعلم الصحيح (وإن ربك لطو العزيز) القادر على تهجيل الانتقام (الرحيم) بالامهال لكي يؤمنوا هم أو ذرتهم

﴿ جوهره في قوله تعالى - وإذا مرضت فهو يشفين - ﴾

اعلم أن شفاء الله للأمراض مثله كمثل الرزق ، فكما أن الرزق يعوز علم الإنسان وعمله كذلك الطب وإذا وجدنا الناس شرقا وغربا اشتروا في أمور الرزق من حيث النظام العام هكذا نجد الأولين والآخرين من بني آدم اتحدوا وساعد بعضهم بعضا في الطب . علم بذلك العلماء ولكن أكثر الناس لا يعرفون ، فساد ذكر لك ما حاولته أمة اليونان ومن تحاكيهوها في الطب ، ثم أتبعه بما أفادنا به قدماء المصريين في الكشف الحديث ثم أتبعه بشروط حفظ الصحة ثم الكلام على العلاج الطبيعي

يقول الله عز وجل على لسان إبراهيم - وإذا مرضت فهو يشفين - نسب الشفاء لله ليقترح لنا باب البحث والنظر في أمر الشفاء وعلم الطب وقد جاء في سورة النحل عند قوله تعالى - يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس - . اعلم أن العلماء لما بحثوا في أصل الطب من أين جاء تحيروا ولكن بعد التبا والتأ وجدوه لا يفسدو ﴿ ثلاثة أحوال ﴾ الحال الأولى ﴿ التجربة ﴾ الحال الثانية ﴿ الإطعام ﴾ الحال الثالثة ﴿ المصادفة والانفاق ﴾ فهذه الأحوال الثلاث هي أصول الطب

﴿ الحال الأولى ﴾

(١) يقولون ﴿ إن امرأة كانت بمصر وكانت شديدة الحزن والهجم مبتلاة بأمراض كثيرة منها ضعف المعدة ، ومنها امتلاء الصدر بأخلاط ودبت . ومنها احتباس حيضها فاتفق أنها أكلت (الزمان) سرارا كثيرة بشهوة فذهب عنها جميع ما كان بها ورجعت إلى صحتها فلما سمع به الناس استعملوه فبرؤوا من ذلك المرض ﴾ (٢) وقال حبيش الأعسم ﴿ إن رجلا اشترى كبدا طرية من جزاء ومضى إلى بيته فاحتاج أن ينصرف في حاجة أخرى فوضع تلك الكبدة المشتراة على أوراق نبات مبسوبة كانت على وجه الأرض ثم قضى حاجته وعاد ليأخذ الكبدة فوجدتها قد ذابت وسالت دما فأخذ تلك الأوراق وعرف ذلك النبات وصار يبيعه دواء للتلقي حتى فطن به وأمر بقتله ﴾ قال صاحب عيون الأنباء في طبقات الأطباء بعد ما ذكر هذه الحكاية أنها كانت في زمن (جالينوس) * وروى عنه أنه قال ﴿ وأسرت أيضا في وقت مروره إلى القتل أن تشد عيناه حتى لا ينظر إلى ذلك النبات أو أن يشير إلى أحد نحوه فيتعلمه منه ﴾

(٣) وأيضاً قال حدثني جناب الدين النقاش المصري أن في طرف الجبل الذي بناحية (الهرج) عشياً كثيراً رأى رجلاً نام على نبات هناك فلم يزل نالماً حتى رآه الناس والهم يسبح من الله ومن نرجس ففتجبوا حتى ظهر لهم أن ذلك من النبات الذي نام عليه . قال صاحب الكتاب إن جناب الدين أخيه أنه خرج إلى ذلك الموضع ورأى النبات وذكر أنه أشبه (بالهنديا) وهو من المذاق وقال له أنه شاعداً كثيراً من الناس يقر بربته من أنوفهم ويستشقونه مراراً فيحدث لهم رعاف ، قال ابن أبي أصيبعة ولم يتحقق عندي أهو الذي أشار له (جاليونوس) أم غيره ، قال ابن المطران : إن النفس الفاضلة تنظر وتقول إن الدواء فعل ذلك الفعل فلا بد أن يكون هناك دواء آخر يرفع عنها الغصو وحيثئذ تأخذ في التجربة وتطلب كل يوم حيواناً شديداً الدواء الأول ثم الثاني وهكذا وأخذ يضرب الأمثال ، وما يخصها أن أمثال هذه الخواص تدب الأذكاء إلى البحث والتفتيش حتى يركبوا أدوية كثيرة باجتهادهم . هذا ما يخص أمر التجربة في الطب

﴿ الحال الثانية . الإلهام وذلك بالرؤيا الصادقة ﴾

حكى جاليونوس في كتابه في الفصد إذ فصد العرق الضارب لما أمر به قال ﴿ إلى أسرت في منابى مرتين بفصد العرق الضارب الذي بين السبابة والإبهام من اليد اليمنى ، فلما أصبحت فصدت هذا العرق وتركته لئلا يجرى إلى أن أقطع من تلقاء نفسه لأنني كذلك أسرت في منابى فسكان ماجرى أقل من رطل فسكن عني بذلك المسكان وجعل كشت أجسده قديماً في الموضع الذي يتصل به السكيد بالجباب وكنت في وقت معارض إلى هذا غلاماً

(٤) وقال جاليونوس ﴿ رأيت رجلاً عظم لسانه وانتفخ حتى لم يسمع الفم فتحدثت في مداوته فني ليلته رأى قالا يقول له أمسك في فك عصارة النخس فاستعمل هذه العصاره كما أمر في المنام وبرأ تماماً ﴾

ثم قال جاليونوس في شرحه لكتاب الإعيان لأبقراط مانصه ﴿ وعاقبة الناس يشهدون أن الله تبارك وتعالى هو الملم لهم صناعة الطب من الأحلام والرؤيا التي تنقذهم من الأمراض الصعبة ، وذلك أنا نجد خلقاً كثيراً ممن لا يحصى عددهم أتاهم الشفاء من عند الله تبارك وتعالى بمثل ذلك ﴾

(٥) قال (أرباسيوس) في كتابه الكبير ﴿ إن رجلاً عرض له في المنانة حجر عظيم قال وقد داو بته بكل دواء فلم ينفع فلما أشرف على الهلاك رأى في النوم إنساناً أقبل وفي يده طائر صغير الحية فقال له هذا الطائر يكون بمواضع السباحات والأجام تنقذه واحرقه وتناول من رماده حتى تسلم ، فلما أقبه فعل ذلك نفرج الحجر من مثانه مفتتاً كالرماد وبرأ تماماً ﴾

(٦) قال ابن أبي أصيبعة ﴿ إن بعض خلفاء المغرب مرض مرضاً طويلاً وتداوى كثيراً فلم يلتفع بها فرأى في بعض الليالي التي ﷺ في نومه فشكاه لما يجده فقال ﷺ ادهن بلا وكل لا تبرأ . فلما انتبه من نومه بقي متعجباً من ذلك ولم يفهم ما معناه ولم يعرف المبهرون عنه شيئاً إلا على بن أبي طالب القيرداني فإنه قال يأمر المؤمنين أن النبي ﷺ أمرك أن تدهن بالزيت وتأكل منه فتبرأ لأن الله يقول - من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية - فلما استعمل ذلك صحح وبرأ ﴾

(٧) قال ونقلت من خط علي بن رضوان في شرحه لكتاب جاليونوس في فرق الطب مانصه ﴿ قد عرض لي منذ سنين صاعداً مبرح عن امتلاء في عروق الرأس ففصدت فلم يسكن وأعدت الفصد مراراً وهو باق على حاله فرأيت جاليونوس في النوم وقد أمرني أن أقرأ عليه حيلة البرء فقرأت عليه منها سبع مقالات فلما بلغت إلى آخر السابعة قال فانسيت ما بك من الصداع وأمرني أن أحجم (القمح حذوة) من الرأس ثم استيقظت فخرجتها فبرأت من الصداع على المكان ﴾

(٨) وقال عبد الملك بن زهر في كتاب التيسير ﴿ انني كنت قد اعتلّ بصري من قبحرائي أفراط على

فترض لي انتشار في الحدائق دفعه فشغل بذلك إلى فرايت فيها يرى الناس من كان في حياته يعني بأعمال الطب فأمرني في النوم بالاكتمال بشراب الورد وكنت لم أزل طالبا لم يكن لي حكمة في السنانة فأخبرت أني فنظر في الأمر مليا ثم قال استعمل ما أمرت به في نومه فانتفعت به ثم لم أزل أستعمله إلى وقت وضي هذا الكتاب في تنويه الأجر . هذا أيضا كثير مما يحصل بالرؤيا الصادقة فانه قد يعرض أحيانا لبعض الناس أن يروا في منامهم صفات أدوية من يوجد هسم إليها فيسكون بها برؤهم ثم تشتهر بالمداواة بتلك الأدوية فيما بعد ﴿ انتهى الكلام على الحال الثانية ﴾

﴿ الحال الثالثة ﴾

أن يكون قد حصل لهم شيء بالاتفاق والمصادفة مثل ما حصل لأندروماخس وغيره فيما تقدم في آخر سورة النحل إذ ذكرت لك هناك كيف عرف الأطباء بالاتفاق كون سم الحيات يشفي بأعوجها . وهكذا كل سم سليمان يمنع ضرره لهم ذلك الحيوان . وهكذا يشفي كل مرض مزمن قوى بلعوم الحيات كالبرص والجذام فارجح اليه إن ثقت هناك لتعرف هذه الأحوال الثلاث وهي التجربة والاحلام والمصادفات والاتفاق وانما ذكرت لك ذلك لتفهم قوله تعالى هنا - واذا مرضت فهو يشفين -

إن الشفاء من الله فانه إما أن يلهم الناس في أحلامهم وهذا منه تعالى وإما أن يلهمهم في اليقظة فيفكرون كما في الحال الأولى وهذه هي التجربة وإما أن تقع لهم الأشياء مصادفة فيفكرون فيها فواء أكان بالأحلام أم بالاعتبار والبصرة فشكل هذا من الله . ولعل أن الله عز وجل لا يحب أن تكون جميع علومنا بالأحلام والرؤى ولا يوسى الأنبياء لأن الأحلام انما هي موقطات فقط ثم إن الناس عليهم أن يجتنبوا بأنفسهم ليرتقوا أمالاً أنبياء عليهم السلام فإن الله جعلهم قليلا في الأرض هكذا التابون في الأمم والحكماء . ذلك لأن الله يريد أن يجعل هؤلاء الأنبياء موقطين فيوسى إليهم قولا إجماليا ويطلب من أتباعهم أن يفكروا فيه فلو أن الناس أنت لهم جميع أعمالهم بطريق الرؤى أو كان الأنبياء معطين الناس كل علم وكل حكمة بحيث لا يفكرون ولا يدرسون وانما يعيشون على أحلامهم الصادقة وأنبيائهم الصادقين اسكان ذلك وبالا . ولذلك تجد الأحلام الصادقة قليلة جدا . والأنبياء قولا والعلوم التي أتوا بها تحتاج إلى التفعل والتفكير حتى لا تموت عقول الشعوب التابعة لهم بالاتسكال على مسمعه . وبلى كل الشفاء من الله إما بالرؤيا وإما بالجدة والابتهاد والتفكير والأول مبادئ وما بعده هو الأغلب الأكثر الأعم

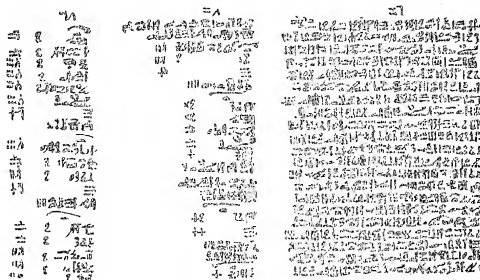
وهناك ﴿ حال رابعة ﴾ وهي ما يشاهده الناس في الحيوان مثل ما ذكره الرازي في كتاب الخواص أن الخفاف إذا وقع بفراخه البرقان مضى فجاء بحجر البرقان وهو حجر أبيض صغير يعرفه فجعله في عشه فبرأ وأن الانسان إذا أراد ذلك الحجر طلافراخه بالزعران فيقل أنه قد أصابهم البرقان فيضى فيجى به فيؤخذ ذلك الحجر ويعلق على من به البرقان فينتفع به (هكذا يقول ابن أبي أصيبعة والله أعلم بالحقائق) وكذلك من شأن العقاب الأثني انه إذا تعسر عليها بيضها وخزوجه وصعب حتى تبلغ الموت ورأى ذكرها ذلك طار وأحضر حجرا يعرف بالقلقل لأنه اذا حرك تقلقل في داخله فاذا كسر لم يوجد فيه شيء وكل قطعة منه اذا حركت تقلقلت مثل صيحه . وأكثر الناس يعرفه بحجر العقاب ويضعه فيسهل على الأثني بيضها والناس يستعملونه في عسر الولادة على ما استنبطوه من العقاب . ومثل ذلك أيضا أن الحيات اذا أظلمت أعينهن لكه وذهبن في الشتاء في ظلمة بطن الأرض وخرجن من مكائهن في وقت ما يدفأ الوقت طابن (نبات الرازيخ) وأمرن عيونهن عليه فيصلح ما بها . فلما رأى الناس ذلك وجئوه وجدوا من خاصيته اذهب ظلمة البصر اذا اكتمل بمائه . وذكر جالينوس في كتابه في الحقن عن (أرودوطس) أن طائرا يدعى (البيس) هو الذي دل على علم الحقن وزعم أن هذا الطير كثيرا لاغتهاء لا يترك شيئا من اللعوم إلا أكله فيحبس بطنه لاجتماع

الأخلاق الدنية وكثرتها فيه فإذا اشتد ذلك عليه ترجع إلى البحر فأخذ بمنقاره من ماء البحر ثم أدخله في دبره فيخرج بذلك الماء الأخلاق الممتلئة في بطنه ثم يبرد إلى طعاه الذي عادته الانغماس به

الحال الخامسة

ان يكون حصل شيء منها أيضا بطريق الإلغام كما هو لكثير من الحيوانات فإنه يقال ان البازي إذا اشتكى جوفه عمد إلى طائر معروف يسميه اليونانيون (ذريفس) فيصيده ويأكل من كبده فيسكن وجعه على الحال وكما تشاهد عليه أيضا السنائر فاتها في أوقات الربيع تأكل الحشيش فإن عدت الحشيش عدلت إلى خوص المكائس فتأكله ، ومعوم أن ذلك ليس مما كانت تقتدى به أولا وإنما دعاها إلى ذلك الإلغام لفعل ما جعله الله تعالى سببا لصحة أبدانها فإذا أكلته تقيأت أخلاطا مختلفة قد اجتمعت في أبدانها ولا تزال كذلك إلى أن تحبس بالصحة المأموس إليها بالطبع فتكف عن أكله ، وكذلك أيضا متى نالها أذى من بعض الحيوانات المؤذية ذوات السموم أو أكلت شيئا منها فاتها تقصد إلى السريح وإلى مواضع الزيت فتأكل منه وعند ذلك يسكن عنها سورة ما تجده ، ويحكى أن السواب إذا أكلت الدفلى في ربيعها أضرت ذلك بها فتسارع إلى حشيشة هي باذهر للدفلى فترتعها ويكون بها برؤها ، وبما يحقق ذلك حالة جرت من قريب وهي ان بهاء الدين بن فاذة الكاتب حكى انه لما كان متوجها إلى السكرك كان في طريقه بالظليل وهي منزلة كثيرة نبات الدفلى فنزل هو وآخر في مكان منها وإلى جانبهم هذا النبات برط الغلمان دراجهم هنالك وجعلت السواب ترعى ما قرب منها وأكلت من الدفلى فأما دوابه فإن غلمانها غفلوا عنها فسابت ورعت من مواضع متفرقة ، وأما دواب الآخر فماتت بأسرها في ذلك موضعها لم تقدر على التنقل منه ولما أصبحوا وجدت دروبه في عافية ودواب الآخر قد ماتت بأسرها في ذلك الموضع ، وحكى (ديسقوريدس) في كتابه أن العنز البرية باقر يلس إذا رميت بالنبل وبقيت في أبدانها فاتها ترعى النبات الذي يقال له (المشكطامشير) وهو نوع من الفوتنج فينساقت عنها مارمت ولم يضرها شيء منه ، وحكى القاضي نجم الدين عمر بن محمد بن الكرندي أن اللقلق يمشي في أعلى القباب والمواضع المرتفعة وأن له عدوا من الطيور يقصده أبدا ويأبى إلى عشه ويكسر البيض الذي للقلق فيه قال وان ثم حشيشة من خاصيتها أن عذر اللقلق اذا شم رائحتها يعمى فيأبى بها للقلق إلى عشه ويجعلها تحت بيضه فلا يقدر العذر عليها ، وذكر أوجد الزمان في المعبران القنذ لبيت أبواب يستدها ويفتحها عند هبوب الرياح التي تؤذي وتواقفه ، وحكى أن انسانا رأى الجباري تقالط الأفى وتنهمر عنها إلى بقلة تتناول منها ثم تعود لتأكلها وأن هذا الانسان عاينها فنهض إلى البقلة فقطعها عند اشتغال الجباري بالقتال فعادت الجباري إلى منبتها ففقدتها وطاقتها عليها فلم تجدها فغرت ميتة فقد كانت تتعالم بها ، قال وابن عرس يستظهر في قتال الحية بأكل السذاب والكلاب اذا دوت بطونها أكلت السنبيل وتقيأت واستطلقت ، واذا جرح اللقلق دأوى جراحه بالصعتر الجبلي ، والثور يفرق بين الحشائش المشابهة في صورها ويعرف ما يوافقه منها فيرعا وما لا يوافقه فيتركه مع نهمه وكثرة أكله وبلادة ذهنه ومثل هذا كثير ، فإذا كانت الحيوانات التي لا عقل لها ألهمت مصالحها ووافقها كان الانسان العاقل المميز المكلف الذي هو أفضل الحيوان أولى بذلك وهذا أكبر حجة لمن يعتقد أن الطاب انما هو الإلغام وهداية من الله سبحانه خلقه ، وبالجملة فإنه قد يكون من هنا وما وقع بالتجربة والاتفاق والمصادقة أكثر ما حصله من هذه الصناعة ثم نكاثرت ذلك بينهم وعرضه القياس بحسب ما شاهدوه وأدلتهم إليه فطهرهم فاجتمع لهم من جميع تلك الأجزاء التي حصلت لهم بهذه الطرق المتقنة المختلفة أشياء كثيرة ثم انهم تأملوا تلك الأشياء واستخرجوا عليها والمنايسات التي بينها فتحصل لهم من ذلك قوانين كلية ومبادئ منها يتبدأ بالعلم والتعليم وإلى ما ذكره منها أولا ينتهي فعند الكمال يتدرج في التعليم من الكليات إلى الجزئيات وعند استنباطها يتدرج من الجزئيات إلى الكليات اه

هذا ما اصطفته من كتب المتقدمين وقد ظهر منه أنه ليس لمن قبيل اليونان طب ذلك لأن سلسلة التاريخ الطبي لم تظهر بين الأتنيين في التاريخ فانظر ماذا جرى . الذي جرى أن مدرسة الطب المصرية قد ضي لها منذ تأسيسها (١٠٠) سنة وصادف أن ذلك وقت طبع هذه السورة أى قبيلة قليل والأمة المصرية أكثر عددها فوجب توسعة المدرسة فهناك أخذت الحكومة تبني لها بناء جديدا واجتمع مؤتمرا طبي لهذه المناسبة ووضع الحجر الأول بحضورهم ، وهذه المناسبة كتبت الجرائد المصرية تاريخ الطب قرأت أن ما كتبه الآن ليس أول الطب في العالم المعروف بل ظهر أن قضاء المصريين كان الطب عندهم منذ آلاف السنين مشابه للطب الحديث الآن كل المشابهة ، فينا نرى هؤلاء الأطباء الذين ذكروا هنا لازالون ينتقدون الطب من الرؤى في المنام ومن التجارب إذا قضاها المصريين قبلهم بألاف السنين قد وصلوا لما وصل اليه الناس الآن ، فهناك ما جاء في إحدى الجلات العلمية بتاريخ (٢٠) ديسمبر سنة (١٩٢٨ م) و ٨ رجب سنة (١٣٤٧ هـ) وهذا نصه (شكل ٦)



(شكل ٦)

﴿ مخطوطات هيرغليفية ﴾

«منقولة عن ورقة البردى المعروفة بورقة (اير) التي اكتشفها العلامة (جورج اير) سنة ١٨٧٥ ويرجع تاريخها الى سنة ١٥٥٠ قبل الميلاد وهي تبين أول أقر باذين عرف في تاريخ العالم ، فالى العيين إحدى عشرة وصفة لعلاج التهاب القرنية المصحوب باقران ويحتوي على مرهم (فريدجيري) ويعرف بالمرهم المصري ، ومن محتوياته بذور خضرة تنبت في الوجه القليل واكسيد الرصاص وعسل بكميات متساوية ، وفي الوسط أربع وصفات لطرد الديدان من الامعاء تؤخذ في مدة أربعة أيام والى اليسار ثلاث وصفات لعلاج الاسهال تحتوي على عنب وعسل وبصل وثين ورمصاص أخضر (١) ودقيق وزلال بيض ، والقراءة من العيين الى اليسار»

وقد جاء في دائرة المعارف البريطانية أنه ثبت من علم الآثار أن الكهنة المصريين القدماء كانوا قسمين الأطباء والصيادلة على نحو ما هو جار الآن وأن بابل نقلت منهم هذا التقسيم واستمر الحال الى يومنا هذا حيث يصف الطبيب الدواء فيحضره الصيدلى وكلاهما يفهمان بعضهما ، ولا يمكن للغريب عن هذه الدائرة فهم مخطوطاتهم حتى يقول العامة «خط الطبيب لا يقرؤه سوى الصيدلى» يقول العالم ذلك وهو

متعجب ويحتمل أن يتمكن من حل هذه الألغاز ويقصد إلى من يعرف القراءة جيدا ولكن على شجر جدوى لأن الأخير يشجب بدوره لعدم إمكانية قراءة الوصفة ، هكذا كان الأطباء من السكينة القدماء يكتبون وصفاتهم على ورق البردى الى الصيدالة من السكينة أيضا الذين يحضرون بدورهم الدواء لمرضى ، والمرضى بين الاثنين مدهول فشا عن ذلك الاعتقاد بأن السكينة يهه ابون بالسحر اه

إن الله عز وجل قد أذن لهذا التفسير أن ينال حنا عظيما . فبينما نحن نقرأ في كتبنا القديمة أن الطب كان مبتدئا في أزمان قديمة إذا جئنا مدرسة الطب المصرية قد قُربت البعيد ونشرت هنا النصوص المصرية القديمة مع نصوص الأدبية . إذن علمنا أن العلم قديم وتام أيضا وهذا يفسر قوله تعالى - وكل شيء عنده بقدر - وقوله - والذى قد فرهدي - وقوله - الذى خلقنى فهو يهدين -

ولما وصلت الى هذا المقام حضر صديقى العالم الذى اعتاد أن يسألنى في الامور الهامة فقال هأت ذا ذرت أقوال الأطباء المتقدمين من أم اليونان والاسلام . ولما عثرت على أن الطب أقدم من ذلك أظهرته فها هذا التطويل ؟ فهل التفسير أصبح تاريخا للعالم ؟ إن هذا لشيء عجب . اللهم إن هذه الطريقة بما يزهده القارئ في القراءة فيقول انه بأذى مناسبة يعطيل الشرح والقول ويخرج القارئ عن المقصود من الكتاب الحكيم . فقلت لنفسي ما يقول الله هنا . إنه يقول على لسان ابراهيم عليه السلام - الذى خلقنى فهو يهدين * والذى هو يطعننى ويسبقنى * وإذا مررت فهو يشفين - ثم أتبع هذا بالموت والبعث . فهذا «سنة أحوال» (الخلق . الهداية . الطعام . السقي . المرض . الشفاء) أما الخالق فقد تقدم في أول سورة المؤمنين . يقول الله تعالى - ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين - فذكر الخلق (٦) مرات وقال في آية أخرى - إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه - فالخلق وهى الحال الأولى ملازم الابتلاء والاختبار مع الاخلاط لأن الانسان مخلوق هو والحيوان والنبات من عناصر مختلطة وكل مركب متوقف على كل جزء من أجزائه وهذه الأجزاء دائما في الزوال والتجديل . ألا ترى رعاك الله الى ما تقدم في (سورة النور) وكيف استبان هناك أن هذه الأجسام كلها راجعة الى الجوهر الفرد والجوهر الفرد يرجع الى كهرباء سالبة وكهرباء موجبة أى أن العوالم التى نعش فيها ومنها خلقنا ماهي إلا حبيبات مضيئة نورية كهربائية سالبة تجرى حول الموجبة وتدور كما تدور الكواكب حول الشمس وذلك بسرعة ملايين في الثانية الواحدة فأقرأه هناك محققا فأشبهت في نورها وفي سمرها أحوال الكواكب السيارة الجاربات حول الشمس وهذه القطب الضوئية الجارية بعضها على بعض من سالبة وموجبة باختلاف أبعادها وسرعتها وكميتها تختلف العناصر المركبات منها كالحديد والنحاس والذهب والاكسوجين والاوروجين وهكذا مما وصل عدده الى (٨٠) فأكثر . هذه هى العناصر وهذه هى التى خلق الله فيها أجسام الحيوان والنبات وخلق الانسان من أمشاج كما خلق كل نبات وكل حيوان . إذن الانسان مكون من أشياء قد خلط بعضها ببعض والجسم والعقل فيه مرتبط بهذه البنية . لذلك ترى الله كما جعل خلقه أخلاطا وضع فيه وكل حيوان نوعا من الهداية والهداية مقطرة بقدر على مقتضى الحاجة . فإذا كان النبات من أخلاطه هداية تخصصه كما في إلقاحه ونموه (انظره في سورة الحج وغيرها) وإذا كان الحيوان أرقى من النبات والانسان أرقى من الحيوان فانك ترى الله أرقى مما قوى باطنة قطرية فطره عليها . مثال ذلك الاحساس بالجوع والعطش والمرض والخوف من العدو والغيرة من القرين والحدس والغيظ والحب والشبق وبالثلث وبالفضح . كل هذه عواطف خلقت مع أنواع الحيوان تقل وتكثر على حسب الحاجة ولولا هذه الاحساسات لم يبق حيوان ولا انسان على الأرض . أفلا ترى أن هذا الاحساس المتوقع الى هذه الأنواع هداية . هذا هو معنى قوله تعالى هنا - الذى خلقنى فهو يهدين - فعبء الفاء إشارة الى أن الهداية مقترنة بالخلق ملازمة له ملازمة تامة . فالخلق من المركب يلزمه هداية حفظ هذا المركب ولذلك نجد لكل حيوان يحس بالم الجوع والم

الشبق وآلم العطش وآلم الأرض . فلماذا هذا ؟ هذا لحفظ ذلك المركب فان لم يكن هذا الألم أو هذا السوط المؤلم أو هذه المقامع من حديد تساق بها النفوس الى حفظها معاشت فهذا والله عذاب أريد به الرحمة وشقاء أريد به النعيم وذلك أريد به العزّ وهانئة أريد بها الاكرام . إن العوالم التي في أرضنا ناقصة بالنسبة لعوالم أخرى والله لم يسلط عليها هذه الآلام نكالية بها ولا ذلّالا لها ولكن سلطها عليها ليحفظ كيانتها ويجعل لها حياة ولم يكن من الممكن بالنسبة لها أن تخاطب بخطاب أظف من هذا لتبتدى به . فهذه المؤلمات هي اللغات الإلهية التي ليست بحرف ولا صوت ركب في طباعها وغرست في نفوسها تهادى بها الى المطامع والمشارب والأدوية . هذا هو معنى قوله تعالى - الذى خلقنى فهو يهدين -

فلما سمع ذلك صاحي قال لقد والله شرحت صدرى . ما أجل العلم . هاأنذا أصبحت بعد هذا أقرأ في الطرة وفي الجبل وفي الانسان علوما هي أمامى مكتشفة ولكنى لم أفك طلاسمها ولا رموزها ولكنى الآن أخذت أفك رموزها وطلاسمها وقد طهر لي أن هذه الدواب وهذا الانسان فضلا عن مساعدة الجميع بعضهم لبعض هم صخائف منشورة تقرؤها نفوس أعلى من نفوس أهل الأرض فان هذا القول يظهر لي أن وراءه ماهو أعلى منه وأجلّ وأبهج وأشرف مخبوء لم يظهر لنا معاشر بنى آدم في الأرض فأرجو أن تتم القول فانه جليل وهو حقا في نفس القرآن وفي نفس الآيات في هذه السورة . فقلت الحمد لله الذى شرح صدرك لما اقول واتى أشعر أن ماترضاه أنت يرضاه جميع أحبائي قراء هذا التفسير ويشعرون بما تشعر به أنت شعور سعادة ومحبة وسرور فلا تتم هذا المقام فأقول والله المستعان

إن الهداية في الآية على ﴿ قسمين ﴾ هداية فطرية وهداية تعليمية ، فأما الهداية الفطرية فهي ماقلته لك من الجوع والعطش وماتلاسمها ، وإما الهداية التعليمية فاتها تظهر أولا في الحيوان وترتقي في الانسان . وأضرب لك مثلا الغراب انه من أكلة اللحوم فان لم يجد بها حية أكل اللحم وهو يأكل السرد والفراش والخنافس وصغار الحيوان وقد يسرق عش الطائر مع أفراخه الزغب ويخطف قطعة الجبن ولقمة الخبز وهو جبان وإذا صاح أحدها اجتمعت منها جماعات كثيرة وهو يوم مبكرا ، كل ذلك بغريزة فيه . فانظر ماذا ترى ، تراه يعلم صغاره الطيران فهو يأخذها خارج العش ويطير بها . ههنا أمها الذكي وصلنا الى المقصود وهو أن الحيوان ارتقى بعضه طبقا عن طبق حتى كان منه ماوصل الى درجة في بعض شؤنه استعملها الانسان . فاننا نشاهد الضباط يمرّون العسكري الكرك والفرّ واستعمال السلاح والمشي والاصطاف . فهذه الدواب لم يقف عنده حد الهداية الفطرية بل أخذ يمرّن صغاره على الطيران كما فتحت الأمم في أيامنا مدارس للطيران

الجراد لا يربى صغاره والعقرب الذكر يموت غالبا قبل وضع صغاره وأنتى العقرب تموت متى قويت أبنائها كما ترى شرحه في سورة المائدة عند آية الغراب . فهذه الدواب لم تأخذ يعلم أى أنه انتقل من الهداية الفطرية الى الهداية التعليمية . الله يقول - ان علينا للهدى وان لنا للأخرة والأولى - فأنه تولى هداية خلقه كلهم فالهداية الفطرية عاتة أما الهداية التعليمية فهي التي جعلت خاصة وترى مثلها في الغراب . ومثلا آخر في النمل فقد تقدّم في هذا التفسير أن الخملات الصغيرة اذا كانت في شرنقتها (فياجتها) وأرادت الخروج منها عند تمام مدتها حضرت لتجدها واخرجها الخملات الكبيرة كأنهن الأطباء أو القابلات فيمزقن الأربطة التي تستعصى على صغارها لتخرجها من محبسها كما تساعد القابلة الأم في استخراج جنينها من رحمها

فلما سمع صاحي ذلك قال أنا الآن عرفت الفرق بين الهداية الفطرية والهداية التعليمية ولكن أرى الفرق بينهما عسرا فما المانع من أن يكون تعليم الغراب لابنه الطيران غريزة أى فطرة تعليمية . فيأيت شعري ما الفرق بين الغريزة والتعليم هذا مالا أتقبله . فقلت له ان الفرق بينهما عسر كالفرق بين الحيوان والنبات فانظر في سورة الحج وفي غيرها تجد عند قوله تعالى - فتصبح الأرض مخضرة - أن الفرق بينهما

عسر كذلك الفرق بين الثريزة والتهام عسر دقيق وإنما قلنا أن نقول إن هناك ارتقاء عن الثريزة شيئاً
يبتدئ ذلك في الحيوان ويرتقي في الإنسان وكلما كان الإنسان أرقى كان أكثر تعقلاً وفضل باختياره ولم
يتشكل على غير ربه . إن الإنسان كما أعطي غريزة كالحيوان ارتقى ونال هداية أعلى من الغريزة وهذه
الهداية تبتدئ في طعامه وشرابه ولباسه والهواء والضوء . فالتاس غرقوا في الهواء وفي الضياء واحتاجوا
إلى الماء وإلى الغذاء وإلى الدواء فهم في ذلك كالحيوان ولكنهم لما كانوا أرقى تركبوا أنعطوا قوة عاقلة وهذه
القوة العاقلة سلطوا على أنواع النبات التي تعد ثبات الألياف وعلى أنواع الحيوان التي تعد بأكثر من ذلك
فصرفوا ما ينفعهم وما يضرهم وأخذت الأم القديسة جميعها تنظم لئلا يمر بون وحدهم بل هناك أم وأمم تعلم تقل لنا
أخبارهم وصلت إلى مالناهم . وتنعصر الهداية العالمية عند جميع الأمم في ﴿ قسمين ﴾ قسم حفظ الصحة
وقسم مداواة المرض . فأما قسم حفظ الصحة فهو ﴿ نوعان ﴾ نوع يختص بالطعام والشراب والهواء والماء
وهذا تقدم في (سورة طه) عند ذكر آدم فأقرأه هناك وتدره نوع متمثل لك

- (١) مثل المحافظة على نظافة الجلد بأن يستحم مرة في الأسبوع شتاءً وصيفاً
- (٢) ومثل أن يغسل الإنسان يديه بالصابون قبل الشروع في غسل عينيه ووجهه وقبل تعاطي الغذاء
- (٣) ومثل أن يغسلهما بعد الفراغ من الأكل وبعد لمس أي جسم غير نظيف وبعد الاستيقاظ من النوم
- وقبل إرادة النوم ، كل ذلك بالماء والصابون فإنه يبعث في الجسم نشاطاً وانسراحاً
- (٤) ومثل غسل القدمين بالماء والصابون صباحاً ومساءً كذلك يغسل ما بين الأصابع ويرزبل ما بينا
- من الأقدام

- (٥) ومثل أن شعر الرأس يجب غسله كل اسبوع بالماء والصابون
- (٦) ومثل أن تقلم الأظفار ثم تغسل الأصابع بعد القص بالماء مع القليفة أو تحوها لازالة (التف) أي
- القذر تحتها

- (٧) ومثل غسل الأنف وتنظيفه وأنه لا يجوز نشف الشعر الذي فيه أوقسه فإن الله خلقه لصحة أبداً نافعاً و
- يضعف تبارك الهوا إذا كان شديداً

- (٨) ومثل أنه لا ينبغي إدخال الأصبع في الأنف لأنها عادة رديئة وأنه عند التخطئ تسد إحدى فتحتي

- الأنف ليخرج المخاط من الأخرى عند نفخ الهواء ثم يعاد ذلك بعد الثانية وفتح الأولى

- (٩) ومثل العناية بالأسنان وتنظيفها بحيث تغسل بالماء والصابون قبل الأكل وبعده ثلاثاً في بعض

- الفضلات فتضر وتعقب أمراضاً لا قبل لنا بها . ويستحسن التنظيف بـ (عجوة السواك) (والفرجون) بعد غمسه

- في بعض العقاقير عند الصيدلة ويكون ذلك التنظيف بالعقاقير مرتين في اليوم عند الاستيقاظ من النوم وعند

- الذهاب إلى الفراش . هذا كلام الأطباء وديننا أمر بأكثر من ذلك بحيث يكون الدواك عند كل وضوء

- وعند كل صلاة وهكذا . ويجنب تكسير الأجسام الصلبة بالأسنان ثلاثاً تنف ويدخلها السوس

- (١٠) ومثل تنظيف الأذن من الخارج بالماء والصابون والأفضل أن يكون الماء (دقيقاً) . ولا ينبغي

- استعمال أجسام صلبة في تنظيف الأذن هكذا لا يدخل جسماً غريباً كالخشب أو قطعة من الخشب

- (١١) ومثل أن يفعل بالعين ما يفعله بالأذن فيغسل بالماء والصابون ثلاثاً يضع الدواك يبيض فيها .

- فليغسل الإنسان وجهه ويديه كل يوم مرتين بالماء والصابون ومعلوم أن الضوء يتكرر وهذه نعمة إسلامية

- عظيمة . ومن العجب أن عناية ديننا الإسلامي بالصحة أرقى من عناية الأطباء

- (١٢) ومثل أن وضع السكحل في العين مضره ومثل أن من ينام على فراش أرمد يصيبه الرمد سريعاً

- ومثل أنه إذا دخل جسم غريب من ذرات التراب في العين وجب غسلها بالماء الفاتر مرات كثيرة بعد اغتلاؤه

فان لم يتيسر اخراجه بهذه الطريقة فليذهب الانسان حالا الى الطبيب

﴿ من بدائع عجائب الاسلام في الطب « السواك » ﴾

أيها المسلمون . هل كان منا أحد يظن اننا في القرن العشرين نرى دين الاسلام الذي ظهر في جزيرة العرب التي لا علم فيها ولا ملك ولا دين ولا مدنية ولا كتابة ولا قراءة تظهر آثاره ظهورا بينا في المستشفيات ومدارس الطب وكشف العلماء . ومن ذا الذي كان يخطر له ذلك . أيها المسلمون نحن كنا في الجامع الأزهر نحضر اللروس على شيوخنا وهذه صفحة مما قرأناه من كتاب المنهج مع شرحه وحاشيته في مذهب الشافعي ملخصا قال مالمخصه ﴿ إن الاستياك سنة لأن النبي ﷺ يقول « السواك مطهرة للفم » ويسن أن يكون ذلك الفعل في عرض الأسنان لقوله ﷺ « اذا استنكتم فاستاكوا عرضا » ويجوز أن يكون الاستياك طولا وهذا في الأسنان . أما اللسان فسن في الاستياك طولا وتكون آلة السواك مادة خشنة كعود الارك وجريد النخل والرزق وكل ماله ريع طيب ثم بقية الأعواد وهذه يفضل فيها اليابس المنقى بلقاء ثم المنقى بماء الورد ثم المنقى بالربق ثم الربط ثم اليابس غير المنقى . ويقال إن اليابس غير المنقى مقدم على الربط لأنه أقوى في إزالة التغير ﴾

﴿ فوائد السواك ﴾

انه يبيض الأسنان ويزيل قلعها ويثبتها ويطيب النكهة ويشد اللثة ويزيل رخاوتها ويصفي اللخلق ويفصح اللسان ويزيد في العقل ويذكي الفطنة ويحسن اللخلق أي لون البدن ويقسم الصاب ويقطع الرطوبة من العين ويحذو البصر ويطعم الشيب ويسوي الظهر ويرهب العدو ويصلب اللحم ويضاعف الأجور ويرضي الرب ويسخط الشيطان ويزيد في ثواب الصلاة ويغني الأموال ويقوى القلب والمعدة وعصب العين

﴿ أوقات السواك ﴾

هو مؤكد في مواضع وهي الوضوء والصلاة وتغير الفم والقراءة ودخول المنزل وإرادة النوم واليقظة . ومن الأحاديث الواردة في السواك خبر ابن خزيمة ﴿ لولأن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل وضوء ﴾ وحدث الشيخين ﴿ لولأن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة ﴾ أي أمر إيجاب . وحدث الشيخين أيضا ﴿ كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك ﴾ أي يدل عليه به . وحدث مسلم ﴿ كان النبي ﷺ إذا دخل البيت بدأ بالسواك ﴾ انتهى

هذا ماجاء في دين الاسلام من الحديث على السواك . فلننظر الآن في الكشف الحديث ، من عادة طلاب العلم الديني في العالم أن بعضهم يعمل بأوامر دينه والأكثر من ينصرفون عن بعضها كالسواك لأنه ستة سنة والعقاب عليها وقد كنت أنا أنساهل في أمر السواك ولا سيما لما صرت مدرسا في المدارس الأميرية ، ثم أتت يوما توجهت الى مدرسة الوعظ والارشاد التي ألقاها الشيخ رشيد رضا فلما دخلتها وجدت المرحوم الدكتور صديق يعطى درساً وفي يده كتاب باللغة الفرنسية وهو يترجم والتلاميذ يكتبون فسمعتة يقول وهذه الشجرة تسمى شجرة محمد عليه الصلاة والسلام (يريد بذلك شجرة الارك) وأخذ يشرح المقام شرحاً وافياً ، يقول ان مؤلف الكتاب يفضل في السواك شجر الارك على القرفة المعتادة ، وهذه الشجرة يسميها الفرنجة شجرة محمد ﷺ لأنه أمر أمته بأن يستاكوا بأعوادها . هنالك استيقظت من غفلتي وقلت يا لاجب ، علم قرأناه ثم أهملناه جهلاً بجزايه ومن ذلك الوقت أخذت أواظب على السواك ثانياً . والأهم من ذلك ماجاء اليوم في الطب الحديث فاسمعوا ما يقوله الأطباء في عصرنا جاء في مقال طبيب عجيبة (الجديد) ماهذا نصه

خطر لا يفتن إليه كثير

(هل للأمراض الباطنية علاقة بأمراض الفم ؟)

(للدكتور يوسف زكي)

قد يدهش القارئ إذا عرف أن بعض جهابذة الطب يطبلون من بعض مرضاهم أو بالأحرى من معظمهم أن يزوروا طبيب الأسنان ويأتوا لهم بتقرير منه عن حالة فمهم وأسنانهم ، ويربماترزداد دهشتهم إذا عرفوا أن مرضيهم بالرمد استعصى علاجه على أكابر الأطباء وكاد يهلك الرأس هذا المريض وأن يفقد بصره لولا أن أشار عليه بعضهم باستئصال أسنانه أو بعضها ولم يكذب يفعل ذلك حتى استجاب مرضه للدواء ونال تمام الشفاء .

إن الفم هو أول أجهزة القناة الغذائية وهو العامل الأول في اعداد الغذاء لعملية الهضم فإذا حصل بأجزائه أو ببعضها عطب أضر ذلك بالجهاز الهضمي أو ببعضه وأفسد عمله وربما تعدت ضرره إلى أجهزة أخرى وقد تختلف بالفم بقايا من الطعام تتعفن وتؤذيها جراثيم الأمراض فتتسرب تلك الجراثيم إلى الأعضاء المجاورة كاللحم والخنجر ثم إلى المعدة فتحدث بها الأدوار المختلفة المعروفة ، ثم إن نسبة سرطان الفم واللسان أتا كل الأسنان وتقيح اللثة مثلا أمر معروف مؤكد بل قد ذهب بعض الأطباء إلى أن سرطان المعدة نتيجة لازمة للأمراض التي تصيبها المزمنة التي تعترى اللثة أوخراجات الأسنان ، وأيد رأي هذا بالأدلة الدامغة ثم جاء بعده كثيرون أثبتوا ذلك أيضا . قلنا إن الأعضاء المجاورة للفم هي أول ما يتأثر بأمراضه وتأتي بعد ذلك المعدة فتؤذيها الحادة والمزمنة قد تكون أيضا من أمراض الفم ، وأول من تنب لذلك هو الدكتور (هنتز) سنة ١٩٠١ ونشر ملاحظاته فكان منها أن صار أطباء الأمراض الباطنية يفحصون أسنان مرضاهم قبل كل شيء فإذا بدا لهم أمر ما نصحوا هؤلاء المرضى بمعالجة فمهم قبيل البدء في معالجة أمراضهم الباطنية ، وقد أكد الدكتور (جورني) أن التهابات العلقلة السودية وتقيح الأغور تنسب في الغالب من ذلك القبح المتولد في الفم وأضاف الدكتور (هنتز) على ذلك أن القبح المتولد في الفم يسبب أيضا الأنتيميا الخبيثة ، وإذا وجدت خراجات الأسنان سبيلا إلى الدورة الدموية يحدث منها أمراض القلب مثل التهاب غشائه الداخلي أو غلافه السمي (بالتمور) وقعا يشفي القلب من الأمراض متى تسبب بالمواد القيحية أو العفنة ، ولاننسى هنا أن نذكر أن مرض الرماتيزم والمفاصل بنسبة ٩٠ في المائة تدخل في أسبابه أمراض الفم ، ففي إنكلترا وألمانيا يبدؤون في المستشفيات بعلاج أسنان كل من تقدم إليهم بمرض من أمراض الرماتيزم على اختلاف أنواعها . وأخيرا نقول إن كثيرا من الضعف أو التهابات أو ارتفاع درجة الحرارة أو الخمول قد لا يكون لها سبب غالبا سوى فساد أسنان المريض وفيه . ولانذهب بعيدا إذا ذكرنا في النهاية أن مستشفيات الأمراض العقلية ارتفعت فيها نسبة من نالوا الشفاء التام من (٤٣ في المائة إلى ٨٧ في المائة) عند ما بعثوا بغير أسنان المريض وفيه عناية تامة فيعالجونها بالاستئصال والنظافة التامة وما إلى ذلك مما يعرفه أرباب الصناعة . كذلك زادت نسبة الذين تحسنت صحتهم في المصحات المعدة لمعالجة مرضى التدرن الرئوي (السل) عند ما أخذ الأطباء في إعادة أسنان المرضى اللاتفات المطلوب . ويجدر في أخيرا أن أقول بأنه من السديهي أن يكون لقلة وجود الأسنان بالفم أعنى سقوطها أسباب خطيرة لاضطراب عملية المعدة لأن المضع يصدر إلى المعدة دون أن يكون قد طعن في اللحم طعنا كافيا وبذلك يقل مجهود الغدد المعدية ويصعب عليها أداء الوظيفة على كامل هيئتها فتنشأ الالتهابات البسيطة والتي لا تلبث هذه أن تنقلب إلى حادة . فعلى الإنسان إذن أن لا يهمل أمره وأسنانه بل يجب عليه أن يعرض نفسه على الطبيب إذا ما شعر بأقل شيء فإن ذلك خبر له وأبقى . فإذا تعهد الإنسان فيه بالعسيل وأخرج ما يعلق بأسنانه من بقايا الطعام ونظفها جيدا بالفرشة (أو السواك) عقب كل أكل آمن شرت كثير من أمراض الفم

والأسنان وطرد من فم أعداء كثيرة لا يستهان بها . انتهى
 هذه أهم النصائح التي أعانها أطباء الأمم قديما وحديثا وهي متممات للمحافظة على الصحة التي تقدم بعضها في سورة طه من حيث الطعام والشراب والهواء وهكذا تقدم بعضها الآخر في سورة الأعراف عند قوله تعالى
 .. وكأوا واشربوا ولا تسرفوا - فقسم المحافظة على الصحة التي ذكرنا لك مجمله هنا لأنفتح به أنا وأنت وكل من قرأ هذا التفسير هو المذكور في قوله تعالى - الذي خلقني فهو يهدين * والذي هو يعطيني ويسقين - فذكر الخلق وقد ينهنا سابقا وقد قلت لك ان الخلق تصاحبه الهداية وقلت ان الهداية إما فطرية وأما تعليمية ونحن الآن في الهداية التعليمية والهداية التعليمية كما قلنا ﴿ قسنا ﴾ قسم حفظ الصحة وقد تم الكلام عليها وقسم مداواة المرض . فالهداية في الطعام والشراب المذكورين في الآية قد تقدم الكلام عليها وسيأتي بعد استيفاء هذا المقام شرح الأمراض في قوله تعالى - وإذا مرضت فهو يشفين -
 قد قلنا أن المحافظة على الصحة تكون بالتعليم والتعلم على ﴿ قسمين ﴾ تعليم في تناول كل واحد معرفته وتعليم يختص بتعليمه الأطباء ثم الأمة تبينهم في ذلك

﴿ الكلام على التعليم الذي يختص بعرف الأطباء ﴾

فلأذكر لك هنا منه ﴿ مسألتين ﴾ المسألة الأولى ﴿ في بيان أعداء الانسان في داخل جسمه . وكيف كنا ونحن في هذه الحياة نجد في أجسامنا جنودا مجندة داخلية خارجية تصاف صفوا وتتحارب في داخلها كلنا ولا علم لنا بها . إن في ذكر هذا المقال جلا وحكمة وبيان لما جاء في القرآن من ذكر حفظ الانسان وبيان الهجاب فيه وهي دقيقة جدا فكيف يكون جسمي كأنه دولة وفيها آلاف آلاف الجيوش والجنود المجندة وهي ﴿ فريقان ﴾ فريق معي وفريق علي وهذه الجيوش لاتقتل في حرب وضرب أمدا للحياة فهي في حركة دائمة ومد وجزر تشابه في سرعتها سرعة النور والكهرباء التي خلقت منها أجسامنا وأجسام نباتنا وحيواننا - إن الله بكل شئ عليم - وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر - ﴿ المسألة الثانية ﴾ ما جاء في قانون الصحة من رسم البودة الوحيدة ورسم عضلات لحم الخنزير التي تحوي هذه البودة ورأس البودة الوحيدة ، وكيف عرف هذا قديما المصريين قبل نزول القرآن فحرموا أكله بقصة اخترعوها وهذا من أعجب الهجاب في أسرار ديننا الاسلامي . إن في هذا القول حكما بديعة . اللهم إني أجدك على نعمة العلم . أرينا ياربنا العلم عيانا . حرمت في القرآن لحم الخنزير فتركه المسلمون وإن لم يتركوا الخمر ، وهل كان يدور بخلد أحد في العالم أن علماء الأمم الآن يرسمون لحم الخنزير والبودة الوحيدة فيه ، وهل كان يمر بخلد امرئ في الأرض اننا نسمع أن أمما قبلنا بألاف السنين حرمت الخنزير كالأمم المصرية ، وهل كان يخيل لأحدنا أن لله جنودا مجندة تروح وتغزو داخل أجسامنا فنها الهلابة ومنها المدافعة . اللهم إن هذا توحيد وعلم ثم طب وبه تفهم قوله تعالى - فهو يهدين - فهو كما هدى أناسا بصيحة الأطباء ففسدوا وجوههم وأيديهم ونظفوا أسنانهم هكذا هدى الأطباء فتوغلوا في العلم وعرفوا أسرارها هي عنها أسرار الاسلام . إذن فلأذكر لك المسألة الأولى من المسألتين المذكورتين ليشرح صدرك بالعلم والحكمة والطب لحفظ الصحة ، فهناك ما جاء في إحدى المجلات العلمية في ٢١ أغسطس سنة ١٩٢٧ م وهذا نصه

﴿ الوفاة أفضل من المعالجة ﴾

(أعداء الانسان)

للدكتور شخاشيري

أما أعداء الانسان فهي المكروبات التي ان أصابت الجسم أحدثت فيه مرضا يعرف نوعه من الأعراض

والنقير التي تنمو على الجسم بسببها ، والأمراض المعدية وأسبابها وطرق الوقاية منها هي التي أخذت عنها الآن وتنتقل هذه الأمراض من المريض المصاب بها إلى السليم إما بواسطة الهواء أو الماء أو الحشرات أو الطعام أو باللامسة وأسبابها جميعا المكروبات . ولكل مرض مكروب خاص كما أن لكل شجرة فضيلة خاصة وهذه المكروبات صغيرة جدا لاتراها العين المجردة وإنما ترى آثارها ومناقله في الأجسام من آلام وتدمير وقد يختلف عدد الميكروبات في الهواء الذي تنشقه باختلاف المكان فإذا كان المكان مزدحما بالناس كان عدد المكروبات فيه كبيرا بسبب انتمهم للتراب ولهذا السبب يكثر المكروب في هواء المدن ويقل في هواء القرى وإذا كان المكان المأهول بالسكان خاليا من معالم النظافة لأمصلحة الرش والكس والساكن فيه يبذل جهدا ولو قليلا في تنظيفه ولاشك أن المكروبات تخوفه بكثرة هائلة . وتكثر المكروبات في الأماكن المنخفضة بنوع خاص لأن الهواء فيها غير طلق كما هو طلق في الأماكن العالية ولأن نور الشمس لا يدخل إلى جميع أجزائها وانك تراكم فيها المكروبات العفنة فتحدث بحسب ميزتها التخم والتخمر وتبعث منها رائحة كريهة . وأما في المياه فتكثر المكروبات في الراكد منها كالتي في البرك وفي الجداول الصغيرة ، ومن الضروري أن تغلي المياه المشوبة أو المشبهة بسلامتها من الأدران . وفي التراب توجد مكروبات وفي الأقدار كذلك وعلى جلد الانسان وفي فمه وأعضائه . وإذا علمنا أن المكروبات موجودة في كل مكان بقيم فيه انسان أو حيوان استطعنا أن ننصّر نطاق هؤلاء الأعداء الواسع وشدة حرصهم على الاشتباك بفرسهم واستعدادهم للفكك بها في كل ساعة وحين ولكن لحسن الحظ انه ليس كل هذه المكروبات خطرة أي ليس كل هذه الأعداء تحدث مرضا وإنما فيها ما هو نافع ووجوده لازم وضروري للحياة الحيوانية والنباتية . ولولا هذا الأمر لانعدمت الحياة في مقاومتها والتخلص منها

يخلص لنا عما تقدم أن الانسان مهتد بأنواع من المكروبات التي تنشا عنها الأمراض المختلفة وأن للبيئة والعناية بنظافتها شأنًا عظيم الأثر في تقليل هذه الأمراض واضعافها ، ومن هذا يتبين كم هولان أن نعمل بنص القول المأثور « درهم وقاية خير من قنطار علاج » وأن التوقي من داء خير من التعرض له مع وجود من بداويه ، وأنت تعلم أن ما تكايده من العناء وتبذله من المال في سبيل الوقاية من الأمراض هو أقل بكثير مهما عظم قدره من الاكلاف التي تدفعها على التداوي والمعالجة فضلا عن التي يدفعها جسمك ويظهر تأثيرها في بعض أعضائه ، وإذا تصورت عدوا قدام عليك يريد أن يفتصب منك الذي تملكه من مال ومتاع فهل تنتظره إلى أن يصل إليك ويمد يده إلى متاعك فتتهض للدفاع عن مملكتك وكأنك أم تعد عدوك وتستعد لقائه قبل أن يشرف عليك مقدمه ؟ وهل لا ترى انه أسهل عليك بكثير أن تقاوم وتدفع أذاه وأنت مستعته أكثر منك وأنت على غير استعداد . إن الحيوانات تحسن الدفاع عن نفسها ويخاف الضعيف منها القوى فيها وهي بذلك تساق لفرزتها إلى الدفاع عن حياتها وتاموس الطبيعة قائم على قاعدة الأخذ والدفع وبقاء الأصلح والانسان بقطرته الأولى كان يحسن الدفاع عن نفسه وبقي جسمه من تقلبات الجو وطوارئ الحداث على قدر ما وصل إليه فهمه واختباره وعلى هذه النسبة ارتقت مداركه وأدرك اليوم ما لم يكن يدركه من قبل

وعلم الوقاية من الأمراض أفضل بكثير من علم المعالجة والتداوي ويريد منك هذا العلم اليوم أن تنتشروا لواءه في كل مكان وترفعوا علمه في صدر كل انسان . وأمة تريد أن تحيا سعيدة وأن يكون لها القام المحترم بين الأمم هي التي تنشئ بنها على قاعدة حمية سليمة الأساس فتصلح البيئة وتطهرها من جزائم الأمراض وتقتضي على أثر هذه الأمراض في وسيلة علمية معروفة ، في تعليمهم كيف يعيشون وكيف يدافعون عن صحتهم من غواذي الأذى وجيوش المكروبات مرضى سام من أسمي مرابها وغرض جليل من أجل أغراضها وهي الأمة التي يحق لها أن تعيش وأن يطيب لها العيش . وأنت تعلم أن للجسم أعضاء رئيسية كبرى وثانوية

صغرى واسكل عضومنها عمل خاص به كما ان لهذا العضو وظيفة يقوم بها وحده فهو من ههنا بلوجه حاصل على الاستقلال التام وحده أوفر من حظ الشعوب الصغيرة التي تفقد الاستقلال وتتقوى به ولكن لانسان أن استقلال اعضاء الجسم انما هو استقلال ذاتى فهي تشغل مستقلة ولكنها في مجموعها تعمل على مصلحة الجسم كله وانما تعمل بمفردها لمصلحتها ومصلحة المجموع وهما نظام متميز وتريدك أن تشترمه لأن الاخلال به يشوش على ذلك العضو عمله أولا وعلى سائر الأعضاء ثانيا . فاذا أفتات على معدتك بالأكل القلطي مثلا والشرب البذير . وأكملت من غير نظام ولا ترتيب و بلا انقطاع أى استمررت فى الأكل والشرب من غير أن تحسب أن لهذا العضو الأسين نظاما وأن له قوة محدودة على الهضم وأن له دائرة وحجما لا يتعداهما وليس في وسعه أن يتعداهما تكون النتيجة اسداث الخلل فى نظام الجهاز الهضمي والارتباك فى وظيفته وتشعرك المعدة بالأم التكدية وتحس بصداغ وعسر بالتنفس وتوعك وانحراف ونفور من أهلك ومعارفك وتصبح كأنك بمنزلة نائمة عن الناس جميعا لا يشفلك عن الافتكار بمعدتك أحد منهم

فقليل من العناية والنظام فى نوع الطعام ومواعيده يهلك من هذا التبع ويدفع عنك أمراض التخمجة وتظل معدتك على ولائها كما وجدت أن تكون (كذا) ولو اقتصرت اضرار الاخلال فى نظام هذا العضو على ما تقدم فقط لكان الأمر وكانت الاساءة قصيرة المدى وانما تمتد اضراره الى ابعد من التخمجة والتلبك وفى الغالب أن من أهل القاعدة الصحية ولم يكن له نظام صحى فى معيشته يكون عرضة لأمراض معدية وخبيثة العاقبة عليه فليك قبل أن تأكل وتشرب أن تفصل يديك ووجهك وفك وهذا يدفع عنك أسطارا عظيمة الأثر والذي يهمل هذه القاعدة أهمل النظام كله فياكل كل ساعة ويشرب دائما لا يفصل يديه ولا فة لافى الأكل ولا بعده ويسخر منك ان رآك تفصل يديك قبل أن تجلس الى المائدة فتجد هذا المهمل شاكيا مريضا لأنه فى عدم غسل يديه قبل أن يتناول طعامه يرسل مع الطعام بعض الميكروبات والجراثيم الى معدته ومنها تجد هذه الجراثيم طريقها الى الدم وتبدى إذ ذاك تأثيرها بعد مدة قصيرة . ومن عود نفسه على الخلطاف أراح جسمه وفتره من مشاق وأهوال لاسر كما غير الخبير . وأرجو أن لانكون اختبرتها بعد ولن نحترها فى مستقبل أيامك ولا يذهب عن البال أن للجسم جنودا جراء وبضاء متنوعة ، وهذه الجنود وظائف تقوم بها فى أمانة وإخلاص لاضريد عليها مستريذ وليس لها غرض من وجودها غير الدفاع عن مجموع الجسم فهى أشبه بالأساطيل السابحة على الماء والجنود القائمة على حراسة الأمة وربما يصدر عن هذه الجنود المسلحة بض التواني والتلكؤ فى الواجب الملقى على عاتقها . أما جنود الجسم وأساطيله السابحة فى دمه فلا تعرف للتواني معنى وليس للحياة سبيل الى عقيدتها فهى تحت السلاح فى الخدمة العامة دائما وفى كل وقت لاهدية ولاهوادة فى عملها . ولنقرض انك أصبت بجرح فى أصبعك فإذا ترى ؟ ترى أن هذه الأمينة فى حركة غير عادية هى أقرب الى حركة حرب منها الى حركة سلم فتشاهدها حاجة على محو الإصابة خفافا وسراا حتى أن نرم الجرح وترغم أحيانا أن كان الجرح بالغا الى الخروج منه ، وفى تم هذه الجنود الكشافة الثبات فى محل الإصابة تقدم الى هذه الساعة لاساعها جنود أخرى للناضة والدفاع عن هذه الساحة ومقاتلة الميكروب والجراثيم التى تريد احتلال الجرح واحداث الالتهابات فيه فتنبش المعركة بين هذه الجنود والميكروبات والغلبة تكون للأقوى كما هو منتظر فإذا كنت بحالة حسنة تراعى بمعيشتك النظام الصحي فلا خوف على جنودك من الغلبة واحراز النصر وإذا كنت نسيه الى معدتك فتأكل من غير نظام وتشرب غير الماء النقي وتعرض جسمك الى مناعب غير لازمة فنصيب جنودك الفشل بالارب

بعد هذا العهد الاجالى أخذتكم قليلا فى إنجاز عن بعض الأدوية المنتشرة فى القطر و لاسيا فى الارباف وطرق الوفاة منها ، وأول هذه الأدوية هو داء الرهقان المنتشر انتشارا هائلا وكان لا يتجاوز عنه بيت من بيوت المدن

واقترى والكفر والفرقة فانه غير السمين . جلا وامرأة واتى وقتا وطول وقلة من كل واحد منهم
أى ان سمين في الماء من سائر الألياف صبايون به يتألمون . وأسبابه ديا ان يدخل الجسم من التمعج
الماء أو من الطعام فيستقر في الماء الدقيق وتتسكنا فيه وتنامى لصاب دمه وغداه وأسباب قوته بل حياته
فاظن في مجانب صميم الله وتسكر في الحلق العلية والطينة ، واعلم أن التهاون بأمر الصحة ولو في أمر
ضئيل يوجب اسراع الداء ، فاظن ما جاء عن نفس هذا الطبيب وقده في ٢٩ مارس سنة ١٩٢٨ م

حفظ الوقاية أفضل من المعالجة أيضا

(داء الكزاز)

بينما كان أحمد حسن عبده المقيم في القياس بالروضة أخذنا مهام عماله الذى يعيش وأولاده منه عشر سمسار
اخترق باطن قدمه الخبيث حول الإبهام الأكبر مدى ثلاث سنتين تراشد قد يده وهومن الأشداء واقترع السمسار
من قدمه وظل متبارا على عمله كأنه لم يحدث له شيء إلا انه شعر بعقد مضى خمسة عشر يوما على الحادث أن
يمحصل فكه نيبسا وأن هذا التيس امتد الى عنقه فأصبح غير قادر على فتح فمه وغير قادر على تحريك عنقه
أو ثوبيل وجهه من ناحية الى أخرى وعاده الطبيب ووصف له دواء وحقا ، ولما لم يزل الداء ولا الحلق مابه
من تيس قصد في اليوم الثاني عيادة طبيب آخر فلم يجده ، وفي اليوم الثالث اظهر الأعراض عاده طبيب آخر
وكانت أعراض التيس أو (داء الكزاز) قد ظهرت على أشدها لاني الفك والمثاق قطع بل في سائر الجسم
فوصف له الحقن بالمصل المضاد لهذا المرض وحقته بالوريد أولا وبالمفصل ثانيا ، ولكن اذا انتشر سم الداء في
الجسم انتشارا مالاك به عليه ارادته في تحريك المفاصل والأطراف قلما يجدي الدواء في مغالبة الداء فقلما تعادل
قوة الدواء قوة الداء اذا خسر الجسم المعركة الأولى وفقد اسباب المقاومة والدفاع الكاملة فيه فقتضى المرض
على أحمد وذهب ضحية امهال وعدم أكثرته للجرح الوحشى الذى أحدثته السمسار في باطن قدمه وذهب اهتمام
اهله وذويه واهتمام الأطباء وما استخدموه من دواء في سبيل اتقائه ذهبت هذه الآمال والوسائل العلية أدراج
الرياح . والمرض اذا احتل الجسم اجتلالا تاما صدد عليه منافذ الرجاء من المعالجة والمداواة وأبعد عن امينة
الشفاء. وفن الوقاية على صواب في نظريته ووصاب في الدعامم القائم عليها نظامه هو يقول لأمثال أحمد الذى
ذهب مبكيا عليه من ذويه وأهله تارك زوجته وأولاده على رحمة الأقدار ، فان أصابك جرح وحشى من سمسار
أو غير سمسار فلا تهمله مهما كان في نظرك بسيطا بل اعرض نفسك على طبيب في الحال وهو يتولى أمره ويدفع
عنك خطر هذا المرض والخوف منه ، وأعنى بقولى « في الحال » في الوقت الذى تصاب به بالجرح لاني اليوم
الثاني ولاني اليوم الثالث أو الرابع منه

هأنذا قد رابت ماجرة الاحمال على أحمد من البلاء وأنزل بأهله من الأخران والأكدار ، فاعلم
بصيحتي أو بالحري بصيحة علم الوقاية والله يقيك شر الأمراض ويرجى جسمك من أوصابها ويبعد عنك
وعن أهلك غمة تنجها والسلام . وهذا تم الكلام على المسألة الأولى
(المسألة الثانية) وهي أن لحم الخنزير مضر وأنه يحوى البودة الوحيدة ، ويبان ذلك بالرسم وأن قسما
المصريين عرفوا ذلك ، واليك ما في تاريخ مصر القديم عنه

« صفحة من تاريخ مصر القديم »

(تحريم الخنزير . أصله من الأساطير المصرية)

قال كاتب وجدت الأسطورة التى أترجها فيما يلى في ورقة مما يسميه علماء الآثار « كتاب الموتى » ومع انها تصف

إحدى المارك التي حتى وطيسها بين (حورس وست) أم برد ذكرها فيما كتب عن تلك الحرب على جدران معبد حورس في (ادفو) ولا في موضع آخر خلا هذه الورقة ، على أن الفرسيعة التي ترسمها هذه الاسطورة كانت تمارس في هذا المعبد فيؤتى بخنزير فيقتل في نهاية استقبال كان يقام هناك لإحياء ذكرى انتصار حورس على ست وقوله ، ويؤخذ من نقوش فيه أن العادة كانت قبل هذه الفرسيعة أن تمثل في هذا الاستقبال معارك الحروب فيمثل الملك دور (حورس) ويمثل (ست) رجل من العائلة كان يقتل في ختامه

وواضح أن هذه الاسطورة قد وضعت إذن لإبطال هذه الديانة البشرية وكان وضعها في زمن متأخر عن الزمن الذي وضعت فيه الاسطورة التي تضمنت منظر معارك هذه الحرب المقدسة المنقوشة على جدران معبد (ادفو) فلم تكن معها لهذا السبب . أما كتاب الموتى الذي تؤلف هذه الاسطورة أحد فصوله فمجموعة صلوات وأناشيد وتعاويذ وشذرات من قصص الآلهة وهي في اعتقاد الأقدمين أسرار تقي من عذاب الآخرة فإذا كان لأحدهم ميت فما أن يضع الجرمه أو يكتبه على السفن الذي يلف به هذه الغاية ومن ذلك تسميتها بكتاب الموتى والاسم حديث استحدث علماء الآثار وأولوا الفضل في جمع هذه الأجزاء ومراجعتها وترجيحها . أما اسمها القديم فهو (فصول في التفتيم بحواليوم) أي يوم الدين ، وفي هذا الاسم إشارة غريبة خافية إلى فائدتها عندهم

(حورس) و(ست) خصمان يترى أحدهما بالآخر الدوائر من فرط العداوة والحقد وكانت الحرب بينهما سجلا لا بد أن الآلهة كانت في صف (حورس) وتلك العداوة لأنهما على طرفي نقيض . أما (ست) فخب ختال يعتمد في الحرب على الخديعة أكثر من اعتماده على الشجاعة والخبرة فعنون القتال قراء بلبس لسكل حالة لبوسها ويتشكل بالشكل الذي يراه قينا بأن يضل الناس والآلهة على السواء . وأما حورس فلم يكن كذلك حاشا له أن يقش أو يكون من الكاذبين ، أنه على صراط مستقيم ، ائق والاستقامة من أخص صفاته ، عيناه الزرقاوان لوح مسطور حسب المراء أن ينظر فيها لينكشف المستور ويرى المستقبل ، من أجل ذلك يهرع إليه الناس والآلهة جميعا ليلتمسوا عنده علم ماسيكون ، علم ست مرة أن سيجمع (رع بحورس) للتشاور في بعض الشؤون وألقى ست الفرصة قد سنحت ليضرب حورس ، وكان من تديبه لذلك أن اتخذ هيئة خنزير أسود باون الغمام ذى أنياب حادة طويلة شرس هائل المنظر يلقى الرعب في قلوب الرجال ، وأقبل (رع) على (حورس) وخاطبه فقال « دعني أقرأ في عينيك ماسيكون » ونظر في عينيه اللتين لونهما كالون البحار حينما يكون الفصل صيفا والسماء صافية مشرقة بالنور وبينما هما في ذلك ظهر الخنزير وصرت حذاءهما لكن غم عليهما أمره فلم يظن (رع) أنه إله الشروصاح وهو مأخوذ بروعة منظره انظر هذا الخنزير الاسود أنا ملأ رأيت قط أضخم منه جثة أو أشرس منظرًا ، تلفت (حورس) ليراه فما وقع بيناه هو كذلك ، أن صاحب هذه الهيئة المنسكرة هو (ست) لكن حسب خنزيرا برياً من أدغال الأرض الشجالية وفي هذه الفترة وحورس غافل عن تدبورها تها (ست) فنفخ عليه نارا أصابت في عينه فصرخ من الألم وتملكه الغيظ فصاح « قد قذف على ست نارا أصابني في عيني » وكان ست قد حل نفسه بعيدا واختفى الخنزير الاسود عن الأنظار ولعن (رع) الخنزير من أجل (ست) وقال « ليسكن الخنزير نجسا ومكروها حورس » والناس إلى هذه الأيام كلما بلغ البدر التمام يذبحون الخنزير تشفيا لأن (ست) عدو (حورس) وقال أوزيريس اتخذ هيئة ليلحق الأذى بالإله ذى العينين الزرقاوين ، ولهذا السبب يعتبر رعاة الخنازير في أرض مصر أنجاسا لا يؤذن لهم في دخول المعابد ولا تقبل منهم قرايين للآلهة ولا يسمح لأولادهم أو بناتهم أن يتزوجوا من المتعبدين لله المخلصين له العبادة

هذا ماجاء عن قدماء المصريين بالقطم في ١٤ أكتوبر سنة ١٩٢٨ فأنظر ماجاء في كتاب « قانون الصحة » وأما الأغذية المتفحمة أو المتحللة خطرة جدا ولا تصلح في الغذاء وذلك كالحوم الحيوانية المصابة بالدرن لأنها

قد أصبح الإصابة بهذا المرض عند الإنسان . وكذلك لا ينبغي استعمال الحفر قبل غسلها خوفاً من أن تحمل البكتيريا بعض الديدان كفض البرصية البيضاء (انظر شكل ٧ وشكل ٨ وشكل ٩) والطحين في أوان من أساس قدرة تحاشي التسمم ويكون ذلك معجونا ببقية ومقش السعال . وطحين الأغذية مع الخل في أوان من الرصاص يسبب التسمم بالرصاص (انظر شكل ٩)



(شكل ٨ - رأس
البدوة الوحيدة)



(شكل ٩ - « التريشين »
ديدان لحم الخنزير)

(شكل ٧ - عضلات من لحم الخنزير محتوية
على أكياس البدوة الوحيدة)

﴿ اشراق النور الإلهي في هذا التفسير وإعانة الله تعالى فيه إذ أنه نور السموات والأرض ﴾
في هذا التاريخ نحي يوم الثلاثاء ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٢٨ م بعد أن كتبت هذه المقالة ومعها رسم لحم الخنزير والبدوة التي تعيش فيه خرجت من المنزل فمشاهدي في نفس الشارع الذي أسكنه وهوشار عز بن العابد بن أحد الإخوان فأسمع جواً مشيراً إلى يناديني يافلان يافلان فوقفت وسمعت عليه فقال اسمع هنا أمر عجيب في القرآن والاسلام . فقلت وما هو يرحمك الله . فقال ماذا تفهم في حديث ﴿ فرء من المجذوم فرارك من الأسد ﴾ فتذكرت أن بعض محرري الجرائد المصرية الكبرى في مصر مرة قال لي ﴿ إن الفرنجية قد وجدوا أن الحيوان المسمى سكو في الذي يحدث الجذام في الإنسان مخلوق على شكل الأسد ﴾ ولكني لم أزد أن أقول له هذا المعنى لأنني لم أراه في كتاب ولم أسمع من طبيب مطلع ، فأجبت قائلاً وماذا أصنع بفهمي في مثل هذا الحديث أنا لا أعرف فيه شيئاً . قال إذن أقص عليك قصصاً عجيباً . ذلك أن رجلاً عظيماً من ضباط الجيش المصري الذي هو أركان حرب فيه مع عراقي باشا أيام الحرب مع الإنجليز كان له تاريخ عجيب إذ اختلف مع الضباط في الاستحكامات العسكرية وظهر صدقه وهومن أمهر الرجال العلماء العسكريين الذين تغلبوا في أوروبا وقد ظهر في البلاد المصرية الطاعون بعد دخول الإنجليز فكان مما استعملته الحكومات لدفع الخطر عن البلاد أنها احضرت أطباء من ألمانيا ، ولما كان هذا الضابط (وهو قديم بك الهلال) ممن يعرفون نفات كثيرة قال لهم وأمس بهم وتحدثوا في أمور الطب التي هم قادمون لأجلها جرى في المجلس العدوى بمرض الجذام فقال طبيب ألماني إن حديث ﴿ فرء من المجذوم فرارك من الأسد ﴾ لما اطلع عليه الأطباء عندنا أخفروا يبحثون لماذا عبر النبي العربي ﷺ بالأسد ولم يسير بكلمة أخرى مثل أن يقول فرارك من النار أو من السيل أو من الغمر أو نحو ذلك فوضعوا تلك الترات التي تخفق في جسم المجذوم تحت المنظار المظلم فوجدوها على صورة الأسد فأدهش علماءنا النبي العربي ﷺ فلما سمعت هذا عجت لماذا أخذ محثي بهذا الحديث يناديني من بعيد

حق استوفيت ثم لماذا قصت على هذا القصص الآن ، وماذا لم يكن إلا في هذا اليوم وفي هذه الساعة بعد كتابة موضوع علم الخنزير الذي هو محزنة لنا صلى الله عليه وسلم وللقرآن تبياناً لقوله تعالى .. حوت عليكم الميتة والسم وحلم الخنزير . فلماذا يكون النص على علم الخنزير في القرآن دون غيره ولماذا يحرمه قضاء المصريين وههنا نقول أيضاً كروينا عن علماء الألمان لماذا خصص النبي صلى الله عليه وسلم مرض الجذام بالأسد ، فوئيت أن أثبت ههنا اعترافاً بنعمة الله تعالى واغترافاً من كثر علمه وباهر حكمته وبديع قياته وسابغ رحمته والحمد لله رب العالمين . انتهى الكلام على المسألة الثانية وبها تمّ القول في أمر حفظ الصحة التي هي أفضل من المعالجة في تفسير قوله تعالى .. الذي خلقني فهو يهدين * والذي هو يطعني ويسقين -

فهنا نحن اولاء عرفنا جمال الله عز وجل وحكمته في الحيوان وأنه درجات وفي الانسان وأنه أرقى ورأينا العلم يتدنى في الجيران وينتهي في الانسان وأن هذا الأخير تصانعي ماحولة من نبات وحيوان وغيرها فأكل وليس وشرب ثم ظهوره ألباء استخرجوا بواطن الأشياء كما عرفوا ظواهرها ، أمسوه بغسل جسمه والمحافظة عليه وتنظيفه ، ثم درسوا له جسمه وأجسام الحيوان فأروا ما لا تراه أعم قلنا من جوش منبججات والأسلحة متقاتلات ثم أروا السودة الوسيطة في الخنزير الذي حرم أكله الله على الناس وبهنا ظهر أن دين الاسلام هذا وقت ظهوره يحاجنا بل هو دين الحب العالم والعلم العالم وأن حصر أفكار المسلمين في علوم الفقه في القرون المتأخرة بعد العصر الأول يظهر لي أنه كان عقاباً من الله لهم لما شره ماؤتهم على حطام الدنيا وتركوا وصايا القرآن فخيرهم الله في قضايا البيوع والميراث والمتاجات والحض والنفس وقالوا أيها المسلمون لقد أفتدت قضائي فيكم لأنني أرسلت نبيي محمداً صلى الله عليه وسلم لينقذ الناس من الضلال وتعالجه قد جاوزت حدود الصين ودخلت أوروبا والسكتب القديمة رجعت ، ولما علمت أن المتأخرين مشك لا يصلحون لإصلاح عبادي أرجعتكم من أوروبا إلى الأقطار الأخرى وألممت الأمم الأخرى أن تحمل العلم عنكم فرفوه بأمرى وأرجعت العلم الآن أنكم من بلاد الغرب فطلعت شمس من مغربها فهل أنتم متبهون ؟

اللهم إن هذا التفسير وامثاله التي فوجئ المسلمون بها اليوم ستخرج هذه الأمة إلى سيرة السلف الصالح ويحيون الأرض بعد موتها وإلى الله عاقبة الأمور ، فلنذكر اليوم مبادئ علوم الدين الاسلامي في هذا التفسير فالهضة قائمة والأمة مستيقظة وعين الله تراه - ألم نشرح لك صدرك - ولننمخ الكلام في هذا القسم أي قسم حفظ الصحة ونشرع في القسم الثاني وهو المعالجة لتفسير قوله تعالى .. وإذا مرضت فهو يشفين -

فانحجب لقوله تعالى .. وإذا مرضت فهو يشفين - هو يقول - فهو يهدين * والذي هو يطعني ويسقين - ولم يذكر في ذلك لفظ - اذا - أما الشفاء فجعله معلقاً على الشرط وهذا من النكت اللطيفة لأن الأطباء أجمعوا ان تعاطي الأدوية أمر اضطراري كاستعمال السلاح لطرد العدو ، ومن الحرج والجهل أن تترك أبواب الحصون في المدن حتى يبلغ منها العدو ويدخل ثم يحارب داخل البلاد ، فهذه هي حال المحافظة على الصحة ، فإذا حافظنا على صحتنا ثم رأينا مرضاً لم نقدر على الاحتراز منه هنالك نستعمل العقاقير ، أما ذلك الذي يشرب المسهل لكل طارئ ويتعاطى الموقيات ويشرب التبغ والقهوة والشاي والكسار كما تقدم في (سورة طه) وغيرها فهو لاء ملومون بخربون اجسامهم بأيديهم ويقتلون حصون مدتهم لأعدائهم جهالة ، فهذا معنى قوله تعالى - وإذا مرضت فهو يشفين - معبراً بأذا الشرطية

﴿ الكلام على مداواة المرض وهو القسم الثاني من تفسير الآية ﴾

لقد وعدت في (سورة طه) أن أذكر لك ما استحسنته مما جمعه الزعيم الهندي (مهاتما غاندي) الذي نشره « النار » في المجلد (٢٦) و (٢٧) من « مجلة المنار » ونشر في كتاب وحده وهذا نصه

﴿ الباب الأول . العلاج بالهواء ﴾

قد فرغنا الآن من البحث في أساليب الصحة وأصولها وكذلك عن طرق مياتها والمحافظة عليها وأمن جميع الناس رجالا ونساء يتضحون لقوانين الصحة ويتسكون بالتجرد التام لاتباع أي حاجة للأبواب الآتية لأنهم يكونون في مأمن من جميع الأمراض والأوصاب سواء في أجسامهم أو عقولهم ، ولكن أين نجد هؤلاء الناس ؟ وأين الذين لا يصابون بالأمراض ، وعلى كل فانا كلما اعتدنا بالنسك بالاصول التي دوت في هذا الكتاب فالأشباب اننا نسلم من الأمراض وسكن ان أصابتنا مرض يجب أن نهالج به اهتمام والأبواب الآتية تبين كيفية العلاج بدون الاستعانة بالطبيب . إن الهواء النقي كما هو لابد منه لصيانة الصحة كذلك لا غنى عنه في معالجة الأمراض ، فالصاب بالنفوس مثلا اذا عوج بالبخار الساخن يعرق بكثرة وتلين أعصابه وتسترخ مفاصله ، وهذا القسم من علاج البخار يسمى (الاستحمام التركي)

ومن كان يشكوحي شديدة فليجرد من ملابسه و يلق في الهواء الطلق تنزل الحرارة حالا ويشعر براحة يينة وعند ما يحس بالبرد يلف في ثوب فيعرق حالا وتزول الحمى سريرا ، ولكن ما نفعه عادة هو على تنكس ذلك تماما حتى اننا نمنع المريض من البقاء في الهواء الطلق ولو اراده بنفسه ونلقى عليه جميع أبواب بحجته ونواذها ونفطلي جميع جسده مع رأسه وأذنيه بالأعطف والأغطية فتسكون النتيجة ان المريض يزعزع فترداد ضعفه عن مقاومة مرضه . ينبغي أن نفهم أنه ان كان سبب الحمى شدة الحر فالعلاج بالهواء الذي ذكر آتفا غير مضر أصلا ويشعر بتأثيره حالا ، نعم يجب الاحتراس لئلا نأخذ المريض القشعريرة في الهواء الطلق فان كان لا يستطيع البقاء عاريا يجوز تغطيته جيدا بالثار . إن تغيير الهواء علاج مفيد لجميع المزمته وغيرها من الأمراض فإعادة العائمة التي جرت بتغيير الهواء ليست إلا عملا باصول العلاج الهوائي وكثيرا ما نغير محل إقامتنا متوهمين أن البيت الذي تعالده الأمراض محل الأرواح الشريرة ، هذا وهم محض

إن الأرواح الشريرة الحقيقية في مثل هذه الاحوال إنما هي الهواء الفاسد في داخل البيت . إن تغيير البيت ينفع تغيير الهواء وهذا هو الذي يدفع المرض . إن العلاقة بين الصحة والهواء قوية جدا حتى إن التغيير القليل له يؤثر حالا تأثيرا رديا أو حسنا . يستطيع الأغنياء أن ينتقلوا الى أماكن بعيدة وأما الفقراء فتكذلك يستطيعون الانتقال من قرية الى قرية ، أو على الأقل من بيت الى بيت بل إن تغيير حجرة نومهم في البيت نفسه كثيرا ما ينفع المريض نفعا محسوسا ولكن يجب مراعاة الاحوال ليكون التغيير نفع حقيقي فالمرض الذي سببه الهواء الرطب مثلا لا يمكن علاجه بالانتقال الى محل رطب . وبما أن الناس لا يهتمون بمثل هذه الاحتياطات البسيطة الاهتمام الكافي لذلك لا يجدي تغيير الهواء نفعا في أكثر الأحيان

﴿ الباب الثاني . العلاج بالماء ﴾

إن الهواء غير منظور فنحن لا ندرك تأثيره الجيبي ولكن عمل الماء وتأثيره الصحي يمكن ادراكه وفهمه بسهولة . يعرف جميع الناس شيئا من استعمال البخار وسيلة صحية فكثيرا ما نستعمله في الحيات ونعالج به وحده الصداع الشديد ، وكذلك المصاب بالوجع الروماتيزمي في المفاصل يشعر بالراحة السريعة عند استعمال البخار واتباعه استجماما باردا ، والسامال والقروح لا تبرا بمجرد وضع المرهم أو الدهان عليها ولكنها تشفى تماما باستعمال البخار ، ثم إن الاستحمام الحار أو الاستحمام بالماء الحار يتبعه مباشرة الاستحمام البارد مفيد جدا في التعب الشديد ، وكذلك النوم في الهواء الطلق بعد الاستحمام البخاري يصحبه استحمام بارد نافع جدا في الأرق . إن الماء الساخن يصح استعماله دائما كبديل للبخار . واذا أصيب الانسان بوجع شديد في بطنه بشفيه حالا تدفئة البطن بقبينة مملوءة بماء مغلي توضع فوق قماش غليظ على البطن . واذا ما أريد التقيؤ يمكن ذلك بشرب كمية وافرة من الماء الساخن . إن الذين يشكون الإمساك يستفيدون كثيرا بشرهم

كثرة من الماء الساخن إما وقت النوم في الليل أو بعد تنظيف الأسنان صباحاً مباشرة
 أن سير (جوردن سبرنج) قد عزي صحتة الجيدة الى تقوده شرب كوبة من الماء الساخن يومياً قبل
 النوم في الليل وبعد البقعة صباحاً إن كثيراً من الناس لاتلين معتدتهم إلا اذا شربوا الشاي صباحاً فيقنون
 حقاً أن الشاي هو الذي أحدث هذا التأثير مع أن الشاي وحده مضر في الحقيقة وإنما الذي أثر بهذا التأثير
 هو الماء الساخن في الشاي فهو الذي يلين المعدة ويزيل الامساك

قد اخترعت أرسوجنة تستعمل عادة للاستحمام البخاري ولكنها ليست ضرورية جداً بل يصح أن
 يوقدوا ويرمون الاسبرتو أو الفازل أو كانوا من الوقود أو الفحم تحت كرسى اعتيادي من الخيزران ويوضع فوق
 الموقف قدر مملوء بالماء مغلي يغطى ويشر فوق الكرسي رداء أو ثياب بحيث تنزل أطرافه الى الأسفل حتى المريض
 من حر النار ثم يبعد المريض على الكرسي ويلبث في رداء أو ثياب وعند ذلك يرفع غطاء القدر بحيث يكون
 المريض معرضاً للبخار الذي يتصاعد منه ، أما ما تعودناه من قفطية رأس المريض فهو احتياط غير ضروري
 إذ حرارة البخار تتصاعد من طريق الجسم الى الرأس وتسبب عرقاً كثيراً في الوجه وإن كان المريض ضيقاً
 جداً بحيث لا يستطيع القعود حيث يصح أن يضمج على سرير ذي فتحات وفرجات ولكن يحسن أن لا يذهب
 شيء من البخار سدى ، وكذلك كما لا يخفى يجب الاحتياط ألا تصل النار ملابس المريض أو ثيابه ، وكذلك
 يجب المراقبة التامة لحالة حصة المريض لأن استعمال البخار بدون مبالاة يحشى منه الخطر أيضاً ، إن المريض
 لا بد من أن يشعر بضعف بعد هذا الاستحمام البخاري ولكن ضعفه لا يلبث أن يزول ، إن الأكثر من
 استعمال البخار يصفى البلية على كل حال ولذلك لا ينبغي أن يستعمل إلا بصورة شديدة والبخار كما يستعمل
 للجسد كما كذلك يصح استعماله لجزء خاص منه ، فمثلاً اذا استعمل في الصداع فلا احتياج الى عرض سائر
 الجسم له بل يوضع الرأس وحده فوق قدر صغير الفم مملوء بماء فاتر ويلبث عليه فاش ثم يشتد البخار
 بالأنف ليتصاعد الى الرأس ، وإذا كانت المناخر مسدودة فهي تنفتح بهذا العمل وهكذا إن تورم عضو من
 الجسم فهو وحده يعرض للبخار

قليل من الناس يعرفون القيمة الصحية للماء البارد مع أنه في الحقيقة أنفع من هذا الباب من الماء الساخن
 ويمكن أن يستعمله حتى أضعف الناس بنسبة ، فالتلف بثوب مبال بالماء البارد نافع جداً في الحلق والجذري
 والأمراض الجلدية ويمكن لجميع الناس استعماله بدون أدنى خطر . إن الدوار والتهتر (جنون الحلق) يمكن
 دفعه حالاً بلطف ثوب مبال في ثلج مذاب على الرأس ، والذين يشكون الامساك يتفعهم جداً لب ثوب مبال
 بثلج مذاب على البطن لحين من الزمن . وكذلك يمكن منع كثرة الاحتلام في أكثر الأحيان بهذه الطريقة
 نفسها ، إن نرف الدم من أى عضو كان يمكن منعه باستعمال ثوب مبال بماء بارد مثليج . وكذلك الرعاف
 يمنع بصب الماء البارد فوق الرأس . إن أمراض الأنف والزكام والصداع يمكن معالجتها باستنشاق الماء
 البارد من الأنف ويمكن استنشاقه بمنخر واحد أو يستشق بمنخرين معاً ويخرج من الفم ،
 ولا ضرر من وصول الماء الى المعدة إن كانت المناخر نظيفة ، إن هذه أحسن طريقة لجعل المناخر نظيفة دائماً
 وأما الذين لا يستطيعون استنشاق الماء بالمناخر فيجوز لهم أن يستعملوا المحقن ولكنهم يتصلون بسى قليل كيفية
 الاستنشاق بسهولة بل يجب على جميع الناس أن يتعلموها لأنها سهلة ونافعة جداً للصداع والراحة الجيدة في
 الأنف وكذلك لازالة الأوساخ في مجرى الأنف

يخاف كثير من الناس من استعمال المحقنة بل يزعم بعضهم أن الجسم يضعف به ولكن هذه الخرافة ليست
 إلا وهمية ليس هناك طريقة للاسهال القوي أكثر تأثيراً من هذه الطريقة وقد ثبت نفعها العظيم في كثير
 من الأمراض حينما لم نجد غيرها من العلاجات ، ولا يجب فهي تنظف الأحشاء تماماً وتنعش تراكم المواد السامة

بها . إن الذين يأخذون من الأوجاع الروماتيزمية أو سوء الهضم أو الأراجاع من سوء حالة الأحشاء الصحية يدعى
 لهم أن يحتفظوا بظاين من الماء فيرون ما يبره السري القوي ، فإن أحد الكتاب في هذا الموضوع إن كان
 يشكوك منه سوء هضم مزمن واستعمل جميع الأدوية - لدى وعينا فتجعل جسمه بذلك . ولكن حقته الماء
 ردت إليه شربة الغذاء وشفت من دأبه في بضعة أيام حتى أن بعض الأمراض مثل البرقان يكون معالجتها باستعمال
 حقنة الماء . إن الذي يستعمل الحقنة أحيانا كثيرة يجب أن يستعمل الماء البارد لأن الماء الحار ربما يضعف
 البنية بفسادها . إن الدكتور الألماني (لوبيس كوهن) قد حكم أخيرا بعد التجارب المتوالية بأن العلاج
 المائي نافع في جميع الأمراض . وقد نال كتبه في الموضوع قبولا عاما حتى أنها ترجمت إلى جميع لغات العالم
 تقريبا ومن جعلها بعض اللغات الهندية . قال هذا الدكتور « إن البطن هو بيت الأدوية كلها فإذا كثرت
 الحرارة في البطن كثرة زائدة تثبت على الجسم في صورة الحصى والروماتيزم والقروح والبثور وغيرها من الأمراض
 إن منافع العلاج المائي قد عرفها قبل (كيوهن) كبار أناس عديدين ولكنه هو أول من قال بأنه
 أصل مشترك لجميع الأمراض . لستنا نجمعون على أن نسل بأثره كلها على علائها ولكن الحقيقة التي
 لأمراض فيها هي أن أصوله وطرقه قد ثبت نجاحها في كثير من الأمراض وإن أذكر لك مثلا واحدا من
 أمثلة كثيرة قد أخبرتها بنفسى وذلك في مصاب بروماتيزم شديد جدا فقد حصل له الشفاء التام بطريقة
 (كيوهن) بعد أن غابت جميع العلاجات الأخرى »

قال الدكتور كوهن « إن حرارة البطن تزول باستعمال الماء البارد » وعلى ذلك أكد غسل البطن
 ومحاولة من الأضياء بماء بارد جدا . ولتسهيل الغسل قد اخترع نوعا خاصا من المغسل من الصفيح ولكنها
 ليست بلازمة إذ قصباع الصفيح المتلاصقة الشكل في مقادير مختلفة لأناس مختلفي القامات التي تباع في أسواقنا
 تقوم مقامها تماما . يجب أن جعل ثلاثة أرباع من القصعة بالماء البارد ويجلس فيها المريض بهيئة تقي معها
 رجلاه وجسمه الأعلى خارج الماء ويبقى وسطه من الفضل إلى مافوق البطن في داخله والأحسن أن تسند
 الرجلان على كرسي قصير ويجلس المريض في الماء عاريا بالرة وإن كان يحس بالبرد يغطي رجليه وجسده
 الأعلى برداء وإن لبس القميص فليبق القميص خارج الماء بالرة . يجب أن يكون هذا الغسل في مكان طلق
 بحيث يكثر الهواء النقي والنور ثم يترك بطنه بنفسه أو غيره بحرقه خشنة من خمس إلى ثلاثين دقيقة أو أكثر
 فيرى نفع هذه العملية حالا في أكثر الأحوال . ففي الروماتيزم مثلا يأخذ المريض في الخروج حالا في صورة
 الحساء وغيره . أما في الحصى فتزول الحرارة درجة أو درجتين وتنظف الأحشاء بهذه العملية تماما وتزول التعب
 وإن كان يشكو الأرق يحل محله النوم وإن كان التعاس والارتخاء يأخذ مكانه اليقظة والشاط . فتعجب من
 اختلاف النتائج لأنه ليس في الحقيقة أمرا عجيبا كما يظهر وذلك لأن قلة النوم وكثرته عليها واحدة وكذلك
 الدوسطاريا والإمساك اللذان هما نتيجة لسوء الهضم يعالجان بنفس هذه الطريقة ، والبواسير المزمنة يمكن
 معالجتها أيضا بهذا الاستحمام مع ترتيب حسن في الغذاء ، والذين يشكون كثرة البصاق الدائم يجب أن
 يسرعوا حالا إلى هذا العلاج ، وكذلك المصابون بالضعف يتقوون بهذه الطريقة وقد عولج بها حتى الروماتيزم
 المزمن فشي تماما وهو كذلك علاج مؤثر في النزف الدموي والصداع وقد قال عنه (كيوهن) أنه علاج
 ثمين حتى للسربطان والمغامل التي تستعمل بهذا الاستحمام بنظام تجد الوضع سهلا ، والحاصل أنه يمكن لجميع
 الناس بدون استثناء في العمر والجنس الاستفادة به . وهناك نوع آخر من الاستحمام يسمى (ويت)
 شيت . (بك) وهو علاج نافع دائما للأشخاص المختلفة وطريقته كما يأتي « يوضع سرير أو كرسي يمكن نوم
 المريض فيه براحة تامة في هواء طلق وينشر فوقه تحوارع بطانيات كبيرة بتلك طرفاها من جانبيه أو أكثر
 أو أقل حسب حالة الجو وتشر فوقها ملائتان بضاوان مغموستان في الماء البارد وتوضع الحادة تحت البطانيات

في طرف من السرير وعند ذلك يجرد المريض من ثيابه إلا إزاره سفيري وسطه إن كان ير بده ويتم على الملاءتين مع بسط يديه حذاء جنبه وعند ذلك تلب الملاءتان ومن فوقهما البطانيات على حسمه مع الاعتدال برفع الأطراف النازلة جهة الرجل حتى تغطيا جيدا ، وإن كان المريض مسترخيا للشمس يوضع ثوب مبال فوق رأسه ووجهه مع ترك الأنف مكشوقا دائما فيشعر المريض في أول الأمر ببعض القشيرة ولكنها لا تلبث أن تزول ، ويقل عظامها الشعور بحرارة للذئبة فيبقى في هذه الحالة من خمس دقائق إلى ساعة أو أكثر وبعد مدة يتسبب العرق من جسمه ويفرق هو في النوم في أكثر الأحوال ، وعقب خروجه من هذه المفاقت يجب أن يغسل بماء البارد وهذا علاج ناجع للجدرى والحمى والأمراض الجلدية مثل الجرب والقوباء والنفطانات والدمامل حتى أن أقبح أنواع الحصبية والجدرى يشفى به تماما ويمكن لسائر الناس أن يتعلموا بسهولة استعمال (ويت . شيت . باك) بأنفسهم ويسفوه لغيرهم وهكذا يرون بأنفسهم تأثيره الجيب ، وبما أن الداس كاه ينقل من الجسم إلى الملاء السفلى الملاصقة للبشرة يمتنع أن تستعمل ثانيا بدون غسلها جيدا في ماء فاتر لا احتياج إلى التذكير بأن الفائدة الثابتة من هذه الاستعمالات لا يمكن أن تحصل إلا بعد مراعاة الأصول التي ذكرت في أبواب الغذاء والرياضة وغيرها مراعاة تامة فإن كان المصاب بروماتيزم مثلا يستعمل استحمام (كوهن) أو استحمام (ويت . شيت . باك) ولكن يأكل غذاء دسائيس ويمشي في هواء فاسد ويمرض عن رياضة فلا يزال أي فائدة من الاستحمام . إن المراعاة التامة لجميع قوانين الصحة هي التي تجعل العلاج المائي نافعا ناجحا بلاريب والا فلا

﴿ الباب الثالث . العلاج بالتراب ﴾

نشرع الآن في بيان الخواص الصحية للتراب الذي نفعه أكبر من الماء في بعض الأحوال . لا ينبغي لنا أن نتعجب من خواصه لأن جسمنا نفسه مركب من عناصر أرضية وفلا نحن نستعمل التراب لتطهير فتغل به الأرض لتزيل الروائح الخبيثة منها ونعطي به الأشياء المتعفنة لنفخ فساد الهواء وننظف به أيدينا . وكذلك نستعمله لتنظيف أثواب المراهض . إن رهبان الهندوس يلطخون به أجسادهم ويعالج به بعض الناس القروح والبثور وتدفن الأموات فيه لئلا يفسد الجوف . كل هذا يثبت جليا أن في التراب كثيرا من الخواص القيمة للتطهير والعلاج . وكما أن الدكتور (كوهن) بذل جهده الخاص في موضوع العلاج المائي كذلك الدكتور الألماني الآخر قد تفرد لدرس التراب وخواصه وقد ترجم حتى قال بأن التراب يمكن استعماله بنجاح في معالجة جميع الأمراض حتى أشدها وأعقدها . وقد حكى عنه أنه قال ﴿ لسع أسيان رجلا فيئس الناس من حياته ولكني داورته بأن واربته في التراب مدة من الزمن فزال السم من جسمه وشفى تماما ﴾

ابس لنا أن نطعن في صدق الدكتور لأننا نعلم أن حرارة شديدة تتولد في الجسم إذا دفن الإنسان في الأرض وانا وإن كنا لا نستطيع بيان تولد التأثير تماما لا يمكن أن ننكر أن في التراب خاصية جذب السم . أجل قد لا تنجح هذه الطريقة في كل حادثة للسوء ولكن يجب حتما تجربتها في كل حادثة وأنا أستطيع أن أقول بتجربتي الشخصية أن استعمال الطين في مثل حوادث لدغ العقرب نافع جدا

قد جربت بنفسى الأشكال الآتية للعلاج الترابي ونجحت فيها ، فالإمساك والدوسنطريا ووجع المفاصل المتأصل قد عالجته باستعمال لبخة من الطين فوق البطن يوما مدة يومين أو ثلاثة أيام وقد تحقق النفع العاجل في حوادث الصداغ باستعمال ضمادة طينية تشد على الراس ، وكذلك قد عولجت العيون المنهيجة بنفس هذه الطريقة شفيته . إن الإصابات سواء كانت متورمة أو غير متورمة تعالج كذلك بها ، واني قد كتبت في حياتي الماضية السوداء لأستريح بدون المواظبة على استعمال مديح الفاكهة (فروت سالت) وماشاكه من المسهلات ولكنني منذ عايت في سنة ١٩٠٤ قيمة العلاج الترابي لم أستعمل أي مسهل ولا مرة واحدة إلى الآن

إن لبخة طيبة فوق البطن والرأس تنفع كثيرا في الحلى الشديدة وأن الأمراض الجلدية مثل السعال والقروح والقوباء والحرق بالنار أو الماء الحار قد عولت بالطين أيضا إلا أن القروح النتيجية ذات الصديد لا تنفي به بسهولة وكذلك البواسير تعالج بنفس هذا العلاج ، وإذا اجرت الأبدى والأقدام وتورمت بسبب البرد فالطين علاج نافع جدا لها وكذلك وجع المفاصل يزول به ، فهذه وغيرها من التجارب في العلاج الترابي قد علمت أن التراب عنصر مفيد للعلاج البيني للأمراض

نعم إن جميع أنواع التراب ليست بنافعة على سواء ، فالتراب الجاف الذي حفري مكان نظيف يكون أنفع بكثير من غيره . لا ينبغي أن يكون التراب لزجا جدا بل أحسنه ما كان بين الرمل والأملس ويجب أن يكون خاليا من الزرث والفنرفص في جيدا في غربال نفيس ويجب بماء بارد تجنبا جيدا قبل الاستعمال ثم يربط في قماش نظيف غير مكموى ويستعمل كلبخة غليظة ، ويجب رفعها قبل أن يأخذ الطين في اليبس وهو لا يتعدى نصف في الأحوال العادية من ساعتين إلى ثلاث ساعات . إن الطين الذي استعمل مرة لا يستعمل بعد ذلك أبدا ولكن الثوب المستعمل يصح استعماله ثانيا بعد أن يغسل جيدا ليُنظف من الدم وغيره من المواد الواسخة وإذا أريد استعمال اللبخة على البطن يوضع فوقه قماش دافئ . يجب على جميع الناس أن يبقوا عندهم صفيعة من التراب المجهز للاستعمال لئلا يضطروا إلى البحث عنه هنا وهناك عند الحاجة إليه وربما تقوت الفرصة في حوادث مثل لدغ العقرب التي يؤدي التأخير فيها إلى خطر شديد

﴿ الباب الرابع . الحلى وعلاجها ﴾

لننظر الآن في بعض الأمراض الخاصة ونبحث في طرق علاجها وأولها الحلى . نحن نطلق كلمة (الحلى) على حالة للحرارة في الجسم غير أن أطباء الأفرنج قد نوعوا هذا الداء على أنواع كثيرة وخصصوا لكل منها علاجاً ولكننا نظرا للخلطة التي سلكناها في هذا الكتاب والاصول التي دوتها فيه نقول إن أنواع الحلى كلها يمكن معالجتها بعلاج واحد وبطريقة واحدة . لقد جربت هذا العلاج الساذج في جميع أنواع الحلى من أخفها إلى أشدها مثل الطاعون القلدي وحصلت على نتائج حسنة عامة فقد انتشر هذا الطاعون سنة ١٩٠٤ بين الهنود في أفرقية الجنوبية وقد كان فظيحا للغاية حتى إن (٢٣) إصابة حدثت قدماتها بها (٢١) نفسا خلال (٢٤) ساعة . أما الاثنان اللذان بقيا فقد أرسلنا إلى المستشفى ولكن لم يسلم منهما إلا واحد وقد كان هذا الناجي هو ذلك الذي استعمل له اللبخة الطينية . نعم ليس لنا أن نستنتج من ذلك بأن هذه اللبخة هي التي شفته ولكن مما لا شك فيه أنها لم تضره أي ضرر . كلاهما كانا صابين بحمى شديدة كان سببها الالتهاب الرئوي وكانا قد أغشى عليهما وكان الرجل الذي استعمل عليه اللبخة الطينية في أخطار الأحوال فسكان يصدق الدم وعلمت بعد ذلك من الدكتور بأنه كان لا يغذى إلا بلين قليل جدا

وبما أن أكثر أنواع الحلى تكون نتيجة للإرتباك في الأحشاء فأول ما ينبغي عمله هو تجميع المراض والقول بأن الضعيف يزداد ضعفا بالتجوع وهم باطل إذ علمنا بما تقدم أن الجزء الذي ينفع من الغذاء إنما هو ذلك الذي يتحلل في الدم . وأما الباقي فيبقى حلا على المعدة . وبما أن القوى الهاضمة تضعف جدا في الحلى لذلك يتوسخ اللسان وتنصب الشفاه ويجب أن أعطي المريض طعاما في هذه الحالة فلا نهضم ويزيد الحلى . واسكن التجوع يعطي القوى الهاضمة وقتا لاتمام أعمالها ولذلك فإن تجوع المريض ليوم أو يومين ضروري . وكذلك يجب عليه في الوقت نفسه أن يستحم كل يوم على الأقل مرتين على طريقة (كيوهن) فإن كان ضعفا أو مرضا إلى درجة لا يستطيع فيها الاستحمام يجب أن يستعمل على بطنه اللبخة الطينية وأن يشك الرأس كبراً أو يحس بحرارة شديدة تستعمل اللبخة على رأسه أيضا ومهما أمكن ينبغي أن يتم للمريض في الهواء الطلق أو يغلى جيدا ويعطى وقت الطعام عصير الليمون بعنأن يصفى جيدا ويترج بماء بارد أو مغلى حار

ولا يخلط معه السكر ما يمكن . إن هذا العصار يؤثر تأثيرا نافعا جدا ويقدم وحده للرئيس إن كانت أسنانه تعمل حوضته ويجوز بعد ذلك أن يقدم اليه نصف موزة أو موزة كاملة بعد أن تمتزج جيدا بملعقة من زيت الزيتون وملعقة من عصير الليمون وإن كان الرئيس يحس بالفتش فيعطى ماء مثليا مبردا ولا يسمح له بشرب ماء غير مقلى ويجب أن تكون ملابس المريض خفيفة وتغير كثيرا

وقد شفي بهذا العلاج السبل محمومون كثيرون حتى الذين أصيبوا بالحمى التيفودية وأمثاله من الأمراض الخطيرة وهم يمتنعون إلى الآن بصحة تامة . إن (الكينا) كذلك تؤثر وتنفع بآدى الرأى ولكنها فى النتيجة تجلب أمراضا أخرى حتى إن الحمى الملاريا التى تعتبر فيها الكينا نافعة جدا قلما رأيتها تعطى شفاء دائما ولكنى بالعكس رأيت حوادث مختلفة فى المصابين بالملاريا قد شفوا شفاء دائما بالعلاج الذى ذكر آنفا

يقصر كثير من الناس على اللبن وحده أثناء الحمى ولكنى وجدته بتجرئى مضرا فى الدرجات الأولية من الحمى لأنه عسر الهضم فإن كان لابد من اللبن فالأحسن أن يكون مخلوطا بقهوة القمح أو قليل من دقيق الرز المخلو جيدا بالماء ولكن لا يصح أبدا أن يعطاه فى الحمى الشديدة بل ينفع فى مثل هذه الحالة عصير الليمون نفعا كبيرا فإذا زالت الحمى وتنظف اللسان يصح أن يزداد المزج فى الغذاء على الطريقة المبينة آنفا وإن كان هناك إمساك فحتى من الماء الساخن والبروق (لزاق الذهب) عوضا عن المسهل يصعبها غذاء زيت الزيتون لتنظف البطن جيدا

الباب الخامس . الإمساك والدوسنطاريا والمغص والبواسير

يبدو لأول وهلة ذى هذه الأمراض الأربعة المختلفة فى باب واحد عجيبا ولكن الحقيقة أنها كلها مرتبطة بعضها ببعض ارتباطا شديدا ويمكن معالجتها تقريبا بطريقة واحدة لانه إذا انضغطت المعدة بغذاء غير مهضوم سببت مرضا من هذه الأمراض حسب استعداد الرجل واختلاف بنيتة فيحدث عند بعضهم الإمساك فلا تتحرك المعدة مطلقا أو تتحرك بعض التحرك أو يحدث رجع شديد عند قضاء الحاجة حتى أنه ينتج زفير الدم وأوالمة المخاطية والبواسير ويحدث لبعضهم الإسهال الذى كثيرا ما ينتهى بالدوسنطاريا ويحدث لبعضهم المغص المعوى الشديد مصحوبا بالوجع فى البطن والمادة المخاطية فى البراز ، وفى جميع هذه الحوادث يقهى المريض أى يفقد شهوة الطعام ويصفر جسمه وتضعف بنيتة ويتوسع لسانه وتعفن نفسه ، وكذلك يذى كثير من الناس بالصداع وغيره من الأمراض . إن الإمساك عام جدا حتى إن المئات من الحبوب والمسحوقات قد أوجدت لمعالجته . إن الوظيفة الأصلية لمثل هذه الأدوية المسجلة مثل ملح الفاكهة (فروت سالت) إزالة الإمساك ، ولذا ترى أوقاف من الناس يجرون وراءها فى رجاء باطل لينالوا فيه الشفاء . كل طبيب يخبرك بأن الإمساك وما شاكله من الأمراض إنما هو نتيجة لسوء الهضم فأحسن طريقة لمعالجتها هى إزالة سبب سوء الهضم وقد صرح أصدقهم قولا بأنهم قد اضطروا إلى اختراع هذه الحبوب والمسحوقات لأن المرضى لا يترون عاداتهم الطبيعية التى ألفوها فى الوقت نفسه يريدون الشفاء

إن أرباب الاعلانات عن هذه الأدوية بالغون مبالغة عظيمة حتى أنهم يعدون الذين يشترونها بأنهم لا يحتاجون إلى مراعاة أى أصل من أصول الغذاء والوقاية بل يجوز لهم أن يأكلوا ويشربوا ما يحبون إذا استعملوا أدويتهم ، وأظن أن قرائى لا يحتاجون إلى التذكير بأن هذا كذب محض . إن جميع أنواع المسهل حتى أكثرها اعتدالا مضرة بالصحة لأنها وإن أزال الإمساك ونفعت نفعا بالجملة تحدث أنواعا أخرى من الأمراض فيجب على المريض أن يغير طرق معيشته تماما حتى لا يضطر إلى المسهل مرة أخرى فيقع فى مرض جديد . إن أول ما يجب عمله فى حالة الإمساك وأمثاله من الأمراض هو تقليل الغذاء لاسيما اللحم والسكر والقشدة وما شاكلها والاحتراز التام من الخمر والسخان والحشيش والشاى والقهوة والكافور والخبر المصنوع من

دقيق المطاحن وأن يحتوي الغذاء في أكثر أجزائه على غمار طرية مع زيت الزيتون
يجب ان يجوع المريض قبل البدء في العلاج (٣٧) ساعة وتستعمل أثناء هذا وبعد البسطة الطيفية
على البطن أثناء النوم ويستعمل المريض كما ذكرنا مرة أو مرتين كل يوم على طريقة (كيوهن) ويجب أن
يكبر المريض على المشي على الأقل ساعتين كل يوم . لقد رأيت بنفسى أشد حوادث الإمساك والدوسنطاريا
والواسير والمغص قد شفيت تماما بهذا العلاج السهل . لا شك أن الواسير لا تزول كلية ولكنه يبطل أذاها
حكما . ثم انه يجب على المصاب بالمغص أن يحتاط فلا يأكل شيئا غير عصير الليمون في ماء خارجي يبطل نزيف
الدم والمخاطية وإن كان وجع المغص شديدا جدا في المعدة يمكن معالجته بتسدفئة البطن بقارورة من ماء
ساخن أو باخر ساخن جدا ، ولا احتياج الى التنبية بأن المريض يجب أن يعيش في هواء طلق
إن الغار مثل البرقوق والزبيب والبرتقال والعنب نافعة خاصة في الإمساك لكن ليس معنى ذلك انها تؤكل
حتى بدون الجوع ولا يجوز تناولها أصلا في حال المغص الذي يصعبه طعم رديء في الفم انتهى بالحرف

﴿ فوائد صحية عامة ﴾

(من كتاب ويلسكوكس في الطب)

- (١) حسن المضغ يمنع الواسير ، وفيه فوائد كثيرة ويكفي الانسان نصف ما يأكله عادة
- (٢) تحديد مواعيد الأكل يمنع الإمساك
- (٣) كل من غير أن تشرب واشرب من غير أن تأكل . إن الأكل من غير شرب عدو الإمساك فلتشرب
بعد الأكل بساعتين أو ثلاث أو أربع باختلاف الأحوال ولك أن تشرب قبل الأكل بساعة أو بنصف ساعة
- (٤) كل بمقدار طاقتك
- (٥) يجب تنظيف المعدة بدون دواء كل سنة لأكثر الناس مرة أو مرتين وذلك بصيام (٤) أو (٧) أو
(١٠) أو (١٣) يوما فلا يشرب إلا عصير الفواكه مثل البرتقال والليمون والعنب مع الماء ، والتين والشوكي
ينظف المعدة اذا أكلته صباحا قبل كل أكل
- (٦) لا تشغل عقب الأكل والاكنت معوضا للإمساك
- (٧) اذا مشيت كيلومترين قبل النوم فهو يمنع الإمساك
- (٨) لا تأكل الفواكه قبل نضجها ولا الخضراوات الباتنة وامتنع عن الفطير والسكر الأبيض والحلويات
ومنى كان عندك إمساك لا تعاط إلا عصير الليمون والبرتقال
- (٩) كل طبيب طبع مرتين تضعيف قوته تقريبا
- (١٠) هذه الفواكه مرتبة حسب منفعتها (البرتقال ، اليوسف أفندى ، الليمون الافرنجى والبلدى
والتين ، والتفاح ، والعنب ، والسكمرى ، والبرقوق ، والخوخ ، والزمان ، والقراوله ، والبطيخ ، والشمام ،
والجوافه) كل هذه الفواكه وكل كل قشرها الذى تقدر عليه ثم الزبيب المنقوع في الماء عشر ساعات يقوم
مقام العنب

(١١) اذا كان طفل عنده جرب فليعط عصير البرتقال كل يوم فانه يبرأ ، وقد ظهر للأطباء قوى ثلاثة
عليها مدار الحية قوة (أ) و (ب) و (ج) فقوة (ج) تساعد الهضم وتمنع الجرب وتحرس الدم وتنظفه وهى
﴿ أربع درجات ﴾ الدرجة الأولى ﴿ البرتقال ، الليمون ، الطماطم ، كل الخضراوات الخضراء يورقها الأخضر
﴿ الدرجة الثانية ﴾ البصل ، الجزر ، السكدة النية ، ورق الفجل ﴿ الدرجة الثالثة ﴾ بقى الفواكه تقريبا
والخضراوات الخضراء المطبوخة مدة قصيرة البطاطس المسلوقة واللبن الحليب الذى لم يغل والسكدة المطبوخة
مدة قصيرة ﴿ الدرجة الرابعة ﴾ اللبث الأبيض البنجر . وأما قوة (ب) فهى ﴿ ثلاث درجات ﴾ الدرجة

الأولى في الحيرة والسق الذي في القمح في الدرجة الثانية في العدس ، الفول ، البسلة ، الدقيق بمجمله أي مع الردة والسق ، ومعنى هذا أنه لا ينخل والجوز وصغار البيض والكبد ، والقلب واللحمة والسكبة والمغز ، وقوة (أ) تنفع من ضعف الأسنان (كما أن قوة (ب) تساعد في منع مرض (البري بري) الذي ينتج من أكل الرز المقشور وقوة (ج) تساعد على الهضم وتمنع الجرب وتحفظ الدم وتنظفه كما تنظفه هي (أ) مع درجات الدرجة الأولى زيت كبد السمك في الدرجة الثانية بطارخ السمك ، الزبدة ، صفار البيض في الدرجة الثالثة السكبة ، السكبة ، قلب الحيوان ، المنعم الطازج ، اللبن الحليب ، جميع الخضراوات ، الجزر ، الطماطم في الدرجة الرابعة جميع أنواع السمك من الدقيق الذي لم ينخل أي لم يخرج منه النخالة ولا السن

جدول لأدوية طبيعية

مرض	دواء طبيعي
السكبة	أكل البقدونس ، كشك الماز ، جن
الأعصاب	أكل الخس والسبانخ
مرض الرجيع	أكل الطماطم والليمون
لأجل حصول الشجاعة	أكل البرتقال والليمون

طريقة في إزالة سوء الهضم

ابتدى بتقليب المعدة ثم كل من غير أن تشرب الخضراوات المطبوخة مثل (السبانخ ، الخس ، الجزر ، البصل ، الكرفس ، الكرنب ، البامية ، الباذنجان ، الحيرة ، الملوخية ، أوكل الخضراوات التي لم تطبخ وإذا كانت أسنانك ضعيفة يجب أن تدقها في (هاون) وهي (الخس ، الكرفس ، الطماطم ، الكرنب ، الفجل ، الخيار) خصوصا قشره وأعصر عليها زيتا مع ليمون أوكل فواكه مثل (البرتقال ، التين ، الرمان ، العنب ، البرقوق المسلوقة مدة قليلة ، التفاح المحمر) فهذه تبعد عنك سوء الهضم ، انتهى ما رثته من الفوائد الطيبة

فقال صاحبي ، أهذا كتاب طب حتى أنك تكثر فيه من هذه المسائل ، فقلت ليس كتاب طب وإنما هو كتاب الله تعالى والله يقول على لسان نبي من أنبيائه - وأد مرضت فهو يشفين - فقله - فهو يشفين - جلة اسمية خبرها فعل مضارع تقتضى الثبات والدوام مع التجدد كقوله - هو يحيي ويميت - فهنا نستفيد (فائدتين) فائدة الطب العملي ينتفع به قارئ التفسير وفائدة علمية حكمية - الأثرى رعاك الله أن الأذكاء يدهشون حينما يقرؤن في هذا التفسير أن السكبة في جسم الإنسان إذا مرضت قد زرع الله لها في حقولنا البقدونس والفجل وأعلم الناس فضنعوا لها الكشك ، وأن أعصابنا إذا مرضت خلق الله لها الخس والسبانخ وأن نفوسنا إذا أصابها الحور والجبن والخوف ذهب ذلك بما أبتة هو لها في الأرض من شجر البرتقال والليمون وأن مرض الرجيع أنبت الله له الطماطم والليمون ، وأن مرض الجرب ومرض الامساك وعدم نظافة الدم ينفعها كلها أكل مافي قوة (ج) من الأطعمة مثل الطماطم والجزر وهكذا ، وأن مرض الأسنان يزول بأكل مافي قوة (ب) وأن الجرب الذي يشق الجروح ويفسد العظم يوجد في الكرنب واللبن والجبن التي لم ينزع زبدتها والسبانخ والبصل والشمس والتين والبرقوق والطماطم والكرفس والبامية والردة وأر المغسوم الذي يساعد الفضلات ويمنع الفتق موجود في السبانخ والخس والخيار والطماطم والبرتقال والشمر والسرقة والقمح والليمون والتين والبامية ، وأن السكبة التي ينظف الدم وهو عدو الروماتيزم موجود في السبانخ والقرنيط واللقت والفجل الأحمر والطماطم والقرلة وكشك الماز والجزر والكرنب والبصل والبامية ، وأن الفوسفور

الذى يفتدى المخ موجود في السمك والخمس وصغار البيض والسبانخ والكشك (المنار) والفجل والقمبيط والخيار والجوز والسلة والعسد والتمح . وأن الحديد الذى يعطى الدم حرته وينع فقر الدم موجود في الكرنب الأحمر والسبانخ والبصل والازيب وصغار البيض النيء والتمر والبرقوق والبنجر وكشك (المنار) والطماطم . وأن السكوريين المساعد لهمضم المنظف للعدة موجود في الكرنب وماع البحر والجزر والسبانخ والمين وسمك البحر المالح والفجل والجنية وجوز الهند والبنجر

وأن كبار الأطباء كجاء في « مجلة الجديد » يقررون أن مخ الانسان اعلاه طبقة خضراء رقيقة هي وحدها مصدر تفكيره وهي تتجدد في كل ست سنوات وتكون في كل مرة مخالفة من حيث طبيعة مادتها للطبقة السابقة ، وذلك لعدة عوامل أهمها اختلاف الغذاء ، فإذا كان الشخص مثلاً قد وجدت عنده رغبة وقتية في أن يأكل من كل الجزر فإن الخلايا التي تتكون في الدهن تكون (فوسفورية) وتتكون صالحة للتفكير وتكون على العكس من ذلك إذا أكثر من أكل الطوخ . وإذا استمر الانسان مدة ثلاثة شهور يأكل التفاح كان ذلك متعباً لخلايا قوة التفكير . ويعرف « الشايك » بأن من أحسن أنواع الأغذية في هذا الشأن . وعلى ذلك يكون الدهن متغيراً حسب الفصول وما ينتج فيها من الثمار والحبوب (وأحسن أوضاع خلايا ما كان في شهر ديسمبر أو مارس وأسوأها ما كان في أغسطس وكتوبر) وأن الدهن وإن يكن يتغير بأجعه كل ست سنوات فالغير الجزئي يحصل فيه من وقت لآخر وعلى ذلك يكون الدهن في كل حين قصير بشكل جديد . ويقدر عدد هذه الأشكال التي تظهر في رأس انسان عاش ثلاثين عاماً نحو (١٨٠) شكلاً أي (١٨٠) ذناً مختلفاً . وإذا كان هذا الشخص قد ابتدأ يفكر وله من العمر (٥) سنوات فإن مقدار ما عرض له من الأفكار التي اشتغل بها ذهنه يبلغ (١٨٢٠٠٠٠٠٠) فكرة . وإذا كان يشتغل عملاً عقلياً فإن عدد أفكاره يكون ضعف ذلك . ويبلغ ذهن المرأة نحو (٥٠) أوقية وهو أخف من ذهن الرجل ولكنه أجود من حيث المادة وأشد كثافة منه . ويتناز ذهن المرأة في الستين من عمرها بنحو ٢٠ في المئة على ذهن رجل في سنها

وإنه ليس بين الثمار ما هو أعظم نفعا من الليمون فإن فوائده الكثيرة لا يمكن أن تقدر فإن في استعماله اقتصاداً للوقت والمال وتخفيفاً للعمل والمشقة ولا يمكن أن يحصى ما يستعمل فيه من الأغراض . فإذا أريد تنظيف المناديل وقطع النيل يوضع معها عند الغلي قطع من الليمون فإنها تصير بيضاء كأنها جديدة . وإذا أريد أن يجلى النحاس بسرعة وأن يلمع بريقه ولعانه مدة طويلة فليجك بخرقه مبتلة بعصير الليمون . ويمكن أن ينظف به الرخام الأبيض إذا تغير لونه بتأثير الدخان أو غيره . وإذا أرادت ربة البار أن تذهب من يديها رائحة السمك التي بعد أن قامت بتنظيفه فليستعمل الليمون بدلاً من الصابون . وإذا تأملت العين من أثر الرماد فليقطر فيها بعض نقط الليمون . وإذا ظهر في الوجه الثمن يمكن إزالته بشرب عصير الليمون في كوب ماء في الصباح . وإذا ظهر أسوداد في الأسنان يمكن جعلها بيضاء إذا استعمل الفهم وعصير الليمون وهكذا من الفوائد التي يطول سردها . انتهى والله أعلم

أقول لك أيها النكي إذا قرأ هذا القول قراء هذا التفسير يدهشون ويهيجون ويقولون هذا الجبر نراه أملاًنا . وهأنذا في مصر أراه يستخرج من جبالنا وأصله وأصل جميع الجبال مخلوقات في البحر الملح بر في هناك في أجيال ودهور فهذا الجبر أدخله الله في نبات الكرنب والسبانخ والبصل والشمش والتين وهكذا الخ وأعد هذه كلها للانسان وجعلها مضمة لجراحه مة قوية لعظامه . وهنا موضع الدهشة . بعض الجبر يدخل في البصل والشمش مثلاً وكلاهما يشقى الجروح ويقوى العظام . فهذا عجب . ماهذه العجائب . جبر يدخل في نبات يصلح جسم الانسان . إن السقلاء إذن يقولون إن الله مافرق هذا الجبر في أنواع النبات ثم أحوج

الانسان اليه إلا الأمر عجيب وهو أن يدرس هذا الوجود . إذن هذه الأمراض خلقت فينا لنم . فن اقتصر على مجرد علم الطب فيها ونعمت ، فالطبيب عالم والمرضى يتداوى بمعامل الطبيب ولكن ليعلم الطبيب والمرضى أنهما لم يتخلفا لهذه الدنيا وحدها فالداواة الجسمية لهذه الحياة ولكن الداواة العقلية هي المقصودة بالذات وهي أن النفس تتقن هذه العالَم وتسد وتذكر جبال هذه الدنيا وأن الحكمة التي أبدعت الجبل أولاً ثم احتلت في ادخاله في النبات ثم أبدعت الانسان وألمعت أن يتداوى ويتقن تلك النباتات ثم تبدلت شيئاً أعلى من هذه الحياة وهو أن تكون سادة هذه الملة وأن هذه الملة لوحنا تنوره وكتابتنا تفهمه . إذن الداواة الجسمية مقدمة للداواة العقلية . يمر الناس على هذه الجباب ويحمدون ربهم انه قد شفاهم من أمراضهم والأطباء يفرحون بأنهم نجحوا في طبهم . إن الوقوف عند هذا حقارة هذه الإنسانية في الأرض ، فينظر هذا الانسان لم خلق . إن الأمراض عظيم . يمر الليل والنهار ونرى السكاك ليلا والنبات وغيره نهاراً ونحس أجسامنا وتصنع والفظة مستحكمة في أكثر الناس ونرى الأمم تفرح بأنها غلبت أمة أخرى والناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله اليوم شديد . اشتدت الحرب على الأمم والعداوة والأمراض في الأجسام وكر الليل والنهار والناس كلهم غافلون . إلى أرى هذا الانسان محبوساً في هذه الأرض ويخيل لي انهم كلهم يتجددون ويعيدون . ذلك لجهلهم ولقصور عقولهم ، فالليل والنهار يرجعان لهوالم جيلة والأمراض في الأجسام يزداد بها فتح البصائر لما في الأرض من الجباب

فلم يمرى أى مناسبة بين عصفير البرتقال وبين الجرب ، فالذي عنده جرب يشرب هذا العصفير فيذهب المرض وأى مناسبة بين تحول البرتقال والليمون والطماطم وما أشبهها من كل أنواع قوة (ج) وبين شفاء الجروح وكذلك ما العلاقة بينها وبين العين بحيث إذا قلت تلك القوة مرضت العين وتنام قوة (ج) يمنع مرض العين وهذا تعاطى زيت كبد الحوت بشي العين ، فما هذه المناسبات في البر والبحر ما بين والجلد أقسم طغطاوى قصا حقاً لاحاتنا فيه ولا أتما أن هذه كلها لغات أفصح من لغات الألسنة فالمرض لغته تفهم العناصر الأرضية وتذكرنا بها اجبالا والنور والقامات لغتان لبحث الجباب السماوية وهذا مما يرمز اليه قوله تعالى - يا أبت إلى أخاف أن يسلك عذاب من الرحمن - فهذه الأمراض عذاب لنا ولكونها من جهة أخرى رحمة لأننا مذكرات لنا لنعلم هذه العوالم ففرق إلى عوالم أخرى أرقى من هذه الأرض المبرعنا بالجنات فقلوه تعالى - فهو يشفي - معناه أن الأمراض تتجدد بتجدد الأجيال والنباتات وغيرها تتجدد بتجدد تلك الأمراض وأنا الذي أدبر الأفلاك وأنظر لكم في أرضكم وأصلح أحوالكم وأصنع معكم صنع الأب الشفيق مع الابن الصغير أرى بيكم بالخير وبالشر والنتائج كلها أردت بها الخير . والدليل على ذلك أن الاسبانين لما دخلوا بلاد أمريكا منذ نحو أربع قرون وأوهم يحفرون حفراً ويضعون فيها حشيشة (التبغ) الذي يدخله الناس في أفواههم فأمرؤا يقتل كل من فعل ذلك ثم وقع نفس الاسبانين في نفس الشرك ثم نقلوه إلى أوروبا وما دخل التبغين أمة إلا قاله قيسوها بالنكفير وسواها بالمنع ثم تغلب التبغ حتى هاجم بلاد الاسلام ودخل قلوبها إذ ذاك وهي بلاد الترك سنة ٩٩٩ هجرية خربت أعلام الدين وقاؤها السواست فقلبت ودخلت بلاد الاسلام . إذن التبغ هاجم الأمم كلها واستحوذ عليها واستعمرها فأصبح الناس في الشرق والغرب يدخلون لماذا ؟ لأن المتوحشين في أمريكا كانوا يدخلون . فنعمرى أى فرق بين الحيوانات التي ظهرت في اللثة فانتشرت في جميع الجسم وبين التبغ الذي ظهر في القارة الجديدة فانتشر في القارات كلها . إذن الإنسانية كلها جسم واحد ولن تنجو أمة من الذنب والعقاب في هذه الدنيا إلا بمساعدة غيرها . اللهم إن الأمم كلها أشبه بجسم واحد في الأرض كما أن عوالم السموات والأرض أشبه بحيوان واحد . وقدم الدليل على أن العضو في الجسم يمدى بقية الأعضاء والضعف في أمة لا أثر في سائر الأمم وستكون الإنسانية بعد اليوم

﴿ بهجة العلم والطب ﴾

(محاورات طينوس الحكيم مع سقراط)

إن الله عز وجل قد أنعم بهذا التفسير وجعله معرضاً لأراء الأمم ، هاأنذا قد ذكرت لك آراء الأمم في علم الطب قديماً وحديثاً بحيث اصطفت الب ونبذت القشر وجعلته بأذن الله غذاءً سائفاً مرهبة صافياً فلا تذكر لك الآن محاورات طينوس الحكيم مع سقراط وهي المحاورات الموسومة بطينوس ذلك انه حاور سقراط فيبحث معه في السماء ونظامها وجبالها وأبواب العالم حادث وأنه جبل وأنه نسخة لما هو أجمل منه وهي عوالم جوهرية ارفع من المادة ، وذكر أن صانع هذا العالم اعلم صنعه لأنه جواد ولولم يصنعه لم يتصف بهذا الوصف وأنه عمد الى المادة المضطربة فظفها وجعلها أمينة مهندسة وأن هذا العالم كله أشبه بجوهر له عقل عام يديره وله نفس وله مادة ، فالعقل العام لا يتصرف في المادة إلا بنفسه تكون واسطة بينهما . وذكر الأيام والليالي فأبان أنهما من صنع خالق العالم وبهما يحصل الزمان ولا زمان بالنسبة لصانع العالم بل الزمان مقياس لنا فلما مضى والمستقبل والحال لنا نحن أما الله فلا يحكم عليه زمان لأنه هو محدث الزمان ، ويقول أيضاً ان هذه السكواكب كلها منظمة بعقول تديرها مستدلاً بالنظام الكامل في دوراتها وأن السكواكب والقوالب القائمة بها قد حددوا بعد العدم . ويقول إن الأرواح الانسانية بينها وبين الأرواح التي تدير السكواكب (وهي بلبسة الشرع ملائكة) مناسبة فكما تدير أجسامنا عقول هكذا السكواكب تديرها نفوس كبيرة . وذكر أن الله جمع الأرواح الانسانية وشرح لها العوالم قبل زولها الأجسام وأبان لها الآثار التي تحصل لها اذا اتصلت بالأجسام . وأن من اتبع الشهوات فانه يرجع بعد الموت الى أسوأ حال ومتى عدلت في الأرض رجعت الى حال أرقى وتسكن الأماكن الشريفة في العالم العلوي . وبين أن البصر انما خلق فينا لتعرف به الليل والنهار وبهذا نعرف الزمان ونتوجه الى الحكمة والفطنة وهما أعظم نعمة من الله . ثم ذكر للمادة بمسبب زمانهم وانها عناصر أربعة الخ وأن ذكر العناصر لا معنى له لأنها كلها أمر واحد غير الظاهر فهي أمر غائب عن الحس يظهر في صور هذه العناصر إذن المادة في أصلها لا صورة لها . ثم ذكر المادة والأم وأن المادة عبارة عن ثلاث تتركب منها أشكال هندسية بسيطة وباجتماعها تكون الحس واللين والبارد والحر والمؤلم والذي يحدث اللذة فالاختلاف في الأشكال يوجب الاختلاف في التأثير في اجسامنا فالتأثير الملائم لطبعنا به تكون اللذة والتأثير الذي لا يلائم طبعنا يكون به الألم وإن كان متوسطاً لم يكن ألم ولا لذة . ثم تكلم عن الجسم الانساني وهو الذي سقنا لأجله السلام هنا لأننا في السلام على صحة ومرضه بمناية الآفة ولم أذكر ما تقدم إلا كالمقدمة لمبسط الأذكاء للقراءة ولغير حوا بما يسمعون من العز والحكمة وليندادوا علماً بما جاء من الطب الجميل في كلامه . ثم قال بالحرف الواحد وشرع بعد ذلك في الكلام على تصوير الانسان على يد (الملائكة) حسب ما أمر به الله فقال لهم تسلموا من الله النفس الأتلية التي خلقها للانسان وألقوا بها نفساً مائة جعلوا مركزها في الصدر . أما الجزء القضي منها ففي أعلى الصدر . وأما الجزء الشهواني منها ففي أسفل البطن ثم صوروا بقية البدن بغاية الاقن انظروا نظراً الى مصلح النفس واحتاجته من الخدمة حتى تكون جميع أجزاء البدن متصلة بالروح مستعدة لقبول أوامره . ثم بين مذهب جميع الأجزاء جزءاً جزءاً وكيفية منفعتها ثم تصوير العروق وتفرعها من الرأس الى أقاصي البدن كما تفرع السواقي في البساتين لجل الدم المركب من أجزاء الأغذية وتوصيله الى الأعضاء والمفاصل لتختلف ما تحلل منها . قال فإذا كان ما تحلل زائداً على ما يتخلله الغذاء فإن الحيوان ينقص ويذبل وإذا زاد الغذاء على ما تحلل من الحيوان فقد ينمو البدن ومنه يبين نمو الحيوان في شبابه ثم تناقصه شيئاً فشيئاً في الشيخوخة والمرض

الى أن ينتهى ذلك به الى الموت . وشرع في بيان الأمراض البدنية وأمراض النفس وهي تابعة للأمراض البدنية وقسمها في ثلاثة أقسام منها ما يتبع افراط اللذة والألم المؤثر في الفكر ، ومنها ما يهدد افراط الحرارة والبلغم والاختلاط إذ بها يتسلط سرعان النفس في البدن فيكون سببا لسوء الخلق والنهوض والجبن وجود القريحة والنفسان . وحاصل ما آت الى كلامه أن الشرع غير اختياري وأن له ﴿ علتين ﴾ العلة الأولى ﴿ فساد المزاج ﴾ والثانية ﴿ سوء التأديب ﴾ فالشرع كالمريض يستحق الاشتفاق عليه والعلاج لأن أغلب ما يستره من أسباب خارجة عن قدرته . قال وإذا سألت سائل عما ينبغي فعله لتدارك الأمراض وحفظ الصحة للبدن والنفس معا ، فالجواب أنه لا طريق الى ذلك إلا لحفظ المعادلة بين البدن والنفس فان النفس اذا كانت مفرطة القوة في بدن ضعيف لاتصبر على محبة ولا تزال مضطربة فيه لتجهده وتخلو أمراضا ، وبالعكس اذا غلب البدن على النفس فان العقل يجمد ويفتر ويجز عن أعماله ، فالقاعدة أن نروض البدن والنفس معا ، أما البدن فيأنواع الرياضة والحركة البدنية ، وأما النفس فيالموسيقى وباطعاء كل من أجزائها أى النفس العقلية والغضوية والشهوانية ما يناسبها من الحركة والرياضة حتى تبقى كل واحدة منها على ما اختصت به من العمل وتكون النفس العقلية الأزلية رتيبة على الجميع كما يوافي شرفها . وأشار في آخر المحاضرة الى منشأ الحيوان وذكر ما كانوا يستمدونه في زمانهم (وهو يخالف الاسلام وهو أيضا لدليل عليه) فقال ان الحيوانات كانوا من البشر فعوقبوا وردوا الى رتبة أدنى مما كانوا عليها لما اقترفوه من الذنوب . أما النساء فقد كانت من قبل رجلا أظهرها في سيرتهم الجبن والجور فانحطوا عن رتبتهم السابقة . وأما السواب الأراضية فهي مما كان مدة حياته مسغرا شهواته والحيوانات فاضلها ممن كان في حياته قد استعبد لأخس الشهوات وأذلها ففسخوا الى أصم الخلائق وأقصها عقلا

ثم ختم المحاضرة بأن قال ، وليكن هذا آخر كلامنا عن العالم ، وقد كانت هذه صورة تركيب هذا العالم المحتوى على الحيوانات المائنة وغير المائنة وهو الحيوان المرئي المحتوى على جميع الحيوانات المرئية وهو الإله محسوس على مثال الإله المعلوم (أقول وهذه الجمل لا تجوز في ديننا والتعبير بها كفر ولكن هم كانوا قبل النبوة فأرادوا بذلك أن هذه العوالم ظهرت فيها آثار القدرة الدالة على الجلال الإلهي ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ ان الحكمة والعلم والقدرة ظهرت آثارها في هذا العالم الجسم فالظاهر لنا من العوالم عنوان الله الذي اختفى عن أبصارنا ونظم لبصائرنا بتلك الجباب ثم قال عن العالم ﴿ فهو السماء الواسعة المنفردة والطبيعة ذوالعظم والحسن والجمال الوافر الكامل من جميع الجهات ﴾ انتهى تلخيص كلام طيماوس

هذه كلمته نقلته من كتاب الأستاذ (ستلانه) وهو مترجم من اليونانية الى اللغة العربية وبذات جهدي في أن أضع الألفاظ المنوعة شرعا أو أنه انما كفر وأشرحها اه

﴿ هذه تذكرة ما جرت به في حياتي من الأعمال الطيبة ﴾

قبل أن أتم تفسير هذه الآية وهي قوله تعالى - اللى خلقنى فهو يهدين - الى قوله - واذا مرضت فهو يشفين - بما عاجلت به نفسى لاسما في أيام الكبر ليكون بصرة لأحبابى قراء هذا التفسير فأتى من إبان صغرى وجدت في نفسى ميلا قويا الى رقى الأمم الاسلامية وهذا الميل ازداد بازدياد سنى

لقد ذكرت في مواضع كثيرة من هذا التفسير وغيره اننى نشأت في قرية كفرعوض الله حجازى من بلاد انثريقية واعتزأتى في نحو العشرين من سنى حياتى مرض جسمى وشك في هذا العالم وفى الصانع فكنت موجها قلبى الى ﴿ أمسين ﴾ صحة جسمى وهداية نفسى فالأول بالطب والثانى بالعلم وكنت أسأل كل من أتوسم فيه الافادة ولم أجد وسيلة خيرا من توجه النفس الى مبدع هذا العالم فلا أقصر القول على امرى الطب لأنى الآن فى صدد الكلام عليه . أقول أخذت إذ ذاك أمتنع شرب الماء مع الطعام وعقبه وأقلل الطعام وأخير

ما هو أطيب وانتهى الأمر بالشفاء . ثم اني لما بلغت الستين بدا لي أن أترك اللحم بتانا لما رأيت في الكتب الطبية دمه وقد كان مرض الرومازم ملازما لي فتناقص هذا المرض الى أدنى حد . ولكنني كنت أجده أنرا باقيا يخفي تارة ويظهر أخرى وذلك اني كنت أكل الخضراوات المطبوخة التي طيخت في سرق اللحم فكانت أعطاه مع أسرق بالمثل في سرقه ، ثم لما قرأت في العالم الماضي كلام العلامة (غاندي) المصلح الهندي الذي حدثك أنها الذي عنه في سورة طه (اقرأ ما كتبه هناك في أسر الطعام عند ذكر آدم وفي سورة الحجر عند قصة آدم أيضا في أولها وما ذكرته في سورة الأعراف عند قوله تعالى . ولا تسرفوا - الخ وما ذكرته في سورة البقرة عند قوله تعالى . أنتبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير - الخ) تركت الخضراوات وجعلت طعامي ما يأتي إلا نادرا

(١) أكل الخبز المصنوع من دقيق البر وفيه جميع أجزائه فما يسمى (نخالة) وما يسمى (السن) يبق فيه (وبعبارة أخرى) أكل خبز القمح بحيث لا ينخل أدنى نخل فهو إذن بحاله ، وقد تقدم في (سورة الحجر) أن أجزاء البر (١٦) جزأ كلها داخلية في السم وإخراج النخالة والسن منه إخراج لأهم أجزائه المانعة من الإمساك المقتوبة للبدن والعقل

(٢) وآكل معه زيت الزيتون والفواكه مثل التمر والتفاح والبرتقال والليمون وربما أكلت من الخضر المطاطم بشرط أن لا تكون مطبوخة لأن المطبوخة ضارة بالصحة بنص الأطباء وتجرى وتركت الملح اللهم إلا ما يوضع في الخبز وتركت السكر للصنع مكفيا بما في الفواكه (وبعبارة مجمل) اقتصر على الفواكه والحبوب أجمالا ولكن التفصيل هو الذي ذكرته لك الآن

أقول لما اتبعت هذه الخطة زال الرومازم بتانا وصرت أفتح شبائيك حجرة النوم ليلا ونهارا وأنا أكتب الآن ليلا وهي مفتوحة فلا أحس بذلك المرض ، وأنا أعلن جدى لله عز وجل حسدا كثيرا فقد وجدت أني أصح جسما وأصح عقلا وأقوى تفكيرا من جميع أيام حياتي كما أني أجده إذ أقدرني أن أكتب بعض خواص النبات للمسكين كما كنت أتعنى أيام الشباب عند مرضي ، فإذا كنت الآن في العقد السابع من سني حياتي فاني أقول اني لم أكن يوما ما في أيام شباني وقيلها وبعدها منتظم الصحة والعقل والتفكير مثل ما أنا عليه اليوم فانا أقول الآن الحمد لله ولكن هذا الحمد ليس على محنتي وحدها لأن أوقات الحياة محصورة والموت لا يتوقف على حال ما فهو يأتي بفتة . وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأي أرض تموت - ولكن جدى لله على النعمة العاقمة فالجد على نعمة خاصة جد ضئيل لا يليق بالربوبية والاخلاص لها بل لا يليق لعاقله . وإنما جدى لله في هذه النعمة على أنها نعمة على كل ذك - مطلع على هذا الكتاب لأن هذا القول يترك في نفسه أنرا وهذا الأثر سيفيده بيتنا وكل من رجال ذوى عقل عند ما يطالعون عليه فيسبون حالا أساليب معاشهم مع انهم هم أنفسهم قد يكونون أطباء أو معلمين على الطب ولكن تجر بتي هذه تشجع على إبطال عادات موروثة عن الآباء والبيئة ، فهذه نعمة عاقمة على قراء هذا التفسير في حياتي وبعد موتي . إذن جدى لله على توفيق للصحة موجه لعموم المنفعة للأحياء المتفهمين بهذه التجربة في كل جيل لأن الحمد إنما يكون على النعمة الراضية من المنع الى الحمد أو غير هذا وهذا سر قوله تعالى - الحمد لله رب العالمين - ولم يقل المصلح ربي وحدي فهو مربى جميع العوالم كما تقدم في محاوره (طباوس) فالإنسان يجب عليه أن يوجه وجهه لتقاء العوالم كلها . فأما سموها أو أرضها فالتفكير والعلم والاحجاب بصافها . وأما نوع الإنسان فيكون ذلك بالعطف عليه وتعليمه ونشر الحكمة فيه . ولقد أثر في نفسي ما جرت به غاندي الهندي عما كتبه في (سورة طه) أن الإنسان عادة يقتدى بمن يثق بقوله انه مجرب وأنا تجر بتي مضت لها بضعة أشهر ولا تزال في حال التجربة ولقد وجدت منافع لاحد لها في الصحة والعقل كما قد تئنا ولكني لا أعده هذه المدة كافية وأنا موجه وجهي جهة مبدع الكون أن يلهمني

المحافظة على صحتي مدة حياتي فنه أستمع ومنه التوفيق . وإقديبين لي من هذه التجربة معنى قوله تعالى
 - قتل الانسان ما أكفره - وقوله تعالى - وإن تطلع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يهون
 إلا الظن وإن هم إلا يخرصون - ذلك أن هذا الربأ كذا علم به طبيب مدحه وقال إن هذا عمل جليل ولكنه
 لا يكاد يقدم عليه هو نفسه ولا يأمر به المرضى وإنما الذي انتهج بعض هذه الحطة قوم آخرون . إلى لا أنسب
 إلا الله وقد تركت الشهوة والشأى ومأشبه ذلك ولا أشرب شيئاً إلا إذا عطشت وصرت أأدى بأن هذا الانسان
 في سجن الامادات وعرفت اليوم أن الانسان منا هو الذي يضعف عقله ووجهه يبيده ، أليس الطعام الذي تتعاطاه
 به قوام بنيتنا . إذن اقامة بنيتي ووجهة عقلي راجعان لما ألقىه في في يدي فاذا لم أخبره فاني لم أخبر بناء
 جسمي وحفظ عقلي ، ومن أكل بغير حساب ولا نظام أصبح عقله تبع ما يأكل فتكون الصحة بالصادقة والعقل
 بالصادقة . واعلم أن هذا الانسان لما كان ضعيفاً في تصرفه حكم الله على أكثره بالفقر لأن الفقر هو الذي يمنع
 القدرة على حوز الطعام الكثير الضار بالصحة والعقل ، وفي ظني أن الناس لو كانت ارادتهم قوية لامتلات
 الأرض بالخيرات ولكن القوى الارادية لما كانت ضعيفة أنزل لهم المطر والأنهار والسعادة في الأرض بحساب
 لتكثر حركاتهم في الطلب وحركات عقولهم في التدبير فتصح الأجسام والعقول بالحركتين - ولو بسط الله الرزق
 لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير - فهو يعلم ضعف الارادات وضعف
 التفكير فأرغمهم على العمل وعلى التفكير بهذه الوسيلة لأن العقول في علنا هذا مبلغها وهذا هو تضعيها من
 الفكر والقوة . ومن أعاني على تدبير الصحة قريني (السيدة عائشة الحسنية) من ذرية الحسن بن علي
 رضى الله عنهما فهي التي سارعت الى تدبير الخبز على الطريقة المتقدمة وأسرهم كانوا أطباء ، وما أعانها على
 ذلك انها شاهدت أهل مكة هكذا يفعلون في خبزهم ، وقد خالفت بذلك عادات النساء في مصر واستقادت
 ذريتي بذلك فائدة ظاهرة في هذه السنة كما أنها خالفت أكثر النساء في انها تواظب على الصلوات والعبادات
 هذا وأذكرك بما تقدم في (سورة طه) عنده مسألة الطعام وما ذكره العلامة ابن خلدون عن أهل المغرب
 وأهل فارس ومصر وشرح مضار الأطعمة المشهورة في هذه البلاد وشرح النافع التي يعانها الناس في الاقتصاد
 على النافع من الأغذية ، ففي قرائته نشطت للعمل ببعض ما هنا وما هناك تدريجاً ولا يدرك كنه لا يترك كنه
 وما ذكره ابن خلدون أن الصحابة رضوان الله عليهم لم يكونوا يتناولون الدقيق زهداً وهذا عجب أن
 يكون هذا الزهد هو الذي يطلبه الطب للصحة فالجيب كل الجيب من حكم ديننا ، يقول الله - أذهبتم طبائكم
 في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما
 كنتم تفسقون - ويقول عمر رضى الله عنه للربيع بن زياد لما حضر هو والأمراء معه وعلى رأسهم أبو موسى
 الأشعري وقد ظهر الربيع بمظهر القانع بالحنس من الطعام والثياب المرقعة ﴿ لو شئت ثلاث هذه الرحاب صلاتي
 وسبائك وصبا ﴾ يريد بذلك المصح والراقق والزيب المستوع مع الخردول ولكني رأيت الله عبر قوما فقال
 - أذهبتم طبائكم - الخ وإنما عجت لأن هذا هو الذي به سعادة الناس في نفس الدنيا فالأقلل من اللذات
 هو الذي به الصحة والعافية ، والأغرب من ذلك أن مقرط أثبت أن الذي لافعة عنده لآلة له وبرهن على
 ذلك بأن من شرب الماء وعطشه قليل لا لآلة له فيه . إذن الذي لا عفة عنده لا لآلة عنده فهو يطلبه اللذة
 فقدها والنفيف ترك اللذة فجأت اليه . إذن الصحابة رضوان الله عليهم يزهدهم في اللذات نالوها وبزهدهم
 في الدنيا ملكوها ، ومن عجب أن تكون هذه الأخلاق بنفسها هي التي استنتجها سقراط وأفلاطون بعقولها
 قبل النبوة بنحو تسع قرون فانك اذا قرأت ﴿ جهورية أفلاطون ﴾ وجدت الزهد متجلياً فيها والحكمة
 والعلم ومع هذا الزهد بنظم المالن وقيم الملوك والأمراء والحكام والجند وبين مراتبهم ورياضاتهم وآدابهم
 وآداب العامة معهم ومع الأمراء فالجد لله الذي علمنا ما لم نعلم وأرانا العلم والدين توعين متعدين عند

ذوى البصائر وهذه من أعجب المعجزات إذ كيف تكون نتيجة الفلسفة قرونا وقرونا ينزل خبرها الوحي على
أبي فيدوم به ملك لم يعلم بها فيلسوف ولا ملك من الملوك
وأختم هذا القول بذكر الحجة التي اتبعتها فأقول ﴿لقد كانت عادتي أني إذا ارتبكت معديق أن أناطي
زيت الخروع وبمدها لا آكل بل أشرب اللبن أياما من ثلاثة أيام إلى (١٤) وفي تلك المدة يضعف جسمي ثم
أناطي الغذاء المعتاد بالدرج وهذا فيه مائته ، ولستكني في التدبير الجديد يحصل لي منذ شهرين أو ثلثه في
المعدة فامتعت عن الطعام نحو يومين لم أناط فيهما إلا ماله (البرتقال) أتباعا للأصناف الطيبة فشفيت والأطباء
يأصرون بالجوع أكثر من يومين (اقرأه في كتاب غاندي) انتهى ليلة الجمعة ٢٩ مارس سنة ١٩٢٩ الساعة
الثالثة بعد نصف الليل والحمد لله رب العالمين

﴿ الاستشفاء بنور الشمس ﴾

(ذكر ماخطر لي يوم ٢٨ مارس سنة ١٩٢٩)

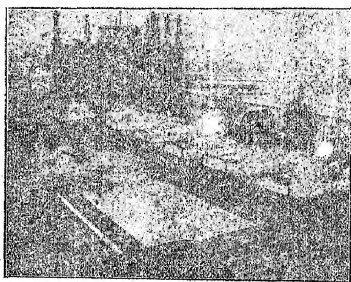
عجب لهذا الانسان يعيش ويموت وأكثره غافل ساه ، يرى المائدة ويرى السكواب والشمس والأرض
وماعليها ولكن العلم يقول له هذا كله ظل الحقيقة والحقيقة غير ماثرة وفي نفس الوقت يقال له أقم أعمالك
بحسب مظاهر ملك من الخواص ، يكون غنيا ويقول أنا اليوم نلت ما أتمناه فيرى الحوادث تكذب ظنه وتعتبر به
الحوادث سرورا ونجما ويحاطبه العلم قائلا . كلا . فالصحة والمرض والغنى والفقر والعلم والجهل كلها عوارض
والنفس هي هي معرض للسعادة والشقاء . يقول الفلاح ليقني كان لي مال كثير فلا أخرج الى الحقل ولا أقف
في الشمس طول يوم يزرع حقل ، إن الله غضب عليّ ولولا غضبه عليّ لأعطاني أرضا واسعة وأجلسني في
الظل وأخذت أقابل الوفود من كل صوب يحادثوني ، فيقول له علماء الطب كلا أنت جهول أيها الفلاح إن
من اتسع ملكه في الأرض وهو لا يعلم شروط الصحة كأكثر ذوى اليسار من جهال المصريين وغيرهم يعتبرهم
المرض لقاة حركتهم وعدم تعرضهم لضوء الشمس القاتل للسكريات الضارة بأجسامهم وهم لا يعلمون ، فانه
الذي علم غفلة عباده وجهلهم هو الذي تولى قيادة الشعوب والأمم وأكثر من الفقراء وقلل جدا من ملاك
الأرض الواسعة ليكون هؤلاء الأقفون أشبه بفداء للأكثرين الذين أجاعهم فأخرجهم الجوع الى طلب الرزق
والرزق يكون بالعمل في الحقول بحرقها وسقيها والوقوف في الشمس ساعات من النهار ، فهنا أمور ثلاثة طلب
للرزق من الأرض . وتعرض للشمس وحركات الأعضاء ، الفلاح يحس بالجوع فبعضا يطلب الرزق وهذا الرزق
لا يعمل له إلا أن يمنع هذا الجوع ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ لا يعمل له عند الفلاح إلا إزالة ألم نسبه جوعا كما أنه
لا يتزوج إلا لطلب دفع الألم وهو الشبق هذا هو المقصد له فاما أن جسمه يقوى واما أنه يلد واما أن الحركات
تساعد على هضم الطعام واما أن الشمس وإلحاح ضوئها عليه طول النهار يقتل الميكروبات (الحيوانات الدرية)
التي هي أكبر عدو للإنسان والحيوان وهي السم القاتل لكل حي فانه لا ذكر لهذا كله عنده ولا وزن له ولا
عبارة به ولا جبر بل إذا سمعه يحرقه وهكذا إذا قيل له إن الجلوس في بيتك وإقبال الوفود عليك وعدم حركاتك
وعدم تعرضك لضوء الشمس أودا قيل له أن أسلك المسالك الدسمة وأنواع الفطير وكثرة أنواع الطعام
مذهبة اصحتك مضفة لك ذبا بة بعمرك فان الفلاح يحرق هذا كله ولا يصدق أن قلة المال في يده وقلة النفود
هي أكبر عون له على السعادة إذ لو لا ذلك لم يعمل في الحقل ولم يتعرض لحرارة الشمس . هذه حال الناس أيام
جهلهم لذلك تولى الله بنفسه علاج الأمم فأكثر من الفقراء وقلل من الأغنياء وبهمل ذلك الفقراء والعلاج
لأجسام هؤلاء الفقراء وأسعنا ذلك في القرآن إذ قال - وإذا مرضت فهو يشفين - فإذا قلت حركات الانسان
لجهله أودا أقدم الظل على الشمس أودا أحب - أكل الطعام الفاخر رحم الله عباده فأجأهم الى الحركات في

طلب الرزق وعرضهم للشمس لينتقل الأمراض الداخلية بالحركات ويقتل المسكروبات بضوء الشمس ثم في نفس هذه الحال يقلل المال عند أكثر الناس لثلا يبطروا قياً سكبوا ماله وطاب فتذهب حصتهم ويكونون مرضى فلمرى أى رافة وأى رحمة أعظم من هذه ، عيال عليه لا يميزون كالم يميز الأطفال بين الضار والنافع فيمنعهم الآباء من تعاملي ما يضرتهم هكذا الله نظر الى عباده فعاملهم كما لعامل نحن أطلقنا جعل السواد الأعظم فقراء لتصح أجسامهم وجعل أقل الناس أغنياء وقال هم فداء لسك أيها الأغنياء فإذا مرض أكثرهم وصحت أجسام أكثرهم فاني أهتم بالأصالح العام لأنه أولى

هذا كله في أيام جهل الأمم ، أما إذا عم العلم فإن الجهلاء يفهمون هذه الحكم بطريق التعليم فيرضون وتسكون عندهم سعادة على قدر ما يشعرون ذمهم أفضل إذ ذاك من آباؤهم الجهلاء ، وأما فريق الأغنياء فإن العلم ينقلهم الى حظرة الصحة ويتعرضون لضوء الشمس اختياراً لا اضطراراً ، وهالك مثلاً بما جاء في إحدى المجلات العلمية وهذا نصه

❦ الاستشفاء بأشعة الشمس ❦

« أصبحت المداواة والتقوية بأشعة الشمس أهم ظاهرات العلاج في المستشفيات والمصحات الاوروية والأمريكية . ويقول الأخصائيون من علماء الطب ان أشعة الشمس أنجع دواء لكثير من الأمراض وأن الفتاة التي تداوم كل يوم على التعرض للأشعة ساعة من الزمن تنال الصحة التامة والجمال المشرق البهجة . وترى في هذه الصورة (انظر شكل ١٠) قسم من مستشفى الأشعة في فندق ايفرجلاد بكاليفورنيا وأكثر قاصديه من الفتيات الحسنات . فهل آن لفتياتنا أن لا يخفن من التعرض لأشعة الشمس لأنها تسود وجوههن ؟ وهل من الجبال أن تبدو صفراء متمعة اللون لحرماتها من أشعة الشمس » انتهى



(شكل ١٠ - رسم قسم من مستشفى الأشعة في مصح فندق ايفرجلاد بكاليفورنيا)

أقول ليالك أن قلن أن معنى هذا أن تقف أو تقعد في الشمس بدون علم ولا هدى ولا كتاب منبر وإنما يجب أن تستشير الطبيب الصادق والافاقرأ ما تقدم في هذا التفسير في (سورة يونس) فانك ترى هناك ذكر الاستشفاء بنور الشمس وأنه يكون بالتدريج والحفاظة على الرأس وليس معنى هذا أنك تأخذ ما قيل هنا قضية مساعة بدون بحث ولانتقيب كلا

إذا عرفت هذا فهمت قوله تعالى - وإذا مرضت فهو يشفين - فالفلاح الفقير يشفيه بحيلة وهي أنه يجيئه

وهذا الجوع يقوده الى الحركة الى ضوء الشمس والمعلم الفنى يشفيه بحركات المثنى والعسل والتعرض لنوء الشمس بسبب العلم وهكذا . إذن الشفاء قد يكون له ﴿ سببان ﴾ سبب طبيعى وهو الجوع السبب للاحركة والمعلم السبب للعسل ، فهذا من المعانى الداخلة فى قوله - وإذا مرضت فهو يشفين -

ومن أسباب الشفاء تلك الرؤى التى رأينا قديما الأطباء ومنها التجارب المذكورة وهكذا . إذن ظهر أن الشفاء من الله ولكن بالأسباب والأسباب كلها مستندة اليه وهو الذى هدانا لها وهذا معنى قوله تعالى - ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لکم - خلال الجهل (اللى تجعل الانسان كافرا بالنعمة بحيث يبالغ الى أن يتعرض للشمس والى أن يحرك أعضائه للعسل قهرا بدافع الجوع وحده) حال غير مرضية عند الله أى ان الله لا يحب أن يبقى عباده جهالا بما حوهم وبما يعترى أنفسهم أى انه لا يحب أن يبقوا كالأطفال تحت مراقبة آبائهم بل هو يحب أن يعرفوا النعمة ولا يسبلوا شكر النعمة غير المعرفة فلذلك قال سبحانه - وان تشكروا يرضه لکم - فالفلاح لا بعد ظهوره فى الشمس نعمة بل يقول انها نعمة ولا بعد الحركة نعمة و يلقن ان صاحب الأرض الذى هو طول النهار فى الظل وهو مريض لقلة الحركة أسعد منه حالا وذلك كله من الجهل ﴿ نجر بقی فی هذا المقام ﴾

أقول وأنا اليوم وقعت فيما وقع فيه الفلاح فى الحقل . ذلك أنى اليوم أكتب فى التفسير وليس لى همم فى هذه الحياة أعظم منه فأراء منية نفسى وأعظم مقاصدى قد ملك على مشاعرى بل أصبح أعظم اللذات . ولكنى ارى قواطع وقواطع من أعمال داخلية وأخرى خارجية توجب أن أقطع العمل وأجد فى تلك الأعمال وأسافر خارج القاهرة وقد خلق الله لى من ينارونى فى أمور نافهة فى الحقل وفى أمور صغيرة جدا فأوازن ما بين السعادة التى أحس بها فى كتابة هذا التفسير وبين الشقاء الذى أحس به فى الانقطاع عن مواصلة والبحث فى مدافعة هذه القواطع فإذا أفهم فى هذا ؟ أفهم فيه أن الله عالمى معاملة الفلاحين فى الحقل فقال لى بلسان الحال أنت اليوم مسئلة بما تكتب وتعكف عليه وهذا ربما يسبب ضررا فى صحتك وضعفا فى قواك العقلية لأن المداومة على فكر واحد تؤثر فى المخ ولست أكتفى بمعلوماتك فى الطب وحى قليلة لا تقوى على حفظ صحتك ولا تنسكى فى الرياضة الجسمية التى تقوم بها لأنك تقوم بها اختارا واختيارك وحده غير كاف فلذلك خلقت لك من ينارونك فى الحقل لحفظ صحتك لأنى بهذا أخرجك فى الهواء الطلق فتسافر وتقابل الناس وتحدتهم فيصل هناك تعادل فى قواك وتنوع فى الفكر وفى الحركات وتذكر أن نبيك محمدا ﷺ مع أنه نبي أوحى اليه كان يخرج للغزوات ويسافر ويقوم بأمر الأمة ولم يقطعه ذلك عن الدين والمعلم بل انه فى آخر الأمر كان ينزل عليه الوحى وهو فى سفره وجهاده والحرب قائمة فلنكن لك من ذلك موعظة ولترض بما علمته . هذا ما فتح الله به يوم ٢٨ مارس سنة ١٨٢٩ أكتبه ذكرى لأولى الألباب

هذا عمل الله فى الأفراد . أما عمله فى الأمم فانه علم أن أمم العالم اعترها الجول فى بلاد الشرق و بلاد الغرب فبلاد أمريكا كانت قد وصلت الى درجة الانحطاط بعد العز والمدنية بدليل ما وجدوا فيها هذه الأيام من آثار المدنية والحضارة والمباني العظيمة كاهرام الجيزة بمصر وكانت بلاد اليابان والصين والهند كلها قد خيم عليها الجهل والحرافات والنصارى بأوروبا قد أصبحوا فى غاية الخضوع للتقسيسين وهم فى حال الوحشية والمهمجية فأرسل الله سيدنا محمدا ﷺ فقامت الأمة العربية بالحسبة الدينية فهزت العالم من أقصاه الى أقصاه . فترى الدولة الأموية بلغت جبل طارق ووسط على اسبانيا وفرنسا وزعتهم من الجرمانيين الحاكمين عليها منذ ثلاثة قرون وهكذا فعلوا فى بلاد المشرق ووصلوا الى الهند والى أطراف الصين . فانظر ما يقوله العلامة (سديو) صفحة ١٠٣ ﴿ خرج من عمان لفتح الهندستان أساطيل اسلامية سنة (١٦) هجرية فأخذت جزيرة طناج القريبة من مدينة بمباى ومن جزيرة البحر بن أساطيل أخرى دهمت فى خليج كامبى (مدينة بارود) وخرت أساطيل

ثالثة الى مصاب نهر السند ثم أخذ عبد الله بن عاص سنة ٧٣٣ بلاد كرمان وسجستان ثم حارب والى اقليم مكران ومالك السند فقبلهما وأخذ عبد الرحمن بن سمرة بعد ذلك بسنين قليلة (اقليم داور) ومدينة (بست) فسكان مملكتنا قبول والسند حذود الممالك العربية ، ثم ذكر بعد ذلك انهم وصلوا الى جبال (هماليا) ثم أخذوا بلاد (بخارا) و (مروا) والنهر ومعظم مملكة التار وأحرقوا أخصنام (مدينة فرغانة) و (تخشب) و (يكند) و (بخارى) و (سمرقند) سنة ٩٤ و (مدينة كشمير) و (اقصوا) و (غوكا) و بعث الأمير قتيبة من قبل الخلاج اثني عشر سفيرا الى ملك الصين وهندوه بالاغرة فغمرهم ببطايا الذهب الوافرة انقاء لشهرهم وحكم قتيبة مملكة قبول بشرق سجستان وأخذ منها الجزية فلحقه جيش في أرض مكران وانشرى في سهول مدينة (كشمير) ودافعت مدمن على شواطئ السند فهزم هؤلاء وهكذا كانوا يناوئون ملوك القسطنطينية ، هذا هو الذي حصل منذ (١٣) قرنا ، لم ذلك ؟ كان ذلك لإثارة القوى الانسانية في الشرق والغرب إذ كانوا يناما ، فهاهي ذه الأمم النائمة استيقظت وهذه الحركة العمرانية انتشرت في الغرب والشرق والمسلمون الذين قاموا بهذه الحركة جميعا ناموا كنعين أبعين أبسعين . وكأن الله يقول لنا ليس نومه دائما . كلا ، فكما سلطنهم على الناس فأيقظوهم هكذا أنا أسلط الناس عليهم ليوقظوهم فهاهي هذه المدافع والطيارات والقارات الخائفة وشئ القارات عليهم صباحا ومساء والجيوش الاوروية تصبحهم وتسيهم ، لماذا هذا ؟ كل هذا ليقاظهم من نومتهم ولقد استيقظ كثير منهم وسيتبعهم الباقون ، ينظ الجبال من المسلمين أن هذه الحروب وهذا الاذلال نقمة ، نعم هو نقمة ظاهرا ولكنها نقمة باطنا فهو أشبه بالجوع في مثال الفلاح في الحقل الذي قدّمته لك في هذا المقام أجاج الله الفلاح وقلل ماله فسعى للزراع فتحركت الأعضاء للعمل وأصابته الشمس وأكل الطعام فسكان للجوع ﴿ ثلاث فوائد ﴾ غذاء بالطعام ، ودواء بحركات الجسم ، وضوء الشمس ، فالجوع ضرور واحد أنتج ثلاث منافع . إذن الجوع ليس ضررا بل هو نفع بل هو لغة يخاطب الله بها عباده بل هو أضح من اللغات هذه لغة الجوع . ألمافسة احتلال مصر وتونس والجزائر ومراكش وطرابلس وبلاد الشام وفلسطين والعراق بالاطليان وفرسانا وانكسارها فهي تشبه هذه شيئا تاما . فانه هذا الاحتلال يقول لنا

(١) تعلموا جميع العالوم

(٢) ويقول تعلموا جميع الصناعات

(٣) ويقول لنا أيها الناس (تعارفوا)

فهذه فوائد إذلال للمسلمين الآن . إن اذلال الأمم لمنفعتهم واذلال الأفراد لمنفعتهم . إذن الله عز وجل حكيم يعطى الدواء على مقتضى الداء . الله علم ضعف هذا الانسان في الأرض فجعله دبابات مخنقات ليقول ذلك فقل الجوع في الجهلاء . الله سلط الناس بعضهم على بعض ليستخرج قواهم بهذه العداوة . يقول الله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قلنا أيتنا طائفتين . قالت السموات والأرض أيتنا طائفتين . لماذا ؟ لأن المديرتين ملائكة والملائكة تدبر حركات هذه الكواكب الكبيرة فلا تخطئ . أما هذه العوام الأرضية كالأهم الاسلامية والافريقية فانها تناس بطرق أخرى ولا سبيل لذلك إلا ببعث البرواث في عقولهم بالبيانات تارة والعداوات أخرى فسلط المسلمين على الأمم ثم أنامهم وأيقظ الأمم وهاهي هذه الأمم تحيط بأكثر المسلمين وهذه الحاطة نقمة لأنها بعثت فينا الهمم ومن ثمراتها كتب كثيرة وخطب . ومنها هذا التفسير الذي جعله الله مقدمة لهضة مصاحبة لظهور الطيارات في الشرق والغرب ونهى ارتقي المسلمون قريبا سيبتكون مع الأمم في رقي الانسانية العامة . إذن السموات والأرض أيتنا طوعا . أما المسلمون واليهود والنصارى وغيرهم فانهم أتوا كرها لا طوعا ولا كراه بالأمرض في أجسامهم والفقر وقلة المال وجس النظر والعداوات بينهم ليجتوا في العمل فيعيشوا سعاداء وهذا هو قوله تعالى - وإذا مرضت فهو يشفين - فهو

الذى لما حضرت الأم بالسكرل شفانها بالحقائق الانسانية إذ صار بهم الجيوش ولما عرض المسامون بالسكرل والجهل ساط عليهم الأم صار يوم وخلق لهم مؤلفين لوقفظهم ، ومن التأليف هذا التفسير الذى هو من الأدوية التى ساقها الله للمسلمين ليقتاضهم ورفيقهم تفسيراً للآية والله هو الولي السيد

﴿ جوهره في قوله تعالى - إلامن آتى الله بقلب سليم - مع قوله تعالى - الذى خلقني فهو يهدين ﴾ والذى هو المعنى ويسقين * وأذا مرضت فهو يشفين * والذى يعقني ثم يبين - مع ملاحظة مجاه في أول السورة من الأمر بالنظر في الأرض ونباتها على لسان رسولنا ﷺ ووصف السموات والأرض وخلق بني آدم قديماً وحديثاً وخلق المنرق والمغرب على لسان موسى عليه السلام ﴾

يقول الله تعالى على لسان إبراهيم - يوم لا ينفع مال ولا بنون - الخ فهما ذكر الطعام والشراب والمرض والشفاء والموت والحياة كما ذكر خلق النوايا كلها وخلق الانسان خاصة ، غيايت شعري لم خلق هذا الانسان على الأرض

﴿ فسكرني في خلقى هذا الانسان بمناسبة هذه الآية ﴾

اعلم أن هذا الانسان لا يهيم في الحياة إلا المحافظة على هذا الهيكل المنسوب ، فسكر علم وصناعة وامارة وتجارة ترجع الى المحافظة على هذا الهيكل ، إن الله لما خلق هذا الانسان جعل له حافظاً من نفسه وواعظاً من نفس هيكله وموظفاً من جسمه ، وما هو ذلك ؟ هو الأم ، فالأم هو الناموس العام الذى نصبه الله في الأرض برحمته فسبحانك اللهم ، نعم أسعذك يا الله ، أنزحك عما يؤذينا . إنك لم تجعل الأم فينا مجرد الأبناء بل جعلته نعمة ولولا هذا الأم في الجيوان وفي الانسان لم يعيشا . إن الله عز وجل لما خلقنا في هذه المادة لم تكن هناك وسيلة في هذا العالم المادى لبقاءنا إلا بالآلام ، فنحن نترك في صلاتنا فيقول ﴿ سبحان ربى العظيم ﴾ في الركوع و ﴿ سبحان ربى الأعلى ﴾ في السجود ونسبح عقب الصلوات ، وقد مدحت يا الله يونس عليه السلام فقلت - فلو أنه كان من المسيحين للبت في بطنه الى يوم يعيشون - المسيحيون هم الذين أدركوا أسرار هذا الوجود واشتدوا من بحار الحكمة فعرفوا أن كل ما في هذا العالم من الآلام لم يقصد الله منه إلا المنفعة وأن الضرر التالى ينتج الخير الكثير وهذه طبيعة عالمنا . هذا هو القانون فالسبح الحقيق هو ادراك هذه المعاني ، فإذا سمعت المسلمين صابحاً ومساءً يسبحون فإياك أن يحتاج في قلبك أن اللفظ هو كل المقصود ، إن الله لا يضل اليه إلا أناس ارتقوا عن هذه الأوساط الانسانية وعرفوا نواميس هذا الوجود بقدر طاقهم وهؤلاء وحدهم هم الذين يفهمون لم كان الطعام ولم كان الشراب ولم كان المرض ولم كان الموت الخ وينظرون الى تلك الأحوال فنظروا الطبيب الى الأدوية المعطاة للمريض ، إن الطبيب لا يدايى بالآلام المريض لأنها عنده لقيمة لها في جانب منفعتها ، فمن عرف هذه الأسرار عرف السر في كثرة التسبيح والتفديس الواردة في الكتب السماوية ، ومتى أدركت النفس سر التوبى نزهت الله عن الأبناء فصدت بل هو ترقية واسعاد لا اشقاء ، فنبهت إذن في أم الجسم ليتفهم المقام وينشرح صدره لفهم والعلم والحكمة فان الذى ذكرته إنما هو مقدمة لجمال المقال . إن هذا الجسم الانسانى كما قدّمنا لاحياة له ولابقاء واسعاد إلا على قاعدة الأم . وبيانه أن الأم ﴿ قسان ﴾ ألم داخلي وألم خارجي . أما الألم الداخلى فهو الجوع والعطش والنقص طلب الطعام والشراب والوقاع لصحة الجسم وبها النوع يحصل التروية ، وأما الألم الخارجى فذلك بالحر والبرد وتظاهر الأعداء من الوحوش والاشجار من نوع الانسان فكان لابد من اللباس والسكن والقلاع والحصون والجيوش والعدد . وهذا هو الذى سكر على هذا الانسان بالصناعات والحرف والزراعة والتجارة الخ ولهذا فتح المدارس ونظم المدن وعظمت المدنية ، إذن الأمر كله راجع لهيكل الانسان والمحافظة عليه فهذا هو

الأصل وهذا الهيكل له حامل والحامل له ﴿ فرعان ﴾ هما الألم الداخلى والألم الخارجى وما ألم المرض بخارج
عن هذين الفرعين لأن المرض من داخل ومن خارج

﴿ اللذة تلازم الألم ﴾

ومن عجب أن هذه الآلام مهما تَوَعَّتْ بحبتها اللذة ولا لذة إلا بسابقة ألم ، فالألم واللذة كفرسى رهان
أو كالشبح وظله ، هما شيان متلازمان وعلى مقدار الألم تكون اللذة ، ومن فقد الألم فقد الحياة ، ألا ترى عراك
الله أن الإنسان إذا لم يحسّ بألم الجوع حزن وذهب إلى الطبيب شاكياً له فقد هذا الألم ، وإذا لم يحس بالشبع
حزن وذهب إلى الطبيب شاكياً له هذا المرض . ذلك علما منهما أنه إذا لم يكن ألم الجوع فإلّا طعام وإذا لم يكن
ألم الشبع فإلّا قناع كما أنه إذا لم يكن عطش فإلّا زرع في الشرب ولا شراب

الله أكبر . إذن الألم كمال لانقص فانتا أثبتنا أن عدم الجوع نقص فالجوع كمال . فكما نقول الذى
لا يقدر على التكلم ناقص هكذا نقول الذى لا يجوع ناقص لأنه لإداعية عنده اطلب الأكل . إذن الألم قوة كإلية
لأنها سبب فيما به قوام أبداننا وما ألم المرض إلا كمال لأن ألم المرض احساس يورثى إلى تعاطي الدواء كأن ألم
الجوع كذلك فالجوع يحسّ بالنقص في أجسامنا عند المرض لثنا . وأى فرق إذن بين من يحرق بالنار وهو
لا يحسّ وبين من يعرض فلا يحسّ فنحن لو لم نحس بالحرق النار لمات أكثر الناس وهم لا يبالون بمصابهم
منها ، هكذا لو أن المرض أصابنا ولم نحس به لزال أكثر هذا الإنسان من الوجود . إذن ألم المرض نعمة وألم
الجوع نعمة . إذن لا يكمل دين المسلم إلا إذا عرف معنى ﴿ سبحان الله والحمد لله ﴾ وعرف قوله تعالى
- فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون * وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون -

هذا معنى - وإذا مرضت فهو يشفين - . فالخير والشر مقرونان في قرن والخير متبع والشر محذور
وهذه نفسها حال العشاق إذ يقول شاعرهم

إذا لم يكن في الحب عد ولا جفا * فأين لذات الرسائل والكذب

ولقد حكم (سقراط) على من لا لغة عندهم بأنه لا لغة لهم . إذن علمنا حكم هذا العالم فهذا العالم فيه ليل
ونهار وظلمة ونور وحياة وموت . وبالجملة فيه كل متقابلين لذلك بنيت حياتنا على هذه القاعدة فكانت الصحة
وكان المرض كما كان الجوع والعطش وتعاطي الطعام والشراب وهكذا الموت والحياة ، ويظهر لى أن عقولنا لو
أنها ارتقت عن هذه الحال قليلا وأدركت سر الوجود لفرحت بالموت كما فرحت بالحياة لأنها إذ ذاك تكون
قد اتصلت بالعوالم العلوية التى تدرك الحقائق وأدراك الحقائق هو نفس السعادة

﴿ إيضاح الكلام على الذات ﴾

لقد علمت أنه لا لغة إلا بألم في كل شئ ، فلاشفاء إلا بعد ألم المرض وآلام تعاطي الدواء ، ولافرح بالنعى
إلا بعد الفقر ، ولاإنجاة إلا بعد البأساء ، ولا يألز لا بعد النل ، ومن عجب أن الفرد له أعوان ينفعونه
ويساعونونه والأمة لها أم تساعدها بالمهادنة والصداقة ومع ذلك ترى القاعدة الآتية مطردة وهي أن أقرب
الإنسان هم أكثر الناس حسدا له بل كل من كان أقرب منك نسبيا أو صناعة أو منزلا أو مزية أو علما كان
أسرع إلى كراهة نعمة الله عليك وأحقد عليك وأبغض لك بطريق المنافسة وحبّ العلق ، وهذه حال الأقارب
من كل أمة ودين ونحلة ، ففهم آلام ومنهم لذات وعلى مقدار الاقتراب تكون العداوات ، إذن قائمة هذه الدنيا
واحدة . ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت - وجهلنا بعضهم لبعض فتنه أنصرون - وائل عليهم إذ أنى آدم - الخ
- قلنا اهبطوا منها جميعا بعضهم لبعض عدو - يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم -
- فلا تنجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليفتنهم بها في الحياة الدنيا - الخ هذه حال أقرب الناس إلينا
وأحبهم وأقربهم منازل منا ، ومن هذا يقال في المولة ووليقتها فسكل منهما متر بص بالآخرى البوائر فاذا قلنا

الناس للناس من بدو وحاضرة * بعض لبضع وان لم يشعروا ختم

نقول أيضا

عدوك من صدقك مستفاد * فلا تستكثر من الصحاب

فان الداء أكثر ما نراه * يكون من الطعام أو الشراب

إذن الألم مصحوب بالأذى لا فرق في ذلك بين ما به بقاء الجسم أو النوع أو ما بين على ذلك كالأحباب .
إذن القاعدة مطردة ، ألم فلهذا ، وغاية الأمر أن اللذة إما لشهوة كالحاصلة من الطعام والشراب والرقاء والبدن ،
بهما الحاصلة بلباس الجسم لا لقاء الحر والبرد ، وأما غضبية كاللذة الحاصلة بغير الأعداء من وحش وإنسان
فهذه لذة أعلى من سابقتها ومنعها وحمل آثارها فتحت القلب وهي الاذنين والبطينان ، فهذه الفتحات
الأربع محل توارد الدم فاليها يرد ومنها يصدر صاعدا ونازلا في الجسم من فرق الرأس إلى أخمص القدم ومتى
أحس الإنسان بما يحس إحساسه وصل الخبر من الحواس إلى الدماغ والسمع يرسل حالا بأعصاب الحس رسولا
عصبيا أشبه بالبريد السريع (التلفواظ) فيوصل الخبر للدم في القلب فيسرع في الجريان ويضطرب ويهتز الجسم كله
ويضطرم بنار الأخذ بالنار ويحتمد ويغلي كالرجل ، فهذه قوة أرقى من سابقتها ومتى أخذ بالنار سكنت ثأثرته
وهدأت حركته والطمأننت نفسه وتكون اللذة على مقدار الألم وإنما تكون أعلى من لذة الطعام والشراب
واللباس والمواقع ، فبكل هؤلاء لذاتهم تشاركهم فيها جميع الدواب والأنعام . أما لذة الانتصار فهي خاصة
بطبقة أرق وهي الوحوش والآساد والفقور فلذلك كانت أرقى من سابقتها ، فاضح بهذا كأن الغنى في الحياة
بالفرم واللذة مقرونة بالألم وهذا الألم نعمة لا نعمة وبشير لذلك قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا تأخذوا
من الرجن - فجعل العذاب من انصف بالرحمة ، ثم أقول إياك أن تكثر صفو العلم هنا بأن تذكر الكفار
وعذابه فهذا المقام لا يسع تفصيله ولقد قدّمت في مواضع كثيرة كالذي في آخر (سورة هود) عند قوله تعالى
- فاما الذين شقوا في النار لم فيها زفير - الخ إذن هذا الوجود كله لم يخلص فيه لذة من ألم حتى نفس العلم
يتقدمه جهل ولولا الاحساس بنقص الجهل ما كانت لذة العلم في هذه الأرض ، فما الحكمة في ذلك يا ترى ؟
وهل الحكمة الإلهية لم يكن سبيل عندها لا سعادتنا أقرب من هذه ؟ ولماذا لم تكن اللذة خاصة ؟ اليس هذا
أليق بمجد العالم

أقول ، اعلم اني لما فكرت في هذا أيقنت بأن صانع هذا العالم خلقنا في الأرض وهو يعلم أن هناك عالما
أرق منه فلم يشأ أن يجعلنا مله شين فيها بل ابتلانا بالخير والشر وقال - ونبأكم بالشر والخير فنتقوا - والينا ترجعون -
يعني انه لو لم يكن عندكم إلا الخير ولم نصحبكم بالشر لم نتحوا الى حال أرقى من حالكم التي أنتم عليها ، لذلك قرنا
خيركم بشركم لتبشعوا عن حال تكون كماها سعادة وخيرا وارقاء ولذلك قال - والينا ترجعون - فرجوعكم
الينا لا يكون بشوق إلا اذا أصبناكم بالآلام فتسكوهون المقام في الدنيا فلا تزالون في جوع وشبع وفقر وغنى
وحسد وقراة وحب وبغض حتى تنتقلوا اليها وتخلص نفوسكم ومتى خلصت نفوسكم كانت هناك السعادة التي
لا شقاوة معها وهذا كله معنى قوله تعالى - يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم - فالقلب السليم
هو الذي خلص من هذه المتناقضات وارتقى عن هذه الدرجات ولم يكن كالغافلين الذين قال الله فيهم - إن
الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون * أولئك مأواهم النار
بما كانوا يكسبون - لماذا هذا ؟ لأنى أدققتهم الخلو والمز والخير والشر فرضوا بهذه الحال ولم يقولوا الجبال في
هذا الوجود ، ثم قال - ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات مهديهم ربهم بإيمانهم - الخ لأن هؤلاء رأوا حالا
ناقصة ففزعوا لأحسن منها وفهموا قوله تعالى - ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون - إذ عرفوا
أنهم خلقوا بين آلام ولذات كثرن وفرح وخير وشر ومرض وحنّة وفروا من هذا العالم بقوله ولذلك أعقبه

بقوله ... ففروا إلى الله ... إذن قوله تعالى ... وإذا مرضت فهو يشفين ... يقصد من هذه المتناقضات القرار إلى الله لتكون ... عند ما يك مقتدر ...

﴿ الأبداع في هذا الوجود ﴾

قلنا إن الأتم داخلًا وخارجًا هو الباعث على التسلسل ، ومن يجب أن الطعام والشراب ولذة التناسل ولذة الغلبة مع اقترانها بالألام حاسبت أدرك الجبال ، فهذا الوجود من سموات وأرضين كما أنه غذاء ودواء وفاكهة وشراب هولوح يدرسه الناس وهو علم وهو جمال . فانظر لآلام حفرتنا إلى طلب الطعام والشراب فبقيت أجسامنا حية ونفس النبات والحيوان مصنوعات صنعنا دقيقا يصير دراسة لنا فيبري ننقلنا ومناظر النبات والحيوان في البر والبحر وكذا النجوم في السموات ، كل هذه ترىنا الجبال ، فكما عاشت بها أجسامنا ارتقت بها عقولنا علمنا وابتهجت أنفسنا بجمالها وبهجة أشكالها فهي الغذاء وهي الرياضة البدنية وهي الدواء وهي الجمال وهي العلوم . فهذا هو الأبداع فالذين أرسلوا لهذا العالم بقوا فيه أغنياء لم يفتقروا علوم هذا اليبات وهذه الحشرات وهذه السموات أى لم يفتكروا فيها فان هؤلاء غافلون والفقلة متى استحكمت في طائفة لم يتأهلوا للاقاء بهم وهي مجالس السوق الملوك ؟ فالأغنياء يكفون من الحياة بقشورها - وفرحوا بالحياة الدنيا - مع أن الدنيا كلها كدر وكيف يفرحون بوجود ضئيل زائل - وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا امتاع - فبيده الآلام في الدنيا كأنها مخاطبة من الله فأناس بلسان الحال فن فهم الخطاب وأدرك أن هذه الآلام يراد بها استيقاظ النفس لادراك العلم والجبال والحكمة طار إلى ربه فرحاً وأحب الموت وسارع إلى لقاء ربه ومن لم يفهم هذا الخطاب ولم يعقل ما يراد به بقي مسجوناً في عالم ضائل مهان معذب على حسب مرتبته . هذا هو السر في الآلام التي نحس بها إن التماثل لأهل الشرق ولأهل الغرب يجدهم متعاونين وان لم يملأوا كل ينفع الآخرين لم يعقلوا وهم مع ذلك أعداء وهم يعلمون متباذون متشاكسون . أهل السكرة الأرضية ينفع بعضهم بعضاً بالتجارة والصناعة وكل لكل مساعد . هذه الحياة كلها حيرة واضطراب . وإذا وجدنا الفرد منا يألم إذا لم يكن عنده ألم الجوع لاعتقاده أن عدم ألم الجوع نقص أى ان نقص الأتم فينا عيب في أجسامنا فانا نجد المجموع يألم إذا لم تقم حرب الأترى ما قاله علماء الألمان قبيل الحرب الكبرى العامة إذ كانوا يقولون ﴿ إن الأمة التي أصبحت آمنة مطمئنة تكون مصيرها الزوال ومن أراد رقي أمة فلترالجية فيها بحرب فانها تبعثها من مرقدها ﴾ وانظر إلى ملجاء في مواضع من هذا التفسير ان أرسطاطاليس قل لتلميذه اسكندر في الرسالة المنسوبة اليه ﴿ ان الأمة الآمنة المطمئنة اذا أصبح أفرادها غيرة وكول المهيم نظام ولا يجتهد في أعمال عظيمة فان هؤلاء ينزلون إلى الحضيض ويصبحون في ملك غيرهم يتولى أمرهم ﴾ إذن لافرق بين الاجسام الانسانية والاجسام المجازية الاجتماعية وهي الأمة بتمامها فان فرد اذا لم يحس بالجوع مثلاً والأمة اذا لم تؤلمها الحوادث وتهذبها النوازل والكوارث فان الفرد ان الأمة يعتبرهما إذ ذاك الاختلال والاعتلال . إذن ثبت بهذا أن حياة الأفراد وحياة الأمم لا تتم إلا بشر يصيبهم ومصائب تنزل بهم والام لا يرتقوا . وأذكرك بما تقدم في سورة البقرة إذ ذكرت لك (الفرة يس) اليوناني القائل ﴿ ان الانسان الذي لم تهذب به الحوادث معرض لنوائب الحداث لا يزال ذليلاً وليس يحظى بالسعادة إلا من مرت النوازل والمصائب عليه ﴾ وهكذا كتاب ﴿ السائح الهندي ﴾ وقد أثرت اليهما في سورة البقرة عند قوله ... و بشر الصابرين - اذن النلم شئ ورأى الجمهور شئ آخر و بناء عليه تكون هذه الحياة مبنها النقص فليبحث الناس عن حياة أرقى من هذه

فقال بعض الفضلاء بعد ما اطلع على هذا . هذا كلام حسن أى اننا لا نجعل هذه الحياة هي المقصودة بدليل انها لا تكون كاملة في مرتبتها الا بالآلام وما أقبح حياة يكون من شروطها الشر فأى خير فيها ؟ هذا حسن ثم ان قوله تعالى ... ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تدركون ففروا إلى الله - أظهر لنا الموضوع

وجلاه وجهه بهجاء بديها حسنا وأصعنا نفس مقعود - حياتنا الدنيا قبي شر وخير والقرار الى الله سبحانه في خير لا شر فيه

﴿ اعتراض على المؤلف بأنه لا مسيح إلا من يعرف هذه المعاني ﴾

واسكن أنت قلت ان التسبيح في الميانات كتسبيح نوس في بين انوث فبهما أن المسبح احق في من يدرك هذه المعاني ويعرف أن الله بهذه الآلام ألهم علينا بنفس الآلام وأنه بهذا مفره من ايذائنا ، فبلى هذا القول تكون رسالته ﷺ خاصة بأفراد عدا الأصابع في كل جيل من الأجيال . إن الذين يعلمون ما تقول في هذا المقام قليل . إذن المسادون في (١٣) قرنا أي بعد العصر الأول لم يسبح الله منهم إلا أناس أقل من القليل وعليه تكون الصلوات والتسبيحات كلها لأفائدة منها . فقلت له إن التسبيح اللفظي والعبادات كلها لها آثار فعلية فلا تسبيح ولا تحميد إلا وأثره ترجع الى النفس وتؤثر فيها كما يؤثر المنيوم (بالكسر) في المنيوم (بالفتح) ولولا هذا لألفت العبادات من الأرض والله عز وجل لا يبق إلا النافع ، ولقد قرأنا في التاريخ وفي الألواح التي نصبها الأمم في كتبهم انهم جميعا يعبدون العبادات أقوال وأفعال وهذه كلها تؤثر بطريق الاستهواء الذاتي فكل قول يلفظ به جاهل أو عام مع المعنى الاجمالي يؤثر في النفس تأثيرا حقا فهو نوع من تزويج الانسان نفسه إذن المنفعة عامة بالصلوات والتسبيحات لخاصة بالمعاهد والحكماء . فقال هذا حسن . فقلت الحمد لله رب العالمين واعلم أيها الذي أن كلامي هذا لا يعلقه إلا قليل وهؤلاء القليلون يتأملون فيجدون اننا أشبه بكره بتجاذبها الحزن والفرح والقرب والبعد والبكاء والضحك والجلال والقبح ففى عرفوا ذلك يقولوا نريد حياة بحال أرقى فيقال لهم - وإن الدار الآخرة على الحيوان لو كانوا يعلمون - إذ ما بعد النقص إلا الكمال ، فمن فهم هذا فهم قوله تعالى - إلا من أتى الله بقلب سليم - وقوله - ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين - أما اخوان الدنيا فهم حاسدون قد شاب الضر تفهم كاطعام والشراب والمول والمهلك انتهى ليلة ٢٠ أبريل سنة ١٩٢٩ م (نصف الليل)

والنرجع الى بقية التفسير اللفظي للقسم الثالث والرابع فنقول ، قال تعالى (كذب قوم نوح المرسلين) أى جماعة قوم نوح وكذب نوح تكذيب للمرسلين لأنهم يدعون الى صراط مستقيم واحد والاختلاف في الطرق وفي الفروع ، وأما الاصول فهي واحدة الايمان بالله واليوم الآخر (إذ قال لهم أخوهم نوح) وقد كان منهم (الانتقون) الله فتركوا عبادة غيره (إني لكم رسول أمين) مشهور بالامانة فيكم (فاتقوا الله وأطيعون) فيما أمركم به من التوحيد والطاعة (وما أسألكم عليه) على ما أنا عليه من الدعاء والضح (من أجر ان أجرى إلا على رب العالمين) فاتقوا الله وأطيعون) كرره لتأكيد وليتبه على أن طاعته تحب عليهم لامانته أولا ولأنه لا يطمع في مال منهم ثانيا وكل منهما وحده كاف في دفع الشبهة عنه ووجوب طاعته فإياك اذا اجتمعوا فأوردوا عليه شبهة (قالوا أنؤمن لك واتبعلك الأرذلون) الأقولن جاها وما لا جمع أرذل فانك وان كنت أمينا ولا تطالب منا أجرا فلا ضرر عليك من هذه الوجهة انما الشبهة واردة عليك في اتباعك الفقراء الذين ربما أرادوا باتباعك أن تطعمهم من جوع وهذه شبهة فيها فردة عليهم (قال وما علمي بما كانوا يعملون) انهم عمهوا اخلاصا أو طمعا في مال ومعاني إلا اعتبار الظاهر (إن حسابهم إلا على ربى) ما حساب بواطنهم إلا على الله فانه هو المطلع عليها (لو تشعرون) لو علمتم ذلك ولكنكم قوم تجهلون فتقولون ما لا تعلمون . ولما كان قومهم من أن أتباعك هم الأرذلون فبعد انهم يريدون طردهم قال (وما أنا بطارد المؤمنين) بغية أن تؤمنوا في على دعواكم انهم هم المانعون لكم من اتباعي (إن أنا إلا نذير مبين) لا أفرق في الذارى بين عزيز وذليل فكيف يلقى في طرد الفقراء . فلما أعظم الحيلة (قالوا لئن لم تنته يا نوح عما تقول لتكفرن من المرجوعين) من المضررين بالبحارة (قال رب أن قوى كذبون) في الرسالة وقتلوا من آمن في من الغرباء (فاتح بيني وبينهم فتحا)

فأفرض بيني وبينهم قضاء بالعدل (وتجني ومن ممي من المؤمنين * فأنجينا ومن معه في القلعة المشحون)
 المملوء (ثم أفرقنا بعد) بعد انجائهم (الباقين) من قومهم . وقد تقدمت هذه القصة في سورة هود مستوفاة
 فأرجع إليها (إن في ذلك لآية) شاعت وتواترت (وما كان أكثرهم مؤمنين * وإن ربك هو العزيز الرحيم)
 انتهى تفسير القسم الثالث والرابع من السورة

(القسم الخامس)

كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ
 أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْمَالِينَ
 * أَنْتُمْ بِكُلِّ رِيحٍ رَائِيَةٌ تَعْمَهُونَ * وَتَتَّبِعُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُمْ
 بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ * أَمَدَّكُمْ
 بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالُوا سَوَاءٌ
 عَلَيْنَا أَوْعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ * إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ * وَمَا نَحْنُ
 بِمُعَذِّبِينَ * فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ *
 وَإِنْ رَبُّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا
 تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ
 أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْمَالِينَ * أَتَنْتَرُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ
 * وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلُوعًا هَاضِمٍ * وَنَجَّيْتُمْ مِنَ الْجِبَالِ يَتُوتًا فَرِهِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ
 وَأَطِيعُوا * وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ * الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ * قَالُوا
 إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ * مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بَآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ *
 قَالَ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِهَا شَرِبَ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ * وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ
 يَوْمٍ عَظِيمٍ * فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَادِمِينَ * فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ
 أَكْثَرَهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنْ رَبُّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ *

التفسير اللفظي

قال تعالى (كذبت عاد المرسلين) أنت باعتبار القبيلة سمو باسم أبيهم (إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون)
 إلى قوله (إلا على رب المالين) كررت هذه العبارة في دعاء الأنبياء للدلالة على أن دعوة الأنبياء نافذة إلا
 إذا كانت مقصورة على ما يقرب إلى الله وتوابعه ويبعد عن عقابه وهكذا العلماء لا ينفع في الناس إلا ما هم إلا
 إذا كانوا مخلصين في تعاليمهم كأنبياهم وبغير ذلك لا فائدة (أنتمون بكل ريح) بكل مكان مرتفع . ويقال

ربع الأرض ارتفاعها وكما يطلق الربع على الترف من الأرض يطلق على الفج وهو الطريق بين الجبلين : آية
 علما لليلة (تنبشون) أى بمن مرة بالطريق لأنهم كانوا يبنون بالمواضع المرتفعة ليشرفوا على المارة والسابلة
 فيسغفروا منهم ويمشوا بهم (وتتخذون مصانع) قصورا مشيدة وحفصونا مائة وماخذ الماء وهي الحياض
 (لعلكم تتخذون) أى كأنكم تتقون فيها خالدين لا تموتون (وإذا بأمستم) أخذتم وسطوتهم وماقيم (بأمستم
 جارين) متسلطين غاشمين بالرافة ولا قصد تأديب ونظر في العاقبة (فأتقوا الله) بترك ذلك (وأطيعوا)
 فيما أدعوك إليه (واتقوا الذى أمركم بما تعملون * أمركم بأنعام وبنين * وجنات وعيون) أى اخشوا الذى
 أعطاكم ثم بين ما أعطاهم فقال أعطاكم أنعاما وبنين وكررت القوى لتفاوت المعنيين وهما تركت النسيات في
 الأول والخبر من انقطاع النعم إذا أهملوا في الثاني وقد فصل النعم في الثاني كأنه على مساريهم بقوله - ألتقون -
 ثم أجهل ذلك كله بقوله (إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) في الدنيا والآخرة وذلك العذاب يكون لفعل المعاصي
 أولئكفان النعم (قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين) فانا لا نرجع عما نحن عليه (إن هذا
 إلا خلق الأولين) ما خلقنا هذا إلا خلقهم نجيا ونموت مثلهم ولا يث ولا حساب (وما نحن بمعدين) على ما نحن
 عليه (فكذبوه فأهلكناهم) بسبب التكذيب برجع صرصر عاتية سخرناها عليهم (إن في ذلك لآية) إلى
 قوله (وان ربك هو العزيز الرحيم * كذبت نود المرسلين * إذ قال لهم أخوهم صالح) إلى قوله (إلا على
 رب المئين) تقدم تفسيرها، وقوله (أنتركون) انكار لأن يتركوا خالدين في نعيمهم (في ما ههنا آمنين) أى
 في الذى استقر في هذا المكان من النعم آمنين من العذاب والزوال والموت ثم بين ذلك فقال (في جنات
 وعيون * وزروع ونخل) وخص النخل الباخل في ضمن الجنات تفضيلا للنخل على بقية الشجر (طلعها)
 أى ثمرها الذى طلع منها (هضيم) لطيف يانع نضيج (وتمتعون من الجبال يوتا فارهين) بطين أو حاذقين
 من الفراحة وهي النشاط فان الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب (فاتقوا الله وأطيعوا * ولا تطعوا أمرا السرفين)
 أى المشركين (الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون) فان الفساد الذى غلب صلاحه على فساده يجوز
 بقاءه، فأما من غلب فساده على صلاحه أو كان فسادا لا اصلاح معه فإهلاكه أولى به (قالوا أنما أنت
 المسحورين) الذين سحروا كثيرا حتى غلب على عقلمهم (ما أنت إلا بشر مثنا) هذا تأكيد (فانت بأية إن
 كنت من الصادقين) في دعواك (قال هذه ناقة) وذلك بعد ما أخرجها الله من الصخرة بدعائه (لهاشرب)
 نصيب من الماء كالسقي والقيت للحفظ من السقي ومن القوت (ولكم شرب يوم معلوم) فلا تزاحوها في شربها
 (ولا تمسوها بسوء) كضروعقر (فياخذكم عذاب يوم عظيم) وعظم اليوم لعظم ما يحل فيه (فمقروها)
 عقروها بعضهم برضاهم فكأنهم عقروها كلهم (فأصبحوا نادمين) على عقروها خوفا من حلول العذاب
 (فأخذهم العذاب) الموعود (إن في ذلك لآية) إلى قوله (العزيز الرحيم) تقدم تفسيرها انتهى التفسير
 الله على القسم الخامس

(الْقِسْمُ السَّادِسُ)

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ
 أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ
 * أَتَأْتُونَ الذَّكَرَ أَمْ تَكْرَهُونَ * وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ وَرَبُّكُمْ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ بَلْ
 أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ * قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * قَالَ إِنِّي لِمِثْلَكُم

مِنَ الْعَالَمِينَ * رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَمْعَلُونَ * فَجَعَلْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ * ثُمَّ دَرَسْنَا الْآخَرِينَ * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْمُزَيَّرُ الرَّحِيمُ * كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْلَى كَذِبَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَوْصَالَكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ * وَزِنُوا بِالْكَفَالِ الْمُسْتَقِيمِ * وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ * وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجَبِيلَ الْأَوَّلِينَ * قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ * وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَطَّلُكَ لَئِنْ الْكَاذِبِينَ * فَأَسْقَطْ عَلَيْنَا كِفَاةً مِنْ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ رَبِّ اعْلَمْ بِمَا يَمْكُلُونَ * فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْمُزَيَّرُ الرَّحِيمُ *

﴿ التفسير المفصلي ﴾

قال تعالى (كذب قوم لوط المرسلين * إذ قال لهم أخوهم لوط) الى قوله (من العالمين) أي أنطون المذكور من أولاد آدم مع كثرة الاناث فيهم (وتدرون ما خلق لكم ربكم) لأجل استماعكم (من أزواجكم) - من - تبين لما خلق ويحتمل أن يكون التبويض أي انكم تدرون العضو المباح منه وتجاوزونه الى ما هو محرم فيه لأن أدبار الزوجات والمواكبات محرمة (بل أنتم قوم عادون) متجاوزون الحد في الشهوة لأنكم تدرون ما هو محل التناسل من النساء الى غيره منهق ومن الرجال (قالوا لئن لم تفت بآلوط) عن نهينا وتقيح أمرنا (لتكونن من المخرجين) من المنفيين من بلادنا (قال إني أعلمكم من القالين) من المبغضين غاية البغض فأنا أحد المبغضين فلست وحدى في هذا الانكار ثم رجع الى ربه فقال (رب نجني وأهلي مما يعملون * فجعلناه وأهله أجمعين) أهل بيته والمتبعين له على دينهم إذ أمرنا باخراجهم من بيوتهم وقت حلول العذاب (إلا عجوزا) هي امرأة لوط (في الغابرين) أي كائنه فيمن بقوا في القرية فانها لم تخرج مع لوط فهلكت مع الهالكين (ثم درسنا الآخرين) أنهلكناهم (وأمطرنا عليهم مطرا) أمطار الله على شذاذ القوم حجارة من السماء فأهلكهم * وقيل بل أتبع الاتفكاء مطرا من حجارة (فساء مطر المنذرين) مطرهم (ان في ذلك لآية) الى قوله (لهو المزيّر الرحيم) تقدم تفسيرها أيضا

﴿ لطيفة في قصة قوم لوط عليه السلام ﴾

اعلم أن الله عز وجل أذن اليوم بإبراز الجباب والحكمة في القرآن لتقر به النواظر وتشرح به الصدور وتستقر الامور ، فانظر أبدك الله الى ما جاء اليوم من الكشف والعلم في هذه القصة في الجلات والكتب مثل « مجلة السياسة » الأسبوعية يوم السبت ١٣ أكتوبر سنة ١٩٢٨ وهذا نص ما جاء فيها

﴿ قصة سدوم وعمورة ﴾

(هل هي حقيقة أم خرافية . أحدث آراء علماء الآثار)

في الكتب المنزلة ان الله أهلك مدينتي سدوم وعمورة وثلاث مدن أخرى بجوارها بأن أهلها عليها ناراً وكبريتاً من السماء فلم ينج من سكانها سوى إبراهيم الخليل وأهل بيته ولوط وابنتيه . ولم يكن إبراهيم من أهل تلك المدن ، وإنما كان قد نزح إليها من الشمال طلباً للرحى حسب عادة القبائل الرحل في ذلك الزمن ، وقد اختلف المؤرخون في قصة سدوم وعمورة فأذهب بعضهم إلى أنها خرافة لا طائل تحتها ، وزعم آخرون أنها قصة رمزية ترمي إلى العقلة والتدكري ، وقال فريق ثالث إنها حقيقية وإن في آثارها بلاد المجاورة للبحر الميت ما يثبت صحتها ، ولعل الدكتور (أولبرايط) المشهور بمباحثه الأثرية في بلاد المقدس في مقدمة الذين سعوا لمعرفة حقيقة قصة (سدوم وعمورة) التي قد سر عليها أربعة آلاف سنة وهي لا تزال من الأسرار المستغلفة على علماء التاريخ ، ويظهر من المباحث الأخيرة التي قام بها أن تلك القصة حقيقية بجميع تفاصيلها وإنا على وشك اكتشاف أساة من أفضح المآسي التي شهدتها التاريخ

قام الدكتور (أولبرايط) بمباحث واسعة النطاق في وادي الأردن وعلى سواحل البحر الميت وهما السكان الوحيدان اللذان يطلق أن سدوم وعمورة والثلاث المدن الأخرى كانت فيهما ، وقد انتهى من المباحث إلى هذه النتيجة وهي أن القصة الواردة في الكتب المنزلة ليست خرافية ولا رمزية بل هي تاريخية بجميع تفاصيلها وسرياتها ، وخلاصة هذه القصة هي أن حوالي القرن التاسع عشر قبل الميلاد انتحل إبراهيم الخليل من بلاد ما بين النهرين إلى فلسطين ومعه أهل بيته وابن أخيه لوط وأهل لوط ومع كل منهما مواش كثيرة ، وفي رواية التوراة أن الأرض لم تحتلها لكثرة ما كان معهما من الغنم والبقر والرعاة ، وأنه حدثت خصاصة بين رعاة مواشهما فافترق لوط عن إبراهيم حفظاً للسلام ، واختار لوط دائرة الأردن أي الوادي الذي كانت فيه سدوم وعمورة وأقام بسدوم ، واختار إبراهيم المرتفعات التي في الشمال وضرب خيامه في موضع يقال له (بلوطات عمرا) وأقام هنالك مذبحاً لله لأنه كان مؤمناً ، أما لوط فيظهر أن اختلاطه بأهل سدوم أنشأ عبادة الخلق فافترق أثر الوثنيين (هذه يكنها التمرآن) وكان ذلك في القرن التاسع عشر قبل الميلاد أي منذ نحو أربعة آلاف سنة وهذا هو العصر المعروف لدى علماء التاريخ بالعصر البرونزي ، على أن آثار فلسطين التي ترجع إلى أربعة آلاف سنة تدل على أنه كان في فلسطين في ذلك الزمن حضارة راقية وليس في تفاصيل قصة إبراهيم ما يناقض آثار تلك الحضارة بل أن جميعها تنطبق على عادات القوم وطقوسهم وشعائهم كل الانطباق ، فقد كان الناس الراسل ينسجون المراعي الضيقة ويضربون خيامهم حيث تسكن المياه وتسهل وسائل المعيشة وكانت المدن تشاد في الأودية على مقربة من مجرى الأنهر كما كانت الخيام تضرب على المرتفعات وهذا عين ما فعله إبراهيم وليس في هلاك مدينتي سدوم وعمورة ما هو مدعش من الوجه العلمي أو التاريخي فقد أخذت بصروف الدهر مدن (تروادة) و (بابل) و (بيليك) و (قرطاجة) و (بطرا) و (بوساي) و (تدمر) وغيرها ولكن لم ينج أثر إحداها نحو تماماً بل لا يزال السكل منها آثار تدل عليها وعلى ما كان لها من المجد والعظمة

أما سدوم وعمورة بل المدن الخمس التي كانت في دائرة الأردن فقد زالت ولم يبق لها أثر قط وهذا ما جعل الكثيرين من المؤرخين يعتقدون أن قصة سدوم وعمورة خرافة لا طائل تحتها أو أنها حكاية رمزية كما تقدم على أن الدكتور (أولبرايط) قد اكتشف آثاراً يمكن أن يستدل منها على صحة القصة فقد وجد هناك آثار حصن قديم بعل تلوخ، مائة قدم على سطح البحر الميت وبجوارها هذا المذبح الحجارة منسوبة بشكل أعمدة يرجح أنها المرتفعات التي كان الوثنيون في ذلك الزمن يقيمون عليها قربانهم ، ويسمى أهالي الأردن المكان

الذي توجد فيه تلك المرتفعات (باب الدراع)؟ وهو على الأرجح الموقع الذي كانت فيه سدوم وعمورة لأن الوثنيين كانوا ينصبون مذابحهم في المدن (في المعابد) حيث يقيمون شعائر عبادتهم فلا بد إذن أن باب الدراع كانت مركز حضارة وثنية ترجع إلى ذلك العصر ولكن أين آثار تلك الحضارة؟ أي يمكن أن يكون البحر الميت قد طمأ عليها فطمرها وأزالها؟

هذا فرض كثير الاحتمال وفي التاريخ حوادث كثيرة تشبهه ، ففي سنة ١٨٨٣ ثار بركان (كراكاتو) بين جاوا وسومطرة (وكان العلماء يظنون انه قد انطفأ منذ زمان طويل) تغير جغرافية تلك الأنحاء تغييرا تاما وقامها رأسا على عقب ، وفي سنة ١٨٨٦ أي بعدها بثلاث سنوات ثار بركان (تاراورا) ببلاد نيوزيلندا (وكان العلماء يزعمون انه من البراكين المنطفئة) فغير معالم البلاد المجاورة وأحدث بها تغييرات حتى صار أهالي تلك الأنحاء لا يعرفونها ، وعليه فمن المحتمل جدا أن يكون البحر الميت قد طمأ على المدن الخمس التي كانت في دائرة الأردن بل ان بعض علماء الجيولوجيا يؤكدون أن هذا البحر يغير اليوم بلادا كانت أهلة بالناس أما المدن الخمس فهي سدوم وعمورة وأدمة وبالع وصيونيم ، وقد عثر المتنبون في (باب الدراع) على آثار يؤخذ منها أن طقوس العبادة الخاصة بالمرتفعات السابق ذكرها استمرت من سنة ٨٠٠ إلى سنة ١٨٠٠ قبل التاريخ الميلادي أي ان باب الدراع كان من أمكنة القوم المقدسة مدة نحو ألف سنة ثم هجره اصحابه ولماذا؟ لسبب بسيط وهو خراب سدوم وعمورة

وليس في تسميتنا سدوم وعمورة وأخواتهما بالمدن ما يدل على حقيقتها فانها لم تكن مدنا بالمعنى المعروف عندنا بل كانت على الأرجح قرى صغيرة تضم كل منها بضعة عشرات أو أكثر من المنازل وكان ملوك تلك المدن أشبه بشيوخ بلد لولا ما كان لهم من الشأن عند رعييتهم ، ويؤخذ من رواية التوراة أن ملوك المدن الخمس المذكورة خرجوا لقتال أربعة أعداءهم وأخذوا لوطا وأملاكه في جيلة من أخذوه من الأدمى والغنائم لأنه السديم) فزعم الملوك الأربعة أعداءهم وأخذوا لوطا وأملاكه في جيلة من أخذوه من الأدمى والغنائم لأنه كان يقيم سدوم ، فلما سمع إبراهيم بما جرى لابن أخيه خرج في (٣١٨) من رجاله وهاجم القرية وكسرهم وأخذ لوطا وأملاكه وأهل بيته ، وفي هذه الرواية عينا أن ملكي سدوم وعمورة قتلا في (عمق السديم) حيث كانت آثار حجر كثيرة وآثار الحرك لا يخفى هي قالة للأنهار وفي ذات يوم إذ كان إبراهيم جالسا بباب خيمته في حر النهار أقبل عليه ثلاثة رجال ، وفي التوراة اهم كانوا ثلاثة ملائكة فاستقبلهم بترحاب عظيم وصنع لهم وليمة واحتفى بهم وفي أثناء الطعام علم انهم ذاهبون الى سدوم وكان أهل هذه المدينة مشهورين بشرورهم وانفاسهم في شهواتهم البهيمية ولاسيما الحرمة منها ، فلما وصل الرجال الثلاثة الى سدوم ساروا نوا الى منزل لوط ابن أخي إبراهيم ليبيتوا عنده وعلم أهل سدوم بقصدهم فأرادوا أن يرتكبوا بهم موقبا ولكن لوط دافع عنهم وعرض أن يضحي بشرف ابنته لينقذهم فآبى أهل سدوم لإلأن يرتكبوا بهم الفحشاء ولكن الضيوف تمكّنوا من الفرار وأقنعوا لوطا وأهل بيته بالفراق معهم ، واليك رواية التوراة بعد ذلك

« واذ أشرفت الشمس على الأرض دخل لوط (صووع) فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتا ونارا من السماء وقلب تلك المدن وكل الدائرة وجميع سكان المدن ونبات الأرض ونظرت امرأة لوط الى الوراء فصارت عمود ملح » ومعنى قوله صارت عمود ملح انها اختفت بالغازات الكثيرة المتصاعدة من آبار الحر التي انبثت إما بسبب حدوث زلزلة أو بسقوط صاعقة من الحوق ، وكلا السببين يكفي لاشتعال آبار الحر وجعلها آتونا بالنار ما سوله من نبات وحيوان وانسان ، ومثل هذا الحادث غير منافي للنواميس الطبيعية بل له في التاريخ نظائر كثيرة ، وفي تاريخ الكرة الأرضية انقلابات جيولوجية كثيرة شبيهة بمحادثه (سدوم وعمورة) فقد ثور بركان وتدفق حممه على المدن المجاورة فطمرها وتهاك أهلها وقد تنخفض بلاد واسعة يطمو عليها البحر وتزول

هى وما فوقها من نبات وحيوان وانسان وقد نشق الأرض فنبتلج مدنا بأسرها ، وما نذكر بالذكر انك اذا وضعت الخارطة أمامك ورسمت خطا من بحر الجليل مارا بوادى الأردن فالبحر الميت فالبحر الأحمر فبلاد الحبشة كان لك ما يسميه علماء الجيولوجيا (منخفس ارتيريا) إذ يقولون ان السكرة الأرضية انخفضت في زمن من الأزمان على مدى الخط المذكور فأصبح بحر الجليل يعم (١٦٥٣) قلما على سطح البحر الأبيض المتوسط حالة أن البحر الميت أصبح تحت مستوى البحر الأبيض المتوسط بزهاء (١٣١٦) وهذا دليل على أن المدن الخمس التي كانت هناك غمرها البحر الميت وانخفض معها الى أسفل وقد احترقت بالكار والجر واخنتق أهلها بالغازات المنبعثة عن ذلك (أقول نحن لا نقر من هذا إلا ما وافق القرآن) انتهى

وقد كتب كاتب في جريدة الاهرام بتاريخ ١٨ مارس سنة ١٩٢٩ م ما نصه

﴿ البحر الميت أو بحيرة لوط ﴾

لما كان اسم هذا البحر أو البحيرة يرد كثيرا في تلفرات الاهرام الخصوصية بمناسبة امتياز استنباط أملاحه المعدنية وهو المشروع الذى تدور المناقشة عليه في البرلمان البريطانى بين حين وحين في خلال السنوات الأخيرة وكنت قد زرتة مرارا في أيام حوادثي التي قضيتها في القدس الشريف رأيت أن أذكر هنا موجز تاريخ هذه البحيرة ووصفها وما أعرفه عنها فأقول

« إن موقع هذه البحيرة التي هي أكبر بحيرات فلسطين وسورية هو في الجنوب الشرقى من القدس الشريف على مسيرة ١٨ ميلا في منخفض من الأرض يسميه السكان (غور السديم) ويرجع انها تفرج عنها عظميا من المدن الخمس التي أظمرها الله تارا وكبريتا كما ورد في سفر التكوين من التوراة وطولها من الشمال الى الجنوب يقارب خمسين ميلا وعرضها عشرة أميال وسطحها منخفض عن سطح البحر المتوسط (٣١٦) قلما . ولما كانت هذه البحيرة مصبا لمياه غريزة وكان لا منفذ لها ظاهرا ولا يبدو فيها أثر من زيادة مائها أو نقصانه تضاربت في امرها آراء العلماء أذكر لهم « رأيين » قال فريق ما خلاصته ان غور أرض هذه البحيرة وانخفاضها العظيم واكتناف الجبال التي تشدد على مخنفها هو بحيلة لشدة الحر الذي يفيض من مائها يوميا كمية تعادل الكمية التي تصب فيها ، ولا ينكر أحد أن حرارة الجو الشديدة ينشأ عنها بخار وافر وضباب كثيف متكاثر ينتشر ويغطي سطحها وضواحيها مسيرة أميال ولكن يلوغ من المستحيل نحو بل كل الماء الذي يصير اليها بخارا أو ضبابا على ماعليه المحققون من علماء هذا الفن وقد عدلوا كمية الماء الذي يجرى اليها يوميا من نهر الأردن وحده بما يري على ستة ملايين متر مكعب ، هذا عدا مياه الغدران والجداول ومجارى الأودية التي تصب فيها أيام الشتاء من أكثر جهاتها ولاسيما (نهر الموجب) الذي يأتيها من منحدرات الجبال التي تلى شرقها فانها لعمرى كمية لا سبيل الى تتو اليها بخارها مما تناسطت شدة الحر ، وقال فريق آخر انه لابد لها من منفذ سفلى تصب منه في عمق أحد البحور التي لا يعلم الى الآن غور لجبهتها تماما وراقبوا الماء الذي يتحصره سنويا بالتبخير وبذهابه في المنفذ المفترض فاذا هو يزيد على القدر الذي يأتيها . وأما خواص مائها فليس له ثقل نوعي واحد بل يختلف في الكثافة والحرارة باختلاف مواضعه منها ، فحيث يدخلها ماء الأنهار والسواقي يكون أقل ثقلا ومراة من غيره ، وعلى وجه العموم يقدّر أن في كل مئة جزء منه خمسة وعشرين جزءا من الأملاح المعدنية ذائبة فيها وهي لكثرة أملاحها لحياتة فيها لحيوان البتة . ومعلوم أن مياه البحار الأخرى لا تفوق أملاحها أربعة في المئة . وأعظم جزء بين موادها هو (كلورور الصوديوم) وهو ملح الطعام فانه يبلغ ثلاثة أرباع المواد الأخرى التي فيها مثل (كلورور المغنيسيوم) وكبريتات الكلس والمغنيسيا وغيرها من مواد أثر قارية وزفتية وكلها تولد فيها تلك المرارة والسكرابية وهي من فرط هذه المواد المعدنية وكثرة ما يتصادع عنها من الضباب والأبخرة صافية راققة تستهبج النواظر بجمال رواثها غير أن الأيدي تتجاف عن لمسها لأنها تفرزها أنوا

زينا ولا مناص لمن خاض فيها أن يظهر بعد ذلك بماء عذب زلال وأنه لا يلبث زمنا قليلا حتى تجوس في جسمه حكة تهيج فيه البثور كما جرى للكثيرين وأكثر الذين يقصدونها للاستحمام يستحمون فيها على مقربة من مصب الأردن في الجهة الشمالية حيث يتكثرون بعيد ذلك من الاغتسال في ماء الأردن . ولقتل ماء هذه البحيرة يطفو فوقها مارسب في غيرها . وإنما لاحذر فيها على من لا يحسن السباحة فانه يعم ولو ربط كاتا يديه وراء ظهره وكل ما عليه هو أن يرفع رأسه ، ويبلغ عمقها نحو (٤٠٠) متر في الجهة الشمالية وسعة أمتار وما ينفذها في الجهة الجنوبية ويختلف ما بينهما باختلاف مواضعها تدريجيا ، وبالأجل فانها تصلح لتسيير البواخر الصغيرة

أما أرباب هذه البحيرة فسكانها بلاقع قفرة خالية من السكان والودور والشجر ولا يقم بها إلا بعض البدو وقبائل التعمرين الرحل وذلك في فصل الشتاء وتحيط بها الجبال الوعرة إلا في الجهة الشمالية الشرقية منها فانها سهل فسيح الأرجاء وسكنه عقيم حتى التربة تغطي قشرة ملحية جعلت أرضه سبخا لانبت نباتا لا يثمر تجرى فيها المياه الحارة ونباتها لا ينفع به وهو في الغالب الحلفاء والأبنة وماشاكلها من النبات المائي وقديما كان ينبت في جوار هذه البحيرة وأربابها نوع من الشجر يعرف ثمره بالغلب السام أو الغلب المر فكان ظاهره بهي المنظر إلا أن داخله كان ناعنا عذوا رمادا وبخارا وقد أشار اليه النبي موسى في سفر التثنية قال « من حفته سادوم جنتهم ومن كرم عمورة عنهم عنب سم وعناقيدهم من مرارة » وإلى الآن نرى أكثر ثمار هاتيك الأرض المجاورة لها نضرة شبيهة غير أنك اذا ما قطعتها تحولت بيدك إلى غبار ورماد ، على أن هذه الأرض وإن لم تصلح الآن للزراعة والتشجير فهي صالحة لاستخراج المعادن فانها كثيرة غنية بها بالحجر والطينون والكبريت وزيت البترول الخ . والأسماء المشهورة بها هذه البحيرة هي ما يأتي

- (١) بحيرة لوط نسبة إلى لوط ابن أخي إبراهيم الذي أنجاه الله مع آله من سدوم
- (٢) البحر الميت لأن مياهها لا تعيش فيها الحيوانات المائية وتلبث راكدة هادئة لإعند اشتداد العواصف
- (٣) البحيرة المنتنة لأنها تقيح عنها في الغالب رائحة خبيثة لوفرة موادها المعدنية
- (٤) بحيرة الملح اعتبارا لمائها الأجاج ووفرة الملح فيها
- (٥) بحيرة الزفت لكثرة موادها الزفتية وانقارية
- (٦) البحر الشرق لمقابلته البحر المتوسط لكونه غربيه
- (٧) بحيرة البرية والسهل لأنها في برية فاصلة وشمالها الشرق سهل فسيح
- (٨) بحيرة سدوم باعتبار انها محلها على الرأي الأرجح ، أما المدن الخمس التي أشرت إليها في أول هذه المقالة ويقال انها كانت حوطا في موضعها فهي سدوم وعمورة وصوبوتيم وادمه وزغر . وقد اختلف علماء الآثار على موقعها فمنهم من جعله في الجهة الجنوبية من البحيرة حيث السهل الخراب . ومنهم من زعم انه في الجهة الشمالية حيث السهل القاحل الكبير إلى الممتد منها إلى اربحا . على أنهم وإن اختلفوا في ذلك فهم مجمعون رايًا على أن موقعها بجوار هذه البحيرة وأن جانبها منها تعمده مياه الراكدة . وما يمكن قوله عن هذه المدن انها كانت قبيل أن شملها الخراب الإلهي حافلة بالسكان متردية ثوب الحضارة والمدنية . ونحن نلاحظ الانحصار الرابع عشر من سفر التكوين أن كلا من هذه المدن كانت قاعدة للملك جبارة فضلا عن أن موقعها الطبيعي يستدعي أن تكون زاهرة غناء مزدهية بجمال موقعها بديسة بجناتها وغياضها غنية بوفرة مائها وشيراتنا لأن نهر الأردن كان يشعب في غورها الزكي التربة سيولا فيسقي أرباضها ورياضها وحدائقها التي كانت ولا شك تفوق جنات دمشق كثرة وخصبا . ويمكن القول أيضا أن تحضر هذه المدن قديما وتألب السكان فيها قد حلا إبراهيم الخليل على أن يتقدم إلى الله العليّ مسترسلا في كلامه مكررا تضرعه إليه تعالى أن يعفو عنها

(تكوين ١٨) غير أنه لما كان الفساد قد شمل سكانها وكان جميعهم قد سكبوا بلذة الإثم حتى أنه لم يعد فيها بار سوى لوط وآله انتقم الله من أهلها بأن أمطر المدن نارا وكبريتا من السماء فأهلك ما كان هناك خزيها معدا من البراكين النارية التي عجبت دمارهم فطبق ماء الفور الزائد تحتها وجبه هاتيك الأرض فنارت بهم خاسفة وظهرت البحيرة على ما نراه اليوم . انتهى والله أعلم (ر . ن)

ثم قال تعالى (كذب أصحاب الأيكة المرسلين) الأيكة غضة تثبت ناعم الشجر ، يريد غضة بقرب مدين تسكنها طائفة فبعث الله إليهم شعيبا كما بعث إلى مدين وكان أجنبيا عنهم فذلك قال (إذ قال لهم شعيب ألا تنقون) ولم يقل أخوهم لأنه لم يكن منهم وإنما كان من مدين وأرسل إليهم * ويقال الأيكة الشجر الملتف وكان شجرهم العوم (إني لكم رسول أمين * فاتقوا الله وأطيعون) إلى قوله (إلا على رب العالمين * أوفوا الكيل) أيهم (ولا تكونوا من الخسرين) حقوق الناس بالتطفيف (وزنوا بالسطاس المستقيم) بالميزان السيئ أو القبان ، وإذا جعلناه عربيا جعلناه من القسط وهو العدل (ولا تبغوا الناس أشياءهم) أى لا تنصوهم حقوقهم كدراهم ودنانيرهم بقطع أطرافها وغير ذلك (ولا تعفوا في الأرض مفسدين) بالقتل والغارة وقطع الطريق (واقفوا الذي خلقكم والجليلة الأولين) أى وذرى الجليلة الأولين أى الخليقة والأُم المتقدمة (قالوا إنما أنت من المسحورين * وما أنت إلا بشر مثنا) فقد جمع بين وصفين منافين للرسل (وان فظنك لمن الكاذبين) في دعواك (فأسقط علينا كسفا من السماء) قطعا منها (إن كنت من الصادقين * قال ربي أعلم بما تعملون) من نقصان الكيل والوزن وهو يجازيكم بأعمالكم فعلى البلاغ وعلى الله الحساب (فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم) إذ أصابهم حر شديد فكانوا يدخلون الأسراب فيجدونها أحر من ذلك فيخرجون فأظلمت سحابة فاجتمعوا تحتها فأطمرت عليهم نارا فأحترقوا جميعا (إن في ذلك لآية) إلى قوله (الرجم) انتهى التفسير اللفظي للقسم السادس

هذه هي القصص السبع التي جاءت في هذه السورة مختصرة وهذه القصص دالة على أن هذا وحى من الله فان النتائج التي حصل عليها الأنبياء هي التي حصل عليها النبي ﷺ ولم يكن وقت نزولها ذا شوكة ولا قوة . وهذه القصص السبع نموذج لما أصيب به النبي ﷺ من التكذيب والأذى ولما عوقب به القوم من الخذلان والصغار ولما منح ﷺ من النصر المبين والفتح ، والمتأمل في هذا يجد هذا معجزة فانه أولا لم يكن من القارئ حتى يطلع على مثل هذا ، وثانيا لم يكن يدور في خلد أحد أن تكون هذه عقوبة من إلام الله ولا رجال ولا جند عنده وهذا من أغرب المعجزات . واعلم أن هذه القصص قد تكلمنا عنها في سورة الأعراف وفي هود فارجع إليها إن شئت

(الْقِسْمُ السَّابِعُ)

وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ السَّالِمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ * وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ * أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَأْتِيَهِمْ غُلَامٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ * وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ * فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ * كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ * لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ * فَأَيُّ تَيْمِيمٍ بَنَتْهُ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ * أَفَعِدَّائِنَا

يَسْتَعْمِلُونَ * أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ * مَا أَغْنَىٰ
عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَنُونَ * وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ * ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا
ظَالِمِينَ * وَمَا تَزَلَتْ بِهِنَّ الشَّيَاطِينُ * وَمَا يَذَّيْقُنَّ لَهُمْ وَمَا يَسْتَظْلِمُونَ * إِنْهُمْ عَنِ السَّمْعِ
لَمَعْمُولُونَ * فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونُ مِنَ الْمَذْبُوحِينَ * وَاتَّخِذْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ
* وَاخْضِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِمَا تَعْمَلُونَ
وَاتَّوَكَّلْ عَلَى النَّازِلِ الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلِّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ * إِنَّهُ هُوَ
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * هَلْ أَتَيْنَاكُمْ عَلَىٰ مَن تَزَلُّ الشَّيَاطِينُ * تَزَلُّ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ أَثِمٍ *
يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ * وَالشُّرَكَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَأَهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ
يَهيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ * إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ
كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا نُحِلُّوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ *

﴿التفسير اللفظي﴾

قال تعالى (وانه لتنزىل رب العالمين) منزل منه (نزىل به الروح الأمين) أى جبريل لأنه أمين على الوحي والوحي فيه الحياة * وقرىء .. نزىل - بالتشديد أى نزل الله الروح بالنصب أى جعل الله الروح نازلا به والياء للتعبدية (على قلبك) أى حفظك وفهمك إياه وأثبت في قلبه إنبات من لا ينسى قوله - سقرئك فلا تنسى - (لتكون من المنزىلين * بلسان عري منين) واضح المعنى فصيح ، وانما كان نزوله على قلبه بلسان عري منين لأنه لو كان بلغته غير لغته لكان أول توجه نفسه الى اللفظ ثم المعنى مهما كان ماهرا فيها ، فاذا كان بلغته التى نشأ عليها كان توجه نفسه الى المعانى بدون عائق ، هذه هى العادة فيمن يعرف لغات كثيرة وهذا سبب نزوله بلغة العرب وهى لغة الرسول ﷺ (وانه لى زير الأولين) وان معناه لى كتب الأولين أودى ذكر محمد ﷺ وصفته ونعته (أولم يكن لهم آية أن يعطاه علماء بنى اسرائيل) أولم يكن هؤلاء المعادين دلالة على صدق محمد ﷺ أن يعرف هؤلاء العلماء بنعته في كتبهم فقد بعث أهل مكة الى اليهود وهم بلديته يسألونهم عن محمد ﷺ فقالوا ان هذا زمانه وانا نجد في التوراة نعته وصفته فكان آية على صدق محمد ﷺ والذين شهدوا بذلك خمسة عبد الله بن سلام وابن يمين وطعلة وأسد وأسيد (ولوزنكاه) أى القرآن (على بعض الأعجميين) جمع الأعجمي على التخفيف وهو الذى لا يفهم ولا يحسن العربية وان كان عربيا في النسب (فقرأ عليهم ما كانوا به مؤمنين * كذلك سلكناه) أى أدخلنا الكفار للدلول عليه بقوله - ما كانوا به مؤمنين - في قلوب المجرمين * لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم) الملحق الى الايمان (فأياهم بقعة) جأة (وهم لا يشعرون) بأنيانه (فيقولوا هل نحن منظر) معناه انهم يسألون الأهالي فلا يجابون ، ولما تكرروا الانذار على أهل مكة وسعوا بعذاب الأمم السابقة في مثل هذه السورة قالوا الى متى نودعنا بالعذاب ونرى هذا العذاب ؟ فقال الله (أفعدابنا يستحيلون * أفأرأيت إن متعناهم) متعنا أهل مكة (سنتين) ولم نهلكهم (ثم جاءهم ما كانوا يوعدون) وهو العذاب (ما أغنى عنهم) من عذاب الله (ما كانوا يمتعون) كأنه قيل لىكن الأضر

كما ينتقدون من يتخيمهم وتعميرهم فإذا طال الأجل وتمتعوا ثم لحقهم ما أنشروا به فإذا بشقهم من طول ذلك الأمد والتمتع بالنعيم ، يقول الله إن العذاب واقع عاجلا أو آجلا فإذا لم يكن عاجلا فإنا لنفيدهم نسيم وطول عيش هو ذاهب للاحالة بوقوع العذاب ، إن النعيم المنقطع لا فائدة منه ولا خير فيه ، وعن ميسون بن مهران أنه لقي الحسن في الطواف وكان يتخى لقائه فقال له عظمي فلم يزد به على تلاوة هذه الآية ، فقال ميسون قد وعظمت فأبليت ، وعن عمر بن عبد العزيز أنه كان يقرأها عند جازسه للعجم (وما أهلكتنا من قرية إلا لها منذرون) رسل ينذرونهم إلزاما للحجة كما هي عادتنا في أننا نقدم المرض قبل الموت غالبا إذا رأينا حكمة ، ولم أنذرنا الناس بالردى قبل وقوع الكوارث والحوادث ، وهكذا إذا جاء أجل الأمة أهلكنا خطباءها وعقلاءها فذكروا المستقبل المظلم الذي لها ، وإنما فعلنا ذلك (ذكرى) أى لأجل التذكرة (وما كنا ظالمين) فنهلك غير الظالمين وقبل الانذار . كلا .

﴿ جوهره في قوله تعالى .. وما أهلكتنا من قرية إلا لها منذرون ﴾ ذكرى وما كنا ظالمين - مع قوله تعالى في سور أخرى - وإن من أمة إلا خلا فيها نذير - وقوله - وما كنا مهلكي القرى إلا أولاهلها ظالمون - وقوله - وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون - والظلم هنا الكفر وقوله - وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا - وقوله - حتى إذا أخذنا مترفيها بالعذاب إذا هم يجأرون - لا تجأروا اليوم أنكم منا لا تنصرون - وقوله - نغلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا - ﴿

هاهوذا القرآن يقول لنا أيها الناس إن الترف والنعيم والظلم مبدأ الخراب في الأمم ، ويقول إن الأمم إذا أوشيا بها وولت أممها وأقبل هرمها أنشروها منذروها وحذروا المحذرون ، وهنا نقول ، لماذا أنزل الله هذه الآيات في القرآن الكريم ، المجرد التلاوة والتعبد ، كلا ، بل للتلاوة والتعبد ومعهما العمل ، أم الاسلام اليوم في حاجة شديدة الى الإصلاح والتذكير والله يقول - وذكرهم بأيام الله - إذن نحن مأمورون أمرا حقا وواجبا وجوبا كفافيا وعلى كل مشغل بعلوم الأمم الاسلامية أن يذكرهم بما علم . فإذن هنا ذكر المسلمين عموما بأمتين أنشروها منذرون وحذروها المحذرون قبل سقوط دولتهما وهما أمة المصير بين القدماء وأمة العرب بالأندلس . أنا أكتب هذا هنا تذكرا للمسلمين وخروجا من الإثم بالتقصير لعلمي أن ما أكتبه أنا ويكتبه غيبي من أهل العلم ببلاد الاسلام يرفع همهم ويوقظهم الى المستقبل كما قال تعالى - وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين - وإذا كانت الذكرى قد نفعت الأمم الغربية وأثارت دولهم وبما لكهم القوية في عصرنا فانها ستكون هنا في بلاد الاسلام أسرع أثرا وأنفذ قولاً وأبعد مدى . فهاك ما حدث بفرنسا قبل أوائل هذا القرن العشرين . ذلك انهم أعلنوا أن تحضر الفتيات عاريات في المراسم يطلع الناس على الجبال بلابلس في مرقص من مرقصهم ، فأعلن أحد علماءهم أن يلقى خطبة في ذلك الأمر واستقبحه ، فلما حضر واجتمع القوم رموه بالطعام حتى صارت ثيابه جيعها ملوثة بلون الطعام فلم يزد على أن قال « ما كنت أعلم أن هذا يوم الكرفال » الكرفال معناه يوم يلبس الناس فيه الملابس المضحكة لجرم الفكاهة (المسخة) فضحك القوم وأنصتوا للخطبة فقص عليهم تاريخ الرومان قائلا ﴿ إن الرومان في أواخر أيامهم قد تمادى النساء في غوايتهن حتى وقفت فتاة في الشارع وخبطت على عربة وقالت والله لا ترجع عن الزينة والزحف حتى تكون عر باتنا من ذهب وتصنع المالية وفقا على تفننتنا في الخلاعة والزينة ، وزاد الفجور والسوق فانحلت تلك المدينة وذهبت ﴾ فلما سمعه القوم أعرضوا عما عزموا عليه ومنعوا حضور النساء عاريات ، ذلك لأن الخطيب ذكرهم بنهب مجدهم واختلال ملكهم ، هكذا هنا ذكر المسلمين الآن بهاتين الأمتين وسيكون لذلك أثره إن شاء الله

وأنه هو الهادى الى صراط مستقيم

فلأجعل الكلام فى ﴿ أربعة فصول ﴾ الفصل الأول ﴿ فى انحطاط ديانة قدماء المصريين بعد ارتفاعها

﴿ الفعل الثانى ﴾ فى ورقة انسطاسى البردية أوسفرابوروالثى المصرى القديم ونبوة الفيلسوف هرمس

﴿ الفصل الثالث ﴾ فيما حل بالأندلس من احتجاب الخلفاء ونشبه الفتيات بالفتيان وشيوع الترف والانهاض

فى اللذات وتفرق الصبية

﴿ الفصل الرابع ﴾ فيما توقعه العقلاء من زوال ملكهم

﴿ الفصل الأول فى انحطاط ديانة قدماء المصريين ﴾

أنا أسوق هذا الفصل لأذكر قومنا بأيام الله حتى لاتنع فيما وقعوا فيه فأقول ، لابد قبل البدء فى ذكر انحطاط هذه الديانة من ذكر ارتقاها وعلاؤها حتى نعرف كيف انحطت ، إن المصريين استدلوا على الله بقولهم أجيالا راجعا إلى أجيال حتى عرفوا اسمه وصفاته وأحبوه حبا جارا آلاف السنين ثم رجعوا القهقري ونسوا أصل الدين وعبدوا الحيوانات فزال مجدهم ، وقد جاء فى نص فى قبر الملك (بجى الأول) أنهم أولًا كانوا يقولون إن أنوم وذرته (آدم) وذرته كانوا يسكنون مدينة (هليوبوليس) وأنوم هذا كما أنه أبو الآلهة هو رئيسهم ورئيس الآلهة التسع المذكورة فى عقيدة هليوبوليس التى كانوا يسمونها الفردوس الأرضى (هى قرب القاهرة الآن) وكانت هذه التربة الأدمية خليطا من الآلهة والبشر فى طهارة وسلام ، ثم إن (رع) كبير الآلهة انتصر على الحية وهى إلهة الشرو (رع) هذا يحكم للأرباب والمر بوبين وبعندك زالت هبة هؤلاء الآلهة الذين استعبدوا الناس ثم زالت هبة المعبود (رع) ثم خافوا منه فهربوا للجبال فأهلكهم ثم استبقى من كان يحترمه من الناس ثم تكبر على الناس جميعا أنهم مطبوعون على الشر وسكن السماء بعد أن نظمها واستخلف غيره من الآلهة البشرية وهذه الآلهة جميعها تمرض وتموت كالبشر انتهى ملخصا

ثم تطور القوم فعرفوا أن آدم هذا وذرته جميعا مخلوقون وأن لهم خالقا بدليل ما جاء فى ﴿ كتاب الموتى ﴾ (فصل ٤٢ العدد ١ - ١١ - ١٢) ﴿ لا يعرف الإنسان اسم الخالق ﴾ وجاء فى أشودة المعبود آمون ﴿ إن اسم الخالق خفى عن الناس ﴾ وجاء فى نصوص إهرام الملك أوناس من الأسرة السادسة ﴿ إن الخالق لا يمكن معرفة اسمه لأنه فوق مدارك العقول ﴾ ثم استعملوا ألفاظا عامة كاللوهية وبعض ألفاظ تدل على الخالق بطريق الكناية فقالوا ﴿ السيد المطلق المالك كل شئ وإنه لانهاية له ولا حد له ﴾ ثم اهتموا لمعرفة صفاته ورجعوا عرفوا اسمه من الأنبياء القدماء فقد جاء لفظ الجلالة مرارا فى أمثال وحكم (حنب) الأديب المصرى القديم منصوبة فى كتابه الذى هو أقدم كتاب فى العالم وهذا نصه ﴿ لا توقع الفزع فى قلوب البشر لئلا يضر بك الله بعضا انتقامه ﴾ • قال (باج رينون) ﴿ إن اليونان والرومان كانوا عريقين فى الوثنية حتى لم يسمع عنهم أنهمذكروا اسم الله أصلا • أما قدماء المصريين فلم يرد فى تاريخهم عرفوا الوثنية ﴾ وإن الورقة البردية فى المتحف البريطانى تضمنت ما يأتى ﴿ أنت الإله الأكبر سيد السماء والأرض خالق كل شئ ، يا إلهى ودي وخالق قوتى بصيرى لأستشركم بجدك واجعل أذنى مصغية لقولك ﴾ فأما اتخاذهم السماء إلهة وأعبادتهم السكواكب فأنما جعلوا ذلك رمزا لله الواحد الصمد • هذا وأذكر لك أنها التكى بما ذكرته فى سورة البقرة من التشديد الذى جاء فيه التوحيد ومحبة الله والابتهاج بأنواره التى خلقها فى الليل والنهار التى فيها أنت العالم بأسرار الحياة تظهر بجمالك فى آفاق السماء

هذا هو ارتفاع مدنييتهم ، أما انحطاطها الذى سقنا له هذا الفصل الذى مبدؤها سنة ١٦٠٠ ق م الى سنة

٤٣٠ ق م أى بعد خروج الرعاة من مصر وهذا بيان

﴿ انحطت مصر فى الدين والأدب فى الدولة الحديثة بسبب الثورات العديدة التى توالت عليها واستمرت

الى مصر الرومانى لاختلاطهم بالأجانب ، وقد كانت الحيوانات عند قدماء المصريين رمزاً للإله الحق والسكن فى الدولة الحديثة جعلوها فوق الهياكل والمعابد وجعلوا المعبودات فى الجزيرة الثانية من الاعتبار وكثرت الطرقات فعبدوا الطيور والسماك والحيات والخماسيح والقطط والكلاب والذكباش واتخذوها آلهة لهم وحفظوها ودفنوها بعد موتها بالأجائل والاحترام ، وهذا كان من مبدأ الأسرة (٢٦) وامتد إلى العصر الرومانى ، وقد عظموا هذه الحيوانات حتى انها اذا لدغتهم أو نهشتهم واقترسهم لا يدفنونها احتراماً

وقد أخبر (ديودور الصقلى) أن رومانيا قتل خطأ فقتله الشعب المصرى انتقاماً ، وذكر (بلاوتارك) أن أهلى (سينوبوليت) بالأقاليم الوسطى أخذوا مرة نوجاً من السمك الذى كان معبوداً عند أهالى إقليم (أكسرينيك) وأكلوه فأعلن هؤلاء عليهم حرباً عواناً وأخذوا كل ما معبوداً لهم وذبحوه انتقاماً وتشفيماً . وقال (استرابون) أنهم كانوا يتكفون وضع المسكلك للخماسيح فى البحيرات المقدسة ويكبدون فى ذلك نفقات عظيمة . وقال هيردوت أنهم كانوا يدفنون حيواناتهم المقدسة فى قبور على مقربة من قبور ملوكهم وأنبياهم وعزوا دفنها أكثر من عنايتهم بدفن جثث آبائهم وأعزائهم ، وقد كشفوا أخيراً حفراً عميقة وأثقالاً واسعة مملوءة بمئات الألوف من القطط والخماسيح المنطحة ، وقد كشفوا مع أموال الدولة الحديثة كثيراً من التماثيل الصغيرة المسماة (أوشاشى) أى الحبيبات تحبيب السماء وتحبيب عن الميت يوم الحساب أو تقوم مقامه أو تكون فى بدن الميت فى الأسمال التى يسخر الميت فيها (سوريس) وهكذا عبدوا الأفاضى والحيات . انتهى الفصل الأول

الفصل الثانى فى نبوة الفيلسوف هرمس وفى ورقة انسطاسى البردية أوسنر (ابور) التى المصرى القديم (ان ديانة قدماء المصريين طال أمدها أربعة آلاف سنة ، وقد أخبر الفيلسوف هرمس بمسئله فقال يجب عليكم أيها الحكماء أن تستدركوا كل شئ وتعرفوا أنه سيأتى وقت يترك للمصريون عبادة الله فيضرب عليهم ويترك أرضهم ويهجر مصر بدون ديانة وتهمل الأشياء المقدسة ويأتى اليها الأجانب من كل صوب فيضفون لها قوانين تحرم ممارسة الديانة الحققة والتقوى وعبادة الإله وتعاقد من يباشرها وترى فى القبور والأموال بدلا من المعابد والهياكل التى تدنس أرضها ، أوام مصر . سيأتى عليك وقت لا يبق فيه من دينك القويم إلا الحرفات وتنهض أخبارك فى بعض أبحارك ويستوطن فيك البرابرة والهنود ويصعد الإله الى السماء ويموت البشر وتصبح مصر قاعاً صفصفاً لا يقيم فيها الآلهة ولا عقلاء الناس . وأنت أيها النيل المبارك أذلك أنه سيدنس مياهك المقدسة أمواج من الدم وتفيض الى شواطئك وتسكب الأموات وتقل الأحياء وان يبق من المصريين من يتكلم بلغتهم فاتهم يكونون أغراباً عنها بأخلاقهم وعاداتهم وتقاليدهم التى تسرى اليهم من الأجانب . أنت نبكى اليوم يا هرمس . سيكون فى مصر أشياء محزنة كثيرة . واحسرتاه ستقع مصر فى الضلال والكفر تلك الأرض التى كانت وطن الأتقياء وحياة الإله ستفسد فيها أخلاق القديسين بعد ما كانت مدرسة التقوى والعبادات وتستعير سرها للشعور والموتقات . سيكره العاقل الدنيا وما فيها ويؤثر الموت على الحياة لما يراه من قلب الحقائق وتفضيل الظلام على النور حتى يعتبر الناس قتيلاً والأجنى عاقلاً والجبان شجاعاً والضلال رشداً وتكون حياة الرجل التى عرضة لجميع الأخطار انتهى (منذ ٤٠٠ سنة)

وجد فى متحف (ليندن) تحت رقم (٣٤٤) ورقة بردية طولها ٣٧٨ سنى فى عرض ١٨ سنى اشتهرت بورقة (انسطاسى) لأنه هو الذى كشفها فى مدينة منفيس بقرب (سقارة) ثم باعها الى متحف ليندن سنة ١٨٢٨ وهى مكتوبة من وجهتها بالخط الهيروجليفى فى مدة الأسرة الثانية عشرة . وقيل انها كتبت فى الأسرة التاسعة عشرة وترجت الى الألمانية والإنجليزية واللاتينية ثم الى العربية . وفى هذه الورقة تنبؤ (ابور) التى المصرى القديم وهذا نصها (سيأتى على مصر زمان ينضب فيه ماء النيل وتبطل زراعة الأرض . وأطال فى وصف الخراب . ثم قال وينقلب الصاعليك على الأكابر وأكثر من السكلام فى الثورة الداخلية . ثم قال ويخمد البرابرة

فرصة للاستيلاء عليها واستضعافاً لأهلها وتسود العبيد ويهبون أموال أربابهم حتى تمتدح أساؤهم عقود الذهب والفضة والحقيق بينا تكون الأميرات في الطرق بأسات الى أن قال « ثم تنتهي هذه الشرور ويهود الحنا على يد رسول يرسله الله فيعيد الحياة في أرض مصر فيسود السلام وتفيض مياه النيل وتتم الزراعة ويسترد المصريون ثغورهم عن تغلبوا عليهم من العبيد والليبيين والنوبيين ويحلّ النصارى محلّ البطاركة » اه ومعالم أن مصر قاست الشدائد ودخلها الأجانب وقد احتلها الرعاة وبقوا فيها (٥٠٠ سنة) والفارسيون وأهل الثوبه واليونان والرومان والله مقبب الليل والنهار

ومن العجيب أن أنبياء بني اسرائيل تذروا في التوراة يمثل ما تنبأ به نبيّ المصريين . انتهى الفصل الثاني وكله ملخص من كتاب « الأدب والدين » عند قدماء المصريين

﴿ الفصل الثالث فياحلّ بالاندلس من احتجاب الخلفاء وتشبه الفتيات بالفتيان

وشيوخ الترف والانغماس في اللذات وتفرق العصبية ﴾

لقد كثرت الترف والنعم وأخذ الخلفاء الأمويون في أواسر أيامهم في الملاذ والشهوات والاحتجاب في القصور وقد كان المنشدون والسفراء يكلمونهم من وراء حجاب ويقف الحاجب من دون الستر فيكرما بقولونه وما يحكى أن ابن مقان الأشبوني ألقي قصيدة على مسمع من الخليفة المحتجب ادريس بن يحيى الجوى قال في آخرها

أنظرونا نقبس من نوركم * إنه من نور رب العالمين

فرفع الخليفة الستر وقال وجهه بوجهه وأجاز له جائزة حسنة ، وبينما الخلفاء يستحجبون عن الناس كالنساء اذا النساء يتشبهن بالرجال * قال الوزير بن شهيد

ظية دون الظباء قنعت * فأنت غيداء في شكل صبي

فتح الورد على صفحتها * وحنا صدغها بالقرب

وقد شاعت مجالس الخمر والسباع والرقص على نعمات الأوتار . ولقد صار المرأ بطون الذين أسسوا ملكهم على التقوى والصلاح في أوطأ أهل خلاعة في آخرها فكنوا القصور في الأندلس وأكثروا من مجالس الطرب والله وضعفت عصبيتهم ودينهم وأخلاقهم فتغلب عليهم الموحدون وانتزعوا منهم البلاد التي بقيت في أيديهم ٦٢ سنة من سنة ٤٨١ الى سنة ٥٤٩

جاء في سورة الاسراء عند قوله تعالى . واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفينها ففسقوا فيها حق عليها للقول قدمتها تدميرا . من كتاب « الرحلة الأندلسية » للاستاذ البتوني بيان ما حاق بالمسلمين في الأندلس بسبب الاكثار من الاستعانة بالبربر الذين نصرأوا عبد الرحمن الداخل كما استعان العباسيون بالفرس فكسروا شوكة الأمويين واستكثروا من الماليك . فهؤلاء الأمويون بالاندلس قلدوا العباسيين في الاستكثار من الماليك الصقابة وغيرهم حتى صارت لهم الكلمة النافذة في البلاد ثم دار حكمها في أيديهم كما صارت البلاد الشرقية التي حكمها العباسيون في حوزة الترك والفرس في أزمان مختلفة . إذن هذه قاعدة مطردة ﴿ ان الترف والنعم واتسكال الأمم على الدخلاء يضع المجد ويذهب الملك . والله الأمر من قبل ومن بعد .

فأقرأ ما في سورة الاسراء ثم اسمع ما جاء في نفس تلك الرحلة تحت عنوان

﴿ للعبة والتاريخ ﴾

العله الأولى لضعف العرب في أسبانيا هي تفرق الجماعة وانقسام الدولة الأموية بعد أن طويت صحيفة بني عامر الى عشرين دولة صغيرة استقل بها ولائها وهي اشبيلية . جيان . سرقطة . النغر (ماكان منها في شمال طليطلة) . طليطلة . قرمونه . الجزيرة الخضراء . مرسية . بلنسية . دانية . طرطوش .

لارده . باجه . المربه . مانقه . بطليوس ه اشبونه . جزائر البليار . قرطبة . فسكان هذا الانقسام داعيا الى كثرة الاختلاف وقتال الدول بعضها مع بعض وطمع كل منهم في الآخر واشتغال نار حرب كل منهم مع جيرانه وقهر القوى للضعيف ، وقال ابن خزم « فضيحة لمبات الدهر بمثلها ، أربعة رجال كل منهم يسمى بامير المؤمنين واحد بأشيبايه والثاني بالجزيرة الخضراء والثالث بمالقة والرابع بسبنة وأصبح العرب والبربري خلاف مستديم والجميع في خلاف مع أهل المغرب الأقصى وفي حروب مع الأمم الاسبانية والبرتغالية ه الى ان قال « وكثيرا ما يستظهر الابن على أبيه والأخ على أخيه بماوك النصرانية وقد استنصر المأمون بن الناصر من بني عبد المؤمن بملك قشتاله على أخيه يحيى وكثرا استنصر بنى الأجر بماوك النصرانية بهفسهم على بعض في آخر دولتهم حتى سقطوا . وأن طليطلة ما أضاعها صاحبها القادر بالله بن المأمون بن يحيى بن ذى النون إلا لشهوته في الاستيلاء على بلنسية واستنصاره بملك قشتاله (الفونس السادس) لمساعدته في ذلك ، وكان الفونس لا يبرح يورطه في حربه لبني عامر حتى أضعفه واستولى هو على بلاده سنة ١٠٨٥ بعد أن بقيت مستقلة في أبدي بنى ذى النون ٧٣ سنة انتهى ملخصا

إذن ماوك النصرانية كانوا نشطين في اشغال نار الحرب بين ماوك الطوائف وهؤلاء الملوكة جاهلون ليس عندهم من علم السياسة والتاريخ ما به يعرفون مواطن خراب الأمم وضياح مجدها ، وفي اعتقادى أن المسلمين بعد ان سيكونون أرقى من آبائهم الذين لم يعرفوا من التاريخ مكان العبرة ولامن العلم مقام الإصلاح بل ترك العلماء الأمم الاسلامية حبلها على غاربها وأمعنوا في الشر والغزل ونسوا حظا بما ذكروا به أيها المسلمون ليقرأ التاريخ للعبرة والذكرى . وجاء في الرحلة الأندلسية أيضا مملخصه أن ماوك العرب وأصراهم كانوا يخربون في أول أمرهم الى مملكة الحروب بأنفسهم فيثيرون الحمية في قلوب الجيوش فكانوا يغلبون فلما استناموا للترف والنعم استعانوا بالصقالبة والدمجيين والعبيد بل كانوا يؤجرون مرتزقة من الاسبان من لا يهملهم النصر ولا يخافون من الهزيمة ، وأول من فعل ذلك المنصور بن أبى عامر في زحفه على شانت ياقو وكان بنو هود (بسرقة) يستأجرون البطل سيد ورجاله في حروبهم ضد أخوانهم المسلمين . ومن المجهب أن المنصور كان يستخدم المرتزقة من الأسبان في حرب الأسبان أنفسهم ، فأما المنصور بن أبى عامر فانه استعان بهم على حرب أخوانه المسلمين ، وأما البطل سيد المذكور فانه هو (رودريك) الذى يسمى عند العرب (السيد قنبطور) وكان مشهورا بفروسيته وهو الذى ساعد الأمير شانج ابن الملك فردinand الأول على أخيه الفونس ، فلما تولى الفونس عرش البلاد نكب به وصادره في أمواله فهاجر الى صخرة قريبة من سرقوسة وبني بها مسكنا اجتمع عليه (٣٠٠) من المهجين به فهؤلاء كان بنو هود ماوك سرقوسة يستأجرونهم في حروبهم ، والسيد هذا حاصر وهو رئيس جيوش يوسف بن أحمد بن هود بلنسية وهو مع اندخلها صلحا أحرق قاضيا (ابن الجلفان) لأنه لم يبدله على خزان المقتدر بن هود صاحب بلنسية ثم أشعل النيران في المدينة حتى أتلفها * وقال في ذلك ابن خفاجة

عاشت بساحتك الظبايا دار * ومحاسنتك البلا وائثار
فاذا تردد في جنبك ناظر * طال اعتبارك واستعبار
أرض تناذفت الخطوب بأهلها * وتمحضت بتجاربها الأقدار
كثبت بدالحداث في عرصاتها * لا أنت أنت ولا الديار ديار
ولأكتف بهذا من فضائع الأمة العربية في الأندلس ، فقها لخصت مقتنع لقوى الألباب بعدنا فيعلمون ويعملون وانا لله وانا اليه راجعون . انتهى الفصل الثالث

(الفصل الرابع فيا توقعة العقلاء من زوال ملكهم)

اللهم انى أجذك حسدا كثيرا . اللهم إنيك أنت المعلم . اللهم إنيك أنت الرب الرحيم العليم المنعم المتفضل

اللهم انى أشكرك شكرا كثيرا على انك أهدمتى وعلمتني وأيدتني وقويتني وسهلت لى هذا التأليف وما كان ليخطئ لى أن أجمع ما بين تهافت الأمم العربية والأمم المصرية وأوازن بينهما فى انحطاط شأنهما . وأن الأولين والأخرين تشابهت قلوبهم لما انحطت أخلاقهم وانقسموا فى اللذات . فالأمتان تفرقتا والأمتان سقطتا من شانهن فلك الحمد على هذه النعمة

أيتها الأم الإسلامية . أنا لست الآن مؤرخا . كلا . بل أنا مذكركم . أذكركم بكتاب الله تعالى . لم أكتب هذه الأخبار إلا لتفسير الآية . إن الله يقول لنا نحن - وما أهلكتنا من قرية إلا لها منورون * ذكرى وما كنا ظالمين - وكيف نفهم هذه الذكرى إلا بدراسة التاريخ دراسة تشبه ما نكتبه الآن . وإياكم أن تنفوا على ما أقوله بل انظروا كما يأمركم الله . سيقرا هذا القول ذوو عقول من أبناء الأمم الإسلامية فيقفون على سبب خراب الأندلس وطرد المسلمين من تلك البلاد ويقفون على تفرق السكاسة عند المصريين القدامى فى دينهم وأخلاقهم فإذا يجدون فى صدورهم ؟ يجدون انهم كانوا قبل أن يعرفوا هذا جوعين أشفين عليهم ولكن بعد هذا البيان يسمون أن الله عدل ولا يفعل إلا ما فيه المصلحة - فأما لرب فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض - فهو لا ذهب فاندثمت وأصبحوا عائلة على الأمم فأخرجهم الله من بلاده لأن الملك لله عز وجل وهو لا يحب إلا الصالحين - فتلك بيوتهم غاوية بما ظلموا - ويرون أيضا أن الأمم المصرية أصبحت بعد تفرق دينها وضياعه تستحق احتلال بلادها وتذل فى عقودارها ، هذا معنى قوله تعالى - ذكرى وما كنا ظالمين - وهذا هو الذى يشق الصدر ولقد شق صدرى ما نقلته لك الآن وعرفت أن الأمم لا تموت إلا بعد المرض ثم يشتد ثم يكون النزاع ثم الموت فإله عدل ، هو عدل حقا ، منظم بحسن النظام ، عدل بإله فى نظام النبات والحيوان وأدنى الحشرات فرأيتاه وفرحتا به وبمحبته منه وهذا قد ملئ به هذا التفسير فالحمد لله ولكن النظام والعدل فى الأمم يحتاج الى علم أوسع حتى يدرك الإنسان العدل واضحا ، وفيما لمصلحة كمنع ، وفيه اعتبار لا يحترس أبناء المسلمين من الوقوع فى وقع فيه آبائهم ، وهل يفيدهم لإدارة العلم ومعرفة الحكمة والتاريخ ، وأنا وأنتى وقلبي مطمئن أن الله سيبحث فى الأمم الإسلامية همما تناولها هم وتقوم هذه الشعوب قوية رجل واحد ذلك لأنهم يكونون على مشرب واحد لاسما قراء هذا التفسير فانهم هم الذين يرون الدين أمرا واحدا لا يفرقه خلاف فى عدد الكلمات أو أعضاء الموضوع أو مسائل الطلاق أو شروط البيع والجاراة أو أبواب الطهارة وأنواع النجاسة أو ما أشبه ذلك مما ظنه المسلمون ليس وراءه علم ولا حكمة ، ومن عجب أن تفرق أهل الأندلس الى (٢٠) دولة وتفرق أهل مصر فى عبادة الحيوانات قد حصل نظيره عند المتأخرين من المسلمين وإن لم يكن مثله من كل وجه ، تلك الأئمة التى اقتصمها رجال الصوفية ورجال الدين وأخذ كل بفخره وبكفى بما لديه من العلم - وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون - * وفى الحديث « لتبتعن سنن من قبلكم الخ »

﴿ معجزة للنبي ﷺ ﴾

قد ذكرت فى أول سورة الأنفال الحديث الآتى وهذا نصه ﴿ عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال جلس رسول الله ﷺ على المنبر وجلسنا حوله فقال إن مما أخاف عليكم ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها فقال رجل أو بأنى الخير بالشر فسكت رسول الله ﷺ ورأينا أنه ينزل عليه فأفاق يسبح عنه الرخصاء وقال أبى هذا السائل وكأنه حسده فقال انه لا بأنى الخير بالشر وإن مما ينبت الزرع ما يقتل حطأ أو يلم إلا آكة الخضرفاتها أكلت حتى امتدت خاضرتهاا ﴾ وتفسير لفاظه هناك . والذى يهمنى الآن أن نقول ان خوف رسول الله ﷺ علينا قد حصل فعلا وهذه نبوة واخبار بالغيب ومعجزة كبرى بل هى من أجل المعجزات فى زماننا . إن الله أحل الغنائم ولقد تقدم فى سورة الأنفال انه ﷺ بكى عند اقتسام غنائم بدر هو وأبو بكر وسيدنا عمر لأن النبى ﷺ كان يتوقع العذاب بسبب أخذ الغنائم وقد ظهر أثر ذلك فعلا فىنا نحن فان

المسلمين ظنوا أن الغنائم بعد العصر الأول جعلت لمتهم بالشهوات ولم يجدوا من الحكام والعلماء من يرشدونهم إلى خطر الأمر كما سمعت فيما تقدم من الخطيب الفرنسي الذي ذكر الفرنسيين بخطرتهم (وإن كانوا هم أيضا وأكثر أهل أوروبا صائرين إلى مآصرا له من قبلهم من الأمم الفاسقة)

أقول أفلبست هذه مجيزة وأى مجيزة ، النبي ﷺ أخبرنا بهذا الحديث الوارد في الصحيح بما وقفنا فيه الآن وهذا هو قوله تعالى ... ذكرى وما كنا ظالمين ... فهاهو رسول الله ﷺ أنفردنا بأن المال مال الله وليس معنى حل الغنائم إلا أن تنلهي بها . كلا . والله بل كان ذلك لأصل لأهل الأرض ، انظر وانجب من هذا الدين ومن النبي ﷺ . أحل الله الأسر وأحل الاسترقاق وأحل أخذ الأموال ولكنه زهد المسلمين فيه وأمرهم أن ينفقوا به الأمم وأكثر من الأمر بالعقوبة والصدقة والصيام والقيام إذ يقول ... وما أدراك ما العقبة ... فك رقبة أو إطعام في يوم ذي مسغبة ... يتينا ذامر به ... أو مسكينا ذا متربة ... الخ إذن هذا الدين لم يجد من يعرف مقصده إلا قليلا . إن هذا الدين جاء مقدمة لاصلاح عظيم أن لا يذل أحد أحدا وأن يكون النوع الانساني كلهم متعاونين متحدين شريفيهم وغريبيهم فقد جرت المسلمين الاستئثار بالمال والنساء فسكان جزاؤهم الذل لأنهم لم يفهموا ما يرى اليه نبينا الصادق ﷺ هذا هو الذي أردت أن أجهله مقدمة لذكر ما توقفه العقلاء من زوال ملك الأندلس

﴿ بيان ما توقفه العقلاء والمصلحون ﴾

فأولهم رسول الله ﷺ في الحديث المتقدم فانه أشار إلى ذل المسلمين في الشرق وفي الأندلس وأبان أن الاستحواذ على الغنائم يكون ضرا بالأثم ويميتها اذا لم يوضع في موضعه كالأدلة التي تأكل الحشايش الضارة ففرضها أو يمتها وهذا هو الذي تم فعلا ، ثم ان ابن خلدون ذكر في مقدمته أن أهل الأندلس كانوا يقلدون أهل اسبانيا في ملابسهم وأخلاقهم وعوائدهم ويكتبون على حوائثهم بلغة الفرنجة ، وضم العيار بما معناه « انهم لاجل صائرون إلى أن يكونوا تحت إمرتهم لأن الأمة اذا تركت أخلاقها وعوائدها اندجت في الأمم التي تقلدها » وقد تم هذا التنويه فافقاه في المقدمة وقال شاعر من شعرائهم

حشا ورالحكم يا أهل أندلس * في المقام بها إلا من الفاظ
السلك ينثر من أطرافه وأرى * سلك الجزيرة منشورا في الوسط
من جاور الشر لم يأمن عواقبه * كيف الحياة مع الحيات في سقطة

ولقد تحققت نبوءة هؤلاء لما استولى ملوك الأسبان على غرناطة وأوقعوا بالمسلمين وطاردوهم من ديارهم ولقد تقدم في مواضع من هذا التفسير انهم لما أزالوا ملكهم منعوهم من الاغتسال من الجنابة ومن الرقص المغربي وأوجبوا عليهم أن تكون نسائهم مكشوفات الوجوه ، وأقول الآن انهم حرموا عليهم أن يستأجروا نصرانيا أو يظهر عليهم أية علامتين علامات الاسلام أو جهرها - والله هو الولي الحيد - وهو حسبنائونهم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . انتهى الكلام في تفسير قوله تعالى - وما أهلكنا من قرية إلا بالظن ... ذكرى وما كنا ظالمين -

ثم إن هذا القرآن لم يكن مقترى (وما نزلت به الشياطين) كما زعم المشركون أن هذا القرآن مثل ما تلقينه الشياطين على السكينة فليس من عند الله (وما ينبغي لهم) وما يصح لهم أن يتنزلوا به وكيف يصح لهم ذلك وقد جاء في الأمثال العامة ﴿ وكل إباء بالذي فيه ينضح ﴾ . ان هذه الأرواح التي سكنت أجسام الناس في الأرض وهم بنو آدم لا يبعدون أحد اثنين إما شريرا وإما بارا والأرواح التي في غير عالم المادة كذلك لا تخولهم الأمرين إما شريرة وإما صالحة وكأن السمك لا يعيش في البر والأنعام لا تعيش في البحر والانسان لا يسامر الحيوان والحيوان لا يشرع إلا بأبناء جنسه ولا يبرح إلا معها هكذا الأرواح الشريرة التي هي خارج عالم المادة

لأنه أدت الأرواح الفاضلة من بني آدم كالأرواح النجسة من المادية لا تأنس من بني آدم إلا بمن كان من أمثالها وأشكالها من الأرواح الشريرة ولا يتسنى لها أن تتحدث الشريرة من بني آدم كما لا يتسنى للإنسان في الأرض أن يكلم الحيوان ويأنس به حدته . وأنت أيها الذي إذا قرأت ما كتبتاه في كتاب الأرواح ، ونقلنا عن علماء هذا الفن رأيت أن هؤلاء العلماء قد بحثوا وبحثوا وقد قلنا في هذا التفسير سابقا بعض ذلك ، فإذا استعصر الشرير روحا لاتباعه في الأرض شريرة ، وإذا استعصر الصالح روحا لاتباعه في الأرض صالحة . ولقد وجدوا أن الأرواح الشريرة لا تلتزم طباعها طباع الصالحين من الناس ولا الأرواح الصالحة العالية هناك أرواح الفاسقين هنا ، وثبت هناك أن المدار في التخاطب على المشاكسة والتقارب فالصالحون والطالحون كل منهم لا يألف إلا أشكاله وأمثاله . وأن الله عز وجل وضع نظام العالم كله لافاوت فيه ولا اضطراب ، فالفانون العام واحد وهو أنه لا يمنع الله أحدا عن شيء ولكن المانع إنما هو تفاوت الدرجات وتباعد المراتب كما أن المالك في الأرض لا يخاطبون إلا المقربين إليهم ولا يتنزلون إلى الشعب ، فكذلك لا تخاطب الملائكة من أهل الأرض إلا من كان مناسباً في طبيعته وسواء أكان ذلك باستحضار الأرواح الصالحة كما تفعله أهل أوروبا أو بصيغة النفس ، فترى السحرة الذين تركوا الأمور المادية وترضوا وهجروا الطعام والشراب أيما وأيما قد تجردت نفوسهم من هذه المادية وانجهت إلى عالم الأرواح انجها ملائكتها ومناسبا لمواجهتها بما أخبرت ببعض الأمور الأرضية التي لا أهمية لها في رقي النوع الإنساني كقفور يدغى عمرو وعلاقتهم مع بعضها وما أشبه ذلك مما يدعيه بعض صفار النفوس ممن ينتمون للصوفية زورا وهمتا وبعض المترفين لهذه الغاية وهم يدعون بأدعية إسلامية أو غير إسلامية وأسما عريضة أو سريرية أو غيرها ، كل ذلك من هذا القليل . و ربما توجهت إلى أمر من أمور العالم كضرب قاتق أن أصيب به ، وترى الأنبياء الذين خلقوا مطبوعين على الكمال قد قرأت نفوسهم من نفوس الملائكة فهناك أمكن التخاطب ونزلت الشرائع على الأنبياء لشفقة النوع الإنساني ، وهكذا الأولياء والصالحون والحكماء من جيع الأمم يلهمون الخير والعلم تلهمهم الملائكة ذلك المناسبة بينهم ، فذا سمع الأنبياء قولاً أو رأوا الملائكة وهم يخاطبونهم وألهموهم في قلوبهم العلم ، وإذا ألهم العلماء والأولياء معارف وعلموا فما ذلك إلا للمقارنة والمجانسة القريبة والبعيدة ، وإذا رأينا أناسا نبغوا في الشر والفننة وهم قادة للشر وآخرين أقل منهم فيه فذلك لأن أرواحا شريرة تتولى الوسوسة لهم وتعليمهم علوم الشر ، والأصل في ذلك كله المناسبة والمقارنة والمجانسة

هذا هو ما جاءت به الأرواح وعلمته الناس وذلك لاشك محزنة للقرآن فإن ما تقدم عن علماء الأرواح هو معنى قوله تعالى - وما تزلت به الشياطين - وما ينبغي لهم - أفلا تعجب أيها الذي كيف يقول تعالى - وما ينبغي لهم - جل الله وجل هذا القرآن . أفلا تعجب المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها أن تكون هذه الآيات هي ملخص علوم الأرواح المنتشرة في أمريكا وإنجلترا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا وسائر دول أوروبا ، أفلا تعجب المسلمون كيف كان إعجاز القرآن ، أفلا تعجب المسلمون كيف يقول الله - وما ينبغي لهم - (وما يستطيعون منهم عن السمع لمعزولون) أي وما يقدررون أنهم عن سماع كلام الملائكة لمعنوعون ، لماذا ؟ لعدم المشاركة في الصفات ، لعدم التقارب في حب الخير ، وعليه إذا أحب الإنسان الخير للناس وأحب العلوم ألهمته الملائكة الخير ، نعم لا يوجب له لأنه ليس نبيا ولكنه يلهم الخير . اللهم إني أبرأ إليك من الكتمان . اللهم انك قد أظهرت معجزة هذا القرآن . انك قد أبنت للمسلمين صدق دينهم ولقد وفقني لتأليف كتاب الأرواح والكتاب جميعه معجزة للقرآن وللي صلى الله عليه وسلم وهو تفسير لهذه الآية وأمثالها

لقد نقلت من كتاب الأرواح المذكور جلا في مواضع من هذا التفسير ولا ذكر لك منه جلا لتطلع على عجائب القرآن في العلم الحديث وتعجب كيف ظهر سر قوله تعالى - سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم -

جاء في صفحة (٩٣) من «كتاب الأرواح» المذكور نقلا عن علماء الأرواح مانسه ﴿سأل هؤلاء العلماء الأرواح ، لماذا ترى بعض الوسطاء الصالحين ذوى الحاصل الجيدة لا يمكنهم من مناجاة الأرواح الصالحة ؟ الجواب ﴾ قد يمكن أن يكون ذلك قصاصا لهم لذنوب ارتكبوها ، وربما يكون ظاهر الفضيلة قد دفن تحت صفات باطنية كالكبر والعجب ، إن الأرض ليس فيها كمال فالكمال انما يرجع للبواطن وليس بطرد الأرواح الشريرة إلا التقرب من طبيعة الأرواح الشريفة الصالحة ﴿ وجاء في صفحة (١٠٩) الأسئلة الآتية (س) هل من وسيلة لطرد الأرواح الشريرة

(ج) نعم وإن أحسن طريقة لطردهم هو اجتذاب الصالحة وذلك بعمل الخير واجتناب الشر واصلاح نقائصك فبذلك تهرب الأرواح الشريرة عنكم

(س) كثير من أهل الصلاح يكونون مع هذا عرضة لزعاجات الأرواح الشريرة

(ج) ان كانوا صالحين حقا فهو لهم تجربة وترويض وحث على الصلاح ولكن لا تنفوا بظاهر الفضيلة فالفضيلة شئ وذكرها شئ آخر

وجاء في صفحة (١٢١) مانسه

(س) أى وسط يدعى كاملا

(ج) كاملا ، بالألف إذ ليس من كمال على وجه أرضكم ولولا ذلك ماسجتم فيها ، قل وسطا صالحا ان قدر وجوده ، على أن الوسط السكامل لا يجسر الأرواح الناقصة أن تدنو منه لخداعه ، وأما الصالح فان الأرواح الصالحة تألفه وقلماء يكون عرضة لخداع الشريرة

(س) ماهى أخص الشروط الواجبة لفوزنا بتعاليم الأرواح العالوية منزهة عن الضلال

(ج) صنع الخير واستمصال الكبرياء والتجرد عن حب الذات خاصة

ثم جاء في جواب سؤال آخر ﴿ ان النور يضيء على كل من طلبه فن أراد أن يستدير فليتجاش الظلمة والظلمة هي تجاسة القلب ، إن الأرواح العالوية لا تألف قلوبا شوهها الكبرياء والطمع وقلة المحبة فن طلب النور فليتضع وبالتواضع يجتذب الأرواح العالوية اليه ﴿

وجاء في صفحة (١٢٤) مانسه ﴿ إن الروح مع علمه قد يكون تحت سلطة الرذيلة والأوهام ، إن في عالم الارض من هم في منتهى الكبرياء والحسد والتعصب فهم لا يتجردون من هذه النقائص حال مبارحتهم الحياة والرذائل تحيط بالروح بعد الموت ملتصقة بها كاطواء وهؤلاء أشد خطرا من الأرواح الشريرة ﴿

أقول أيها الذكر أقرأ ذلك الكتاب فكفى ما نقلت منه الآن ملخصا ، وأعجب كيف يكون ما ذكرته وما لم أذكره الآن تفسيراً للآية وكيف ينضج الأمر انضاجا وتفهم معنى قوله تعالى - إنهم عن السمع لمعزولون -

لأن نفوسهم ليست خاصة من الرذائل (فلاندع مع الله إله آخر) فان التوحيد والاخلاص لله والتقرب له بفعل الخير مما يدعو إلى قرب الروح الانساني من الملائكة ، إن تشرك بالله ولا تخلص له تسقط امرت بك

(فتكون من المذنبين) والخطاب للنبي ﷺ والقصد غيره لأنه معصوم (وانذر عشيرتک الاقربين) الأقرب منهم فالأقرب ﴿ روى انه ﷺ لما نزلت صعد الصفا وناداهم نفذا نفذا حتى اجتمعوا اليه فقال لو أخبركم

أن بسفح هذا الجبل خيلا كنتم مصدقوني قالوا نعم قال فاني نذركم بين يدي عذاب شديد (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) لين جانبك لهم ﴿ يقال خفض الطائر جناحه اذا أراد أن ينحط (فان عصوك) ولم

يتبعوك (فقل إني بريء مما تعملون) أى تعاملوه (وتوكل على العزيز) الذى يقدر على قهر أعدائك (الرحيم) الذى يصمرك وينصر كل مخلص في عمله النافع العام (الذى يراك حين تقوم) الى التجهد والى كل صلاة والى كل دعاء وأينما كنت (وقلبك في الساجدين) أى ترددك في تصفح أحوال المهجدين فإنه ﷺ لما نسخ

فرض قيام الليل طاف تلك الليلة بيوت أصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على كثرة طاعتهم فوجدها كبيوت الزنايين لما سمع بها من ذنبتهم بذكر الله تعالى وثلاثة القرآن ، وأتصرفك فيها بين المسلمين بالقيام والركوع والسجود والوقوف إذا أعتهم ، أمر الله الذي ﷺ بالتوكل عليه قائلا أنه ينصره ويغذله أعداءه ، وأبان لما استحق ذلك فذكر وصفه بأنه يوم الساجدين ويتصفح حاطم فهو امام للصالحين ومن كان كذلك تولى الله أمره (إنه هو السميع) لتعائنك (العليم) بنيتك وعملك

﴿ الطيفة ﴾

جاء في البخاري ومسلم أنه ﷺ لما نزلت هذه الآية صعد على الصفا فجعل ينادي يا بني فهر يا بني عدى لبطون من قر يش حتى اجتمعوا فقال اني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبأ لك سائر اليوم ، أظنا جعنا فنزلت - تبأ بدا أي لهب وتب * ما أغنى عنه ماله وما كسب -

ومما جاء في الصحاح أيضا أنه ﷺ قال بامهشقرق يش اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئا ، يا بني عبد المطلب لا أغني عنكم من الله شيئا ، يا عبا بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا ، وياضية عمه رسول الله لا أغني عنك من الله شيئا ، ويا فاطمة بنت رسول الله سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئا . انتهى ملخصا

واعلم أن النبي ﷺ لما نزلت عليه هذه الآية ضاق ذريعا وعرف انه متى بادأهم بهذا الأمر رأى ما يكره فصمت حتى جاءه جبريل فقال يا محمد إلا تفعل ما نؤمر به عذرك ربك فاصنع لهم طاعما فعند ذلك أمر عليا أن يصنع الطعام ويملأ عسا لنا وجع القوم وأنذرهم وحذرهم الخ

انظر ، أليست ترى أن أنذاره عشيرته الأقربين وتحذيرهم مع علمه أنهم يؤذونهم ويفعلون معه كل مكروه مما يقرب الملائكة اليه ويحبه مستحقا للوحي . أليس ذكر هذا الكلام بعد قوله - وماتنزلت به الشياطين * وما بيني وبينهم وما يستطيون * - لهم عن السمع لعزلون - ليكون كالبرهان على أن هذا القول وحى لأن الوحي يكون بالخبر وتعليم الأقر بين وغير الأقر بين والخبر والشياطين مبعودون عن الخبر أي لا يأتونه بل لا يستطيعونه ولو كان من الشياطين اسكان الأمر خلاف ذلك فلا ينذر عشيرته الأقربين بل يقتح لهم باب الشهوات والمخاضات والعداوات . أما الانذار والتعليم فليس من الطبيعة الشيطانية بل من الطبيعة الملكية فقوله - وأنذر عشيرتك الأقربين - كالبرهان على أن هذا ليس بماتنزلت به الشياطين بل هو مما يجانس طبائع الملائكة فكأنه قيل إذن كيف يكون نزل الشياطين ، هاتين أولاء عرفنا ما يكون من وحى الملائكة فكيف يكون ضده فقال لست ممن تنزل الشياطين عليهم لعدم المشاكلة والمجانسة (هل أتيتكم على من تنزل الشياطين * تنزل على كل أفاك أثيم) أي كذاب فاجر وهم الكهنة وأمثالهم للجحاسة بين طباعهم كما أضحق فيما قلناه لك قريبا ومحمد ﷺ ليس كذلك فلا يصلح لتنزل الشياطين عليه ، وكيف يصلح لذلك وهم ينزلون على الكاذبين الفاجرين وهو ليس كذلك بل هو منذر معلم للخير صادق ، وأما أولئك الأفاكون الآثمون من الكهنة وأمثالهم فانهم (يلقون السمع) أي أسماعهم الى الشياطين ويصفون اليهم ويتوجهون بقولهم يسميهم فيلقون منهم ظنونا لنقص علمهم كما جاء في (كتاب الأرواح) المذكور فيضمون اليها على حسب تخيلاتهم أشياء لا يطاق أن يكثرها وقد ورد في الحديث « الكلمة تحفظها الجنى فيقرها في أذن وليه فيزيد فيها أكثر من مائة كذبة » ولا كذلك محمد ﷺ فلم يغيبات التي أخبر بها طابقت كلها (وأكثرهم كاذبون) والأكثرية باعتبار أقوالهم لأنهم يسمعون شيئا وي زيدون عليه ، ويصح أن ترجع الضمائر للشياطين أي يلقون السمع الى الملائكة الأعلى فيعرفون بعض الغيبات فيوحون بها إلى أوليائهم مشوبة بالكاذب لنقص عقولهم وقصور أفهامهم وعدم ضبطهم وكلام الغيبين صحيح فالكهنة ومحضرو الأرواح في أوروبا الآن يسمعون من الأرواح الصغيرة أكاذيب كثيرة فيها

بعض الصديق انقص تلك الأرواح لأنها لا تعرف إلا بطريق الحس والتخمين ، وهذا المعنى يؤيد رجوع الضمير إلى ما بين وبينهم ، وهكذا السكينة وأهل الرياضة قد تتصل بهم أرواح على شاكلتهم فيصنبرون بأشياء ويريدون عليها من تلقاء أنفسهم استنجاب وهذا يوافق رجوع الضمير لقوله - كل أفاك أنتم - والحاصل أن الأرواح سواء أكانت في حال البرزخ أم في الدنيا متى كانت ناقصة وأرادت معرفة الغيبات فثابت حظا منه فإنه يكون مخلوطا بأرواحها ، فأما الأرواح العالية سواء أكانت في الدنيا كالأنياء أم في العالم الأعلى فلها لاتهم إلا بما يقع فيفسد الناس وهو لا لا يتطرق إليهم الكذب لأن الله منهم ويؤيدهم

﴿ لطيفة ﴾

إذا عرفت هذا فاعجب كيف يظهر صدق القرآن وكيف يأتي العلم بالحديث بنزع هذه الآية شرحا وإقيا وإني لأقول لك أكثر من أن أقول لك ما جاء في ﴿ كتاب الأرواح ﴾ المذكور وهو يتطابق على ما جاء في هذه الآية وأن الأرواح الناقصة تقش الناس وتخدشهم وتخبرهم بالغيبات ، فأما الأرواح العالية فإنها لاتهم بالأمور الجزئية ولا تخبر الناس بالأمور الدنيوية وتجب أن ينصرف الناس عن ذلك إلى العالم والمعارف وأن لا يتعلموا مستقبل أمورهم لأن ذلك يشغلهم ، واليك ما جاء في الكتاب المذكور

﴿ الحديث الرابع عشر ﴾

يتوهم البعض أن الروحية أوسطة سهلة وباب رحب لكشف الكنوز واستنباء المستقبل وفتح الفال وحل المسائل العلمية إلى غير هذه من دواعي الطمع وحب الأراضيات ، فدفعنا لهذه الأوهام رأينا أن نذكر في هذا الفصل خلاصة تعليم الأرواح في هذا الموضوع نقلا عن ﴿ كتاب الوسطاء ﴾ للعلم الفيلسوف الآن كاركك

- (س) هل تحجب الأرواح عن كل سؤال يطرح عليها
- (ج) كلا فإن الأرواح الرصينة لاتحجب إلا عن أسئلة غابها خيركم الروحي وترقيم الأدبي
- (س) هل الأسئلة الجدية هي الوسطة لبعاد الأرواح الطائشة
- (ج) ليست الأسئلة التي تبعد الأرواح الطائشة بل صفات من يلقي الأسئلة
- (س) أية أسئلة تسكرها الأرواح الصالحة
- (ج) هي التي لافائدة منها أو يشتم منها رائحة الفضول أو الطمع
- (س) هل من أسئلة تسكرها الأرواح الناقصة
- (ج) لا تسكر إلا الأسئلة التي تزج النقاب عن جهلها وخداعها
- (س) ما قولك فيمن يتخذون الخفارة الروحية بابا للهو والهزل ولا استنباء أمورهم صوالهم الزمنية
- (ج) هؤلاء تسر بهم جدا الأرواح الناقصة لمدايعهم وخداعهم
- (س) هل تستطيع الأرواح أن تكشف لنا أسر المستقبل
- (ج) كلا إذ لو عرف الإنسان المستقبل لأعمل الحاضر
- (س) أليس مع هذا من حوادث تغيبنا الأرواح عنها وتم في حينها ؟
- (ج) قد يتفق أحيانا أن الروح يستشعر حدوث بعض أمور يرى من الفائدة كشفها وهذا لا يمنع الأرواح الماكرة من نشر النبوءات الكاذبة

(س) ماهي أخص دلائل النبوءات الكاذبة

(ج) هي التي لاتأتي بفائدة عامة أو يكون مرجعها النفع الخاص

(س) لماذا تكون الأرواح الرصينة شدة تنبئها عن أسر لاتعين زمن حدوثه

(ج) يكون هذا إما عن عمد منها أو عدم معرفة ، إن الروح يستشعر أحيانا وقوع أمرنا زمن وقوعه يكون في الغالب متعلقا بحوادث لم تتم بعد ولا يعلمها إلا الله ، أما الأرواح الطائشة فلا يهيم بها أمر الحقيقة وتتخذ الأيام والساعات من دون التفات إلى صحة النبوءة وعدمها ، ومن الواجب ههنا أن أكرر عليكم القول أن غاية رسالتنا إظهار بصيرتكم وتوفيقكم الروحي لا المعرفة وفتح القفال ، فمن أحب هذه تألفه الأرواح الماكرة وبصبح أهرقة بين أيديها

(س) ما قولك فبمن تنبه الأرواح بموته في ساعة معينة

(ج) هذه أرواح ماكرة لا تقصد إلا الضحك بما تسبب من الرعب لاصدقها

(س) كيف يتفق أن بعض الناس يستدلون على قرب موتهم ويستعدون زمن وقوعه

(ج) تطلع أرواحهم على ذلك عند انطلاقها من قيود الجسد ويبقى فيها ذكره عند اليقظة ، فهؤلاء لا يهولهم أمر الموت ولا يورون فيه إلا انتقالا من حالة إلى حالة أو تغير كساء خشن بكساء لطيف ، إن خشية الموت سوف تنقاص وتتلاشى عند انتشار الحقائق الروحية

(س) هل تستطيع الأرواح أن تطلعنا على حياتنا الماضية

(ج) تستطيع ذلك إن سمع لها الرب ولا يكون سماعها إلا لغاية جيدة مفيدة لا لفضول باطل ، وعليه لا تصدقوا نبا كهذا إلا إذا صار بدورها وإعابته مفيدة . كثيرا ماتت الأرواح الماكرة أن تنهز بالوسطاء والمؤمنين بتقوا لهم أنهم من أصل سام ومرتبعة رفيعة فيقبل بعضهم بذلك بمنزلة التباهج ولا يفقهون أن حالتهم الروحية الحاضرة لاتدل على المرتبة التي تدنسهم الأرواح البها مع أن الأحرى بهؤلاء المساكين تجنبنا للسخرية أن يلاحظوا أن الترقى خبر لهم من الانحطاط وأن التفقه في الكمال مخالف لما يوصيه تعالى

(س) إن كان لا يمكن للإنسان أن يعرف شخصيته في وجود سابق فهل يمكنه على الأقل أن يطلع على مركزه والصفات أو النقص التي تغلبت عليه فيه

(ج) قد يمكن كشف أمر كهذا لكونه مفيدا لإصلاحكم ولكن لا حاجة إليه لأنكم إذا تأملتم جيدا في أنفسكم تستدلون على الصفات والنقص التي تغلبت عليكم في الحياة الماضية

(س) هل نستطيع استطلاع شيء من مستقبل حياتنا بعد الموت

(ج) كلا ولا يمكن وتصديقي شيء من هذا أقبل فانه إفك وخداع محض والدليل واضح وهو أن وجودكم المقبل سيكون نتيجة سيرتكم الحاضرة فكما قل الدين خف الوفاء وازددتم في المستقبل سعادة وراحة ولكن أين وكيف يتم هذا الوجود ، هذا أمر لا تعرفونه إلا بعد عودتكم إلى الحالة الروحية وتبهركم فيها

(س) هل يسوغ استشارة الأرواح في الصوامع الزمنية

(ج) قد يمكن ذلك في بعض الظروف وعلى مقتضى نية المستشير وصفات الروح الموجهة إليه الاستشارة ومن الواجب أن تتأكدوا أن الأرواح الصالحة لا تتواطأ قط على مجارة مطامعكم ، وأما الشريرة فهزأ بكم بمواعيد سرابية ما وراءها إلا الخيبة والخسرة ، ثم اعلموا أنه إذا قتر عليكم محنة فالأرواح الصالحة تساعدكم على تحملها وتخفف عنكم وطأتها ولكنها قاط لا تستطيع أن تدركها عنكم لأن بها خبركم الروحي ونجاح مستقبلكم (س) إذا توفي شخص وكانت مصالحه معروفة لا يسوغ استشارة روحه في حل بعض المشاكل وهلا يكون هذا من باب العدل

(ج) اعلستم نسيت أن الموت باب النجاة من هموم الحياة وأن الروح المفلتق من الأسر لا يعاود سلاسله للتدخل في أمور ما عادت تهمه ولخدمة ورتة ربما انتهجوا بموته لما ينجم لهم عنه من الفائدة المالية ؟ تقولون إن هذا من باب العدل والعدل قائم بخيبة مطامعهم وهذا بدء القصاصات التي ستوهمهم من تعلقهم المفرط

- (س) أُنستطيع أن أُنسني الأرواح عن أحوالها ومراكرها في عالم الغيب ؟
- (ج) نعم بشرط أن يكون هذا الاستنباء ناتجا عن المحبة وطلب الفائدة الروحية
- (س) هل تستطيع الأرواح أن تصف لنا نعيمها أو شقاءها
- (ج) نعم لأن فوائد عظمية تنتج لكم من ذلك أخصصها اطلاعكم على ماهية الثواب والعقاب ورفع الأوهام المترتبة على عقول بعض السذج من هذا القبيل وإحياء الإيمان فيكم وتقوية رجائكم السماوي . إن الأرواح الصالحة بلذها وصف نعيمها والشريرة تجد راحة في تبيان ما تنافسها من تباريح العذاب خصوصا إذا لاقت من سامعها عواطف الاشفاق والأسى ، لا يخفى أن غاية الروحية هي اصلاحكم الروحي ، والفرض من كل الأمثلة والمقالات التي تأتيكم هو وقوفكم على حقائق ما بعد الموت لتتجسروا من الأرضيات وتوسعوا وراء السماويات
- (س) إذا فقد أحد من الوجود ولم يعرف أمر مصيره فهل يمكن استحضار روحه لوقوف على الحقيقة
- (ج) قد يمكن ذلك إذا لم يكن الارتياب في موته محنة قد راحتها على من يهمهم أمره
- (س) هل يجوز استشارة الأرواح في الصحة
- (ج) نعم لأن الصحة شرط ضروري لحسن القيام بالعمل الذي تجسد الإنسان لأجله ، وإنما لا ينبغي استشارة أي روح كان من الأرواح لأن الجهلاء يكثرون بينهم
- (س) أيحسن استشارة مشهورى الأطباء للتوفين
- (ج) ليس هؤلاء المشهورون بمصومين من الغلط وقد تصلب فيهم أحيانا بعض آراء فاسدة لا ينزعها الموت عنهم بسهولة . إن العالم الأرضية ليست بشئ بالنسبة إلى العالم السماوية وهذه لا يمكنها إلا الأرواح العاوية فالها يجب أن تلجؤا في كل أمر
- (س) هل العالم بعد موته يقر بأذليله العلمية
- (ج) إن كان قد تجرد من الكبرياء وأدرك نفسه يقر بها بلا خجل ولا تنقي فيه بعض الأوهام التي تركت عليه في الحياة
- (س) هل يمكن الطليب أن يحضر الموتى الذين ماتوا على يده ويستوضح منهم بعض اللائل ليزداد بها خبرة ومعرفة
- (ج) قد يصح ذلك وبالنسبة إلى الأرواح العاوية ذاتها بشرط أن يكسب على درسه هذا بالاستقامة وصفاء القلب لابتنية حشد المال وكسب المعارف من دون جد ولا عناء
- (س) هل يمكن استرشاد الأرواح في المباحث والاكتشافات العلمية
- (ج) إن العلم هو وضع العقل ولا يكتب إلا بالعمل والعمل وحده يتقدم المرء في طريقه ، أي ففضل يبق للإنسان إذا أمكنه أن يعرف كل شئ باستنباء الأرواح ، ألا يصح الفي الجاهل بهذه الطريقة عالما ؟ ثم إن لكل شئ وقتا معينا يأتي في حينه أي عند ما تكون الافسكار مؤهلة لقبوله وأما تلك الطريقة فيقلب الإنسان نظام الأشياء إذ يقطف ثمرة قبل نضجها
- (س) ألا ينال إذن العالم والمتحرف من الأرواح المعونة في مباحثه
- (ج) إن العون لا ينقصه عند ما يكون أوران الاختراع قد دنا فتوافقه وقتئذ الأرواح وتلقى إليه بعض الإلهامات الفكرية فيفكر فيها هو ويشغل بها إلى أن ينتج منها الاكتشاف المقصود فيكون معظم الفضل راجعا إليه ، فليأكم إذن والزيغ عن محجة الروحية والتطرف إلى أمر لا ينبو بكم منه إلا الخلد والسخرية
- (س) هل يمكن أن نعدنا الأرواح على الكنوز والأخافير الخفية

(ب) قد قلت لكم ان الأرواح العاوية لا تنزل إلى مواضع مظلمة . وأما المسكرة فتدل دائماً سالماً على أماكن لا وجود للكينز فيها فيذهب المسكين عناءه وتعبه أدراج الرياح (س) ما قولك في الاشتداد بحراسة الكينز المدعوة رسدا

(ج) إن بعض أرواح البخلاء يلبثون متيقنين حول الكينز التي طمروها في الأرض وخوفهم على اكتشفائها يكون عذاباً مستديماً لهم إلى أن يتجردوا عن المديات ويدركوا بطلانها اه

حينئذ قالت ياشير محمد تأمل في هذا الحديث . ألم تجد فيه علماً جديداً في فهم القرآن . قال وما ذلك . قلت قال الله تعالى . فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خرت تبين الحق أن لو كانوا يمشون الغيب مالمشوا في العذاب المدين . فان الجن أيام سليمان عليه السلام بقوا أمداً طويلاً مستعزين وكان سليمان عليه السلام متكئاً على عصاه فلما أكلت دابة الأرض تلك العصا خرت على الأرض فلو كانوا يعلمون الغيب مالمشوا في ذلك العذاب ولعلوا أن سليمان ميت . ولا جرم أن هذه القصة ترميهم أن لا يثقوا بالإنس بأخبار الجن . هذا هو المقصد الحقيقي منها ولقد تجلّى واضعها في هذا الحديث . ألا ترى أنهم لما سألو الروح « هل تستطيع الأرواح أن تكشف أسر المستقبل » فكان الجواب « كلا . إذ لو عرف الإنسان المستقبل لأهل الحاضر » ولما سألت الأرواح « أليس مع هذا من حوادث يتنبأ الأرواح عنها وتتم في حينها » فكان الجواب « قد يتفق أحياناً أن الروح يستشعر حدوث بعض أمور يرى من الفائدة كشفها وهذا لا يمنع الأرواح المسكرة عن نشر النبوءات الكاذبة » ثم أفاد أن الأرواح الرصينة قد تستشعر بأمر يكون في الغالب متعلقاً بحوادث لم تتم ولا يعلمها إلا الله فلا تقطع في جوابها ، أما الأرواح الطائشة فلا يميزها أمر الحقائق فنشر الأخبار الكاذبة ، ولا جرم أن ذلك مغزى قصة سليمان عليه السلام وشرح ما انطوت عليه من العلم وبرهان صدق لما فيها من التوفيق عن تصديق مائتي الجن من الأكاذيب اه

ثم انظر ياشير محمد إلى قول الروح « إن بعض الناس يستدلون على قرب موتهم ويحتدون زمن وقوعه وأن هؤلاء الذين انطلقت أرواحهم من قيود الجسد لا يهتفون بأمر الموت ، ألست ترى ياشير محمد أن هذا مصداق قوله تعالى . إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم تعدون » نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهون أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلاً من غنور رحيم * ومن أحسن قولاً من دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين . فتعجب ياشير محمد كيف يقول . تتنزل عليهم الملائكة . ليلهم وهم السرور والبهجة ويحاطبهم ، وانظر إلى قوله تعالى . ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون * لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبدل كلمات الله ذلك هو الفوز العظيم . فقد قال ﷺ لما سئل عن البشرى قال هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو تری له . وتعب ياشير محمد من قول الروح في هذا « ان الطبيب اذا أكل على درسه بالاستقامة لا يئس حشد المال وكسب المعارف بدون جد ولا غناء ينال مساعدة الأرواح العاوية » وأليس هذا من مساعدة الملائكة للجن . وقد قال ﷺ ﴿ إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالْعَمَلِ وَالْعَمَلُ بِالْحِلْمِ ﴾ فلا علم بلا جد ونصب ولا حيل بلا تكلف وتصبر وجد . وقال تعالى . وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم . وقال . وكل شيء عنده بمقدار . وقد علمت فيها معنى أن الأرواح لا تخص من مفوض من عالم الأرض بل هناك من هم أعظم من هم الملائكة المكرومون . ثم انظر قوله تعالى في سورة النحل . الذين توفيهم الملائكة ظلمى أنفسهم فألقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بل إن الله عليم بما كنتم تعملون . ثم قال . وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً للذين آمنوا في هذه الدنيا حسنة . ثم قال . الذين توفيهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون . أليس هذا ياشير محمد يوحي إلى ما يقوله الروح هنا « إن

أرواحهم تطاع على ذلك عند انطلاقتها من قيود الجسد ويبقى فيها ذكره عند اليقظة فهو لاهو لهم أمر الموت ولا يرون فيه إلا انتقالا من حال الى حال أو تغيير كساء خشن بكساء لطيف ، وهل يعطى من لا يستحق الحكمة ؟ كلا » ثم انظر الى قوله « فالأرواح الصالحة تساعدكم على تحمل المحنة ولكنها لا تدركها عنكم لأن بها خيركم الروحي ونجاح مستقبلكم » وهذا قوله تعالى - فعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم - وقوله - ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير - وقوله - ولنبأونكم بشئ من الخوف والجوع ونفس من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين * الذين إذا أصابهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون - ثم تأمل قول الروح « وهذا يده القصاصات التي ستؤبىهم من مملكتهم المفرط بالخيرات » وقوله « إن العدل قائم بنجية أعمالهم » فتعجب كيف كان مطابقا أشد المطابقة لقوله تعالى - ولا تنجيكم أفعالهم ولا أولادهم إنما يدين الله بعبادتهم بها في الحياة الدنيا وترضى أنفسهم وهم كاثرون - وقوله تعالى - المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا - فجعل الله المال والولد عذابا في الدنيا وفي الآخرة لمن تعلق بهما ولم يجعلهما وسيلة لارتقاء روحه ثم جعل المال والبنين زينة الحياة الدنيا ولا خير إلا في الآخرة لمن تعلق بهما وأما قول الروح « إن العلوم الأرضية ليست بشئ بالنسبة الى العلوم السماوية » فهذا قوله تعالى - قل لو كان البحر ممدادا لكتبنا ما بين يدي يمينك من قبل أن نتفك كلمات ربنا ولو جئنا بمثله مددا - وقول الروح « لا ينبغي أن غاية الروحانية هي اصلاحكم الروحي والفرض من كل الأمثلة والمقالات التي تأتيناكم هو وقوفكم على حقائق ما بعد الموت لتجربوا من الأرضيات وتسعوا وراء السماويات » هذا وكثير أمثاله يفهم من قوله تعالى - إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك تجزي الجحيم - ومفهومه ان الذين صدقوا ولم يستكبروا تفتح لهم أبواب السماء - وقوله تعالى - إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا وطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون * أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون - ومفهومه ان الذين يرجون لقاء الله ولم يرضوا بالحياة الدنيا وجعلوا لها واتخذوا صالح الأعمال فيها سفنا ولم يطمئنوا لها ولم يفلحوا عما أودع فيها من آيات الله فأولئك مأواهم الجنة بما كانوا يكسبون اه

﴿ حكاية ومجزة ﴾

ياشير محمد ، إن قول الروح هنا أيضا « إن الطيب ينال المساعدة من الأرواح العالوية » وقوله في العالم والمختار « انهما يتالان المعاونة من الأرواح العالوية اذا آن وقت الاختراع » دال على مداخلة الأرواح في أعمالنا عند الاستحقاق ، أليس هذا مطابقا لقوله تعالى في سورة آل عمران - ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تتدكرون * إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين * بلى أن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوقين * وما جعله الله إلا بشرا لسكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم - ألا فاعلم كيف رتب الأرواح المعاونة للمختار والعالم على الحد والمثابة وهي تطابق الآية إذ جعل مساعدته خمسة آلاف من الملائكة موقفا على النصر والتقوى وهجوم العدو ، أولست ترى أن بيان الأرواح مجزة للقرآن ، لقد كنا نسبح بهذا ونكسل عاصه الى الله تعالى فأصبحنا نرى نظائره عن الأرواح العالوية أنفسها ، وقال في سورة الانفال - إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مسومين * وما جعله الله إلا بشرا لسكم ولتطمئن قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم * إذ يفشك النعاس أمة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام إذ يوحى ربك

الى الملائكة اني معكم فبينوا الذين آمنوا سألني في قلوب الذين كفروا الرعب - فانظر كيف أمر الملائكة ان يبينوا الذين آمنوا وانه سألني في قلوب الذين كفروا الرعب ، فترى انك مقالة الروح هنا من إلهام الأرواح الأحياء ومساعدتهم وانارة بصائرهم موافق للآيات ومبجزة في هذا الزمان فتأمل اه

الكلام على الشعراء

اعلم ان الشعراء والسكينة والسحرة بينهم تشابه وتجانس ، فالشاعر ينظم القول ويفخر بأن أكذب الشعر أعذبه ، وكلما أوغل في التخيلات وإبراز الصور المشوقة للسامع التي تجتذب قلبه وتأخذ على سمعه وبصره كان ممدودا من فطاحل الشعراء ، فإذا خيل الساحر للناس صوراً لاحقيقة لها وأبرز الامور على خلاف ماهي عليه ، وإذا كذبت الأرواح النافسة على بنى آدم وهي في برزخها وهكذا الأرواح التي في أجسادها اذا تلقت من تلك الأرواح شيئا وزادت عليه ، فسكها في الإفك متجانسة فليست تصلح لهداية البشر ، لذلك قال تعالى (والشعراء يتبعهم الغاؤون) أي السفهاء والرواة فاهم يتبعونهم على باطلهم وكذبهم وتمزيق الأعراض والقبح في الأنساب ومدح من لا يستحق المدح ، فهو لاء السفهاء والرواة هم الذين يستحسنون ذلك منهم ويفرحون به وأنباع محمد ﷺ ليسوا كذلك وقد قرّر هذا بقوله (ألم ترأنهم في كل واد من أودية الكلام يهيمون) فهم حائرون وعن طريق الحق حائدون ، وإلهام هو الزناح على وجهه لاقصده له لأن أكثر مقدماتهم خيالات لاحقيقة لها وأغلب كلماتهم في النسب بالنساء والفرز والهجاء وتمزيق الأعراض والوعد الكاذب والافتخار بالمطل ومدح من لا يستحق المدح والاطراء الكاذب والكاذب اليه أشار بقوله (وأنتهم يقولون مالا يفعلون) والقرآن ليس كذلك فنتج عما تقدم أنه ليس معناه مما تنزلات به الشياطين ولا لفظه من كلام الشعراء ، ثم استثنى الشعراء السامعين الصالحين الذين يذكرون الله ويكون أكثر أشعارهم في التوحيد والثناء على الله والحث على طاعته ولا يهيجون أحدا إلا انتصارا ممن هجأهم فلا يتخذون الهجاء إلا آلة لمقاتلة الأعداء لا طلبا للمال فليس الهجاء منهم لأغراض ذاتية بل ذلك لاصلاح الجميع بإذلال أعدائهم ، فهو لاء لما اتاهم الله قوة الشعر صرفوها للنافع العاقبة ولم يجعلوها أداة لكسب المال كما يفعل شعراء الجاهلية وأكثر شعراء الاسلام الذين تكسبوا بالشعر في الدولة العباسية وفي الدول الأندلسية ، فهو لاء هم الغاؤون الذين يقولون مالا يفعلون إن الشعر نور من الله كالجبال والحرف وكالصناعات بل ان مخاطبة الأرواح التي حدثت الآن في العالم والاستعداد لها كل ذلك جاء امتحانا للناس فان صرفوها لشهواتهم ساءت حالهم وان استعملوها لمنفعة العموم سعدت أعمهم . فالشعر والجمال والحكمة وسائر المواهب على هذا النحو فان بذلت للعموم كانت خيرا وان بذلت للصناعة الخاصة كانت شرا . ظهر الحق واستبان السبيل وتبين أن المسلمين لم يفتنوا هذه الآية وسار شعراؤهم في سبيل الفجوة حتى كانوا هم من أهم أسباب ذهاب الدولة العربية بالشرق وبلاد الأندلس كما سأوضحه لك قريبا لتجيب من هذه الأمة كيف نامت أمدا طويلا ولم يقطن كثير من الناس ط هذا القرآن ونبهذوا تعاليم حكائهم . وسيظهر في الاسلام جبل لم يحلم به الأرض وأمم تكون خير من أخرجهم الله للناس . قلت إن الله استثنى الشعراء الصالحين المسلمين وذلك قوله تعالى (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا واتقوا من بعد ما ظنوا) فهم يجمعون الشعر كاللواء يسيب الداء أي أنهم لا يجمعونه مكسبا يتكسبون به كما فعل المنفي وأبو تمام وأمثالهما من سيأتي ذكرهم . كلا . بل غاية الأمر انهم يتصورون اذا ظلموا كما انتصر حسان بن ثابت بهجاء المشركين وهم كانوا يدينون (وسيعلم الذين ظلموا) بالتركز وهجور رسول الله ﷺ (أي منقلب يقلبون) أي أي مرجع يرجعون اليه بعد الموت * قال ابن عباس « الى جحيم و ليس المصير » اه

واعلم أيها الذكي أن الأمة الإسلامية أصابها داء الجذالية بل زادت عليها وعكف أذكياؤها على السم ذات الشعر والمكاسب لا لإصلاح الجمهور ولا إقامة العدل ولا لحفظ الأمة ولا لحفظ البلاد وصيانة الإيمان ومقاتلة الأعداء إلا قليلا فأناروا الشهوات البهيمية والسبعية وأناروا النشائل العاتية والقوى العقلية فربحت كفة الشهوات ومالت كفة المقتولات والمزايا الشريفة والأمور الرفيعة فاطمطت بذلك الأمة الإسلامية ، وقد وجدت أبناء بلادى في هذا الزمان على هذا النحو وقد تركوا الأمة حيلة على غارها ، ولأحدثك عسا رأيت في ذلك (١) لقد رأيت وزيرا من وزراء بلادنا يباهى بأنه يحب للشعر وأسر مفتشا كبيرا من مفتشى اللغة العربية أن يشرح ديوان ابن الرومي ، وقد ظن ذلك الوزير أن ارتقاء الأمة موقوف على أمثال ذلك ، وقد صدع ذلك المفتش بأمره وشرح ذلك الكتاب وأيضا كان يحقر من شأن الديانات ولا يبال بها

(٢) قابلت شاعرا كبيرا من شعرائنا وقد اطلع على مثالة من مقالات « نهضة الأمة وحياتها » وقد كتبته في (جريدة الألوام) التي كان يديرها المرحوم مصطفى باشا كامل وسأيت ذكرها وتحدث معي في أمر المقالة فقلت له أنا لا أعرف شاعر الا اذا كان مما ينفع العموم . فأما ما عده فاني أحقره ولا أعدّه شيئا مذكورا وقد رأيت لك قطعة في وصف الشمس أعجبتني فبعد ذلك رأيت لهذا الشاعر قطعا كثيرة في المعاني الوطنية والعلمية

(٣) إن في بلادنا المصرية شاعرا كبيرا هو (شوقي بك) رأيت له مقدمة لكتاب شعره تنحوي نحو المقالة المذكورة وأخبر أنه عدل رأيه وأخذ ينظم شعرا لرقى الأمة بعد ما كان على طريقة أبي تمام والمتنبي . وهالك المقالة المذكورة في نهضة الأمة وحياتها

﴿ الشعر والتاريخ ﴾

(المقالة السابعة والأربعون)

الشعر والتاريخ فنان بينهما علاقة ونسب يمتدحان ويفترقان ، يكادان يكونان طبيعة في الانسان ، وكأن الكهرباء سرت في عاتق الأجسام خلقت معها ركبت في طبائعها ومقدارها يغلب في الأجسام الحيوانية فالجواهر المعدنية ويندر في النباتية ونحوها ، فهكذا ترى أناسا نبغوا في الشعر وآخرون يشبهون ويتقاربون ويشكلون وقد يصلون ، إن شئت قتل الناس شعراء ومؤرخون ، قم واجلس في مجلس فلا تسمع إلا قول الناس في سمرهم الأسعد فلان وشقي فلان وتارة يحلون المجالس بالشعر والمواالي أو يذكرون تخيلا شعريا غريبا ، لم ترتفع هذه عن مغرور الطبقات كما لم تسام عنها أرقى الطبقات ثم نرى الأمم في مبدأ أمرها تكون في الشعر أطفالا في البلاغة صغارا ، يهجم ما كان غريب اللفظ عويص المعنى كأنهم يخضعون لما تضرعنه فطريتهم ، فإذا أخذوا في الرق قليلا ما زلوا الإنسان في العقل فأحبوا الخيال والنكت البلاغة غالبا فإذا ارتقوا مالوا الى مجال المعاني واعتبروا من اللفظ ووقفه ومن الخيال سبكه ونظمه ونفاصوا على الحكمة رجال المعنى . وهذا ما عثر لي في درجات الشعر ، فخر رأيت الرجل تدهشه تلك السمكات وغرابتها فاعلم أنه غامى . ألا ترى أن العامة يقولون لكلام لا يدرون معناه هذا فصيح اذا كان مبريا وإن رأيت لا يتفق الا عند الخيال ويجب به فهو في الطبقة الثانية فان مرق من الخيال الى مافيه من حكم ووازن بينه وبين الحقيقة المقصودة من التأثير فهو في المرتبة العليا قلنا إن الناس أجمع يميلون للشعر ويحبونه ومنهم فريق استمر في قرضه فمدح الملوك ودفنهم . فباليت شعري لم غرست هذه الطبيعة فينا ؟ وهل مارأينا من الذم والمدح لغلبة الشهوات كان مقصود تلك الفطرة السامية . الله أكبر وأجل أن يضم هذه الغريزة لمثل هذه الصفات . وانظر كيف كان أبو الطيب أحمد بن عبد الصمد الجعفي المنبئ المتوفى سنة ٣٥٤ هـ في جهة سواد بغداد كان عظيم القادر شريف المنزلة ساهي النفس

ومع هذا يقول الشعر ارضاء لشهوات النفوس . فكيف مدح سيف النبوة وكلمته . وكلم مدح كافورا وكلم دمه
يقول في مدح الثاني وذم الأول قمر أيضا

تجاذب فرسان المسيح أئمة * كأن على الأعناق منها أفاعيا
ينزم يسير الجسم في السرج راكبا * به ويسير القلب في الجسم ماشيا
قواصد كافور توارك غيره * ومن قصد البحر استقل السواقيا
بفأت بنا انسان عين زمانه * وخت بيضا خلفها وما قبلها
تجوز عليها المحسنين الى الذي * نرى عندهم إحسانه والآديا

وهذا من قصيدة مدح بها كافورا الاخشيدي إذ ورد عليه وأكرم مثواه في جنادي الآخرة سنة ٣٤٦ هـ
عجربة ، ثم دمه بقصائد منها قوله

إني نزلت بك ذا بين ضيفهم * عن القرى وعن الرجال محذور
جود الرجال من الأيدي وجودهم * من اللسان فلا كانوا ولا الجود
لا يقبض الموت نفسا من نفوسهم * إلا وفي يده من تنها عود
أكلنا اغتال عبد السوء سيده * أوثانته فله في مصر تهديد
صار الخصى إمام الأقبين بها * فالخر مستعبد والعبد معبود
العبد ليس حرة صالح بأخ * لو أنه في ثياب الخنز مولود
لا تشتر العبد إلا والعصا معه * إن العبيد لأتجانس منكيد
ما كنت أحسبني أحيا الى زمن * يسى في فيه عبيد وهو محمود

وابنا نزيل النخل فخل هذا الشعر مع حسنه وضع في مقام غير شريف فترحم به الأنهم أول أمرها وشبابها
فاذا وصلت للحكمة أبتهابها بعم ولا يرون لأمثال هذا قيمة وهكذا كثير من قصائد أبي تمام والبحتري وأضرابهم
يمدحون ويذمون تلك الشهوات . وهذا لعمرك ما صرح به التران إذ قال - والشعراء يتبعهم الغاؤون *
ألم تر أنهم في كل واد يهيمون * أنهم يقولون ما لا يفعلون - فانظر كيف ود فهم بأهليهم في كل واد من أودية
المدح والذم كانوا يحيم بهم الشهوات وتسعدهم بالفتيات . إذن لماذا غرس الله هذه الفطرة في نوع الانسان ؟
أجمع العلماء أن كل غريزة فينا ذات حكمة شريفة وأن شعر منزلة سامية في النفوس ، لعل نفوس كثير من
الشعراء حادت عن الطريق المستقيم ، لعل هذه الفطرة تخرج الى وصف ما تراها من جمال هذه العوالم وبهاؤها
تصف السحاب ، تصف النجوم والشمس والقمر ، تصف الأنهار تلك الحكيم الزاهرة الباهرة الشعر كبرياء
الأرواح الانسانية تشع منها الى النفوس فتطوف هذه العوالم المشاهدة فتستخرج المنافع المادية والمعنوية
وتعود النفوس الى الفضائل وتبتعد بها عن الرذائل في العوالم المشاهدة عجائب وغرائب فيها حكم وبدائع وانما
يستخرجها الشعراء بقراءتهم . وأنه ليجهن ما يتغنى به شعراؤنا اليوم من وصف الكون وحكمه والتشويق
للعوالم وتعبدهم للوطن والألفة والرقى . أنلك خبر أم أولئك الذين يذمون ويمدحون كأنهم للشهوات عابدون
المدح والذم صفتان عرضتا للشعراء إذ حاد الملوكة عن التصدد وأنوارا عن المصراط السوي فاستطغفروهم
واستجلبوهم . الله أكبر . كلما ماتت الحكومات عن النباية الى الاستبدادية مال الشعراء الى الأشخاص ووصفهم
وكما عدلت الحكومات اعتدلت الشعر وصاروا لكا للأمة يترسض أبنائها ويرشدتهم الى المعالي . يفرهم
بكلهم الأخلاق . واني لأرى أننا لاختار من الشعر إلا ما يتقوى ارادة الشيبية ويهديهم الى طرق الرشاد . أما
شعر المدح والذم فلن يفيد إلا احسن الألفاظ وجمال الخيال وهو خال من كل فائدة . وهذا هو الذي أراه في تعلم
الشعر مثاله ما قال أبو الطيب في الحكيم

هون على بصرماشق منظره * فانما يظلت العين كالشمس
يقال شق الأمر عليه صعب والمعنى هون على عينك ما يشق عليها منظاره فان منازة في اليفطة شبيه بما
تراه في المنام وكان الحياة أحلام ولم الحزن على حوادنها

ولا تشك الى خالق فقسمة * شكوى الجريح الى العقبان والرخم
وكن على حذر للناس تسره * ولا يفرك منهم فخر مبسم
سبحان خالق نفسي كيف لذنها * فيما النفوس تراه غايه الألم *
المهر يهيج من حملى نوابه * وصبر نفسي على أحداثه الحطم

ومن حكم أبي تمام الطائي حبيب بن أوس المتوفى سنة ٢٣١

خطوب اذا لقيتهن رددني * جرياً كافي قد اقيت كتابا
ومن لم يسلم لثواب أصبحت * خلأته طرا عليه نوابا

ومن أجل ما ينسب لعنرة

ولاحين النفس عن شهواتها * حتى أرى ذا ذقة ووفاء
فأئن بقيت لأصنعن عجائب * ولأبكمن فصاحة البلغاء
ولأجهدن على اللقاء لكي أرى * ما أرتجيه أويجين قضائي

ومن حكم أبي العلاء وهو يشهد لما قلنا

وما شعراؤكم إلا ذئاب * تلصص في المدايح والنسب
أأذهب فيكم أيام شيبى * كما أذهبت أيام الشباب

فان كان ولابد من مدح فليكن بما عرف من فضائل المدح وشهرته يجعل ذلك قدوة لأهل وطنه
فيرجع المدح الى ترغيب الناس في الاقتداء به وهذا كانه درس أخلاق وماعاده فلا أمده ولا أرضاه . الشعر
والتاريخ لا يقصدان لذتهما انما يرادان لإثراء العواطف والحض على المكارم وماعاده ذلك فنبوذ ، فالشعر
الذى قصده به الشهوات يهيمون به في كل واد ، فأما الآخر فهو ما ذكره الله بقوله - إلا الذين آمنوا وعملوا
الصالحات وذكروا الله كثيرا - الخ أراد به الشعر الذى قصد به غرض شريف ونفع عام وهكذا التاريخ أرى
أن يصطفى من حوادنه ما يقود الشبيبة الى المذاهب والخمرات ، التاريخ يراد منه إثارة الحجة والغيرة في الرؤس ،
التاريخ وصف شجاعة الشجعان وخذلان الجبان وسياسة العادل وحب صالح الوطن ورجال الأمة وعظماهم
حتى يكون ذلك داعية الى رقى الأمة والعمل لها ، وأعجب ما رأيت تلك القصص القرآنية فما رأيت حكاية
قصيرة أو طويلة إلا تخللها حكم ومواعظ وأمثال وترغيب أو ترهيب كأنه يرينا كيف نعم التاريخ كأنه يقول
لبس التاريخ فنامعبودا إلا انما التاريخ آلة لتقوى القرائع وإثارة العقول للغرض الذى توجه اليه الأمة ، ومنى
عرى عن هذه الأغراض فانما هو من سفاسف الامور وضاياع الوقت وقراءة بعض كتب الاقرب شاهد بذلك
فما يكتبون . انتهى

﴿ لطيفة ﴾

لقد تبين لك مقام الشعر وعرفت حقائق علمية فيه ، فلا تبين لك آثار الشعر في أمة الاسلام وكيف كان
التمادى في الشعر سببا في انحطاط بعض الأمم الاسلامية نقلا عن العلامة (لويس فياردو) ترجمه صديقي
عبد الحيد بك فهمي

جاء في الجزء الثانى من تاريخ عرب ومغاربه اسبانيا وهو الدور الاسلامى ببلاد الأندلس تحت عنوان الشعر
مانصه ذكر ان العرب في الأندلس قد بالغوا في استعمال الشعر حتى صاروا يكتبونه في المراسلات السياسية

وعقد الصلح بل يخيل للإنسان أنهم لا يكادون ينطقون إلا بالشعر قال وكان عدد الشعراء عندهم عظيماً جداً وكان حماد الراوية الذي كان في ابتداء القرن السابع يحتفظ بمائة ألف قصيدة عن ظهر قلب من قصائد الجاهلية على كل حرف من حروف الهجاء غير القطع الصغيرة وأن أبا تمام كان يحتفظ أربعة عشر ألف أرجوزة غير المقاطع الصغيرة والأصمعي ستة عشر ألف أرجوزة ، وكان أبو مضمم يرى أشعاراً لمائة شاعر كل منهم اسمه عمرو ، ونقل هو عن أحد الفرنسيين « أن بلاد العرب أنتجت من الشعراء أكثر من خرج من بقية بلاد العالم » ثم ذكر أن مجالس الخلفاء كهارون الرشيد ازدان بالشعراء . وذكر المتنبي وهو أبو الطيب أحد بن الحسين ابن عبد الحميد الجعفي المولود بالكوفة سنة ٩١٥ هـ وهو مدام سيف الدولة بن حمدان أمير حلب وكافور الأخشيدي وقد تقدم سابقاً ، وذكر أبا العلاء المعري ولزومياته وأبا تمام حبيب بن أوس الطائي المولود بالشام وكان ناسجاً ويسقي الماء في الجامع بالقرب من قبل أن يكون أمير الشعراء والبحثري وهو أبو عباد ، ثم ذكر أن الشعر كان يرفع الرجل من المسكنة إلى الدرجة العليا ، واستدل على ذلك بأنهم يؤرخون حوادثهم كما يؤرخون للأولاد ويذكرون وفاتهم بأيوم والساعة كما يذكرون وفاة ملوكهم وسجائبهم ، ودخل الشعراء أسبانيا مع الفتح حين دخلها موسى بن نصير وقد كثرت الشعراء هناك ووقفوا في قرطبة وأشبيلية وغرناطة على أبواب عبد الرحمن الداخل وأبى عبد الله الصغير وغيرها ، وقد كانت تجميع القصائد في مجلدات البدواين فيقال ديوان الشاعر فلان ، وقد كان الخليفة الحكم الثاني هوناشر ومنظم ديوان ابن عبد ربه (أحمد بن محمد بن عبد ربه) من شعراء قرطبة وصاحب « العقد الفريد » وبعض البدواين يحتوي على مجموعات لشعراء مختلفين مثل مجموعة أبي بكر بن داود الأصبهاني المسماة بالأزهار ومجموعات أخرى ، ثم قال إن زمن الحكم الثاني كان زمن رقي شعري عظيم وقد اشترك أهل الأدب في المناظرة الأدبية التي قامت بينهم على أثر مائظهم أحد شعراء قرطبة « بحسان الورد » ومائظهم شاعر آخر في وصف الملوك فشعبت الآراء وصارت القوم فريقين ، فريق يفضل هذا وفريق يريده ذاك وقد أثرت هذه المناظرة الأدبية وولدت كثيراً من النظم والنثر وقل أن يوجد مثل أشهر من المناظرة بين الورد والمطر مؤيدة برأي المعضدين لها انتهى ملخصاً

نتائج الغرام بالشعر والسياسة في الأندلس

ثم قال مانصه بالحرف الواحد « غير أننا إذا فهمنا الشعر على هذه السكيفة فانه بدلا عن أن يعلى قدر الأمة فانه يجرى إلى التل والهوان ، ويدلنا دلالة كافية على انها قريبة من الزوال آيلة إلى الانحلال في زمن قريب بدلا من أن تتمك وتستقر ثابتة في أوج عزها ومجدها وبعد هذا الزمن بقليل استوزر ابن عباد الثالث الشاعر (عبد الله بن زيدون) واتخذ أمير بطليوس وزيرا له (أبا محمد بن عبد المجيد بن عبدون) عند ذلك كثر تقلد الشعراء وظائف الدولة وراجت سوق الأشعار فيها حتى كانت المراسلات السياسية تكتب بالشعر ، ثبت ذلك ما كتبه ابن عباد إلى الأمير يوسف وإلى القونس السادس . ولما اشتغل المسلمون بذلك وألهاهم الشعر عن النظر في أمور الدولة قام الأسبان واستردوا مدينة (طليطلة) وهددوا الأندلس بجيوشهم ولم يجد الأسراء وزراؤهم الشعر أمخلاصا من بطش المسيحيين بهم إلا باليا واحدا وهو الاحتماء بأمراء أفر بريقه فاستدعواهم إليهم وسألوهم إلى رئيس المغاربة مابق بأيديهم من بقايا الخلافة العربية فسكانهم قضا بأيديهم على تدمهم كما قضا على دولتهم انتهى المقصود منه

وانما ذكرت لك هذا أميا لكي تعرف نتيجة قوله تعالى : والشعراء يتبعهم الغاؤون * ألم تر أنهم في كل واد يهيمون - فانظروا كيف هام الأندلسيون من المسلمين في الشعر وأوديته حتى قارنوا بين المطر والورد وتركوا الأمة وراءهم جاهلة لا يعملونها نظام الحياة ولا رقي البسلاد ولا الاستعداد لمقاتلة الفرنجة ، فهذا هو الهلما في كل واد من أودية الضلال وهذا هو الذي عناه القرآن وهو مهجنة أخرى ونتيجة سياسية لهذه الآفة

﴿ خاتمة السورة ﴾

اعلم أن هذه السورة بدأها الله بالعلوم فذكر النظار فيها خاتمة في الأرض من عالم النبات وعجائبه وذكر في قصة موسى عليه السلام ذلك النظار كما شرحناه وعممه في الأرض وفي السماء وفي المشرق والمغرب وما بينهما وفي نوع الإنسان وكذلك في قصة إبراهيم عليه السلام من الأحوال الإنسانية خلقاً وهداية وشفاء الخ ثم أعقب ذلك في القصص الخمس الباقية بالعمل بعد العلم فذم الكبرياء على الضعفاء في قصة نوح عليه السلام وذم المتعالي والتعظيم بما أنعم الله من النعم لإبداء الناس وإذلالهم وإهانتهم كما كانت تفعل عاد من احتقارهم للناس وإهانتهم بطش الجبارين ، وذم نوح بكفر النعم التي أنعم الله بها عليها كالبيوت المتخذة في الجبال ، وذم قوم لوط إذ جهلوا نعم الله في النساء بالبنين وتركوهن واكتفوا بالذكور ، وهكذا قوم شعيب إذ ظلموا في كيلهم ووزنهم فرجع الأمر إلى نظام البلاد بأقامة العدل في المعاملات وحفظ النسل وترك ظلم الناس وقتلهم وسفك دماهم هذا ما يخص ما في القصص الخمس الأخيرة ، فالسورة ابتدأت بعلوم النظر وختمت بعلوم النظام الاجتماعي والحق أنه لا سعادة لأمة إلا بالنظر في هذا الوجود أولاً وحفظ النظام ووطء القوة الشهوية والقوة الغضبية ثانياً وهذا ما يخص السورة ، وختمها ببيان أن القرآن لم ينزل به على النبي شيطان وأن النبي ﷺ ليس بشاعر ثم وصف الشعراء وقد عرفت كل ما يتعلق بذلك

﴿ كيف يعلم الشعر في الاسلام ﴾

اعلم أن السورة قد ختمت بذكر الشعراء كما قدمنا وكان ابتداءها بذكر الحكمة والعلم والنظر في هذا الوجود كما شرحناه ، ألا تعجب من هذا النظام ، ألا تعجب أن التعليم الحقيقي يكون على هذا المنوال فقد جاء في كتاب أميل القرن التاسع عشر مامانخصه ان العلوم الأدبية والشعرية والقصص الخيالية والخرافة قفراً أولاً ثم يقرأ التلخيص بعد ذلك العلوم الطبيعية كالحیوان والنبات والانسان والعلوم الرياضية كالحساب والهندسة والفلك الى آخره وذلك لأن الشعر وما معه يفتح للعقل باب الخيال ، أما العلوم العقلية فانها تصقل العقل وتمهذه . فهذا تعرف كيف سقطت دولة الأندلس فيما تقدم وتعرف ما يجب في المستقبل على المسلمين

﴿ في تعليم الشعر ﴾

ليقرأ الشعر بالطريقة الحديثة بحيث يذكر تواريخ الشعراء ، وما السبب في هذا الشعر ، ولم كان على هذا المنوال ، وكيف كان حكم الدولة في تلك الأيام ، وما الذي أثر في الشاعر حتى نطق بهذا القول ، ومآل الدولة في أيامه ، ومآل مدنيها ، وفي أية درجة كانت من الرقي حتى يخرج الطالب من ذلك وقد كسب ملكة التدبير في البلاد بأثره . ولابد من العلوم الطبيعية كما جعل القرآن مبدأ السورة فيها في أولها وفي قصة موسى وإبراهيم . وكما ذكر بعد (سورة الشعراء) سورة النحل وهي من العلوم الطبيعية . أفلا تعجب من القرآن . أفلا تعجب كيف سمي هذه السورة بالشعراء وأورد فيها بما هو من علوم الطبيعة ونظام الخليفة وبدائع الحكمة وهي (سورة النحل)

تم تفسير سورة الشعراء يوم الثلاثاء ١٧ من شهر فبراير سنة ١٩٢٥ م والحمد لله رب العالمين

﴿سورة النمل مكية﴾

(وهي ثلاث وتسعون آية . نزلت بعد الشعراء)

﴿ وهي أربعة أقسام ﴾

﴿ القسم الأول ﴾ في مقدمة في الايمان وفي قصة موسى عليه السلام

﴿ القسم الثاني ﴾ في قصة سليمان عليه السلام

﴿ القسم الثالث ﴾ في قصة ثمود وقوم لوط

﴿ القسم الرابع ﴾ في حكم عامة وآيات بينات في معرفة الله واليوم الآخر . وقصة موسى و ثمود وقوم لوط
أشبه بإتمام القصص في سورة الشعراء

(الْقِسْمُ الْأَوَّلُ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ * هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ
الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زِينَتًا لَهُمْ
أَمْهَلَكُهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسِرُونَ *
وَإِنَّكَ لَتَلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ * إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَاءَ تَكُونُ
مِنْهَا بِخَبِيرٌ أَوْ أَنَايَكُم بِشِهَابٍ قَدَسٍ أَمَلَكَكُمْ تَصْطَلُونَ * فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ
فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *
وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي
لَا يَزِيدُ لِقَائِي الْمُرْسَلُونَ * إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَلْ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَلَقِيَ غَوْرَ رَحِيمٍ * وَأَدْخِلْ
يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ يَصْغًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ ءَايَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا
فَاسِقِينَ * فَلَمَّا جَاءَهُمْ ءَايَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ * وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا
أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ *

﴿ التفسير اللفظي ﴾

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(طس) تقدم تفسيرها وتفسير جميع أمثال هذه الحروف في أول بعض السور وفي أول سورة ﴿ آل عمران ﴾
وستقرأ قريباً ذكر ما يخصها هنا بإيضاح (تلك آيات القرآن وكتاب مبين) أى هذه آيات القرآن وآيات كتاب
مبين فيه الحكم والأحكام والابجاز وفي هذا السلام عطف إحدى الصفتين على الأخرى . وقوله (هدى)

وبشرى للمؤمنين) حالان من الآيات فهي هدى من الضلالة و بشرى بالجنة (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون) الجلة الاسمية عطف على ما قبلها (إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا طمس أعماطهم) القبيحة فأصبحت مشبهة لهم طبعها (فهم يعمهون) أى يترددون فيها متجبرين (أولئك الذين لهم سوء العذاب) كالقتل والأسر يوم بدر (وهم فى الآخرة هم الأسخرون) أشد خسرا نأفوت الثواب واستحقاق العقاب (وانك لتلقى القرآن) تلقته وتؤتاه (من لدن حكيم عليم) فعلاوم القرآن ﴿قسمان﴾ عل وهو يشمل الجزئات والمستحيلات والواجبات وهو يشمل القصص والأخبار والمواعظ ويشمل اتقان الفعل وهذا الأخير هو الحكمة وهى القسم الثانى وهذه تشمل العقائد والشرائع والأحكام ، ثم شرع فى بعض العالوم فقال اذكر (إذ قال موسى لأهله إني آنست نارا) أى اذكر قصته وقوله (سأتيكم منها بخبر) أى عن حال الطريق لأنه قد ضله فى ذهابه من مدين الى مصرأى امكثوا مكانكم سأتيكم بخبر عن الطريق (أوأيكم شهاب قيس) على الاضافة بمعنى شملة نار مقبوسة وشعلة النار تكون مقبوسة وغيره مقبوسة ومنونا فيكون القبس وحفا للشعلة بمعنى مقبوس (لعلكم تصطلون) رجاء أن تستدفئوا بها من البرد وكان فى شدة الشتاء (فلما جاءها نودى أن يورك من فى النار ومن حولها) أى نودى بأن يورك من فى النور الساطع الذى ظنه موسى نارا أى قدس وهوالله تعالى كقوله ابن عباس ومن حولها وهم الملائكة وموسى . ولا يجرم أن الله فى السموات وفى الأرض يعلم سرهم وجهرهم وقد خاطب موسى من ناحية الشجرة فلاضربها قاله ابن عباس فى هذا المعنى وتقديس الله بمعنى تنزهه عن جميع النقائص وأحوال الخلق وتقديس موسى والملائكة بمعنى ترك الذنوب ومعصية الله تعالى ولا يجرم أن الملائكة موكولون بهذا العالم فهم حاضرون فى كل مكان . ولما كان قوله . من فى النار . يوهم الظرفية الحقيقية ويوهم اشراك موسى والملائكة مع الله فى التقديس أوكثرة الخير من كل وجه أرفده بقوله (وسبحان الله رب العالمين) وهذا من تمام النداء أى تزيه الله مربي العالمين والمربي يعانى عن الذين هم مربوون فلا يشاركونه فى كثرة الخير ولا فى التنزيه عما لا يفتنى . ثم وصف الله نفسه لموسى فقال (ياموسى) إنه أنا الله العزيز الحكيم) الفاعل الغالب ولست أقهر إلا أقهره فأنأ قاهر هذا العالم ولكن القهر مصحوب بحكمة فأنى قلبت الصاحية فأنما ذلك لأثبت قدرى وإعجازك لما أظهرته على يدك ولكنى لأظهر ذلك على يدى عبد من عبادى إلا الحكمة فلا أجعل مثل هذا شائعا لأن شيوعه وتداوله ينأى الحكمة بل إلى أجهله نادرا ولكن جيع ما يحصل فى الطبيعة إنما يسير بنظام تام فهناك حكمة فى دوام النظام وهنا حكمة فى خرقه على شريطة أن يكون وقت الحاجة . ثم أبان عزته وقهره لحكمة هنا فقال (وألقى عصاك) عطف على يورك أى نودى أن يورك من فى النار وأن ألقى عصاك (فلما رآها تمزج) تتحرك باضطراب (كأنها جان) حية خفيفة سر سبعة (ولى مدبرا ولم يعقب) ولم يرجع . يقال عقب المقاتل اذا ك بعد الفرار . وأما رعب لأنه ظن أن ذلك لأمر أريد به فلذلك قال الله له (ياموسى لا تخف) منى ولا من غيرى ثقة (إلى لا يخاف لدى المرسالن) إذ لا يكون لهم سوء عاقبة فيخافون منه . أما الخوف الذى هو من شرط الإيمان فهو ملازم لهم . واعلم أن الأنبياء قد يأتى بعضهم بغير الأفضل وقد يأتى بالصغيرة وموسى عليه السلام قتل القبطى ثم تاب وقال رب إني ظلمت نفسى فاشفرلى فغفرله . وقال ابن جرير « قال الله لموسى انما أخفئتك لثقتك النفس » ولذلك قال تعالى (إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فإني غفور رحيم) أو الاستثناء منقطع أى لكن من ظلم من سائر الناس فإنه يخاف فان تاب و بدل حسنا بعد سوء فإني أغفرله وأزىل خوفه (وأدخل يدك فى جيبك) أى جيب قميصك وأخرجها (تخرج بيضاء) نيرة تغلب نور الشمس (من غير سوء) آفة كبرص . ويقول الله وأدخل يدك حال كونها آفة مع تسع آيات أنت مرسل بهن (الى فرعونه وقومه) فتكون الآيات إحدى عشرة المذكورتان والفاق (٣) والطوفان (٤) والجراد (٥) والقمل (٦) والضفادع (٧) والدم (٨) والطمس

(٩) والجذب (١٠) والنقصان في مزارعهم (١١) وقوله (لأنهم كانوا قوما فاسقين) خارجين عن الطاعة (فلما جاءتهم آياتنا مبصرة) بينة واضحة يبصرونها (قالوا هذا) الذي نراه (سحرمين) ظاهر (ويجحدوا بها) أنكروا الآيات ولم يقرؤا أنها من عند الله (واستقبتا أنفسهم) أى علموا أنها من عند الله فهم يجحدوا بها بأنفسهم واستيقنوها ببقاؤهم (ظلموا) لأنفسهم (وعلموا) ترفعوا عن الإيمان وهما مفعولان لأجله لقوله - يجحدوا - (فاظفر كيف كان عاقبة المفسدين) فقد أغرقوا في الدنيا وأحرقوا في الآخرة . انتهى التفسير اللفظي للتسم الأول من السورة

﴿ لطيفة ﴾

انظر عجائب هذه الآيات في (سورة طه) وغيرها مما تقدم كالعصا والحبة وكيف قلب الله العصا حبة وما شبه ذلك قد أوضحنه في سورة طه ، فإن الله يظهر هذه العجائب كأنه يقول لعباده انظروا الأرض وما عليها تلبس ألوانا وألوانا ، يكون ليل فجرجر فصبح فظهر فغصير فغرب فمشاء ، ألوان وألوان وظلمة وضياء وجمال في النجوم ، وهذا كله تغير سريع متتابع وهناك تغير غير متتابع كالنبات وتتابع زرعته وهكذا الحيوان فالناس يحبون من قلب العصا حبة لجهلهم بصنعها فأنهم لما شاهدوا قلب النجوم والشمس والقمر وجلايب النبات على الأرض وأسوا بذلك صابحا ومساء أصبح ذلك ناديا لا يؤثر في أنفسهم لجهالتهم وإنما ذلك يؤثر في نفوس العقلاء والحكماء ، ولكن لما رأوا العصا قد قلبت حبة عجبوا من فعل ربهم وذكروه . هذه هي الحكمة في ظهور أمثال هذه الطوارق

﴿ بهجة العلم في بعض أسرار - طس - ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(هذا ذكر بعض أسرار الطاء والسين في هذه السورة)

اعلم أن الله عز وجل - الذى خلق أرواحنا من أجل الأنوار وأبهر الجبال قد أنزلها في هذه الأرض واستقرت في الطين ولصقت به فوصفت بالجهل حتى لا تعمل فلذلك أخذ يعلمها الله ليرجعها إلى مقامها الأول نقل فؤادك ما استطعت من الهوى * ما الحب إلا لعجيب الأول

لهذا أخذ ينزل لها العلوم إما بالوحي وإما بالعقل والحكمة ، والوحي مبدأ والحكمة النهاية وكلاهما منه تعالى ، وهما هذا سبعا عنه أخذ في أمثال هذه السورة يعلمنا كما يعلم الاستاذ تلميذه بالبساط قبل المركبات بالجزئيات قبل الكليات فابتدأ يقول لنا (طاء - سين) وهذان الحرفان لا يفهم القارى منهما معنى لأنها حرفان لا معنى لهما . ولقد تقدم شرح هذا المقام بأوفى بيان في سورة (آل عمران) فهناك تجد العجب العجيب ، ولكن نحن هنا نريد ما يخص هذه السورة من المقصود من الطاء والسين . اتنا ذكرنا في سورة (آل عمران) من المعاني التي تختص بالأنف واللام والميم ما به يستيقظ المسلمون النائمون إلى حوز مجدهم وشرفهم وأن هذه الحروف موقوفة هناك إلى قصة اليهود المبذورة بالأنف واللام والميم وهذه القصة تنبذ أنهم قد أنكروا على شفاعته آياتهم وعلى أنهم لا يدخاؤون النار إلا لتحلة القسم كما وعد الله يعقوب بالنسبة لأبنائه وأأنهم لا يدخاؤون النار إلا أربعين يوما عدد أيام عبادة آياتهم الجبل ، وهذا الانكال الذى ادعوه جعلهم يستحلون المحرمات ويسكرون الأحكام الشرعية ويكتمون ما أنزل الله حتى قالوا إن التوراة ليس فيها الأسرى بجم الزانية والزاني ، وهذا الانكال أوقعهم في النكال فأزال الله ملكهم وحل المسلمين بساحة بلادهم وملكها ، وقد بينا هناك أن هذه الحالة بعينها هي التي حلت بالأمم الإسلامية اليوم سواء بسواء ، وأنهم أنكروا على شفاعته الشفاعة من شيوخهم وعظمائهم وناموا جهلا بمعنى الشفاعته وبعدا عن معرفة الحقائق فلم يتدبروا أن يفهموا ما هي الشفاعات وما هو

الواجب فوقهما فيما وقع فيه اليهود من ضياع سلكهم وذهاب مجدهم فأتخذوا الشفاعة التي هي حق وصدق لاشك فيها سببا في الجهل والكسل والنظم والنوم على فراش الراحة الوثير وهدموا الدين عدسا . إذن هم ذكروا حقا وأرادوا به إبلا راضل الله كثيرا منهم على علم . إذن - ألم - في سورة (آل عمران) يراد بها ارتقاء المسلمين اليوم وخروجهم من الظلمات الى النور ومن الغرور المذكور في قوله - وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون - الى الحقائق ومعرفتها ، وهناك بيان أنواع المغرورين في زماننا وبيان الطريق التي يسلكها المسلمون للخروج من هذا الغرور فأقره هناك فانه شاف واف . هذا ما يخص ما هناك مجمل

فلنظر عنا في الطاء والسين ، فهل فيهما معان كالتي هناك ؟ أقول نعم فيهما وفيهما ، ههنا حضر صديق العالم الذي اعتاد أن يناقشني في المسائل المهمة في هذا التفسير . وقال إن هذا الملتخص الذي ذكرت أنه في (سورة آل عمران) لم تأت فيه بهام الغرض هنا وإن كان الإطلاع عليه في المنصل هناك يكفي الالباب إنما الذي يهمني الآن أن أعرف هل - طس - فيها معان تنفذ الأم الإسلامية كالتي تقدمت في (آل عمران) فأجبت نعم تضارعا وتشرح الصدور . فقال وماهي تلك المعاني . قلت انظر وتجب . إن هذه السورة تشتمل على (١) حديث سليمان والطير والنمل ويدخل في أمر الطير مسألة بلقيس وعرشها . ولاجرم أن ذلك بدعو

﴿ لأمرين ﴾ ارتقاء العالم وارتقاء النظام السياسي في الأمم

(٢) وعلى أن صالحا طير به قومه فوكل الأمر لله فنصره

(٣) وعلى أن لوطا نصر إذ آذاه قومه

(٤) وعلى نتيجة ذلك كله وهو وصف الله بجمال خلقه في قوله - قل الحمد لله وسلام على عباده - الخ

ثم الأمر بالسير في الأرض وبقية النصائح

هذا ملخص السورة ، علم الله قبل أن يخلق الخلق وينزل القرآن أن المسلمين سبنامون نوما عميقا . لماذا ؟ لأن العرب لما فتحو البلاد تفرقوا فيها ولما تفرقوا نسوا مجد آبائهم لما أمركتهم بخبرة الانتصار وطال عليهم الأمد وقست قلوبهم وصاروا مترفين . مع أنهم هم الذين عاملوا الأمم وهم الذين رفقوا وهم الذين تقاوا علم اليونان وهم الذين سلموا ذلك العلم الى أوروبا فأحاطت بهم الأمم من كل جانب وهم يأنسون فقال الله لهم - طس - وهذا انحرافا أشبه بطلسم مكنون يقرؤه الناس جيلا بعد جيل وزمنا بعد زمن وسامه الآباء للأبناء وهذا زمان المعرفة والعالم ، هذا زمان استيقاظ المسلمين من العرب ومن تلك الأمم التي أيقظها العرب الفاتحون ، ولما نام العرب ناموا أجمعين ثم رجعت أكثر الأمم التي ليست بعربية الى أنفسها فعمقت واستردت بعض مجدها ولكن - طس - يراد منها أن توقظ أمم العرب وغير العرب بذكر بعض سرها في هذا التفسير فقال صاحب فين لنا ما هذا السر الذي قمت له هذه المقدمات . فقلت انظر الى (الطاء) أنت تراه في لفظ (الطير) ولفظ (أحطت) و (تحط) فهي أول كلمة طير وآخر كلمة أحاط وتحيط . قال بلى . قلت انظر الى السين أنت تراه في أول لفظ سليمان . قال بلى . قلت هذا هو مفتاح العلم في هذه السورة ، فطاء والسين هما مفتاح الرقي للأمم الإسلامية وكان الطاء قفل وكان السين مفتاح كالفاتيح المعتادة في بلادنا . قال نعم . قلت فإذا اجتمع القفل مع المفتاح وأدخل فيه فتحة الباب . هكذا هنا اجتمعت السين مع الطاء ففتحت خزائن العلم . فقال صاحب أريد أن أرى هذه الخواص . فقلت ههنا للعلم ﴿ خزانتان ﴾ خزنة العلم وخزنة السياسة

اللهم إني أجدك على نعمة العلم . اللهم لاصم إلا أنت . اللهم لامنع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا راد لما قضيت ولا ينفذ ذا الجدة منك الجدة . اللهم إن القلوب بيدك والفتوح منك فلا حول لنا ولا قوة إلا بك أنت . أنت الذي ألهمتني هذه المعاني فلا قلبا للمسلمين . اللهم إن ساكنات بيتك سلم الطير ولم يكن ذكر ذلك في كتابك لمجرد حكاية حكمها عن سليمان لتفزع بها ونحن جاهلون أولتها في غيرنا ونحن مجرّدون . كلا

إن القرآن ذكر مبارك والذكر بقبضه الذكر كما قلت - الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض - * فهنا يفكر المؤمن في أمر سليمان وأمر الطير فيقول إن الطير يقول سليمان أحطت بما لم تحط به فهو الله ما كان علماء الأمم البائدة من قدماء المصريين والآشوريين والبابليين ولا علماء الأمم الحاضرة من الأمم العربية بأقل علما من الهدد الذي يقول سليمان - أحطت بما لم تحط به - ولا نحن بأغزر علما من أنبياء الله تعالى فليس لنا حق أن نتبرأ من علم الأمم أو أن نجهل بل نضرب في كل علم بسهم ويكون منا لكل علم قوم نابقون فيه ، فلو أننا تكبرنا على علم منها لكان سليمان أولى بالكبرياء على الهدد ، فلانحن أعلم من أنبياء الله ولا علماء الأمم بأضف من الهدد . ولقد ذكرت هذا المعنى في سورة (يونس) عند تفسير قوله تعالى - فاليوم نجيك بيدك لتكون لمن خلقت آية - ورسمت لك هناك صورة منطقة فلك البروج المثبوتة عن قدماء المصريين المرسومة على صندوق موابهم ، ونجيت كل العجب أن يكون علم الفلك مرسوما مخلصه على صناديق أموات قدماء المصريين ، ونرى أن جميع الأمم الإسلامية من مصريين وغير مصريين لم يحط بأحيائهم بهذا العلم ، إن الله جعل هؤلاء لنا آية ، يقول لنا هؤلاء الأموات رسمت على صناديقهم عجائب سمواتي فكيف كان أحيائهم إذن ؟ وإذا كان الأموات ينفرون بجمال سمواتي وبرجعة علوي فكيف بأحيائهم ، وهل يصح منك ذلك يا معشر المسلمين الذين أرسلت لكم خاتم الأنبياء وجعلتكم رجعة العالمين أن تكبروا أجهل أمة في الأرض ويكون الأموات من الأمم السابقة أحرص على جهل نظامي ونقوشه وبدائع كواكي من أحيائكم وأتم مسلمون ، ألاسم مثلا القوم المغفلون الجاهلون

أهل مصر كما كثر بلاد الاسلام ليسوا مغربين بجمال علم النجوم وقد دفنت تحت أرجلهم أمم كانوا قبلهم وهذا العلم مرسوم على صناديقهم وعائناذا أبرزه لهم اليوم وأقول - وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون - هذا هو بعض ما جاء في (سورة يونس) مع بيان أن علماء قدماء المصريين ليسوا بأقل من الهدد بل هم أشرف منه ولأنهم بالاسلام بأرفع مقاماً وعلماً وقدرًا من سليمان فاذا نزل سليمان إلى سماع الهدد فلابد مع المسلمون كلام العلماء . فقال صاحبي هذا حسن وقد تقشمت ولكن هذا كله أشبه بمقدمة و يظهر أن هناء هو أجل من هذا وأبين . فقلت نعم هنا ﴿ أربعة فصول ﴾

﴿ الفصل الأول ﴾ في أن الأمراء ورؤساء العشائر يجب عليهم مراعاة صغيرات الامور وكبيراتها

﴿ الفصل الثاني ﴾ في أن الطيور وسائر الحيوان معلمات للإنسان في الحال والاستقبال فمناذج تعليمه

﴿ الفصل الثالث ﴾ في أن هذه المخلوقات الحيوانية فيها مضار ومنافع لابد من علمها لرفق الانسانية

﴿ الفصل الرابع ﴾ في أن قصة بلقيس تذكرة للعرب قد دخلت في حديث الهدد وفيها تفرغ لأبناء العرب عموما ولأهل اليمن خصوصا إذ هم في بلاد كانت لها مدنية مع وثنتهم لم يصل لها المسلمون الحاليون مع جلالة قدر دين الاسلام

﴿ الفصل الأول في أن الأمراء ورؤساء العشائر يجب عليهم مراعاة صغيرات الامور وكبيراتها ﴾

اعلم أن الله عز وجل لما أطلعنا على رقه المنشور وكتابه المفتوح وهي الطبيعة التي درسناها ألفيناها لم يفرق في الرحمة والعناية والحفظ بين الكواكب في مداراتها والحشرات في مخابها بل وجدناه أعطى الخلق من الأعين وعددها ما يعطى للجمل والليل . جعل الله للكواكب مدارات منظمة بحسب متقن ولكلها من بشر النرات والحشرات الصغيرة الضعيفات بلا حساب ولا عناية بل أعطاها كل ما تحتاج اليه . إن الانسان الذي يوقن بهذا قد دخل أبواب الجنة فعلا في هذه الدنيا . هذا هو الذي رأيتاه في عمل الله فانظر الى عمل نبي من أنبيائه وهو سليمان عليه السلام ، فانظر ماذا فعل ؟ تراه يعاشر الوزراء ويدير الملك ولكنه في الوقت نفسه لم يغفل عن العناية في مسكنها والهدد في الهواء فهو يكلمهما ويتفقد الطير ويهدد الهدد ويستمع جوابه ويقبل من

القول الحسن ويعمل بقوله ويسمع مخاطبة الملة ويسمع ضاحكا من قوطا . إذن هوكم الوزراء وأدار الملك وتزل الى الخلف فهو إذن في عمله نموذج لفعل ربه ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ يعنى انه يحب علينا نحن المقصودين من هذا القول انه أن نلاحظ ماذق كما نلاحظ ماجل وتنفق كل صغير وكل كبير في عملنا كما يتفقد الأب جميع أبنائه بل يتفقد الصغير أكثر مما يتفقد الكبير كما فعل الله إذ أعطى الملة من الأعين كما سأتى في هذه السورة مشروحا ما لم يخط الجمل والفيل وذوات الأربع بمجموعها . انتهى الفصل الأول

﴿ الفصل الثانى فى بيان أن الطيور و سائر الحيوان معامات للانسان فى الماضى والحال والاستقبال ﴾
وذلك ظاهرى فى (سورة طه) عند قوله تعالى - قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى - فهناك ترى أربعين نوعا من الصناعات استقت بها الحيوانات قبل خلق الانسان فتعلمها الانسان كالبناة وصنع الورق والسراديب والغزل والنسيج وما أشبه ذلك فراجعته تجده مشروحا ، وآخر صناعة نقلها الانسان من الحيوان مسألة الطيارات التى تطير فى الجوى ولا ترتفع إلا الى خمسة أميال فقط مع انها تجرى مئات الأميال حول الأرض ولكن ارتفاعها محدد ، فهذه الصناعة لم يهتد لها الانسان فى زماننا هذا إلا من الطير كما تقدم فى سورة المائدة عند ذكر القراب وأن الله يشه يرى الانسان كيف يدفن موته ، إذن الانسان تلميذ الحيوان . واعلم أن علم الحيوان وعلم النبات وعلم المعادن وعلم الكائنات يجب على الناس أن يقرؤها قبل قراءة جسم الانسان وقراءة علم نفسه وعلم سياسته لأن هذه مخلوقات قبله ومقدمة عليه طبعها فوجب تقديرها صنعا فان نظام الله اذا روى ترتيبه كان أقرب الى الرقى كما قال (اسبنسر) فى تعليم اللغات ﴿ انه يجب أن يبدأ المدرس بالتكلم ثم يتبعه بالكتابة لأن الناس هكذا تكلموا ثم كتبوا ﴾ فهكذا نقول هنا هذه العوالم خلقت قبل أن يخلق الانسان فلتدرس قبل أن يدرس الانسان نفسه ويدرس عقله لأن الحيوان أقل تركيبا من الانسان فهو كجزءه والجزء يدرس قبل دراسة الجميع ، ولهذا عنيت الأمم بقراءة تلك العلوم غاية تامة . هذا من معاني قول الطير سليمان - أعطت بما لم تخط به - فشكل طير وكل حيوان مخلوقات قبل الانسان فعلمها اسعاده وكل علم عرفاه عن الحيوان علم بناحية من نواحى الإنسانية العامة . انتهى الفصل الثانى

﴿ الفصل الثالث فى أن هذه المخلوقات الحيوانية فيها مضار ومنافع لا بد من علمها لرق الأمم ﴾
لقد تقدم فى أول (سورة الفرقان) كلام عام عند قوله تعالى - وخلق كل شئ فقدره تقديرا - ومما ذكره هناك السمك السكبر باقى فى البحر والحيوان الصدى الذى يدرس فيمنه فوق سطح البحر والعنكبوت التى تتخذ لها سقفا فوق سطح البحر بشبكها وطيارات فى الجوى جالات بها تصطاد الحشرات وتسير فى الجوى وأن هذه الحشرات وأمثالها جعلها الله أمثالا لنا ولذلك قال - وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون - وقال فى آية أخرى - فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين - فهذه جعلها الله آيات مفصلات ، فالقمل آيات مفصلات والدم آيات مفصلات والطوفان آيات مفصلات وقد مرّ ابضح أكثرها ومعرفتها هناك

يجب المسلم حين يسمع أن الضفدع والدم آيات ، وإذا جعل الله الشمس والقمر آيتين فكيف يجعل القمل مثلا والدم آيتين . إذن الشمس والقمر كأقل الحشرات كلاهما من آيات الله
الله أكبر ، جلّ الله وجلّ العلم ، هذه من آيات الله فهى مندرجات . إنك ترى فى (سورة الفرقان) أن البراغيث اللاتى هن أخوات النمل وسفراء بين القيآن وبين الانسان فاذا حلّ الطاعون بساحة القيآن وساء صباحها وماتت جوعها حملت البراغيث هذا الداء من تلك الأجسام المظنونة الى أجسام الانسان فوضعت فيها جراثيم الطاعون ثم ينتقل من زيد الى عمرو ويسرى فى الناس سرىا البرقى فى الظلماء . وقد تقدم هذا وكيفية الاحتراس منه فلا نعيد ، ولست نحن هنا فى مقام مداواة من الأمراض ولكن نحن فى مقام العلم

والحكمة العاتين فشرح الأشكال الجزئية تذكراً وتنبأنا لقوائد السكابة . إذن لابد من دراستها فهي آيات مفصلات فعلمها الله بعمقه قبل أن يخلق الإنسان ويخلق أنبياءه ويحيى اليهم فيدل بني آدم بالوحي للأنبيا على ماكتبته في هذا الروح المنصور فيسمع الناس القول فيقبضونه بالعمل

هذا هو السر في أن الأمم حولنا يدرسون كل حذرة وكل طير ليعتبروا من الهلاك ويحفظوا الثروات . إن الإنسان لا يحيط بآله يوماً ما أن البرغوث مهلك بالطاعون للإنسان ولكن العلم اليوم أثبت ذلك كما أن هناك جوائيم معينة لاجتماعها تسبب مرض الإنسان بأنواع الأمراض المختلفة . وما يك بطلام للعديد . وما ظنهم ولكن ظلموا أنفسهم بالجهل بمصنوعاتها ، وكلما كانوا أكثر جهلاً كانوا أكثر اهلا كما طمس لأنهم لو درسوا ما حولهم لأجل حفظ أجسامهم وروقي مدتهم لانتهاوا إلى ادراك جمالنا وقدرتنا وسكنتنا ، فإذا أصرنا الناس بالنظر في مصنوعاتنا لتوحيدنا وشكرنا ففهمنا أنهم لا يصلون للحقائق المعروفة بنا إلا بعد أن يكونوا قد أتوا بدروس علوم الحياة التي تفهمهم في دنياهم ، فلنا نافع الدنياوية أشبه بجسم يتوهم عليه معرفة جمالنا وإنما فعلنا هذا الفظام لئلا يميز الخبيث من الطيب والذكي من البليد لأننا إذا تركنا الإنسان ولم نوقفه أهالكته البطنة وسوء المسكة فيكون من الترفين والمترفون مذمومون إذ جاء في التنزيل - أنهم كانوا قبل ذلك مترفين - فجعل الترف هو السبب في عذابهم في جهنم ، فمن رحمتنا أن جعلنا ماله وولده والحشرات المحطة به عذاباً ليعمل وليعتد من الهلاك ويجهت ويتهد فلا يحقر البرغوث والقمل ويقول ماضى رهها فنقول له

﴿ أطرق سراً إلى العامة في القرى ﴾

ادرس البرغوث وادرس القمل وادرس العاير والأذنك أيها الإنسان العذاب وساطنا عليك جنودنا فأهلكناك ، ولولنا أنما هذا الإنسان هلاك . ألم تر إلى أمة اليابان ، تلك الأمة الشرقية أنها سبقت الشرق كله إلى الرقي . لماذا ؟ لأن بلادها خافت معرضة للبراكين فهي أبداً على حذر وخوف لذلك ارتقت قبل أهل مصر الذين اشتكروا معهم في اقتباس المدنية فسبقوا الأولون الآخرين واحترمتهم الأمم وإنما تأخر المصريون (أعلن بلادى) لأنهم آمنون عندهما يكفيهم من القوت والملابس ولا زلازل وبراكين عندهم فاكفوا بما عندهم - وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون -

فإنه لم يرسل المندرات من الحشرات والجنود المجندات على هذا الإنسان إلا لإيقاظه وارتقائه ، وهذا الانذار لا يعرف إلا بالعلم وهذا هو سر قوله تعالى - وتلك الأمان نضر بها للناس وما يعقلها إلا المبالون - فالعلماء بهذه الحشرات والحيوانات هم الذين بهم ندرك لماذا خافت وماذا يحترس منها مع أن أكثر المسلمين حين يسمعون الله يذكر كراهدهد يذكر الحمل ويذكر العنكبوت يقولون في أنفسهم - ماذا أراد الله بهذا مثلاً - وهذا هو الحب أن يكون أسهل الأشياء عند الجهال أصعبها وأعظمها عند العقلاء ﴿ قال الشاعر

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ﴿ ولا الصبابة إلا من يعانها

هذا هو بعض سر الطاء والسين في أول هذه السورة ، فالدين من سليمان والطاء من الطير ومن أحطت ومن تحط بشيران إلى ما ذكرناه من هذه المعاني ، وكأنما الدين كما قدما قرى به افتاح والطاء قفل بحسب شكلهما واجتماعهما وقد أفاد أن سليمان الذي أول حروفه الدين يشير للعلم لأن الله يقول في هذه السورة واقتد آتينا داود وسليمان دلماً . فالله المارشلة سليمان هو المفتاح الذي يفتح به قفل الطالاسم في الطير المارشلة بالطاء فسكان الطير طلمس وهكنا كل الحيوانات والعلم حل له ويرمز له بسليمان أو قفل ومفتاح بحسب ظاهر الشكل ، فالله الله على العلم والحمد لله على الألفاظ والألغام . انتهى الكلام على الفصل الثالث والحمد لله

رب العالمين

﴿ الفصل الرابع في أن قصة باقيس تذكّر العرب وقد دخلت في حديث المدهد ، وفيها تفرّج لأبناء العرب عموما ولأهل اليمن خصوصا إذ هم قد ورثوا بلادا كانت لها مدنية ودينية لم يدخل لها المسلمون الحاليون مع جلالة قدر دين الاسلام ﴾

اعلم اني أكتب هذا الآن وأنا من أبناء العرب وأحس بأننا قد وصل دينا أطراف الأرض بمجد آياتنا وسعيمهم ففترقا ونسبنا كل علم وكل حكمة إلا قليلا فذكرنا الله برجل اعراقي يسمى ذا القرنين إذ بلغ مشرق الشمس ومغربها وقد تقدم في (سورة الكهف) وهكذا هنا هذه ملكة في اليمن تعبد الشمس وعندها الشورى حكومتها حكومة ملكية مقيدة أشبه بملكية الانجليز الآن من حيث نظام الملك فجاء في هذه القصة هنا أن لها عرشا وأن لها ملكا ذعما وأن لها مجالس للشورى وتديرا لملك قيل يسمع هذا أبناء العرب في اليمن فيتعبدوا مع الأمراء والملوك ويرجعوا للأمة مجددا وعزّها وعظمتها ويتفكرون فيما لليمن من مجد تالذ وعزّ قديم ، وكيف كان الماء النازل من السماء لا يترك سدى بل كان له سدود تحفظه وتجبهه بعلم الهندسة والحساب ونظام الدولة الجليل إذ القوم كان عندهم علم وحكمة فعمروا بلاد الله فعاش بها عباد الله فلما غفروا أرسل الله عليهم سيل العرم وبدلهم بجنتهم الجبلتين المذقتين عليهم الذم بجنتين لافنة فيهما وليس فيهما إلا الثمار المرة والعلل وقيل من النبق ورجعت البلاد كما كانت جزاء تقاطعهم وتدابيرهم هذه تذكّر للعالمين في (سورة سبأ) وبالأخص تذكّر لأهل اليمن يقال لهم يا أهل اليمن اسمت ترون الأمم حولكم أقوى منكم بأسا وترى بطيارهم تحيط بكم وأساحتهم وجنودهم المرسلات من أورويا لبلادكم . إن هذا لتصديقكم وقصوركم لأنكم أعرضتم عن الحكمة والعلم ، فأقروا كل عمر وكل فن يا أبناء العرب عموما ويا أهل اليمن خصوصا فليجد الذي ضاع من أبناء العرب عموما لفغلتمهم عن معرفتهم جميع العلوم وهكذا أهل اليمن والحمد لله رب العالمين . انتهى صباح يوم الأحد (٧) أكتوبر سنة ١٩٣٨

﴿ سرّ من أسرار النبوة المحمدية قد ظهر في الطاء والسين ﴾
 اللهم لك الحمد ، أنت المنعم الملهم الملم ، سبحانه اللهم وبجهدك ، أنت أرسلت محمدا ﷺ وجعلته آخر الأنبياء وأزّرت عليه هذه السورة . ومن عجب أن النمل له شبه بالإنسان في حربه وأسراره ومنازل كما ستره موضعا فيما يأتي . سيأتي قريبا أن سليمان تبسم ذاكحا من النملة لما سمعها تنذر قومها ، وهذا دلالة على أن للنمل جماعات متطامات وهذا ستره مفصلا كما قلنا ، وبعد ذلك تفقد سليمان الطير ومنه المدهد والمدهد عرف أئمة سبأ وقد جاء فيها أن ملوك الأرض ظالمون وأعقب ذلك قصة أخرى تفيد أن بيوت الظالمين مخربة وهذا من أسرار النبوة . إن النبي ﷺ أنذر المسلمين وحذرهم من غوائل فتح البلدان في حديث البخاري إذ قال لهم « إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتتح عليكم الخ » وهذا الحديث تراه موضعا في أول سورة الأنفال إذن فتوح البلدان يستوجب نوم الأمم الفاتحة إذ يعيشون بكسب غيرهم وهذا هو الظلم ومتى ظلموا انحطت مداركهم غرت بيوتهم . ذلك هو ما يخص ما يأتي ﴿ ظلم غراب ﴾ هذه حال الإنسان . وذلك كله جاء بعد ما تفقد سليمان الطير فقد فقد الطير أوصله إلى (سبأ) وفيها جاء ذكر ظلم الملوك الأمم فتخوى بيوتهم بما ظلموا والتفقد المذكور من سليمان للطير وفيها السين والطاء وهما الحرفان الأولان من الاسمين اللذين جاء بينهما النقص المتنجح لما ذكر كما سيأتي ايضا في أثناء تفسير هذه السورة في إيضاح بعض أسرار هذين الحرفين فانظر لحال النمل فقد جاء في الأخبار العالمية اليوم أن الأمم الخلية التي تعيش من كسب الأسرى يعترفها الانحطاط فالانقراض . واليك مجاهد في « مجلة الجديد » بهذا النص

﴿ أكبر الجماعات في الكائنات الحية ﴾

يقتر علماء التارخ الطبي أن أكبر الجماعات في الكائنات الحية لا توجد إلا في النمل والجنس البشري

ويستبرعاهما الاجتماع أن أكبر الجماعات البشرية (ثلاث) الإمبراطورية البريطانية يبلغ عددها ٤٦٠.٠٠٠.٠٠٠ نسمة والصين وسكانها ٤٢٠.٠٠٠.٠٠٠ نسمة وألمانيا وسكانها ٣٠.٠٠٠.٠٠٠ نسمة . ويقدر علماء التاريخ الطبي أن أكبر جماعات النمل بنحو ٥.٠٠٠.٠٠٠ نملة في الجماعات الواحدة ، وذلك لأن النملة حيوان اجتماعي فتوجد بين النمل النظم الاجتماعية التي توجد عند الإنسان بشكل يتفق مع تكوين هذه الكائنات الصغيرة فهناك الجنود والعامل من جميع الأنواع والأرقاء والأسرى . والعجيب أن الرق في أمة النمل مثله بين الجنس البشري يؤدي إلى انحلال السادة وتدهورهم لأنهم يكفون عن العمل ويدعون أرقاءهم يقومون لهم بكل شيء فتتخط قواهم ومداركهم انتهى

والأهم لما ظهرت انحلت قواها غفرت بيوتها فقتلها النمل والإنسان في الظلم والحرب وهذا من عجائب القرآن وبدائع فيجب أن يكون الناس أرقى من النمل وأن يكونوا أمة واحدة أي متضامنين وكل له عمل ومن لا يعمل له يعاقب

أقول إذن ثبت هنا أن الإنسان العظيم القدر الكبير العقل لم يزل مدينة أعلى من مدينة النمل ، فمجموع الانسانية (حتى المزيفة منها بالاستعمار) لم ترد على جماعات النمل ، وأيضا إذا حكمت أمة من الناس أمة أخرى استعملتها خادمة لها وانحطت هي ، وهذه نفسها سليقة النمل وهي سليقة سافلة منحطة . إذن ثبت أن هذه الانسانية التي نعيش فيها انسانية حقيرة يزدريها العقلاء من نوع الإنسان

أيها الناس ، أيها العقلاء ، أيها الشرقيون ، أيها الغربيون ، أيها الأمريكيون ، أيها هذه الانسانية ، أهذه هي الانسانية ، انسانية والله ذئبة حقيرة ، ولكن لا لوم إلا على ذوى العقول الكبيرة فيكم ، أكبر جماعة فيكم لم ترد على جماعة النمل مع ان النمل ليست عندها طارات ولا برید ولا تلافيف ولا مخاطبة بالفلون وأتم يا أهل الأرض ينسبك تواصل ويعرف الشرق منكم الغربي وكل منكم محتاج إلى الآخر فإذا بقيتم على سياسة النمل فأتم قوم أضل من الأنعام ، ثم لماذا تسلكون على الأمم المحكومة إذا حكمتكم الناس فأتم بهذا تزيمون أبناءكم على بساط الراحة فيذلون بالكسل والبطالة ويميتون الأمم المحكومة بإذلالها ، صدق الله - قتل الإنسان ما أكفره - إذن هذه السورة يستفاد منها ﴿أمران﴾ ثانيهما مرتب على أولهما ﴿أولا﴾ اقتران سياسة الإنسان بسياسة النمل لأنهما ذكرا متعاقبين ﴿ثانيا﴾ بالبحث في هذا نجد الإنسان أرقى من النمل عقلا ولم يرد عنه عملا بل صار فتوح البلدان اتحادا له ولجسمه كما في حديث « إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح عليكم الخ » إذن هذه السورة يؤخذ من فوائدها استنتاجا أن الإنسان عليه أن يكون أرقى من حاله الحاضرة ولا يتم ذلك إلا بأن تسكون الأمم كلها متحدة بختم بعضها بعضا وأن لا تقبل أمة أخرى فلا يفسد الملوك القرى إذا دخلوها حتى لا تخرب بيوتهم ولا يتم ذلك كله إلا بنظام عام يجمع الأرض تعمير وجميع الأمم تعمل

ونتيجة ذلك كله أن محمد ﷺ رحمة للعالمين لا لبعضهم ، فعلى المسلمين أن يسهموا ما أقول فيتعاونوا كل علم ويدرسوا تاريخ الأمم وعوامها ثم هم الذين يكونون واسطة عقد نظام المجتمع الإنساني كله شرقا وغربا ومستحيل أن يكونوا واسطة لذلك إلا إذا كانوا أقوياء وعلماء في كل فن ويهيرون أرض الله ثم ليجتوا في رفع الانسانية من هذه الحالة ليكون الناس جميعا متعاونين في الشرق والغرب

هذا معنى وسر كونه ﷺ رحمة للعالمين - فطاء طمأنينة العالم وسين سلامه توفيقا على تفقد المسلمين الأمم أمة أمة كما تفقد سليمان الطير وتفقد له بين الطاء والسين وينج الطاء والسين . ومن عجب أن سليمان فيه معنى السلام وأن الطيران الحديث ربما يعقبه تواصل الأمم فتكون الطمأنينة ، في الطاء والسين السر العجيب . انتهى يوم الأربعاء ٢٤ إبريل سنة ١٩٢٩ م وبهذا تم الكلام على القسم الأول من السورة والحمد لله رب العالمين

(النسيم الثاني)

وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَ الْخَلْدُ لِلَّهِ الْحَمْدُ عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ * وَوَرِّثْنَا دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ سُلِّمْنَا مَنَاطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْعَيْنَا مَنَ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ * وَحَمَّرْنَا لِسُلَيْمَانَ جُدُرَهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِينَكُمْ لَا يَخْطُبَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ * وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْمُهْذَمَّ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ * لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * فَكَفَّتْ غَيْرُ يَمِيدٍ فَقَالَ أَحَطَتْ بِمَا لَمْ حُطُّ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ * إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَّ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ * أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَلْبَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * قَالَ سَتَنْظُرُونَ أَصَدَقْتُ أَمْ كُذِّبْتُ مِنَ الْكَاذِبِينَ * أَذْهَبَ بِكُنَائِي هَذَا قَالَتْ لَهُ الْيَوْمَ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَأَنْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ * قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَإِنَّ إِنِّي إِلَيْنَا كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَا تَتْلُوا عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَإِنَّ أَفْتُونِي فِي أَمْرٍ مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُون * قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ * قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَاجَ أَهْلِهَا آذَنًا وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ * فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ قَالَ أَتُمْدَدُونَ يَالِئِ قَسَاءَاتِي اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ تَفْرَحُونَ * أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ مِمَّا وَخَّعَرَجَنَّهُمْ مِنْهَا آذَنًا وَهُمْ صَاغِرُونَ * قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَإِنَّ أَتِيَنِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عَفِيتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا وَآتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ

الْكِتَابَ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيُثَبِّتُنِي فِي أَسْكَرٍ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌ كَرِيمٌ * قَالَ نَسْكُرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرُ أَتَنْتَبِئِينَ أَمْ تُسْكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ * فَلَمَّا بَلَغَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأَوْتَيْنَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ * وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ * قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ *

﴿ التفسير اللفظي ﴾

قال تعالى (ولقد آتينا داود وسليمان علما) علم القضاء والسياسة ، وعلم داود تسبيح الطير والحيوان ، وعلم سليمان منطق الطير والدواب (وقلا الحمد لله الذي فضانا) بالنبوة والكتاب والملك ، وتسخير الجن والإنس (على كثير من عباده المؤمنين) والمراد بالكثيرين لم يؤت علما أو أوتي علما ليس كلهما (وورث سليمان داود) نبوته وعلمه وملكوته دون سائر أولاده ، وكان لداود تسعة عشر ابنا وزيد سليمان على داود تسخير الرمح والجن والشياطين (وقال) سليمان (يا أيها الناس علمنا منطق الطير) فانا نفهم بقوتنا القدسية الإلهية اختلاف الأصوات لاختلاف الأغراض التي جعلت لها . ولا يحرم أن لكل طائر تنوعات في صوته لتدل على مقام بخاله من سقر أو فرح أو حزن وهي تنوعات معسودات لأغراض محدودة ، ولقد عرف العلماء اليوم كثيرا من لغات الطيور رأى تنوع أصواتها لأغراضها المختلفة ، وفي هذا معجزة لهذا القرآن لقوله تعالى في آخر السورة . وقال الحمد لله سريكم آياته فتعرفونها . فتعجب من كلام الله كيف ظهر اليوم أن الأمم تبحث في لغات الطيور والحيوانات والحشرات كالغزل والنحل وتنوع الأصوات لتنوع الأغراض فأنه أخبر بالغيب بقول أنكم لا تعرفون لغات الطيور الآن وعلمتها سليمان ولكن سيأتي يوم ينقش فيه علم مخلوقاتي ويطلع الناس على عجائب خاقي ولعمري إن هذا المعجزة لهذا القرآن ، وستأتي معجزة ثانية وهي انتقال عرش بلقيس وهذا أمر مستغرب في كل زمان ولكن القرآن جاء فيه . وقال الحمد لله سريكم آياته فتعرفونها . وسرى في علم تخصيل الأرواح بما أتقاه لك هناك كيف تعمل الأرواح اليوم وتنقل الأشياء من أماكنها كأن الله يقول لنا إن انتقال عرش بلقيس معجزة ليست بصناعة علم الأرواح وسأريكم هذه الآية بعلم الأرواح لا المعجزة لأنكم لستم أنبياء وستأتي معجزة ثالثة وهي قوله تعالى . وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تسلكهم . وسأذكر لك فيها مسبحات علم الأرواح وما ذكرته هناك من أن هذا رمز لما ظهر من عجائب هذا العلم وأن الناس بهذا العلم أيقنوا بالله ، وسأذكر لك معجزة رابعة وهي قوله . وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمزج مرة السحاب منع الله الذي أتقن كل شيء . وتطلع هناك على ملخص علم الفلك قديما وحديثا من دوران الأرض وقوتها وعلى مجادة جرت بيني وبين سيده من علماء أوروبا في هذا المقام ، إن هذه أيضا سر قوله . سريكم آياته فتعرفونها . في علم الحيوان وعلم الفلك وعلم الأرواح في هذه السورة نفسها . إن هذا زمن ظهور أسرار القرآن وعار على المسلمين أن يتروكوا نعمته بهم ، فاذا قال سليمان . يا أيها الناس علمنا منطق الطير . فأنه يقول . وقال الحمد لله سريكم آياته فتعرفونها . بالتعليم لا بالقوة القدسية كالأنبياء فان ذلك لهم معجزة وأنتم

مأمورون أن تعرفوا آيات الله على مقدار طاقتكم ، ثم قال سليمان (وأوتينا من كل شيء) والنفسد من ذلك كثيرة ما أوتي كقولك فلان يقصده كل أحد ويملك كل شيء ، وأما خاص منطق الطير بالذكري للتو به بشأن العلم وحنا لامة الاسلام على دراسة هذه العلوم * وبما ورد في ذلك انه من سبليل بصوت ويرقص فقال يقول « اذا أكلت نصف نمرة فعل الدنيا العناء » وصاحته فاخته فقال انها تقول « ليت الخلق لم يتعلموا فالليليل صاح عن شبع وفرغ بال والفاخته صاحته عن مفاضة الألم » والضمير له ولأبيه أوله وحده على قواعد السياسة (إن هذا هو الفضل المبين) الذي لا ينفق على أحد (وحسن سليمان) وجمع له (جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون) يحسبون يحسب أولهم على آخرهم ليللاحقوا (حتى اذا أتوا على واد الخمل) أى أشرفوا على وادى الخمل وهو واد بالشام يكثر فيه الخمل (قالت نمة يأبها الخمل ادخلوا مساكنكم) أجراهم بحرى العقلاء بعد الخطاب لأن القول انما يقال للماقل (لا يحلمنكم) لا يكسرنكم والحلم الكسر (سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) أى انكم لو لم تدخلوا وظهرتم لحملوكم ولم يشعروا بكم فسمع قوطها ، ولما بلغ وادى الخمل جلس جنوده حتى دخلوا بيوتهم (فتقسم ضاحكا من قوطها) تجبها من حذرها وتحذرها والهداية التي غرسها الله فيها وسرورها بما خصه الله به من فهم مقاصدها وأشعارا لقارئ القرآن أن يفرح وينشرح صدره بالعلم والحكمة لاسباب عجائب الخمل وغرائب الحكمة التي أودعها الله فيه ، فأن فرح سليمان عليه السلام بما أعطاه الله من العلم القدسي الرباني فأنت أيها الذكي تلعينه وتلعينذ الأنبياء وقد أمر نبينا ونحن نتبع له أن تقتدى بهادهم فلنقتد بهدى سليمان . إن سليمان أعطاه الله علم منطق الطير وعلمه عجائب الخمل فعرف عجائب غرائرها وطبائعها وتبسم لما خالج قلبه من الحكمة البديهة والإلهام الجيب وكيف كانت مع صغرها مهمة من الله عارفة مصادرها ومواردها ، فإذا كان هذا هو هدى الأنبياء فلنقتد آثارهم ولندكر في هذه السورة عجائب الخمل التي دهش العلم كله منها والمسلم هو النائم ، يقول الله - وفل الحمد لله سبريكم آياته فتعرفونها - وهذه آية من آياته أعطاه الله سليمان مجيزة وسمع كلام الخلة وحذرها وأمرها وكأدها وقد وعد الله بأن هذه الآية سنعرفها لأنه يوحى بها لنا فسلطان علم منطق الطير ولم يقل تعلمنا وأما نحن فان الله قال - سبريكم آياته فتعرفونها - فذكر انه يربنا ونحن ندرس ، فالله تعالى أخبر انه سبرنا هذه الآيات التي هي بعض ماعلمه سليمان بطريق الوحي ولكن لا نقتن أن علمنا كعلمه فعلمه معجزة ربانية ويدرك من عجائب الخمل ما لا ندرك وفرق بين من علمه الله ومن أمره الله أن يتعلم بهذا والاجتهاد ، وسأسمعك عجائب الخمل ليكون ذلك مجيزة لنبينا ﷺ لأن الله أرى الناس وعرف الناس ، فوالله بهذا وبأمثاله يرتقي المساهون ، وهذه العلوم يخرج جيل في الاسلام يتحدث في الأرض هزة وقوة عظيمة تنفع أهل الأرض أجمعين ، إن أوروبا تعلمت هذه العلوم ولكنها لازالت ظلمة والمساهون سيتعلمونها ويملأون الأرض رجة وعدلا ، فهذا العلم فليشرح صدرك كما تبسم سليمان من قول الخلة ضاحكا (وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك) أى الهدي أن أشكر نعمتك (التي أنعمت علي وعلى والدي) وأن أجمل صالحا رضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين) فاعجب لهذا النظم المدهش ، انظر كيف رتب سليمان هذا كله على نعمة العلم بقول الخلة ، انظر كيف فرح سليمان وكيف تبسم فرحان بعملة العلم والحكمة كأنه يقول « العلم غاية مطلبي وقد حصلت عليه ولم يبق بعده إلا أن أطلب الشكر على نعمة العلم بالعمل الصالح الذي رضاه وليس بعد العلم والعمل إلا أن أدخل في ضمن عبادك الصالحين من آتائي الأنبياء وغيرهم »

ليعلم المساهون أن علم هذه الحيوانات من طيور وحشرات وسائر الحيوان والنبات نعم عقلية ونعم مادية ومتى عرفها الانسان وجب عليه أن يقوم بشكر النعمة وينفع سائر أبناء نوعه حتى يشكرهم الصالحين في الجنة فلئن قرأ هذه الآيات المتأخرون من أسلافنا وهم عنها غافلون ، فيأبها المساهون إن الله يأمرهم أن تقرأ القرآن على هذا الخط الذي تقولوا واعلموا أن هذا زمان ارتقاء الاسلام وعلو شأنه وسيكون لهذه الآراء فوز في مشارق

الأرض ومغارها بل سيقراً هذا التفسير المقلد والأذكى من الشبان وسكون هناك دول عظيمة حكمه أرقى من دول أهل الأرض فكيف بهذه العلوم ويكنون رجة الأسم لأعدائها على الناس ، ولما دعا سليمان ربه أن ياجعه شكر النعمة وأن يوفقه للعمل الصالح ناسب أن يرقى بعدها بشئ من أعماله الصالحة ، وذلك أن من أعطاه الله العلم والقدرة وسكت ولم يعمل شيئاً مما يقب للتعسيره ، ولا جرم أن الانسان الموفق يجب عليه رقى النوع الانساني وحفظ الثغور والظف على الحيوان ، فوالله لادولة ولا ملك إلا يحفظ الانسان ولا يحفظ للانسان إلا يحفظ الحيوان ولا يحفظ للحيوان إلا يحفظ النبات فلذلك أتى بمسألة واحدة من أعماله الشريفة وهي تفقده للطير . ومعلوم أنه لا يتفقد الطير إلا إذا كان متفقدا للانسان الذي هو أرق منه دلالة على أن الانسان يجب عليه أن يتفقد ما يملكه وما في حوزته . فلذلك أعقبه بما سيأتى من قصص الهدى وحديث بلقيس . وهنا لطائف في العمل

﴿ الطائفة الأولى ﴾

أذكر فيها ما جاء في كتاب « جبال النمل » الذي تروث عنه في هذا التفسير تحت العنوان الآتى

— عجائب النمل —

حال النمل عجيب جداً فاتها تذهل فعل الملوكة وتدبر وتسوس كما يسوس الحسكام . فهذا النمل كيف يتخذ القرى تحت الأرض وليوتها أروقة ودهاليز وغرفات ذوات طبقات منهطقات وكيف تملأ بعضها جوباً وذخائر وقوتا للشتاء . وكيف تجعل بعض بيوتها منخفضة مصوباً تجري اليه المياه وبعضها يكون حولها مرتفعا لئلا يجرى اليه ماء المطر . ومن العجيب انها تخفى القوت في بيوت منهطقات من مساكنها الى فوق حذرا عليه من ماء المطر . والى لائق أن ما يفعله قدماء المصريين في مساكنهم من المنطقات والدهاليز والأروقة انما كان تقليدا للنمل وما أشبهه من الجردان . ولكثرة عجائب النمل وغرائبه ورد قوله تعالى حكاية عن سليمان عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام . حتى اذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون . فانظر كيف نسب لها العقل والنهم ونداء أخواتها وأمرها لهم بالفرار من الشر ودخولها المساكن لتأويها من أن يحطمها سليمان وجنوده بلا شعور الخاطمين وفي هذه الآية تلبية على جميع غرائب النمل ليوقظ العقول الى ما أعطيت من الدقة وحسن النظام والسياسة وما أوتيت من حسن الهندسة في مساكنها ودهاليزها ، فأما مساكنها فهأنت ذا رأيت نظامها فيما قدمناه ، وأما ندائها لمن تحت إمرتها وجعلها لهم قائما يشير الى كيفية سياستها واجتماعها وحكمتها في تصرف أمورها ، فمن ذلك أن الواحدة منها اذا أرادت شيئاً عظيماً لا تقوى على حمله أخذت منه قدراً يسيراً وكثرت راجعة الى أخواتها ، وكما رأيت واحدة منهن أعطتها شيئاً مما معها لتدبها على ذلك ثم تترك واحدة من أولئك المادى لاقبها في الطريق التي جاءت منها تلك المبدرة ، فانظر كيف يجتمع على ذلك الشئ جماعات منها وكيف يحملونه ويجزونه بجهد وعناء في المعاونة ، فهذه المعاونة في المطلوب أهم منها في المرغوب منه كالمعاونة في الاتحاد وفي الفرار وهو أهم من الطلب إذ للتخطئة أفضل من التعطية ، وانما ذكرنا ذلك ليقفح للعقول مجال البعث وليبغ النفوس من رقيتها

﴿ قياس نظام الأمة على نظام النمل ﴾

لم يكن القصد من تلك القصة أن تكون رواية أو حكاية أو حديثاً وانما هي أمثال تضرب لقوم يعقلون فيفهمون حال هذه الكائنات وأن النمل كيف اجتمعت على الفرار كما يجتمع على طلب النافع وأن الأمة اذا لم تصل في حكمتها الى الحيوان الأعجم فانها ضالة حقاة تائهة في الضلال والو بال رجعت عن الانسانية والحيوانية وانتهت الى أفق الديدان والحشرات . ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شئ عليم .

﴿ دقة النمل في عمله وحجسه ﴾

ومن حكمة النمل أن الحبوب المخزونة عندها إذا أصيبت بماء أيام المطر تنشرها أيام الصحو وكيف كان القمح لا يئب إذا قطع حبه نصفين وكذا الشعير والباقل والعدس إذا قنمرت والسكريرة إذا قطعت أربع قطع فإذا قطعت قطعتين ثبت بخلاف القمح ، فتأمل كيف عرف النمل جميع هذه الحكمة مع دقتها فانه يقطع حبة القمح نصفين ويقشر الباقل والعدس والشعير ويتقطع حب السكريرة أربع قطع ثم انهما تعلم أن أيام الصيف تنقضي فتقتنم مساعدة الوقت فتعدل ليلا ونهارا بتأخذ البيوت وجميع الضخائر ، ثم تأمل كيف تتصرف في طلب قوتها يوما شمالي القرية ويوما يمينها ثم تراها كأنها قوافل ذاهبة جاثية غادية رائحة

﴿ موازنة بين شرائع النمل والأمم المتمدنة ﴾

وإذا اجتمعت على شيء ورأت أن واحدة تكاسات عن المساعدة أو راوغت اجتمعت على قتالها ورمت بها عبرة لغيرها كما في شرائع المصريين القدماء ، وتقرب منها شرائع الانجليز على ماسهنا انهم يتكون الجانب القادر على الكسب حتى يموت ومن يساعده يعاقب كما أخبرني بذلك ثقة

﴿ حكاية عن النمل ﴾

لقد رأى رجل في زماننا هذا أن النمل يتكاثر على شجرة في حوله فعمد اليها وفروحوها وملأ الحفرة ماء وظن أنه نجح منها وبات ليلا خالي البال منشراح الصدر مطامنا على شجرته وما كان يتخيل أن للنمل حيلة فوق حيلته وأن هذه الحيوانات أعم أمثالا فأصبح فرأى الورق مقطى بالنمل فعض يديه ندامة وحسرة ونظر الحفرة فوجد بها كاهي مملوء بالماء ، وبينما هو يتفقد السبب إذ رأى أوراقا متراصة على سطح البركة من شاطئها الى جنح الشجرة والنمل يمر عليها كأنها قطرة الى حيث تقطع على تلك الشجرة

كنا كتبنا هذا الذي تقدم في النمل ثم عثرنا في الكتب الحديثة الافرنجية على ما يأتي وترجناه مع التلخيص في القالب العربي المبين ونهجنأ نهجنأ في الاستنتاج والاستدلال

أما النمل ، لعلك اذا شاهدت الحقول والزارع ونظرت ما فيها من الحشرات المختلفة الألوان والأشكال والمقادير والفرائر والصفات أعجبتك اختلاف مناظرها وأدهشك حسن مناهجها ، منظر لا يعبأ به الجاهلون الذين ينظرون مافي السموات والأرض وهم عن آياتها معرضون ، تلك الحشرات والهوام يزيد عدد أصنافها عن عشرات الانوف كما حققه فطاحل العلماء ، وأهم تلك الحشرات النمل إذ في دراستها تبصرة للانسان وتذكرة وبهجة لعقله وأنس لنفسه كيف لا وأنت اذا شاهدت جسدها رأيته مكونا من رأس حوت الدماغ الذي يسع تلك السياسات والعلوم والمعارف التي سخرها ووسط كصندوق فيه الزرقة وذهبا أسطواني وله ستة أرجل كباقي الحشرات بها يقدر على الجرى السريع والعدو في طلب المعيشة وجناحين بها يمكنه الولوج من مكان الى آخر وخمسة أعين عينان مركبتان على جانبي الرأس مكوئتان من أعين بسيطة ملتصقة الوضع والتركيب والترتيب بحيث ترى كأنها عين واحدة تعدل بثلاث والثلاثة الباقية موضوعة على هيئة مثلث يعلو على هاتين ، وهذه الأخيرة أعين بسيطة لا تركيب فيها . فتأمل بعقلك واحكم بهلك وتعجب من حكم لا يكد العقل بصدها لولا اجتماع آراء العلماء في العصر الحاضر عليها ، وبأيت شعري كيف تكون العين المركبة مع عدم تمكن البصر من ادراكها لشدة ضوئها حاوية لمائتي عين مثلا وكل منها لها قرينة وقزحية وزجاجية وعدسية محدة الوجهين وقوام هلامي في الوسط أو بطة وأعصاب حساسة واصله الى المخ حتى ترسم المراتب في الدماغ عند المدبر الخاكم فيه . لعمري ان هذه الجهابت تحضر لها أعناق في غول العلماء سجدا ويقولون - ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقتلنا عذاب النار - نار الجحيم في الدنيا والتقهقر في المدينة ونار الآخرة التي تقطع على الأفئدة ، ومن ذا الذي يقف في دياجي الظلمات ويسمع اختلاف أصوات الحشرات ونغماتها المزدوجة فيفكر أن من بينها

ماحوت هذا الجبال البديع والهيون الظرفية التي تمثل شكل النجوم المشرقة في دياجي الظلمات ولكن
عيون النبل أبدع في الاقتان وأتقن في الصنع من كواكب السموات إذ تلك الهيون المرصعة في رؤس النمل
دبرت تدبيرا خفي إلا على ذوى الفطنة وبها اهتدى أحقر شئ فيما نرى وأصفه ودقة الصنع وانتقاله تعظم قيم
الأشياء عند العقلاء فلا تدخل لعظم الجنة وكبراجهم ، ولها قرنان طويلان كالشعرين دقيقتان بهما تحسن
الأشياء وتقوم مقام اليدين والرجلين والأصابع في الحمل والحط والترحال بسميان (الحاسنين) هذا تركيب جسم
النمل وهذا وصفه

﴿ في مساكنه ﴾

لعلك أيها الذكي اذا سمعت ماناولناه عليك وحدقت نظر بصيرتك وتأملت بفراستك تعلم أن هذا الاحكام
لم يكن إلا لفاية وهذا الصنع لثرة وأعمال وسياسات والا فبالله ماهذه الأعين الكثيرة ، وماهذه الأرجل ،
وما تلك الأجنحة ، ولم هذان الحساسان ، أخلق عينا ؟ أم تراه مستعدا لأعمال عظيمة تناسبه ، أجل لاغرو
انك ترى نص ثاني الأمرين ، وإنى أرى نفسك قد شافيتك الى معرفة ما ترتب على هذا الصنع من الأعمال
الجليلة وقد استعنت قريحك لما ألقبه عليك الآن فاقول إن هذه الحشرة بقدر ما أتقن الله من جسمها
أتقنت من صنعها ، وعلى قدر كمال احساسها ورجالها أدارت سياساتها وملكها وحروبها وزروعها ، وهل أتاك
نبا البيوت التي تتخذها تحت الأرض وتجعل لها أعمدة وبهوات متسعات (صالات) في كل بهوة أبواب
مفتحات الى حفر صغيرات تسكن فيها وأخر تخزن فيها الحبوب والفلال وبينها الطرق والمسالك والشوارع بحيث
تتمدى بها الى أعلى الأرض ويجتمع من تلك البيوت وبهواتها وتخزيناتها وأعمدتها قرى كاملة ذات بيوت كثيرة
والأغرب من هذا انها قد تملك عدة قرى كأنها مستعمرات تصل بينها بطرق كما تفعل الأمم المتمدية وتصل
بين مستعمراتها بالسكك الحديدية . ومن العجيب انها لم تقتصر على فن واحد من المهارات بل هناك نوع آخر
يبني البيوت فوق الأرض من أوراق الأشجار والأغصان وقشور الخشب المتساقطة من الأشجار العتيقة وتبنى
مساكن فوق الأرض كالتي نحتها وترى أمام الناظر كأنها أكمام ما بين عشرة أقدام الى خمسة عشر قدما ويكثر
هذا تحت شجر الصنوبر ، وهناك نوع ثالث نبحت من الأشجار العتيقة بيوتا كما يتخذها الانسان من الجبال بيوتا
ومن يتأمل صنع قداماء المصريين في السرايب تحت الأرض والمغارات والتجاويف وما بنوا فوقها من
الاهرامات والبرابي وما تحتها من الصخور في جوف الجبال كما يشاهد بين مصر وسواحل وغيرها وجد أن
الانسان في تحسينه مدنيته يصل الى درجة الحيوان في صناعته فان هذه الأنواع الثلاثة هي التي هدى اليها النمل
بفطرته بالتعليم والامدسة ، وسترى صور بعض هذه البيوت قريبا

﴿ أحواله المعيشية وزراعته وتربيته ماشيته وحربه وأمره ﴾

وهذه البيوت المنتظمة تستلزم عادة أعمالا خارجية تناسبها وتناسب استعداد هذه الحشرة وكما اختلفت
أنواعها في بناء مساكنها اختلفت في طرق معاشها واكتسابها ، فبها نوع زراع بزراع الارز في أرض صالحة
ولو تأملت لوجدت حقا جيل الشكل حسن الوضع وفلاحين غادين راغبين لهم طرق زراعية يجهزونها الانسان
لاحكامها وحسن هندامها ، واقد شاهدت صورة رسمها السياح في الكتب الأجنبية فوجدت للحمل الواحد
أربع طرق زراعية هندسية والارزمتايل عليها بحيث لا ترى ورقة من تلك الأوراق أصابها أدنى ضرر أو وسخ
وفي وسط الحقل هو (صالة) متسعة على هيئة شكل بضاوى مشاكاة للنظام الذي تسير فيه الشمس وهي الدائرة
السوية البضاوية وكهية أوراق الأشجار وهذا النوع كالأمم المصرية أمة زراعية تسمى باللسان الافرنجى (أفد) ونسبها نحن (بقر
الخل) وذلك لأن النمل بعد أن يقهرها ويغلبها ويستأنسها ويستحوذ عليها بقوة يأخذها في مرعى خصب

وهو ورق الورد واغصانه فيلاحظها وهي تمتص منه حتى تمتلئ ثم تأتي الغلة الى واحدة من تلك الجاموس وتمتص مادة حلوة يستلزمها النمل لانه يميل للحاوي حتى اذا امتص ما في واحدة ذهب الى أخرى وأخرى حتى تمتلئ ، ذلك عادة هذا النوع وقد فعل النمل فعل الانسان في استئناس الحيوان والانتفاع بألبانه وغيرها ، وهناك نوع ثالث عهد الى الحرب والقتال وتقلب على حيوانات أخرى فسخرها في أعماله وشغلها في فلاحة واطعامه واطعام أولاده فيخرج في الحروب بنظام ويصدر الأحكام العسكرية الصارمة واذا غلب أخذ الأسرى وفعل كالانسان

﴿ تربية الصغار ﴾

وليس أعجب عند العاقل من تربية النمل اصغاره فاول نظرت لرأيت الاناث وهي تضع بيضا أصفر اللون أو أبيضه في محال تقرب من مساكن كباره قد خصصت له مراضع ومربيات تلاحظن ليلا ونهارا . ولا يزال في الطقس والحرارة المناسبين له حتى يتم له أسبوعان أو أكثر الى أربع ثم ترى كل البيوض قد تقطعت فأخرجت دودا صغيرا لا جناح له ولا رجل يضاويا شكله محذبات رؤسه يعتني به المروضات وتلاحظه المربيات تعمله من مكان الى مكان مواظبات على اطعامه ما يناسب حاله من حار تارة وبارد تارة أخرى ومن دوج منها في الدرجة المناسبة حسبما تقتضيه الحال ، كل هذا والبود يشربه في أسكه ويستزده من طعامه حتى اذا تم له بضع أسابيع أخذت حالته تغييرا وينقل الى طور آخر من الحياة هو طور النوم والسكون والاختفاء في شكل كرمي من حرم تغزله نفس السوددة على نفسها كدودة الحرير فلو رأيت ثم رأيت بعض السود لم يزل مكتوبا والبعض أخذ يغزل بفمه كما يغزل دود الحرير والعسكوت والبعض قد نسج على نفسه كرتة ونام في عالم البرزخ الى يوم يبعث من مرقده فيخرجها ، وتري الأمهات إذ ذاك ملاحظات متيقظات فاذا تم النسج ونام الجميع ومضت أيام أخذت تلك العوالم تنهض من قبورها وتقوم من موتها وتنهض من رقدتها وتقطع خيوطها وتقرض حرمها المحيط بها ولذا خلقت لها الأرجل والأجنحة لتستعد حياة جديدة هي الحياة النهائية حياة الجهاد والعمل ولورأيتها لتشهدت أمهات قد أشرفن على الأبناء وقد ربطت ربطا محكما وثيقا فأخذت الأمهات يفسكن الأربطة من الصغار ويطلعن الأجنحة والأرجل ويخلصن الناشئة النابتة من تلك الرباطات ويغسلن العيون والوجوه ويمسحن التراب ويزلن الأوساخ لأن النمل يجب النظافة جبا مفرطا ، فانظر وتأمل كيف كان جسم النمل وخلقته مستعدة لأمور عذيمة وقد هدى اليها بغير رتبة ومن هنا نفهم قوله تعالى - ربنا الذي أعطى كل شئ خلقه - ومنه يعلم الحشر بطريق الفراسة . وذلك أن هيئة النمل في شكله وعبونه وحواسه وقواه تناسب هذه السياسات الغريبة والأعمال العظيمة فاهدى لها . فهكذا فليكن الانسان لما سخر له ما في السموات وما في الأرض وعشقت روحه العلوم والمعارف ومال بغير رتبة اليها وجب أن يكون وراء هذا سر يناسبه والا فلا هذا الاستعداد وما هذا الميل المحجب لاقتناص العلوم وجب الخير . واذا كانت الغلة وهي دودة تكمل خلقها لتناسب الحال المستقبل في الحياة ولاعلم لها بها ففكدا الانسان دبرت روحه في الحياة ووريت فلابد لهذا من بناء - ولكل بناء مستقر وسوف تعملون -

وهناك نكتة أخرى وهي أن من رأى في نفسه استعدادا لأمر وشوقا اليه فليعلم أن مقتضى الحكمة ينال مطالبه لأن الاستعداد داع حيث والكائنات أطوع للاستعد من غيره وهذا صدقناه بالبصيرة والنظر

﴿ حكاية عجيبه عن النمل ﴾

قضى عالم من علماء الرومان طول حياته في النظر في حال هذه الكائنات الصغيرة فشاهدت في تشغل طول يومها حسب محافرتة وبته في ذلك اليوم ونسبه الى جسمها وشغل الانسان وجسمه فوجدانها لو كانت رجلا مشغلا هذا الشغل لخبر خليجين كل منهما طوله اثنان وسبعون قدما وعمقه ذراع اقدم وأخذ هذا الطين وضع منه أجرا وبنى به أربع حيطان على الأربع الجوانب للخليجين كل حائط من قديمين الى ثلاثة ارتفاعا ونحو

(١٥) بوسة سمكا وغظا وبدعك تلك الحيطان من الداخل فتصير ملساء وكل هذه الأعمال بلا مساعدة آخر في التهاركه وذلك كله مع فرض أن الأرض مملوءة بالأعشاب الصغيرة والأخشاب والأشجار وجاوعها الهائلة والأرض وعرة المسالك فيها آكام من الردم ، فإذا فعل هذا رجس كل أنحدر به زمانه وهو عادي بسيط عند النمل - فتبارك الله أحسن الخالقين - وفي الأرض آيات للموقنين -

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

في ذكر ما كتبت في كتابي « نظام العالم والام » تحت العنوان الآتي

﴿ الجمهوريات في الحيوان ﴾

(ترجمتها عن الماورد أفرى)

الحيوان خلق عظيم فيه من دقائق الحكمة وصفوف الجمال ما يهر العقول ، فله ما يهيج العين بمحاسنه ويدعش القواد بمنظره كأني دقيق وغيره من الحشرات والطيور ، ومنه ما يهولنا بعظمته ويهونا بعظيم جثته كالليل والهيك العظم والخلق الكبير في كل جبل ألا وهو (القيطس) ومنه ما يسحر العقل بجماله ويغلب النفود بسحر حلاله ويرسل للفكرة مغناطيس أقطابه ويسلب اللب لفتة صنعت وحكمة خلقت ذلك هو الحيوان الذي توارى عن الأبصار فلا يرى إلا بالنظر ، وأجل الحيوانات لثة وأعظمها فائدة ما ألف الشركات وعاش جماعات ، وهل أريد بما أناله عليك ما تجتمع أياما معدودات في فصل من السنة كالخطاطيف أولئك التي لها جمهوريات ثابتة خاصة السكان . كلا . فالأولى يجمعها خاصة الزمان والثانية يؤلفها المكان وإنما أردت تلك الدول النظامية والأمم الدستورية والجماعات الشورية كالفران وكلاب البحر فانها تمب لعقولنا حكما ولأرواحنا حيا ولنفوسنا علما ونظامنا دستورا ولأخلاقنا حكما على أنها مع عظم أمرها لن تبلغ عشر معشار ما وهب النحل من الحكمة في تقدير بيوته وتأسيس أشكاله وما أبدع في نظامه وهندسته ، ومنع الانسان هبة العسل ونصب نفسه ناطور الأزهار وقم البستان فلو أن بألوان جيلة يشقها ونحن لم مدنون وهو لا يشعر فقد زنت ونقشت لمنظره وهو غافل . على أن هذه ربما كانت أقل مهارة من النمل كما يشهد بذلك فطاحل العلماء مثل (هروولر) و (كوك) و (رومان) وغيرهم من الفحول إذ قالوا إن نظام جمهورية النمل في أصناف جنسها وأفراد نوعها وفي دستورها الشامل لطوائف الأمم الخاصة المستعبدة لرقها والنواميس العامة على أنواع الخلوقات من الأنعام المناسبة لها لا نظير له في الأمم فيها ذكرنا . ثم ذكر المؤلف كلاما عن نحل بلاده فقال ﴿ إن النمل تبلغ أصنافه ألفا وتزيد ، كل نوع يمتاز عن غيره بصفة وقد لاحظت النمل الشغال فعاش سبع سنين والملكة عاشت ١٥ سنة ، وكل جمهورية من الجمهوريات لها ملكة أو أكثر ذات جناح قبل أن تطير عليها فإذا جلت كسرت الأجنحة إذ تهل انها ستلازم السكان والجناح شغل لا فائدة فيه في الحجرات وفيها ذكران من النمل لا شغل لها والعملة لا جناح لها والصبية الصغار تبقى في السيار تحفر الحجرات وتشكل السرايب وتهندس الدهاليز والمتعطفات وتقوم وهي فيها ، وترتيبهن في المساكن على درجات السن كما نصف صفوف التلاميذ بالنسبة لأستاذهم . ومن النمل ما عظم جثة وكبرقمة وامتاز قوة . وهل يقوم ذلك ربما على أنهم جنود وقوامون على الأمة . ذلك ما يهونه البابل ﴾ وقال دابتن ﴿ إن النمل التي كبرت رؤسها وعظمت خراطيمها تمتاز عن الصغرى في سيرها فتسير بجانبها كضباط العساكر وإذا أحملت تلك النملات قوتها رجعت تلك الضباط غير حاملات فر بما كان ذلك دليلا على أن أولئك ضباط وذلك محتمل ﴾

﴿ ومن العجيب أن العملة من النمل والنحل لا تنفأ أثناء العمل تنظر إلى الملكة كأنها تستمطر الرجات بمنظورها أو تستريح السرور بمشهدها . ولقد شاهدت جماعات النمل وهي خوارج من عش دواخل غيره قد اتخذن

ذلك المشهد مهرجانا للسكة فددت يدي لعمل أهيتي لم تنفأ القضاة المسكة فقلت حقها قرأتهن اجتماعهن حوطلا ورفقتهن حتى أدخلنها أوسع مكان في القرية التي أعددتها لمهن ولم يعاملنها معاملة ما عوت منهون يذبذه بالبراءة جللس حوطلا فلو رأيتهن قلت انهن باقيات خزنات أوراجيات بشوق عظيم حياتها أو كانهن بظان انهما حبة ستمسى ، وقد تترك القرية من جسمانه ألف نمل

ومن العجيب أن لا ترى نملتين من قرية واحدة تتافران على أنهن لا يتحرجن عن مهاجمة اخوانهن في الصف فضلا عن النوع ، فضلا عن كل حيوان ، ولكم حاولت ادخال نملة من نفس الصنف في عش اخوانها فلم تسكد قط أرض العش بأرجلها حتى فاجأها فأخرجنها من رجلها فليس بكرم لديها إلا اخوانها المشاركات لها في مرافق الحياة وماعداها من الصنف فنبوذ مطروح ، ولقد فصلت القرية الى قرينين وبقيت على ذلك سنة وعشرة أشهر ، فلمعرك ما التقي الجمعان إلا وهما متعارفان يتصافان ومهاجان ماعداهما بمجرد التقائهما ، بهذا أثبتت المعرفة والتعريف في الأشخاص ، ولن نعرف أكان بعلمة أم لا إلا بتجربة ففجرت على (السكاوروفرم) غفقت أن يميها فعمدت الى العقار فأسكرتها وما كادت تسكر لولا أن غسست رؤسها فما كان إلا دقائق حتى سكرن وهن إذ ذاك خمسون خم وعشرون منها من عش وخمس وعشرون من آخر وهما بمشهد من جماعات من إحدى القرينين وهن يطعن على مائدة أحبطت بماء ثلاثين نمل الخمل شمر من رفا كادت تشعر بالسكاري إلا وأقبلت من كل صوب وأدهشت كما ندهش لسكرانا فأخذن اللاتي من غير قرينها ووضعهن لدى طرف الماء وأغرقنهن ، أما اللاتي من قرينتهن فخلطن برفق الى العش . فمن هذه ترى أن النمل تعرف بعضها ببعض علامة ولا طريق . وهذه عاطفة في النمل عدمت في الذئب وغيره فاذا جرح أحدها أو مرض طرده أصحابه أو قتله . ولقد رأيت نملة كسرت رجلها إذ قفست بيضتها فنامت على ظهرها ثلاثة أشهر والغلات يطعمنها ويسقينها ، وأخرى جرحت بمثل ذلك فنامت أياما ثم خرجت فهاجها الأعداء من كل صوب فوقع مغشيا عليها فرأى عليها النمل لا تبدي سراكا حتى اذا جاءت نملة وحركتها وجست نبضها ثم حملتها برفق الى عشها . فهذه دلائل العطف في هذا الخلق الضعيف . النمل والنحل هلام سياسة المدنية ونظام الجمعية ولكنه علم محدود ونظام محدود . وترى النملة اذا عثرت على طعام أسرع البقية اليه ورأيت الرائد اذا دخل العش خرجوا معه وان لم يكن في فمه شيء فمن الحق انه أفهمهم بغير رؤية الشيء

من النمل ما يكون له أسرى وهؤلاء يقمن بخدمة السادة حتى اذا رحلن من قرية الى أخرى حل العبيد السادة من الأولى الى الثانية . ولقد رأيت الصواحب من النمل اذا خرب عشها بحثن عن غيره فاذا سقت مكانا ورأته إحداهن أحضرت أخرى فخلطتها ثم أرتها المكان ورجعا فأخذها غيرها ثم رجعا فخلطن غيرها وهكذا بالتضيق حتى تجتمع القرية جميعا ، وهذه ترى أن ذكاء النمل محدود ، ويدلنا على ذلك ما نرى من أن بعض السادة لا يأكل إلا اذا ساعدته العبيد على احضار الطعام فاذا قسم الغذاء بينهم وأفر دكل مكان ويبقى السادة يوما أو بضعة ماتت إذ لا ترى من يضع الطعام في أفواهها . وكمن من حشرات اتخذتها لها أنعاما زينة لها وجبالا ومتاعا . تتخذ البانها العسلية طعاما تسومها كالأنعام على غصون الأشجار وترعاها في الكلاثر والحشائش والاب أو تحبسها في بيوتها وتؤتيها أكلها كل حين بتقدير فتتمتع الأنعام من النبات فتحال العسارة في بطونها عسلا فتتمتع النمل . وأنفع تلك النعم حيوان اسمه (فيس) كأنه يقرها تسكاوها بجماعتها وتحميها برعايتها ولم تسكن رعايتها قاصرة على نفس الحيوان فقد تجمع بيوضا في الخرب وتساوها في الشتاء وترى بعض الربيع المقبل ومن الحشرات ما تتخذ النمل دواب تحت الأرض فتبقى أمدا طويلا فتفسد عينيها وتبقى عبياء أنا لا أطيل الكلام في هذا المقام إذ هذا الموضوع أوضحته في مكان آخر انما أقول أسألك أيها العاقل اذا رأيت النمل وهي في قرينها تستقل بحركتها وكيف تدرك بغير زيتها واذا رأيت هبة سكنها النمل وهي آلاف

مؤلفة تحفر الحشرات وتشكل البهائم وتهندس الطرق وتحفر الأماكُن وتجمع القوت وتعلم الأبناء وتصف صفوف المدارس فيها وترقى بحيواناتها كل منها موكل بما يناسبه من العمل قائم به ، فلا جرم أن هذه هبة عقلية ولأن قلنا انها غريزة وسليقة فمن ذا الذى يضع حدا فاصلا بين الغريزة والعقل ؟ انه ليس

فهذه المناظر تهدينا الى ان هذه هبة عقلية مشتقة من عقل الانسان تشبهه كيفاً وتنقص عنه كما (المؤلف) أقول هانت ذا أيها الذكرى القارئى لكنتى هذا نظرت مقال أكابر حكماء العصر الحاضر وفلاسفتهم فتأمل كيف تراهم ينقبون عن أسرار الحكمة الإلهية ويبحثون ويخمن غافلون ، وهنا بدائع وملاحظات

﴿ أولاً ﴾ إن الله جلت حكمته لم يشأ أن يدع مخلوقاً إلا وأعطاها حكمة وعلماً لمعاشه ويقائه . قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى . كما ترى فى لون الحشرات والطيور والحيات وأشكال وسياسات الحيوانات ﴿ ثانياً ﴾ ان علماء أوروبا يبحثون عن عجائب الجزئيات ويعلمون فى استقصائها ونحن نقول لامطمع فى استقصائها ولكن لا يرجع الأفتدة إلا تعقل الكتابات ولن يعرف العقل إلا بعض الجزئيات إذ استقرأها لامطمع فيه وكتابت المسائل عجبية صادقة وكلها ناطقة بامدله ، أما الجزئيات فتبقى المرء يضل فيها . فهاهو (اللورد أفبى) يضل من عداة فى لون السمك فقد كانوا يحسبونوه بلا حكمة فظهر له أنه بحكمة ونحن زدنا أن عظام الحيوان والأشجار حكمة

﴿ ثالثاً ﴾ يقول الحكماء فى القواعد العامة « ان اسكل مخلوق علة ومادة وصورة وغاية ، فعادة الماوان غير مادته غير صورته غير غايته وهى مطردة فى كل شئ فقولوه ألوان المادان والأشجار اتفاق كلام غير مسلم إذ له علة وهى التمازج بهيمة خاصة وصورة ومادة وله غاية وهى منفعة الانسان فالتعبير بما قالوه قاصر »

﴿ رابعاً ﴾ هذا يفيد حكمته تعالى إذ يقول - وما كنا عن الخلق غافلين -

﴿ خامساً ﴾ قصة العمل وقول الله تعالى - وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون * حتى إذا أتوا على واد الغل قالت نملة يا أيها الغل ادخلوا مساكنكم لا يحطركم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون - الى آخر الآية مما نفهم منه اهتمام الأنبياء بعلم الحيوان ونعلم أن المسلمين مأمورون بالبحث عن هذه الحشرات والله أعلم انتهى ما ذكرته فى كتابى « نظام العالم والأشياء »

وقد جاء فى جرائدنا المصرية يوم ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٢٦ م ما يأتى

﴿ حرب بين قبيلتين من النمل ﴾

فى الشهر الفائت جرت معركة هائلة بين قبيلتين من النمل فى حديقة الحيوانات فى لندن اشترك فيها نحو ألف نملة من الجانبين ودامت أربعة أيام وانتهت بمقتل الجن والجرى وشهد فيها المشاهدون انتظام الجيشين وهجمائهما وخنادقهما وكشافتهما وأسراهما وخططهما الحربية وهذمتها الى غير ذلك من أحوال الحرب مما يدهش الناظرين وحدل العالم الطبيعى (السير جون لوبوك) أن يقول « إن النمل أقرب الحيوانات الى الانسان فى أفعاله » وتجر براخب أن أحد الموظفين فى إدارة تلك الحديقة أتى خشبة على مستنقع صغير فى الحديقة المذكورة بفصل بين قبيلتين من النمل الواحدة قديمة فيها مئسدة (٣) سنين والأخرى جىء بها حديثاً فكانت تلك الخشبة كجسر (كوبرى) يعبر عليه من المستعمرة النمل الواحدة الى المستعمرة الأخرى ، وحدث أن نملة من القبيلة القديمة عبرت الجسر الى القبيلة الجديدة ودخلت الى عشها ولم ترجع فكان ذلك سبباً لإثارة الحرب فقررت القبيلة القديمة الحرب ولكنها لم تضع صوابها وتسلم لخصمها وحدثتها بالانتقام لكن تقع فى كين الأخرى بل اختارت عشرة من أباطها وأرسلتها للاستكشاف والتجسس فانسلت هذه العشرة على الجسر الى المستعمرة الأخرى ولكنها لم تر واحدة من غلاتها بل فهمت أن هذه كلمة فى عشها غير دارية بما يحول

في خاطر تلك فسادت الكشافة وأبلفت ماعامت ، والظاهر أن القبيلة القديمة عقدت مجلسا وقررت الهجوم لأنه بعد بضع دقائق خرجت جنودها صفوفًا متراسة كصفوف الألمان والفرنسيين في معركة المارن وبعض الغلات خرجت الى جهة أخرى حيث الرمل الأبيض فأقامت متاريس من الرمل وتحصنت فيها ثم هجمت الصفوف على الجسر وجعلت تعبها ، وكان حينئذ أن غلة من القبيلة الجديدة خرجت فرأت صفوف الأخرى فادمت تتدفق على الجسر فأُسْرعت الى عشها وأبلفت الخبر الى قبيلتها فما لبثت هذه أن خرجت أيضا صفوفًا للقتال وجرت المعركة الهائلة التي لا يصدق هولها إلا شاهد العيان ، دامت المعركة (٤) أيام بلياليها وفي خلالها حدثت هذنة واحدة مدة بضع ساعات ، والظاهر أن غلة لم تستطع ضبط غضبها ففرقت شروط الهدنة واستؤنفت المعركة ثانيا أشد احتداما من الأول وشوهد عدد عديد من الجرحى تنفض في مصارعها وبعضها وقعت في الوحل وأما القتيلات فكانت مطروحة في مصارع مختلفة بالحرارة وأما القتال فكان أن القوية تقذف بالضخمة الى المستنقع وان لم تستطع ذلك كانت تقطع رجليها وتتركها لرحمة الطبيعة ، وفي اليوم الرابع بعد انقضاء انسحبت القبيلة القديمة الى انكسار إذ اندسحت على الجسر وفيزت عن آخرها تقريبا وحصونها لم تفدها لأن الطريق بقي مفتوحا لعدوتها وأما القبيلة الجديدة المنصرفة فأسرت جانبًا من عسرتها لتسديدها وقتلت البقية والغلات العاملات غير المحاربات قتلت القتيلات الى مكان آخر ونظفت جبا منها وعاد السلام الى نصابه

وقد ظهر أن ذكاء النمل ونظامه في مدة الحرب لا يقلان عنهما في مدة السلم . ليس هذا الحيوان الاجتماعي العجيب جنديا حيا بل قديرا فقط بل فيه المهندس والفنان والحاسب والمعرض والجراح والطبيب والزراعي وهو يدفن موته باحترام ، وظهر انه يجب المرح والمزج واللعب والسباق حتى انسكر ، ويؤكد الدكتور (هرمن ليدمان) العالم المشهور في مونيخ (ألمانيا) أن النمل لغة للتفاهم ، أما ان النمل مهندس فنان فاعلم من أبراج الطين التي يبنيها النمل الأبيض في شرق أفريقيا إذ يبلغ ارتفاع بعضها عشرين قدما ومع ذلك ليست ضخمة فهي بنسبة تخافنا الى ارتفاعها كما لو بنى المصريون (١٢) هرمًا الواحد فوق الآخر . ولا يخفى أن النمل ليس له الآلات والعدد التي كانت للمصريين ومع ذلك ترى أبراجه هذه في غاية الدقة والاحكام الهندسين في جبال بسلغانيا إحدى الولايات المتحدة الأمريكية أكبر مدن النمل في العالم ومعظمها مبنية تحت الأرض وأكبرها يشغل ثلاثين فدانا ، تأمل في (٣٠) فدانا من الأرض وقد حفرت فيها منازل النمل تتخللها الشوارع والمعاير والطرق وكل غلة تعرف طريقها الى بيتها باحساس غريب وشعور بالجهات

بعد النمل أعظم بناء على الأرض وأدواته وبعض موادّه في جسمه (مثال ذلك) انه يصنع بعض مواد البناء بمضغ نوع من النباتات وجعلها ملتصقة بعضها ببعض بواسطة عصارة لزجة يفرزها من غدّة فيه وأغرب دليل على ذكاء النمل انه يصنع سقفًا من أغصان الشجر بخياطة أوراقيها بعضها ببعض هكذا الغلة البالغة لا تستطيع أن تغزل خيوطا ولكن الطفلة تستطيع لأنها تصنع فيلججة (شريطة) ولذلك تصحب الغلات العاملات طفلاتها الغزلة فيالجها وتدق الغلة العاملة ورقى الشجرة حافة حافة وهي حاملة الطفلة فيها وتقرّب رأسها لحافتي الورقتين فتشعر الطفلة تغزل حريرها أى خيوطها وتلمتها بالحافتين وفي أثناء ذلك تجعل الغلة العاملة تقدم الطفلة على طول الحافتين والخيوط الغزولة تلازمها حتى يتم التحامها جيدا . ولا يخفى أن الخيط يخرج عصارة من فم الطفل وتسكن هذه العصارة تجعد في الحال وتصبح خيطا

ترى النمل في ساعات العمل يعمل بنظام كأن مرشدا يرشده ، ترى غلة ترم بناء مهندما وأخرى تنقل زبالة وثالثة تنقل الأطفال التي لا تخشى تأثير النور الى الورك المظلم ورابعة تأتي بمواد البناء وتسكن ليس هناك قائد ولا مرشد بل تعمل جميعها من تلقاء نفسها بحكم الفريضة كأنها آلات للنمل قوة التمييز الفريضة بديل أن (السرجون لو بوك) أخذ بعض غلات ووضعها في سائل كحلي (سيترو)

حتى سكرت ثم طرحها سكرى فلما رأتها رفيقاتها صاحيات جهلت تنقل منها ما كان من قبيلتها الى بيتها وألفت
الفرقيات في بركة الماء

﴿ مساهرة في النمل ﴾

(من كتاب « علم الدين » لرحوم أستاذنا على باشا مبارك)

إن النمل كثيرا ما يكون بينه حروب كبيرة ومناوشات كثيرة غير أن طوائف النمل عند تجهيزها للحرب
ومسيرها للقتال لا تستعمل ما يستعمله الانسان لحروبه من العدد والآلات والأدوات بل تسير للقتال بأنفسها
غير مستصحية شيئا من ذلك معها وتستعمل في قتالها ما قد يجيز الانسان عنه من المكر والحيل والمكايد
ومن النمل نوع يأسر غيره ويستعبده ويستخدمه طول حياته ويخلص بواسطه من السكدة والكسح والعمل
لنفسه وقد شاهد بعض علماء الطبيعيين نوعا من النمل يحمل نوعا آخر في فمه ولكن لم يكن يعلم حكمة ذلك
ولاسبابه إلا أن ظهر الآن أن بعض النمل قد يحتاج الى خدم فيهجم على غيره فيستره ويستخدمه في أعماله
وسائر أحوال مسكنه ومعيشته ، ومن يراقب النمل أيام الصيف في بعض الجهات يجده يغير على بعضه فيأخذ الغالب
منه أولاد المغلوب ويسترقها ولا يكون ذلك غالبا إلا في الليل فيخرج ويصطف صفوا مقاربة ويقصد الجهة
التي يريد غزوها فلا يرجع إلا وقد بلغ مقصوده فيخرب المساكن ويفرق المسكنين ويأخذ ما يحب من القرية
ولا يأخذ الكبار لعلمه انها لا تنقاد لحكمه ، فإذا رجع بالترية جملها بأفواهه ، وإذا خاب أحد من الحزب الغالب
ولم يجد أسيرا يستره أخذ معه من رمم القتلى ما قدر عليه لينتفع به في غذائه وترى هذه الفئة الغالبة في عودتها
ومنصرفها الى مساكنها تسير خلف بعضها واحدة خلف واحدة حتى انها قد تسفل مسافة من الأرض يبلغ
طولها نحو أربعين مترا وهذه الصورة تعود الى مساكنها بالظفر والغنيمة في حال مسرة وطرب ، فإذا وصلت
الى منازلها بهذه الأسارى الحديثة السن تفرد لها محلات مخصوصة وتربها مع الصدق والأمانة والحذق وتحفظها
من كل ما يضر جسمها ويخل بصحتها حتى تبلغ أشدها ، وهذا النوع المحارب المحب للسلب والنهب لا يجب أن
يشغل بشئ سوى الحرب فلذلك بكل بناء بيته وترية ذريته الى ما عنده من الأرقاء والخدم حتى انه اذا
احتاج للانتقال من مسكن الى آخر تكفلت خدمه بنقله وقامت بحمله فتراها تحمله بأفواهها كما تفعل الطرة
بأولادها . وقد امتعن بعض المشتغلين بالبحث عن أحوال الحيوانات بعض النمل الذي نخيل فيه التروؤس
والامارة والرافاهية والاحتياج الى خدمة الغير له فأخذ جماعة منه وأفردها عن خدمتها ثم أحضرها شيئا مما
يتغذى النمل به ويتهاك في طلبه فوجدتها غير طالبة لما أحضرها حتى مات أكثرها جوعا ثم انه نقل اليها
واحدا من النمل الذي توهم فيه اليهودية والخلمة فاشتغل بخدمتها وتغذيتها فأكلت ما أحضره اليها مما كان
يرأى منها ولم تكن تحرك اليه من قبل فأكلت وشبعت وانتعشت فعمل من ذلك أن هذا الصنف الغالب
المحارب بعد أن يبلغ في حروبه ماشاء من النصر والظفر والغنيمة ويحصل على ما أراد من العز والثروة
والسعة قد يستولى عليه حب الراحة والرافاهية واللذة فيأخذ في الكسل والبطالة وبكل جيع أموره الى ما عنده
من الخدم والخشم والأنباع ولا يشتغل هو بشئ من الأشياء فيعخل عنه نظام الجهور وتدر عليه صرف
المقدور بالويل والتبور وتفسد الامور

وطباع هذا النوع مختلفة باختلاف الأماكن وبالنسبة لزوم الخدم وعدم لزومها ، فترى الأرقاء في بلاد
السويدى التى تبني المساكن وتقف على أبوابها بمنزلة البوابين فتفتحها في أول النهار وتغلقها عند دخول
المساء او ظهور علامات تدل على المطر ، وقد شوهد في بلاد الانكليزان الأنباع والأرقاء عليها جميع الخدم المنزلية
الداخلية فقط وفى بلاد السويد عليها بعض الخدم الخارجية أيضا بسبب كثرتها ، وليس جميع النمل قابلا
للاستعباد والاسترقاق فان هناك نوعا صغيرا الجثة لا يقبل الضيم والدل بل يدافع عن نفسه بمحاربه ويقال

أعداءه بشدة بأس وشهامة فتعشاه وتمياه وتجنبه حتى انها لا تقرب عائلته ولا تسلط على أولاده بل يرى بنفسه ساكنها بالقرب من مسكن جيوش النمل الحاربة مع الامن والاطمئنان من غير أن تناله بكاروه لعلها تشجاعته وبأسه . ومن النمل الحارب مالا يقتصر في محاربه على استرقاقه لغيره من النمل بل يزيد على ذلك أن يتخلل النبات فيعبد في خلاله حشرات صغيرة كالبعوض لها ثديان في ظهرها من الجسنة الخلفية يخرج منها مادة سكرية يجمعها النمل حبشديدا فيمتصها فتكون تلك الحشرات بالنسبة له كالبقير الحلاب بالنسبة للانسان فيصدها إليها فوق أطراف النبات والأعشاب ويركب كل واحد واحدة وفي بعض الأوقات قد يتجمع النمل وبعيده ويتحزب السكل ويسطو عليها دفعة واحدة يأخذها ويحبسها في منازلها كما يتحبس الآدمي البقر والغنم فيمض لبنها كما شاء ومتى شاء ويتعهد بها بالطعام والغذاء كما يفعل صاحب الغنم والشاة

وأغرب شئ أن هذا النمل يعمل حول بيته جسورا منية أو طاعند بيته وآخرها بعيد عنه محتاطا بالحاشاش التي ترى فيها الحشرات المذكورة وقد يتخذ لها أماكن مخصوصة لا يمكنها التخلص منها فتبقى فيها كالبعوضة ترى فيها أعداءها من المرمي وتعطي لبنها للنمل متى أراد . وفي بعض الأحيان يقع بين النمل وبعض محاربات عظيمة ومناوشات شديدة كالغروب التي تقع بين قبائل البشر منشؤها عداوة طبيعية أو حوادث وقتية وقد وصف بعض المشاهير من علماء هذا الفن واقعة رأها بين قبيلتين من جنس واحد من النمل فقال كنت بين قبيلتين عظيمتين كثيرتي العدد وكان ما بين محبتيهما قد مرانه خطوة ولم أعلم السبب الذي أوجب ثوران الفتنة وهيجان الشر بينهما وإنما رأيت عدد الحاربين من الفريقين بلغ في الكثرة مبلغا عظيما جدا بحيث يتعذر على دولتين من الدول الكبيرة جمع عدد مثله من العسكر . قال ثم رأيت الفريقين أخذوا في الزحف على بعضهما إلى أن التقي الجمعان في قدر قدمين من الأرض في منتصف المسافة التي بينهما ورأيت خلف كل جيش عددا معدا للدد والاعانة كما تفعل الجيوش من اتخاذ المدد في الحروب ثم حيت الحرب والتجتمعت الصفوف والتقت الألوف بالألوف - والتفت الساق بالساق - وصار كل من الفريقين ينتفع بما صادفه أمامه في الأرض من حجر ومدر وغير ذلك فيترس به ويتحصن خلفه من عدوه وكان البعض يقاتل ويضرب والبعض يحوز الغنمة ويضبط الأسرى وكان يرى على الأسارى علامة الحزن والكآبة لاسما عند مقارنة الجمل للمدة لاعتقالها عند العدو . قال ورأيت محل المعركة قد تغطي برمم التلى ودماء الجرحى وصار يشم منه رائحة كريهة لكثرة ما اجتمع فيه من الجيف وكان ابتداء القتال بين الفريقين برز كل منهما للآخر خرفقا سكا بالأرجل وصارا يتصارعان ويتغالبان ويحصد كل منهما قربى إلى جهة ثم أتى لكل واحد منهما مدد من قبيلته يجذبه إلى ناحيته حتى صار الأولان مع ما انضم إليهما من المدد أشبه شئ بحبل طويل يشد أحد طرفيه إلى جهة والطرف الآخر إلى الجهة المقابلة لها حتى يقلب أحد الطرفين فيأخذ غريمه إلى جهته أو يحصل الانفصال من غير أن يقلب أحد ثم يعود القتال فإذا دخل الليل انفصل الفريقان وانقطعت الحرب إلى الصباح ثم يعود كل إلى ما كان عليه وهكذا وكانت سعة ميدان الحرب قدر ست أقدام طولا وقدمين عرضا

فقال الشيخ كنت فإسافنا اجتمعت برجل من أهل السودان فأخبرني أن بلادهم نوعا من النمل أبيض اللون يجمع جموعا كثيرة ويكون منه طائفة كالجد والعسكر وطائفة كالهبال وللذكران منه أجنحة وليس للماعداها من الهبال والعسكر والانات أجنحة وتختص الهبال منه ببناء المساكن والعسكر بالحفظ والضبط والحراسة . وأما الاناث فلهيها البيض واكثر الدسل وتربية الذرية والقيام بأمرها وهي كثيرة البيض إلى الغاية حتى كأنها كبس مملوء بيضا فإن حجبها مملوء بالبيض قبر حججه فارغة أنى مرة ومتى ابتدأت البيض باضت في البقعة الواحدة قدر ستين بيضة وقد يبلغ مقدار ما يبيضه في اليوم الواحد نحو ثمانين ألف بيضة (كذا قال والعمدة عليه) فقال الانكيزى هذا صحيح كما قاله وقد شهود هذا النوع من النمل في جهة رأس الرجاء الصالح وحجم مساكنه

بالنسبة لحجمه مما يقضى منه بالهيب فان ارتفاع المسكن عن الأرض قد يبلغ نحو عشرين قدما وشكله هرمي شبه بقع من السكر عظيم الحجم وأوسع أسفله ضيق أعلاه فمن رأى هذه المساكن على بعد ظنها كغمر من الكفور أو قرية من القرى الريفية وتكون في غاية من المتانة بحيث لا يمكن كسرها لشدة صلابتها ودخلها فسيح جدا حتى ان الواحد منها يسع اثني عشر رجلا يقيمون به وقد يتخذها صياد الوحوش مأوى يكمنون لاصطيادها ويوجد في داخلها بحار مياه تشبه المدافع الكبيرة ممتدة في الأرض الى عمق ثلاث أقدام أو أربع فلو نظرنا الى النسبة بين امتداد قاعاتها وارتفاع ما فيها من المساكن مع النسبة بين قاعة الخمل وارتفاع مساكنه لوجدناه يوفقا بكونه ارتفاع مسكنه قدر قاعته خمسمائة مرة ، فلو كان ارتفاع مسكن الانسان بالنسبة لقاعته بهذه النسبة لسكان ارتفاعه قسراً كبرهم من اعراق الجزيرة أربع مرات أو أكثر . ومن الخمل نوع يتسلط على منازل الناس فيحصل له فتحها سراديب يتوصل منها الى أكل ما فيها من الخشب ولا يزال حتى يأتي عليه ولا يبق منه إلا ظاهره فسقط البيوت بأقل حركة فيفقد الانسان بيته في زمن يسير ، وكثيرا ما تسلط ذلك الخمل بهذه الصورة على مدائن عظيمة وبلاد عاسرة فأثافتها وخربها عن آخرها واضطر أهلها الى الرحيل عنها الى جهات بعيدة لتسكنها وتبنى بها بلادها ومدائنها ، والهيب أن ذلك الخمل لا يحتاج في مثل هذا العمل الى مدد طويلة بل يقضيه في مدة قصيرة أيام يسيرة ، وقد سكي بعضهم انه رأى أكل سلحفا كبيرا من الخشب في مدة خمسة عشر يوما وبأكل مثل السكسرى والمائدة والدولاب في أقل من ذلك ، فيرى الانسان هذه الأشياء واقفة بهيئتها على أصل صورتها وحتى يسها بيده صارت ترابا مذكورا . وراست حياء منشورا

قال الشيخ رأيت في بعض الكتب ما هو أخف من ذلك فكنت أستغرب به فلآن زال استغرابي * حكى الجاحظ في « كتاب الحيوان » انه في بعض الأيام كثرت الخمل في بعض ضروب بغداد حتى ارتحل عنه أختابه وتركوا مساكنهم للنمل وأن بعض الناس قال لأحد الفارين من الخمل كيف أخرجكم الخمل من دياركم ؟ فأخذ يبيده وقال لهم مني لأريك ذلك وحل من طريقه رأس جبل مشويا فلما انتهى الى بعض تلك الدور كاد ذلك رأس صاحب المنزل خامعا باحضار طشت كبير منصف بالماء ووضع عظام الرأس الى جانبه فسمى الخمل اليها وصار يأخذ الخمل وينفض في الماء فيبعد مدة يسيرة فاض الماء من الطشت ، فقال له كيف تسكن تلك البير على تلك الحال فسميحتان من خلق الأشياء وعرف الانسان قدره تلك الآيات ، فهذا جيش من الخمل أخرج قوما من ديارهم وأبطل حيلهم وقواعم وأعجزهم لضعفوا قوله تعالى : وخلق الانسان ضعيفا - وبقوا بأنفسهم على مواضع الاعتبار وتكون مساعيتهم فيما له خلقوا وكل ميسر لما خلقه على هذا الأدب مع الخلق وخالقه قال الانكايزي ومن الخمل نوع اذا بنى له بيتا لا يتعمله هرميا بل يجعله على شكل كروى في عظام البرميل يصنعه من مواد صافية وأجزاء خشبية وبعض حشائش ويجعل في داخله ضروبا وطورا كثيرة تفوق الوصف ويكون في العادة بين فروع الشجر ، وفي سنة ١٧٨٠ من الميلاد ظهر منه نوعان في المديرية الجنوبية من فرنسا غرّب بسببهما بيوت كثيرة وسقعات أستف وحيطان متعددة ولم يبق في (روشفور) شئ من السكتب ولا الخشب حتى انهم الآن يضعون أوراقهم في علب من التوتيا خوفا عليها ، ومنه ما يسكن المزارع فيض بالزرع ضررا يئنا وربما يحفره فيها بيوتا ومغارات وعمقه حتى يبلغ ارتفاع التراب الذي يخرج منها خمسة عشر أو عشرين قدما تشاف المزرعة ويتركها صاحبا وربما حرق أما كن هذا الخمل بالدار أو ضربت بالمدافع لتخرب بها ان أمكن وقد يستعمل اللغم في تخريبها اذا كانت عميقة ممتدة في جوف الأرض فقد تبلغ في العمق الى عشرين قدما في داخل الأرض ، والسكلام في هذا المبحث طويل والذي ذكرته الآن أقل من القليل بالنسبة لما قيل في هذا القليل فان عجائب الخلق ونفائس الحكمة لا تنحصر في هذه الحشرات بل هي مبنية في جميع أفراد الخلق فقد منح الصانع كل جنس ونوع وصف من العالم بمواضع عجبة وأمور غريبة تعجدها في الأشياء الكبيرة

كما تجدها في الصغيرة وتراها في حيوان البحر كما نبصرها في حيوان البر . ومن أعجب العجائب أحوال حيوانات دقيقة جدا أمكن الاطلاع عليها بواسطة النظارات المصنوعة وكانت لا ترى بدونها لفرط صغرها ودقتها ويقال لها عند أرباب الفن (الحيوانات النحفية والمظلمة) وتوجد في العسارات النباتية والحيوانية وفي الهواء والماء وغير ذلك وكانت مجهولة عند الأمم السالفة ولم يطلع الإنسان عليها ولا انكشف له الغطاء عنها وعلم بعض أسرارها إلا منذ عهد قريب بعد ظهور النظارات لأنها لما فيها من خفية تكبير الجرم وتضخيمه في نظر الناظر فطاعت أعضائه هذه الحيوانات الدقيقة فتيسرت رؤيتها وأمكن للإنسان أن يتجسس أحوالها ويعلم كيفياتها . انتهى ما رآته من كتاب ﴿ علم الدين ﴾ وقد جاء في إحدى المجلدات العلمية ما يأتي

متفرقات عن النمل

(النمل أعجب الحيوانات)

هل خطر لك أن النمل يفهم الحساب ؟ طبعاً لا يفهم الجبر ولكنه يفهم الهندسة لأنه يحسن البناء ويفهم العدة أكثر من جميع الحيوانات ، ولعل بعض الهمج لا يفهمونه مثله ، أنبأ (أورماند فرنسيس وليس) من بريد (جيبورت) من ولاية كونكتيكت (أميركا) أنه في ذات يوم تشر بحجر فانتقل الحجر عن عش ملؤه من حوض صغار النمل التي شرعت تنقب بيوضاً فتناول اثنتين منها لفحصهما وفي الوقت نفسه صعدت النملات الأمهات وكرها مراعاة وشرعت تنقل صغارها إلى مكان أمين حتى انتهت ثم عادت تبحث هنا وهناك كأنها علمت أن عدد الصغيرات ناقص اثنتين ، فلرب أنها أحصت الصغيرات فوجدتها ناقصة فردتهما (أورماند) إلى مكانهما ختمتهما ثلثان ومضت بهما

﴿ النمل يرعى صغاره ﴾

وهل تصدق أن النمل يحسن التريض والترية ؟ حالما تبيض ملكة النمل بيوضها تتجمع الغلات العاملات حوله وتحمل البيوض بأفواهها وتحضى بها إلى المكان الدافئ الذي أعدته لها وهناك تشرع تعرف البيوض بحسب حجمها فتضع الكبيرة في صف والصغيرات في صف آخر ومتى تقفت الصغيرات بيوضها وسجحت منها تضعها العاملات في شكل دائرة وتحمل رؤسها متجهة إلى خارج الدائرة لكي تسهل عليها تغذيتها وفي المناطق الاستوائية نوع من النمل تأخذ المربيات منه الصغار إلى خارج الزكر في يوم الصحولعير يضاهي لنور الشمس والهواء الطلق وتسير بها إلى هنا وهناك كأنها تترها كما تفعل مربيات الأولاد اللواتي يطفن بهم بالهربات اليدوية ، ثم إن النملات المربيات تبالغ في تنظيف أوكلها ولا سيما أوكل الصغار أكثر مما تفعل مربيات البيوت ، فهذه النملات تقع في عشوش الصغار نوعاً من الاسفنج تصنع من المواد الناعمة المختلفة حتى استحدثت خراطيم النملات وعالق الوحل على أفواهها تسمع للمربيات إلى هذا الاسفنج وتمسكه وتمسح به أفواه الصغيرات وخرطومها

﴿ النمل أقوى من الإنسان ٣٠٠٠ مرة ﴾

لو كان في إمكاننا أن نستطيع النمل ونجعله يقول بصراحة وصدق ما في قلبه ، وأن نجبرنا ما هي أعظم المزايا التي يفخر بها لقال بالعجب ﴿ قوّي ﴾ واضحك على ضعفنا ، ذلك لأن للنمل قوة عضلية بالنسبة إلى حجمه تزي بقوة أعظم المصارعين والرياضيين ﴿ روى (المسترد . دي بوا) العالم الطبيعي فقال ﴾ رأيت نملة تحمل حصة من أسفل العرمة إلى أعلاها فوزنت النملة والحصة وزنا مضبوطاً بأدق الموازين وقست ارتفاع العرمة فوجدت بعد الحساب أن الرجل لكي ينافس النملة في رفع الأثقال يجب أن يحمل حلاً وزنه نصف طن ويصعد به (٢٥) درجة من درجات (السلام) الاعتيادية ﴿

لعلك تستغرب ذلك ، فانظرياً إلى ﴿ النملة في حقلها تحمل بين فكيفها حلاً أثقل من وزنها ثلاثة آلاف

مرة من غير عنه ، ولكي تفعل فعلها يجب على كل واحد منا أن يقف على حافة هلوبه ويمسك بين أسنانه سلسلة مربوطة بثماني عربات شملة حديثا ﴿ وقد أكد أحد عارفي طبائع النمل أنه إذا كان رجل يزن (١٥٠) رطلا وله قوة بالنسبة الى وزنه كقوة النمل لاستطاع أن يحمل على ظهره قاطرتين من أكبر قاطرات السكك الحديدية من غير أن يتعب ﴾ وقد روى الأستاذ (رقتون) أن في افريقيا نوعا من النمل يسمى (بولدوج) يستطيع أن يمشي وأثبا وكل وثبة نحو قدم فاذا رام انسان أن يحاربه وجب أن يثب الوثبة الواحدة نحو ١٤ قدما ﴿ النمل فلاح ﴾

النمل فلاح أيضا ، لملك تستغرب أنه كذلك والحقيقة أن للنمل حقائق يزرعها ويحتمي منها طعامه الذي لا يجده في كل مكان وله أسطبلات يحرس فيها أبقاره التي يحتلب عسلها ، وهناك نوع من النمل يسمى (قاطع الورق) فهو يقطع ورق الشجر بمقص فمه الخاد ويحمله الى عشه وهناك صنفه حتى يصبح كالنحى ويفرشه على الأرض ، وبعض النمل يبحث عن المشروم (نبات فطرى) في الحقول وينقله الى حديقته ويزرعه في الأرض التي أعدها لذلك فنبت نباتا فطريا ويتقذى به

﴿ النمل بقر النمل ﴾

أما بقر النمل المشار اليه آنفا فهو نوع من البعوض النابت الى المائل الى الحضرة وهو كثير في الجنائن فالنمل يقتص هذا البعوض ويأخذه الى عشه ويحميه ويفقيه ، وهذا البعوض يفرز مادة لزجة يستطيعها النمل والعجيب أنه لا يفرزها مالم يدغدغه النمل بخروطومه ، وقد حاول (دارون) أن يجعل بعوضة يفرز عسلها إذ دغدغها بشعرة فلم تفرز شيئا فلما أطلق عليها نمل دغدغتها فأفرزت العسل

﴿ النمل جراح ﴾

وهل خطر لك أن النمل جراح ساهر ؟ إن عملياته الجراحية عجيبه ، في البرازيل نوع من النمل القاطع للورق يحسن الجراحة كأهم جراح حتى جاءت اليه نملته تقاسى من جوع خطر يستدعى بعض الجنود لاختصاصيين الذين لا يخطئ في استدعائهم ثم يضم شفقي الجرح معا ويأمر الجندي أن يسكهما معا بفكيه ويبقى هذا عسكا بهما الى أن يخطيها الجراح على طول الجرح بواسطة خيوط يفرزها من نفسه والله أعلم

﴿ للنمل مقبرة ﴾

ومن أغرب الامور أن للنمل عادة ليست في سائر الحشرات أو الحيوانات وهي انه يدفن مواته في مقبرة خاصة وذلك أن بعض النملات ترفع الجثة بواسطة خراطيمها وتتبعها النملات الأخرى في موكب جليل وترسيب جميعا خارج الوكر الى مكان معين تدفن فيه مواتها ، وهناك أعمال أخرى للنمل تدل على حذقه وذكاؤه وقوته ، ولو كان يتكلم لكانت تفهم منه أمورا أخرى ربما كانت أعجب وأغرب

﴿ النمل القاري ﴾

في افريقيا نوع من النمل تتفوق عن الجراد غزوا فهو يزحف صفوفًا كثيفة مترافعة متعاضدة الى أن يصل الى الحقل الذي يريد غزوه فيحيط به ويحاصره من جميع الجهات ويحتشد لاجتماعه شيء من الحشرات كالخنفس والعقارب والعناكب والديدان والحيات الصغيرة حتى متى انتهى من غزوه لا يبقى في الحقل غيره فان جلا عنه الى حقل آخر تركه نظيفا . انتهت المطيعة الثانية ﴿ رسالة عين النملة ﴾

﴿ المطيعة الثالثة . الكلام على عين النملة ﴾

(كتب يوم الجمعة ٢٠ رمضان سنة ١٣٣٤ هـ ٢٠ يوليو سنة ١٩١٦ م)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

لئن عجب القاري من هذا العنوان فحبيب معناه ، ولئن كان غريبا فأغرب منه مغزاه ، يخيل للسامع أنه

عما لا يؤبه به ، ومواقفة الجملة حتى يستفي بعينها ، فليدين القارى من الجنبات ، وغرائب الإبداع فيها ما يشار فيه له ، ويزداد عجب ، ويوقن أن هذه العين التى لا يراها البصر ولا تتجسده اليها الفطن كمدنية عجيبة مشرقة الأنوار زاهرة باهرة تفرق جمالا وحسنا ، ويعلم إذ ذاك كيف سهبت فى القرآن سورة باسم الخلق ، وكيف ذكر قصة سيدنا سليمان معها وأن ما ذكره فى هذه الجملة غيض من فيض العلم المستمد من تلك العين - ثم لترونها عين اليقين - ثم لتسألن برمتها عما قلتمون . لنقدم مقامة قبل هذا المبحث البديع فقول

بينما أنا متدشرفى مجلس غاص بأهل العلم والفضل والأدب من الشائع وذوى الطرايين - ثمة من الأولين - وقيل من الآخرين - على تصحيح وزن : الامتحان للتلاميذ عاكفين إذ قال قائل منهم ومعه فروع شجرة ذو ورق بديع لطيف منظم إلى قرين يقول ألا لا يستوى قتالهم هذا الفرع ونظام الخلق الفارسي وكيف يستويان وفى هذا الفرع من النظام والجمال ما يهز الناظرين - وما يذكر إلا أولوا الألباب - ثم قال ويأت شعري لم قارن بين الخلق الفارسي والورق فى النظام ، وإذا جئت المقارنة فما الدليل على ما قال ؟ فأجبت لقد أخطأ صاحبكم المرمى ولم يصب الخبز . إن الخلق أثنى نظاما وأبسط إحكاما وأهدى سبيلا وأقوم قبلا ولست أحملك على دقة نظامه ولا حسن انتظامه ولا أحضاله الباطنة والظاهرة ولا مدار سياسته وجوش ومدنه وزرائته مما سطرناه فى كتبنا ﴿ نظام العالم والأمم ﴾ و ﴿ جلال العالم ﴾ وغيرها وإنما نجحنا على مسألة عينه العجيبة الغريبة . فقال وما ذلك . فقلت انها تتربك من أكثر من مائتى عين كل واحدة منها ذات طبقات خاصة ونظر مستقل بحيث لو جئتم لإحداهن لنظرت الباقيات نظرا مستقلا صحيحا ، فلم يقع القول منه موقعه من ذى اللغة الصادى وقال كيف السبيل الى معرفتها ، ومن ذا يجترئ أن يدعى هذه الدعوى ، وما الدليل ، فاحتمد ببنى دينه وطيس الجبال واجتمع القوم حولنا زسرا وكانوا أزولجا ثلاثة ، فز بقى كذبوا ، وفز بقى يسكنون ، وقيل منهم من وافق . فأما أنا فقلت لقد سمعناها أيام تعلين بمدرسة المعلمين الناصرية من الأستاذ ثم قرأناها فى الكتب الصغيرة الانجيزية لتلاميذ المدارس الثانوية ثم رأيتها بعينى رأسى بالمنظار المعظم وسطرتها فى الكتب المنشورة فقال أوسطهم

والساعوى ما لم تقيموا عليها * بينات أبناؤها أديعاء

وقيل أيضا

إن كنت ناظرا فاصحة أومدعيا فالدليل

وقيل أيضا

ولم أر فى عيوب الناس عيبا كنعق القادرين على القيام

فانت بالبرهان أو بالبيان . فقلت سأريكموها تحت المنظار المعظم كما رأيتها - ثم لترونها عين اليقين -

وإذ ذاك أقول

وليس يصعق فى الأذهان شئ * اذا احتاج النهار الى دليل

وليس بعد البيان بيان فقالوا لافاننا لنا اليوم بالحكم عند البيان فقد يخطئ الحس فأرنا كتب القوم واثنا بنص الكتب الصريح فقرأت - سرهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم - وقلت سترونها فى كتب القوم وإذن أقول ﴿ فاز من ركب العصا ﴾ فتوجهت الى المكتبة الملكية وقرأنا ما كتبه العلامة (البوردة أفرى) اذا هولايورى غلة ولا يثنى من غلة ، وطالعت مجلات أخرى مع بعض الفضلاء فوجدنا بحفى حزين . فقلت قال تعالى - فأسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون بالبينات والزبر - وإذن قلت العلامة صديقى محمد بك شوق بكير المدرس بمدرسة لزراعة العالم بهذه الجنبات الذى أطلعنى عليها بالمتنار المكبر المنفرم بالعلم العاشق للحكمة فقال لسان الحال

تسائل عن حصين كل ركب * وعند جهة السحر اليقين

فأجاب ، لقد انسج نطاق هذا الموضوع فى كتب القوم وأحضر لى ﴿ كتابين ﴾ أحدهما ﴿ كتاب

﴿درس علم الحشرات﴾ تأليف (باكد) الأستاذ (بردوسور) في جامعة براون من صفحة (٢٥٦) الى صفحة (٢٦١) المطبوع سنة ١٩٠٩ م ﴿والثاني﴾ كتاب ﴿علم الحشرات﴾ مع الإشارة الى مباحثه الحيوية والاقتصادية المطبوع سنة ١٩١١ م من صفحة (٣٠) الى (٣٤) وكذلك صفحة (١١٤) و (١١٥) وملخص ما في كتب القوم هي ما يأتي ﴿إن جميع الحشرات أعينها مركبة وأغلبها تركيا لاتقل أعينها عن اثني عشرة عينا ومنها ما يكون كل عين من عينيها مركبة من مائة ثم من ألف ثم تترقى الى سبع وعشرين ألفا وذلك في حشرة من نوع الفراش في القطر المصري وغيره تعيش على العليق وعلى البطاطس وأمثاله تشبه حشرة (أبي دقيق) المعروفة. فأما النملة فإن كل عين من عينيها لاتقل عن مائتي عين ولا تزيد عن أربعمائة تقريبا، وللعلماء في هذا مذهبان مشهوران، فأما الأولون فاتهم يقولون إن كل عين من تلك العيون تنظر الجسم جلة فإذا كانت عينا النملة مركبتين من ستانة عين مثلا كانت كل واحدة منها ترى الجسم كما ترى كل عين من أعيننا الجسم الذي تراه الأخرى، فأما المتأخرون من أهل الفن فقد حققوا الموضوع تحقيقا وكشفوا النقاب عن وجه الحقيقة وسكمو التجربة تحكما فأيقنوا أن تلك العين انما هي مجموع عيون كل منها ترى جزءا من الجسم بحيث لو عمت لم تبصر الجزء المقابل لها في الجسم، وأجمع الأولون والآخرون على أن كل عين ترى مسئلة وعلاقتها مع غيرها المجاورة، فلما أن أتم قوله قلت... الآن حصص الحق... واستبان السبيل وظهرت الحقبة وقامت آية الله الكبرى ومهرجال الله خلقه وقلت لأولئك الأجله مظهر وما بان وأعلمتهم جليلة الخبر فسموا شاكرين وكبروا لله مخلصين. فقال صديقي بحمدك شوقي بكبير للمدرس الموضوع حق دراسته لأترجم أهم هذا المبحث وليكن مقالا جامعا حتى يعرف الناس هذا العجب العجيب، وسأذكر مخلصه موضعا وأعرضه على القارئين مبينا أيقنوا على آيات الله الكبرى... سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها... فيعربوا مسئلة السكعل ﴿مارأيت رجلا أحسن من عينة السكعل من في عين زيد﴾ ويقارنوا بين أبي تمام والمثنوي وبين بوير والفرزدق أو يعربوا الجاز المرسل والاستعارة والكنية وما لهم وهذه المسائل وهي انما اختصت بها الغربيون ودرسها علماء الزراعة وما للشيخ وهذه العلوم وما هذه العناية بهذا الحيوان الحقير ونحن في حاجة الى ما ينفعنا والناس في الحرب والضرب فما هذه السخافات؟ ولم اهتمت أنت بهذا اهتمامك بأعظم الأشياء فتقول

ليس ينبغي أن يكون الشيوخ محصورى العقول فيما ذكرهنا، هاهم أسلافنا كهيد الطيف البغدادى والجاحدان والرازي والغازي، فأولئك الذين هدى الله وكانوا نوراً يستضاء بهم، فافراً في كتاب الحيوان للجاحظ تر الرجل جده وبحت جهده طاقته ولم يدخر وسعا في سائر أنواع الحيوان، وأعلم الضيق العطن القليل القطن واقف كلامه الزاكد في حيز واحدية به تليذه ويضيق صدره وتحت أتمه، لقد كتب الذين قالوا لا ينبغي اتساع دائرة علومه انه لفضال معين، ومن أصل من يأمى بالجهل ويرى الناس بالسكسل، فأما العناية بعين النملة وبالعلة فلمس يجب بعد أن سمى الله سورة باسمه في القرآن ايقاظا للعلاء ليدبروا هذه الحشرات الصغيرة وليدبروها ليصلوا لأمرين معرفة الله بل جلالة والاستئذان بالعلم والحكمة والوقوف على فوائدها الاقتصادية النافعة في الحياة الدنيا كما فعل الأورو بيون فيما تقدم في هذه الرسالة، فإذا رأيت ثم رأيت ملكا كبيرا دخل هذه الأغني كما ستره قريدا لما نزل قوله تعالى... مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن وهن البيوت لبيت المنكبوت لو كانوا يعلمون... وقالت العرب... ماذا أراد الله بهذا مثلا... وهل يدرك الله هذه الخلوقات الحاضرة نزل... إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فليعملوا أنه الحق من ربهم، وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا فلا يضل بالكثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين... فأما الاحتجاج بالحرب والضرب فذاك حجة الكسالى والعاجزين البائسين، فالتاس أيام الحرب يأكلون

ويشربون والمدارس مفتحة الأبواب والناس يحبون ويموتون والشمس طالعة غاربة والنجوم مشرقة آفلة والدنيا كما هي . إذا كان الحروب تأثير على سير العلم فهلا أقفلت أوروبا مدارسها وهي اليوم ميدانه . إن الاحتجاج بالحرب خدعة شيطانية . فأما اهتمامي بذلك فليس بدعا . ألا ترى أنني لو أغضضت الجفن على القذى وتركته حل الأمور على غير ما خلق الناس اتنا نقول بالتحقيق أونسكتبالندقيق ومقالة السوء أسرع انتشارا وأعظم أضرارا للحميد الكامن في نفوس البشر - ولذا لم يهتموا به فسبقوا لهن هذا إفك قديم - ولقد جاءني من قبل عالم من علماء مكة وهو صديقنا السيد محمد حسين الخطيب إذ قال ، لقد قرأت كتابك ﴿ نظام العالم والامم ﴾ وقد كان أهدها لي أحد تلاميذي ببلاد جاوه فلما قرأته أرائني هذا الوجود على غير ما كنت أرى وعجبت من مسألة تركيب الماء من الأكسجين والهيدروجين وقولك إن النسبة بينهما هندسية عجيبة ورأيت الحساب المذكور في كتابك والنظام المدهش فيها بحيث أنهما يكونان الماء ولو نقص أحدهما أوزاد عن النسبة المحددة لم يكن ماء ولا مزاج ، وكنت أقول هل رأى المؤلف هذا بعينه ، فهأنذا المؤلف هل رأيته . فقلت نعم وسرتي يعني رأسك وتوجهت معه الى مدرسة المعلمين الناصرية وكان المدرس إذ ذاك صديقنا أجد بك فهمي العمروسي فأخذ يحلل الماء بطريق الكهرباء وحدثت حادثة مزعجة أن انكسرت الزجاجية وطارت منها شظية خدعت خد العمروسي صديقنا ثم شفاه الله وعرف صاحبنا المسألة يقينا

لقد رأيت من هاتين الحادتين حادثة عين الثلمة وتركيب الماء ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ العالم المسمى والعالم المصري انني مطالب بما أكتب وأن المؤلف مستهدف للذم والمدح . فعلى كل من أئب أن يستيقن من علمه لينفع الناس وليتقوا بعلمه - ولعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتحت له قلوبهم وان الله هاد الذين آمنوا الى صراط مستقيم - ولواني توليت عن هذا الأمر معرضا لم أصل الى معرفة ما وصل اليه الآن ولم أستفد ماستراه من الجبابر المدهشة ، على اني كسبت أصدقاء واخوانا تعارون على البر والتقوى * قال ابن القفيع « أفضل ما علم به علم ذي العلم وصلاح ذي الصلاح أن يستصلح بما أوتي من ذلك ما استطاع من الناس ويرغبهم فيما يرغب فيه لنفسه من حب الله وحب حكمته والعمل بطاعته والرجاء لحسن ثوابه في المعاد لهم وأن يبين مافي الدين من الأخذ لتلك والذي عليهم في تركه وأن يورث ذلك أهله ومعارفه ليلحقه أجره من بعد الموت » وقال أيضا « مما يدل على علم العالم معرفة ما يدرك من الأمور وأمساكه عما لا يدرك وترينه نفسه بالكرم وظهور علمه للناس من غير أن يظهر منه نخر ولا عجب ومعرفة زمانه الذي هو فيه وبصره بالناس وأخذنه بالسطر وارشاده المسترشد وحسن مخالفته خلطاءه وتسويته بين لسانه وقلبه ونحوه العادل في كل أمر ورحب ذرعه (الصدر) فيما نابه واحتججه بالحجج فيما عمل وحسن بصره »

﴿ عجائب عين الثلمة وغرائبها ﴾

لقد أبنا في المقال السابق سبب تسطير هذا المقال فلنشرع الآن في المقصود ونقول ﴿ من عجب أن يكون لسلك ثلمة ﴾ خمسة أعين ﴿ ثلاثة منها أمامية في مقدم رؤسها وهذه الثلاثة كأعيننا في التركيب ، ذلك لأنها ليست تتركب من أعين كثيرة بل كل منها عين واحدة ترى كما ترى أعيننا وهي مركبة من (١) عدسة محدبة الشكل ، ولما كانت العدسة لا تقوم إلا بالبصار وحدها أمده الله عز وجل تلك الثلمة فزاد لها مادة أشبه بهذا الزجاج الذي نراه تسمى الزجاجية فكانت شفاقة تحت البشرة (٢) ولما كانت العدسة والمادة الزجاجية لا بد لهما من مادة أخرى تتم بها الوظيفة جعل الله لها شبكية مركبة من خلايا مثنى وثلاث (٣) ثم يتصل بالشبكية أعصاب يسمونها (ليفية عصبية) وليست الشبكية منعزلة عن العدسة بل لها قضيب يمتد اليها ويصلها بها

(٤) وبين الشبكية والأعصاب البينية خلايا تسمى الخلايا الإضافية

(٥) وفي داخل تلك الإضافية خلايا أخرى

(٦) ملونة بالسواد

(٧) ومن الخلايا ما يكون قرصية العين

فتأمل وتذهب في هذه النملة الصغيرة وازدد عجباً في عيناها الصغيرة البسيطة ثالثة الثلاثة ونحن الى الآن لم نتكلم على العين المركبة وانظر كيف كان العين عدسة كالعدسة التي في المنظار وجسم زجاجي وشبكة ليفية عصبية وقصيب يصل الشبكية بالعدسة وخلايا اضافية وأخرى ملونة بالسواد وقرصية ، فكل من هذه السبعة له حكم خاص به ومقياس لا يتعداه ومقدار لا يتجاوزه ولون نقص أو زاد لا يختل نظر تلك العين الصغيرة ولو وقفت على نظام الشبكية وحدها وتركيبها من خلايا مثنى وثلاث لغضبت العجب في هذا الانقسام ، فهذه العين على شدة دقتها أصبحت ذات أجزاء سبعة وأجزء الواحد مركب من خلايا مثنى وثلاث وكل خلية من تلك الجلة لو وقفت تحت المنظار كما رأيت أننا نراها تحتها لرأيتها مقسمة أقساماً تعد بالمئات مما يحار فيه العقل وتفسل الفكر - وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر -

وهذه الأعين التي سميناها بسيطة خلقت على ﴿نوعين﴾ نوع يكون في جانبي الرأس في غير النمل من الحشرات وتكون العين كراس الدبوس ، ونوع يكون في الرأس من الأمام ، فالأولى وهي الجانبية تكون في البودة التي استعادت لتلقب حشرة ولم تكن في الظلام ولا في مكان كثير الغذاء فان الحكمة الإلهية قضت أن لا يكون عضو إلا لمنفعة ، وإذا نال الدود طعامه سهلاً فامتنعة العين ؟ وإذا كان في الظلام فالعين عبء ثقيل على عاتقه ويكون ضررها أكبر من نفعها فرفع الله أصر الأعين عن هذين النوعين وأنعم بها على غيرها من الحشرات - فتبارك الله أحسن الخالقين - وفي الأرض آيات للموقنين - وفي خلقكم ومايت من دابة آيات لقوم يوقنون -

﴿جوهرة بدئية﴾

لقد فضل علماء الحشرات فلايتبنون الذكر من الأنثى في تلك الحشرات الصغيرة وإنما يعلمون ذلك بكبر تلك الأعين في ذكر بعض الحشرات واقتراها من بعضها دلالة على النشاط والقوة حتى يبيح الذكر على الأنثى ولولا تلك القوة والأيد ما استطاع سبيلاً للانتاج ولا تقرض النسل وذلك خلل النظام هذه نبذة صغيرة في عين النمل البسيطة من الثلاث المقدمات ﴿سؤال﴾ ولعلك تقول كيف يحتاج بعد هذه الأعين الثلاث الى الأعين المركبة التي سنشرحها وذوات الأربع من الحيوان والانسان كلها كفاهما عينان وأعمالها عظيمة وحاجاتها أعظم ، فما العلة حتى يعوزها عينان مركبتان بعد هذه الثلاث المنظمة الجيبة ، نقول على رسلك ، إن هذه الأعين محدبة تحديداً حاداً والعدسة ثابتة لا تتحرك والمسافة بين العدسة وشبكية العين ثابتة فلايجب أن يكون المرئى على مسافة معلومة ثابتة بينه وبين عين الحشرة والتعديب الحادث يوجب قصر المسافة - ولقد أعموا حشرة بحيث غطاوا أعينها المركبة التي ستتكلم عليها بمحاول معتم ووضعت الحشرة بعد ذلك في صندوق مظلم ذي ثقب واحد مضى فخرجت الحشرة من ذلك الثقب سوأ كان بعين بسيطة واحدة أو باثنتين أو ثلاث فظن بعض العلماء استنتاجاً أن هذه الأعين لايجز بها إلا الضوء فأما معرفة القرب والبعد والشكل والحركة والتكون واللون وما أشبه ذلك فانه يكون بالعين المركبة

﴿العين المركبة﴾

والعين عجيبة من عين النملة البسيطة مرة لتجيب ألف مرة من عيناها المركبتين . انهما خلقتا على جانبي الرأس وكثيراً ما تاملن ذبك الجانبين وتتركبان من أعين خضرمستديرة أو مستديرة كما في خلايا النحل فانها

مركبة من أشكال هندسية عجينة مداسة لحكمة ذكرناها في كتبنا «كجمال العالم» و «جواهر العلوم» وغيرها ، وقد قدمنا أن هذه الأعين ليست خاصة بالنبل بل انها تشمل سائر الحشرات وتكون العين مركبة من (١٢) عينا في حشرة تسمى (ليبيزيا) ويصل عدد تلك الأعين الى (٧٧٠٠٠) عين في العين الواحدة في الحشرة المسماة (اسفنكس كوفوفولاي) وهي أشبه بالفراش الذي يعيش على القطن وتقدم يانه وهذه أكبر من حشرة القمل حجما كالأرأيتا يعني رأسى في الرسم ٠ عين النملة كما تقدم مركبة من مائتي عينا الى (٤٠٠) عين وليست الأعين الصغيرة متساويات المساحة فيكون حجمها من $\frac{1}{100}$ من الوصلة أى ١٦٠٠٠ من المليمتر أو ٠٠٩ من المليمتر ، وإذا كان عينا النملة ٠ ثلا مركبتين من ثمانمائة عين على أكثر تقدير فتعجب وانظر تشرح كل عين من هذه الأعين وتأمل في نفسك وحقلك وتركيبك وتعجب من اتقان المبدع الحكيم لأدنى الأشياء واحكامه لها وافهم قوله تعالى - وكل شئ عنده بقدر - وقوله - وإن من شئ إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم - وقوله - وما كنا من الخلق غافلين - بل كيف يقرأ الإنسان علم عين النملة ولا يوجه قلبه الى هذا المبدع الحكيم الذي نظر الى النملة وعينها كما نظر الى الشمس وقرها واليعوجم ونورها والجبال والنجار والأنهار ، فانظر كل عين في التشرح ترها تفرك مما يأتى

(١) من قرنية العين وهي خلية بشرية ذات أديم شفاف عذب الشكل ، مكسر للضوء وأعلى هذه القرنية تارة يكون أوسع من أسفل وتارة يكون العكس

(٢) وحول أسفل القرنية أهداب تسكتفه تختلف في فعالها ومقدارها وشكلها باختلاف الحشرات

(٣) وبني القرنية من تحتها مباشرة مخروط يختلف سمجه باختلاف الحشرات

(٤) ومن تحته عدسة كالأور مركبة من أربع خلايا أو أكثر ، ومن الحشرات ما لا عدسة له ولا مخروط له ويكون أربع خلايا بدلهما

(٥) ثم تكون القضبان وهي حزمة منها ممتدة امتدادا طويلا على محور العين

(٦) وتحيط بها خلايا مستطيلة وهي مكنونة شبكة العين

(٧) وهناك منطقة خارجة ملونة بالسواد حول الشبكية كأنها درنات صغيرة في الخلايا الصغيرة حول الشبكية وهذه تسمى منطقة حدقة العين

(٨) ومنطقة أخرى داخل وخلاياها الملونة طويلة ومستديرة وهي تفصل كل عين عن الأخرى

(٩) لكل عين حزمة من العصب البصرى

(١٠) ولذلك العصب ليف عصبى منفرد عنه داخل في العين مار

(١١) بالنسيج الأساسى وبالعصب

هذا تشرح كل عين من العيون المسكونة للعديد الواحدة - فإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا - نعيما للعلماء وملكا للحكام - وهل ملك الحكماء للإسعادة النفوس وخلصها من أسر الطبيعة وداسة الأخلاق وهل دار فى خلد أحد يوما وهو يظأ الخل برجله وبدوس عليه ببنابك خيله ويطؤه بأخفاف ليله وبذيقه الموت أفواجا أفواجا أن لشكل عين من عينيه نحو (٤٠٠) عين لشكل عين قرنوسة شغافة كقرنوسة التي في ظاهر أعيننا وصيبت كذلك لأنها أشبه شئ بالقرن وحولها أهداب كأهداب أعيننا نلها عدسة أوراميهيها كأعدسة التي في أعيننا ثم شبكة كالشبكية في أعيننا ومنطقتان ملوتتان بالسواد اثلا يشع النور من العين حتى يكون محصورا فيها وأنصاب بصرية تسهل الى الدماغ ليحكم ادراك النملة على الأشباح التي أمامه ، وما أشبه عيني النملة إلا بذلك الثريات المعلقة في الأماكن الشريفة بحيث يكون في كل منها أثر بعمائه فتدبل ، وعلى ذلك ليست تلك الثريات (النجفات) إلا مجموع فتاديل منبته مشتركة تترقق حسنا للنظرين ، فهكذا كل عين

مجموع عيون مضيات مشرقات للنحلة هاديات لها - سمع اسم ربك الأعلى - الذى خلق فسوى - والذى قدرههذى - النحلة وسائر الحشرات ضعيفة ، ولقد قضت الحكمة أن لا يهمل الشيء إلا بتقدير ، بحيث الحشرات التى تعيش فى الظلام وهكذا التى كان عيشها رغدا لا حاجة لها فى طلب الرزق ، فأما أمثال النحل فإن لها من المصالح والأعمال ما لا يحصر له كما أوضحته فى « نظام العالم والأمم » و « جمال العالم » وغيرها وكان من الحكمة أن لا يتجزئ بالأعين الثلاثة البسيطة بل منحت تلك المئات من العيون بحيث ترى كل عين منها جزءا من الأشياء التى أمامها ، ولقد بحثوا و أكتفى فى هذه الأعين بحثا مدققا فوجدوا أن كل عين لا ترى إلا أمامها . فأما الأولون فقد ظنوا أنها ترى الشئ كله كما ترى الأخريات ولقد وضع (اكتفى) العين المركبة تحت المنظار العظيم ونظر فيها فلم تر كل عين إلا ما أمامها ، وضرب لذلك مثلا فقال : هذه الأعين كأنابيب من الزجاج متجاورة ملونة بالسواد فهل ترى كل منها إلا ما أمامها ؟ وأليس كون السواد فى كل عين وكل أنبوبة زجاجية يحول دون شع النور منها ، ولقد أزال (اكتفى) القرنية والمخروط ليعلم ما حكمتهما وهل تبقى العين مبصرة كماهى أم ماذا يكون ؟ فنظر فيها فوجد الأشباح اقتربت واندمجت وعلم أنه لولا القرنية ولولا المخروط ما وضعت الأشباح للنحلة ولا تخطأ عليها الأشباح وضلت سواء السبيل

يقول (اكتفى) « إن الحشرات ترى الأشباح وحركاتها بسرعة غريبة فإن تلك الحشرات المسودة لتتقبض وتنبسط على حسب مقتضى الأحوال كما أن انسان العين فى الانسان يضيق ويتسع كذلك تبع كثرة النور وقلته وذلك يعين الحشرات على سرعة الادراك والنظر السريع بحيث لا يعجزها حركة العين ولا حركة الرأس فإن الشئ المتحرك تصل صورته الى مئات العيون أسرع من البرق وتحس تلك العيون كلها حركة واحدة بتلك الحركة من جهات كثيرة ، فأسرع فرارها وأبدع خالقها ولذلك ترى الحشرات كالذباب والنمل والنحل سرية الحركة قريبة الحرب من كل حادث قل - أوجلت - « - إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد - أشهد أن الذى أبدع عين النحلة وأفرغ عليها من الحكمة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب غافل . يعطى الأمة التى أراد حياتها رجالا مفكرين وقادة قادرين وحكاما ماهرين وعظماء مسيطرين ويمدّها بنوره وحكمته ويعطهم من لدنه علما فيكون عيونها الصغيرة المستمدة من النور الإلهى العام المحيط بالسكون ثم بكأولهم رحمة ويحفظهم تحت رعايته حتى تعيش الأمة فى سعادة وهناء وحجوب ، وأليس الذى أمدّ النحلة بعيونها هو الذى يمدّ الأمة بحكمتها وعلماها - تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شئ قدير - وهو بالشكر جدير . انتهى يوم الأحد ٢٢ رمضان سنة ١٣٣٤ هـ - الموافق ٢٢ يوليو سنة ١٩١٦ م بمدينة اسکندرية بحجة أبوورده

وهذا ما كتبه الأستاذ الفاضل شوقي بك كبير وكيل ادارة اللسانين الآن الأخصائى فى هذا الفن « لقد رأيتهما وقرأتهما فوجدت جميع الباحث العلمية التى فيها محببة وأنا مترجها بمعرفتي » والحمد لله رب العالمين

— النحل بعد النحل —

ما كنت أعلم وأنا أكتب تفسير (سورة النحل) عدد عيون النحلة ولذلك لم أكتب شيئا فى ذلك ولم أعلم أن عيونها بحسب الظاهر خمس عيون النحلة فاجب لما قرأت الآن من الجواب إذ ثبت أن عيون النحلة خمس منها ثلاث عيون صغيرة مجمعة فى شئ فى وسط الجبهة ، فأما العينان الباقيتان فهما كبريتان واقعتان فى جانبي الرأس وهما المقصودتان بالكلام ، ويقولون « لو كان للانسان هاتان العينان لرأى آفاقا من الأشياء » ويقولون « إن ملكة النحل لها (١٤٠٠) عدسة صغيرة وأما النحلة العادية فإن عيناها الكبيرة تشتمل على (٤٠٠) عدسة (وهذه الأعداد فى إحدى المجلات المصرية فأتأمل) وقوتها كقوة عدسات الميكس

ويقتر الاستاذ (كارل فريش) وهو أكبر عالم في دراسة النمل ان أسعة عين النحلة مثل أشعة (الكس) تخترق الأجسام الصلبة وترها ما وراءها ، وذلك بما ثبته من التجارب ، وهذا ومن اطلع على ملابها في هذا التفسير في إلتاح النبات كافي سورة الحجر وفي سورة البقرة والأنعام في آية - وأرسلنا الرياح لواقح - في الأولى وآية - إن في خلق السحوات والأرض - الخ في الثانية وآية - انفاروا الى ثمرة اذا أثمرت - في الثالثة أدرك أن النمل وغيره من الحشرات تتوقف حياة الانسان على وجودها ، ألا ترى رعاك الله أنه لولا هذه المخلوقات الصغيرة ما أمكن أن تتكثير من الأشجار ، فهذه الحشرات هي الملقحات لها فيها يكون الاعمار والله هو الولي الخلد والحمد لله رب العالمين

الملاحظة الرابعة كيف - قالت نملها بأنها النمل ادخلوا مساكنكم - الخ وكيف سمع سليمان عليه السلام ذلك إلى أعلم أنك أيها القارئ لهذا التفسير تقول ان الحكمة والفلسفة ليس فيها ما يؤيد كلام النملة ولا أن سليمان سمعها ، وكيف يسمع من غير متكلم ؟ وكيف تكلم هي النمل والنمل يسميها ؟ وكيف شعيت هي بحضور سليمان وجنوده ، تقول ذلك في نفسك وتجب فتقول إن هذا جاء به الوحي فلاقول لنا فيه ولكن اذا سمعت ما أتاه عليك الآن تدعش من العلم الحديث والحكمة

اعلم أن الله جعل الأنوار مائة لهذا الوجود ولم يجعل العالم مظلماً بل جعله مضئاً وخلق المرأة لتنظر بها الملائكة من رؤيته ، وفوق ذلك جعل من ضوء الشمس صوراً تبق رسومها الى آخر الزمان وخلق الخواص وهو حقاً - واسع علم - فكان مقتضى هذا أن يجعل بني آدم وجيع الحيوانات تقرأ في مافي صدور بعضها بحيث يعرف الانسان مافي قلب أخيه والحيوان كذلك . هذا مقتضى الرحمة وسعة النور والجمال ، ولعلك توافقني انه كان ذلك أرحم بنا وأنفع ، أقول لنعلم أن هذه الأمانة الآن موجودة فعلا فينا وفي الحيوان . إن بيننا معاشري بني آدم محبة وبغضاء وأمورا كثيرة أشهرها ، وبعض بني آدم أضغفروا القوى الطاهرة فالكشف لهم بعض مافي القلوب وعرفوه بلا كلام ولا تهريف ، وهؤلاء قليل في النوع الانساني وتوافق الخواطر من هذا القبيل ، أما الحيوانات فانها مطبوعة على قراءة الأفكار بطريق الإطعام ، والناس سيأتي لهم يوم يكون المرء مرءاً لأخيه ويحده على بعد عظيم كالالتعرف الذي لاسلاك له ويصبح الانسان عند كشفه لما في نفسه من تلك المنحة علما بما في قلب من يريد التوجه له في المخاطبة القلبية ، فعلى هذا المبحث الجديد يكون قراءة الأفكار عند الحيوانات طبيعية وقد كانت كذلك عند الانسان ولكنه غطاها لما نبغ في الخطاب والسكلام فنامت تلك الميزة وهالك ملابها في الجرائد المصرية يوم ١٨ ذي القعدة سنة ١٣٤٣ هـ - ١ يونيو سنة ١٩٢٥ م تحت عنوان

﴿ التعرف الالاسلكي وتبادل الخطوط ﴾

بحث الاستاذ (برسي) أحد علماء الطبيعة الانجليزي موضوع التعرف الالاسلكي وعلاقته بتبادل الخطوط فكتب مقالا طريفا نقله عن صحيفة انجليزية

بدأ العالم المذكور بحثه بالرجوع الى أن أول من فكر في استعمال الكهر باد لنقل السلام والرسائل هو كاتب انجليزي في مقال نشره عام ١٧٥٣ في (سكنوس مجازين) و بعد ذلك بقرن تكلم عالم آخر انجليزي عن التعرف الكهر بائي وذهب في سياق بحثه الى توقع نقل الرسائل الكهر بائية بدون استعمال الأسلاك . ولئن كان موضوع التعرف الالاسلكي اليوم قديما في نشأته فسيجيء اليوم الذي يصل فيه الجهود الفكرية الى استعمال التليفون الالاسلكي حتى يتخاطب اثنان في طرفي الأرض معا دون اتصال الآتين اللذين يتكلمان بواسطتهما بشئ من الأسلاك البرقية . إن أسهل طريق لتفسير التعرف الالاسلكي هي استعمال الظاهرة الطبيعية المماثلة لاسلاك يهتز بتأرجحات مؤلفة مع النغمة الصادرة من سلك آخر على أن يغشي سلكا التفتين على

وتيرة صوتية واحدة ، فالنغمات الصوتية السارية في السلك الأول تنتقل في الهواء الى السلك الآخر و بفعل تموجات النغم في الهواء ينتقل الصوت الى ذاك السلك ، وهذا في حالة وجود الأسلاك ولكن في التقل غير السلكي يحصل المتكلم على الاهتزازات بواسطة الكهرباء فتنتقل الأصوات بواسطة الأثير (الهوائي) الى درجة لاسلكية متفقة في النغم مع الدرجة الأولى المنتقل منها الصوت ، تنتقل التلويجات الصوتية في الهواء بمعدل ألف ومائة قدم في الثانية ، أما التلويجات غير السلكية فتسير في الهيليوم بمعدل ١٨٦ ألف ميل في الثانية مما يقف أمامه الفكر البشري حائراً لأن الخلاف بين سرعتين في الهواء والهيليوم عظيم جداً ، ويعتقد بعض العلماء اليوم أن تبادل الخواطر هو مستوى القوة التي تمكن الشخص من نقل آرائه الى الشخص الآخر بدون أية واسطة مادية أو ظاهرة ، فهل هذا الرأي ممكن أو محتمل الوقوع ؟ وإجابة على ذلك يقول العالم الانجليزي صاحب المقال ﴿ إن نقل الأفكار قد يحدث في أوقات شاذة وحالات خاصة وذلك مالا يعارض فيه أحد من الباحثين ولكنه لا ينطبق على الحالات العامة وذلك التبادل قد يرى بوضوح بين الحشرات والحيوانات عند اقتراب الحشرة من الأخرى ﴾ ويقول الباحثون ﴿ إن السبب في ضعف هذه المصلحة في الانسان هو عدم استعمالها بعد أن تمكن من الكلام والخطابة ﴾ ويرى كثيرون من الطبيعيين وصاندى الحيوانات والطيور أن ملكة تبادل الخواطر تشتهت ظهوراً كلما تشتت حاجة الحيوان أو الحشرة وإذن يظهر ذلك كثيراً بين الحيوانات في أدنى مرتبة والطيور في جميع مراتبها . أما الانسان فيتركب من خلايا لا عدد لها وسلك خلية من جسمه عمل خاص ولا تتحرك الخلية إلا تبعاً لعمل كيميائى ، ويختلف تفاعل الالكترونات في الخلية من هذا الجسم عن الخلية من الجسم الآخر ، وتبعاً لذلك ترى كل رأى نتيجة لعمل الثقوب الخاطوية في المخ وعن ذلك يحدث التفاعل الكهربائى المضطرب ، وقد يوجد في بعض الأحيان توافق بين خلايا مخين وتجربك تلك الخلايا وعند ذلك تحسب يحدث تبادل الخواطر اه

فانظر أليست ترى أن هذا البحث يقرب هذا الموضوع وبه نعرف أن الحيوانات تكلم بعضها بنقل الأفكار والنمل من هذا القبيل وأن الانسان مستعد لذلك لأنه من جملة مواهبه ولكن هذه الموهبة تحجب تارة بطريق الوسى الخارق للعادة وتارة بالتمرين وهو ما سيحدث فيه الناس كما رأيت والجد لله رب العالمين هذا ما كتبه عند تأليف الكتاب ، وعثرت عند الطبع على موضوع جميل في الكتب الانجليزية ، فهاك ترجمته تحت عنوان

﴿ الحشرات والنمل ﴾

إن الأرض لازدجة بالحشرات وانها كثيرة فيها مختلفة الحجم والأشكال والأنوان وطا من المنافع العظيمة ومن الأعمال الملاحدة ، في الأقطار الحارة تكثر الحشرات الملازمة للطقس لها وأن بعضها لشديد الإذاء والاضرار لنوع الانسان ، وليس من السهل أن يأتى الانسان للحشرات بتعريف جامع مانع وانما يمكن تمييزها عن سواها من الحيوانات بثلاثة أحوال ﴿ الحال الأولى ﴾ انها على اختلاف أنواعها وأجناسها مكتوبة من (ثلاثة أجزاء) الرأس والصندوق والبطن ﴿ الحال الثانية ﴾ انها لا بد أن تمر في أدوار تكوينها في ﴿ أربعة أدوار ﴾ الدور الأول ﴿ أن تكون بيضة ﴾ الدور الثانى ﴿ أن تكون دودة ﴾ الدور الثالث ﴿ أن تكون (فيلجة) أو شرقة أى أن تنسج على نفسها نسجاً حريرياً تنام فيه ألياما كدودة القز ﴾ الدور الرابع ﴿ أن تصبح نامة للتكوين بأجنحة وأرجل تامة الخ ﴾ الحال الثالثة ﴿ أن كل حشرة لها ستة أرجل هذه هي الخواص التي اشتركت فيها سائر الحشرات ، وربما كان أنبل الحشرات وأهمها وأكثرها فائدة النمل ، والبك وصف بعض أحواله وأعماله

﴿ النمل ﴾

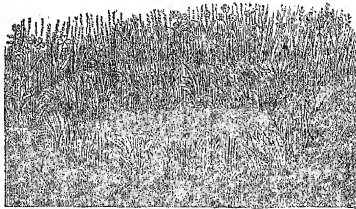
إن النمل ترى في كل مكان في الدنيا ، وهي وإن اختلفت مظاهرها في سائر الأقطار تختلف اختلافًا بينا في طابعها وطرق معاشها في الحياة

﴿ مساكن النمل ﴾

إن النمل لتعيش جماعات كثيرة العدد في أماكن مبنية تحت الأرض أو بارزة فوقها كالأكام ومساكن النمل مفصلة تفصيلًا عجيبًا ومقسمة إلى حجرات مختلفات للنافع والأغراض ، ترى حجرات كبيرات ليعيش فيها النمل ، وهناك الأظفار (جمع ظفر) المربيات للفسفار يعتنقن بهن اعتناء يفوق الوصف اطعامًا وتنظيفًا وترتيبًا كما ترى النساء أطفالهن في نوع الإنسان ، وتحت هذه الحجرات حجرات أخرى جعلها النمل مخازن للبذور والحب إذ تخارًا للقوت في مستقبل الأيام ، وهذه الحجرات متصلة بطرق شاذة الوضع غريبة النظام كما أنها في خارج تلك المنازل قد صنعت طرقًا غريبة توصل إلى مداخل مختلفات

﴿ أعمال النمل ﴾

إن من النمل ما اختص بحمل الحشرات النافعة لفسادها كما يفعل الإنسان بترية البقر والاغذاء بلبنه ، ومنه ما يحارب ويحصد الأعداء في الميدان ويحلب الاسرى ويستخرها في عمل نافع للقالين ، ومنه ما هو فلاح حقيق يزرع الأرض ويحصد الزرع ويخزنه كما يفعل الإنسان ، وهاك صورة للمزرعة النملية وهي الارز النملی (انظر شكل ١١)

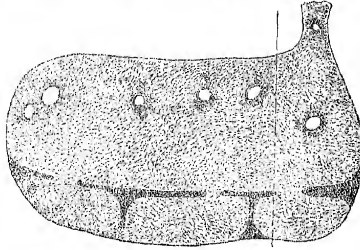


(شكل ١١ - رسم المزرعة النملية وهي الارز النملی)

هذه هي المزرعة النملية بأربع طرق ، وماتراه الآن هو أرز النمل الذي ينمو محيطًا بالمزرعة . إن في الجزائر البريطانية نحو (٣٠) نوعًا من النمل . وفي العالم كله أكثر من ألف نوع مختلفات الأطوار . إن النمل في بعض البلدان تبني مساكنها بجمعة فيحصل ارتفاعها من عشرة أقدام إلى خمسة عشر قدمًا فوق الأرض وتكون بذلك صورة قرية بارزة ظاهرة للناظرين ، وفي أقاليم أخرى تكون النمل قوة مزعجة مهلكة شديدة الخطر على الأحياء ، وقد تكون مستعمرات النمل في دور الكتب فتخطط لها طرقًا ومساكن تسلك سبلها وتذلل طرقها في بطونها ولا يذم ذلك إلا بالانلاف الورق أكلًا وتخريقًا فلا يمضي زمان قليل حتى تصبح المكتبة كأنها لم تكن بالأمس عديمة الجدوى فاقدة المنافع . إن منظر النمل عادي نراه في الحدائق وفي غيرها من الارضين وهن غاديات رائحات عاملات ناهيات كل حين لا يظهر عليهن أدنى ملال أو تعب . إن كل نملة عالة تمام العلم بما عليها من الواجبات قائمة بسبلها حق القيام بكل قوة واتقان ، فإذا حل فصل الربيع شمعت النمل عن ساقها وهبت لمعملها بلا إبطاء ، فلما رأيت ثم رأيت جماعات كالوج غاديات رائحات بين أشجار الصنوبر التي يغلب بناء بيوتها فيها ، وقد اجتمعت الجوع الماشحة فوق تلك القرى والمنازل لانعام بناء مساكنها وبناء العرفات

هوى الحجرات ، إن من الدار ان يلتفت الانسان أو يفكر فى اجتهد النمل فى عمله الجليل ، انظر الى جماعات النمل تحاول ارتفاع قطعة من الخشب وتجد كل الحدة أن تأخذها لاستعمالها مع انها أقل من أجسامهم كثيرا ، وكيف تراهم حول قطعة من الخشب كبيرة يحاولون دفعها تارة ورفقها أخرى وجذبها بقوة ليجمعوها فى المكان اللائق وضعا فيه . إن النمل تأبى كل الإياء أن يطلع أحده على أسرارها أو يتطفل عليها لمعرفة نظامها الجليل فى الحياة ، ولواتفق لك أن اقرب من أحده مداخلة الموصلات الى منازلها رايت الأعمال جارية بأدق ما يتصوره الانسان بحكمة الترتيب وليس فى اتقان أعمالها بأهدى سبيلا منها فى نوع هذا المتطفل الجالس على الأبواب بحمتها الحادة للتصال . النمل مختلفات الأنواع فلا ترى نوعين يتفان فى ظواهر الأجسام ولا فى طرق أعمال الحياة . إن النمل فى الجزائر الإيطالية أصغر منها فى بلاد أخرى وأكبر النمل فى ذاته صغيره . ومن يجب أن يكون صغير الحجم دقيق الجسم وقد امتاز بالذكاء والعلم . ويدهش الانسان من رأس ضئيلة تحوى فكرا قويا متينا . إن للنمل ﴿ خمسة أعين ﴾ ثلاث منهم بسمطات كأنها مثل واثنان كل منهما مركبة من مئات العيون كما تقدم قريبا ، وله زائدتان كالشعر تشبه الرجلين أو اليدين يثبتان على جانبي الرأس يحس بهما ويحاول بهما الأعمال كدراعى الانسان ويديه وأصابعه ، وله فسكان حاذان جدا وأرجلها الست متصلة بالصندوق . إن بيض النمل ينفق ما بين (١٤) يوما و (٣٠) ويسير فى أشكاله التى قدمناها وحيثما تكون دودة أو قملجة (شرقة) تكون خالية من الرجلين والجناحين عاجزة يكفلها النمل الكبير ، ولو رأيت ثم رأيت الآباء يحملن الأبناء فى المهد من حجرة الى حجرة طلبا للدفء والحفظ والقرار . إن الدودة لا تنقلب الى قملجة إلا بعد أسابيع إذ تنسج فيها على نفسها خيوطا حريرية أشبه بما تصنعه دودة الحرير بل كل الحشرات هكذا ولكن دودة الحرير أظهره فى ذلك ثم تنقلب حشرة ناعمة فى آخر الأمر وذلك بعد تمام النسج وتكونها فيه بأيام قليلة ، وبما تلذ رؤيته أن يشاهد الانسان تلك الضالغ وهى الكرات الحريرية قد أخذت النملات الصغيرة تتحرك ، من داخلها وقد شق عليها ذلك فترى النملات الكبيرة أسرع لمساعدتها وحل أربطها وتنظيف أجنتها وفك أربطها من تلك الخيوط . وهذه النملات المساعدات أشبه بالقابلات والأطباء المختصين بالولادة ، تفروج النمل الصغير من النسج الحريرى أشبه بالوضع وعسر الخروج كعسر الوضع والمساعدة هناك محتمة على الآباء فى قرية النمل

إن هذه الدنيا عجب وأى عجب . إن الأمر العظيم . فما هذا الحق والشفقة والحب والمساعدة للذرية النملية التى نطوؤها بأرجلنا ونحققها . وما كنا عن الخلق غافلين . - فبالت شعري كيف غفل عن هذا الجمال المسكون وأوروبا ظفرت به وهم نائمون . اللهم إنك قد وفقتنى أن أؤذى ماعلى لأمة الاسلام فأسألك أن تجعل هذه المباحة عامة فيهم إنك أنت السميع العليم ، واعلم أن النمل يقطع أجنته قصدا متى دخل فى أعمال عظيمة كبناء المساكن وهذه صورة مساكن النمل (انظر الشكل ١٢) فى الصفحة التالية



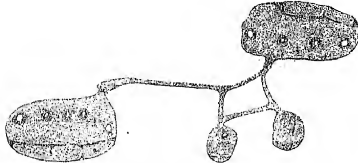
(شكل ١٢ - رسم مساكن النمل)

(شكل ١٣)



(شكل ١٣ - هذا مرتفع قدر ارتفاعه الطبيعي مرتين)

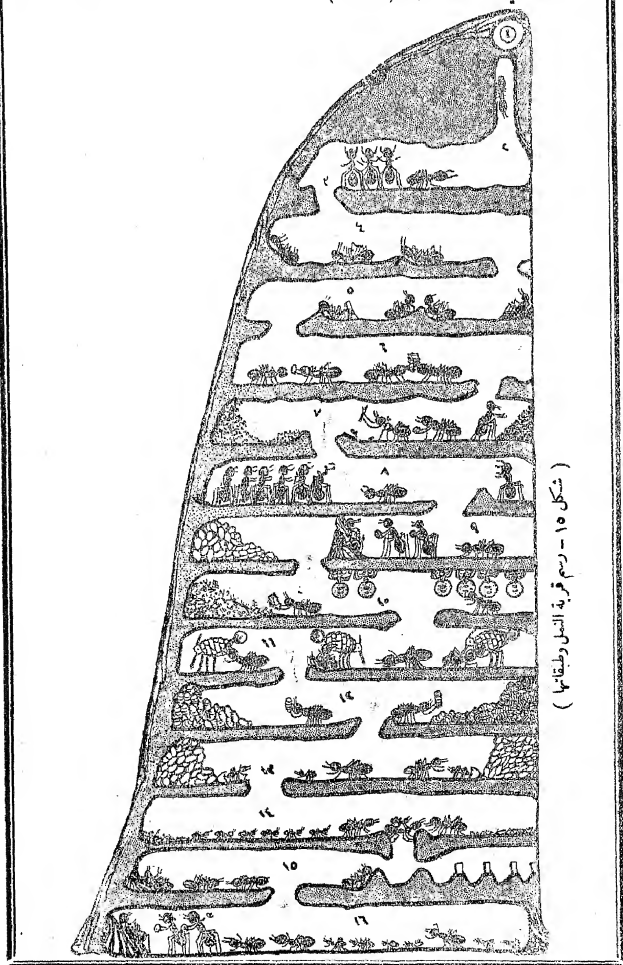
- إن في شكل (١٢) هو أكبرا مرفوعا سقفه على عمد وهذا البهو العظيم المتسع الشكل يفتح فيه ثلاث حجرات صغيرات جدا بالنسبة له وهناك بيانه
- (أ) الأعمدة التي رفع سقف البهو الكبير عليها وحفظه
 - (ب) البهو الكبير وهو أهم ما في المسكن
 - (ج) أجزاء من الحائط
 - (د) الحجرات الداخلة وهي الصغيرة
 - (هـ) البوابة والمدخل العام (انظر شكل ١٤)



(شكل ١٤ - رسم مستعمرة النمل وهي أربعة مساكن)

- (أ) الأعمدة التي رفع السقف عليها (ب) البهو الكبير العظيم الاتساع (ج) الحجرات الثلاثة الداخلة المتصلة بالبهو (د) أجزاء من الحائط (هـ) المدخل الموصل للمسكن (و) الطرق الموصلة من مسكن إلى مسكن انتهى ليلة الثلاثاء (٤) أكتوبر سنة ١٩٢٦ م من (لوتيجمان) الجزء الرابع . هذا وأن أحسن مساكن

النمل وأجلها فيما رأينا هذه الصورة (شكل ١٥)



(شكل ١٥ - رسم قربة النمل وطبقاتها)

﴿ قرية النمل وطبقاتها ﴾

(١) باب القرية (٢) نخلة تدخل القرية (٣) الحرس لمخ دخول القريب (٤) أول طبقة لراحة الهال في الصيف (٥) الطبقة الثانية لراحة الهال في الصيف أيضا (٦) مكان تناول الغذاء (٧) مخزن تدخر فيه الأقوات (٨) مكتبة لجنود النمل (٩) الغرف الملوكة حيث تبيض ملكة النمل (١٠) اسطبل لبقرة النمل مع علفه (١١) اسطبل آخر لخلق البقر (١٢) مكان لتفقد البيض عن الصفار (١٣) صفار النمل ويبيضه (١٤) صفار النمل (١٥) مشق للنمل ، وفي العيين جبانة لدفن من يموت (١٦) مشق المسكة واعلم أن ما تقدم الآن هو شرح لما في الصورة المتقدمة أى شكل ١٥

ثم انه لما اطلع على هذا أحد الفضلاء قال لقد أحسنت صنعها وشرحت صديرا وأسمت للعالم ذكرها . إنك قد شرحت طرق النمل ومزارعه ومسكنه وأفضت فيه ورسمته وأدبت الواجب في ذلك ، فلم لم ترسم نفس النملة حتى تطلع على أجزائها وأعضائها وتدرسها حتى دراستها . فقلت له لقد طال المقال وأنا أحب الاختصار لأن المقام مقام تفسير فقال عجبا لجوابك وما أقرب به الى المواردية ، كيف اعتبرت بالعرض وتركته الجوهر . إنك أرى نفس مزارع النمل ورسمت الطرق والمسكن والطرائق والمستعمرات بل ذكرت عددا للأرجل والأجزاء التي ركب منها النملة وهي ثلاثة وذكرت درجاتها الأربع في النمل ، فلم رأيتك رسمت المسكن والمزارع وتحاشيت رسم النملة . فقلت له إن النملة يعرفها الناس ولكنهم قط لم يعرفوا مسكنها ولا مزارعها وإني أقول لك الحق انني كنت منذ أمد قد رأيت رسم الزراعة في الكتب الانجليزية ثم مضت عشرات السنين وأنا أقول في نفسي أين هذا الرسم ، ولما قرب طبع تفسير هذه السورة وقع الكتاب في يدي مصادفة فسررت جدا ورسمته ، أما النملة فإن الناس يعرفونها . فقال . كلا . إن الناس لا يعرفون النملة إلا كما يعرفون أجسامهم فهم في كل وقت يفسدون ويروسون ولا يفسكرون في أجسامهم وعجائبها ، فيسكن يقول أنا أعرف النمل وهو لا يعرفه ، ومن ذا الذي رأى أرجلها الستة أو أعضائها الحساسين الثابتين في جانبي رأسها ، فرسم هذا الحيوان يجعلنا نعرف أجزائه ، إن المسلمين أصبحوا في آخريات الأمم بما فرطوا في هذه العلوم ، وبأبنت شعري كيف يسمى الله تعالى سورة باسم النمل وأخرى باسم العنكبوت والمسلمون يتجهلون الحشرات ومنها النمل وهكذا العناكب ، إن رسم النمل والعنكبوت وأمثالها يسهل على المسلم فهم الحيوان ودرسه والذي يتجلى لي أنك تخشى اعتراض بعض الفقهاء في التصوير ولشدة حرصك على رضا جميع المسلمين راعيت المتشددين فيهم وأنت اذا فعلت ذلك ورأيت قد تركت الواجب وكيف تخشى ذلك وقد ألف أحد المقتنين بمصر رسالة في جواز ذلك (هذا المقام مستوفى في سورة يونس فراجع) فقلت له الأمر لا يحتاج الى فتوى ولا الى تأليف رسالة ومن أجله من يفترى على الله الكذب ويحرم ما هو واجب وجوبا عينيا أو كفاثيا . إن هذه العلوم إما واجبة وجوبا عينيا لازدياد الشكر لله تعالى ، ومعلوم أن الشكر عمل وعمل هذا هو العلم المحب في الله المعروف بقدره فلاطلاع على هذه العلوم يزيد في معرفة الله وفي شكره وهذا واجب على القادر أن الزيادة فيه واجبة على من يقدر وأما فرض كفاية من حيث منافعتها العاقبة كما تقدم في سورة المائدة مشروحا عن الإمام الغزالي مفصلا

ولما ترك المسلمون دينهم وأصوله وعجائب صنعه قبض الله لهم الفرحة فأذلهم ليرجعوا للعلم . فقال زندي في هذا الموضوع . قلت أنت تقول ان المفتي المصري أفتى بالجواز وأنا أقول لك هو واجب ومن حرم من المسلمين الواجب فهو معصية ولم يرد في الكتاب ولا في السنة تحريم النظر الى الظل . فقال وهل الصورة ظل . فقلت إن هذه الصور التي بأخذها المصورون لم يصورها أحد بل صوّرها الله ، ألا ترى انها عبارة عن أشعة شمسية ظلية واصله الى خزانه المصور فيأتيها في لوحة . فهذه الأشعة أو الظلال من الشمس فتسويها في ورقة لم

يخرجها عن كونها ظلا ولم يخرجها عن كون الله هو نفسه الذي رسمها بشمسه . أليس من عجب أن الناس يحتاجون لفتوى على جواز النظر إلى الظل ، وإذا جاز لنا النظر إلى ظل الأشجار فهل يحرم علينا تكرار النظر إليه . فقال . كلا . قلت هكذا هنا هذا ظل أميته ونظرناه حكمه لم يتغير

يقول الله تعالى . والله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال . جعل الله الظل ساجدا لله ، وقال في آية أخرى . ولولم يجمع له ساكننا - أي الظل - وقد أسكن الله الظل في هذا الزمان بالتصوير وإنما أسكنه الله في الأرض ليقوف الناس للعالم . فإن رسم الأشكال بوضع الخلوقات ويطرق عجائبها وأعضائها وبدائعها ، ومن ذا الذي لا يتعجب حين يرى أن عين الخلة ترى في المنظار أعينا تبلغ أمثالث عدا . يراها الإنسان رأى العين . وقد رأيتها أنا بنفسى . هذا هو الظل الساكن الذي أشار الله له في القرآن ، فهذه الظلال قد حفظت لئلا يزبد الناس علما بحمال الله وحكمه وبدائعه والمسلمون وحدهم هم النائمون

فقال صاحبي لقد أتت الحجة على نفسك فهاذا إذن أحجبت عن رسم هذه الصور وأنت موقن أن التصوير الذي جرى الكلام فيه هو الجسم . فأما هذا فليس تصويرا أئمة وإنما هو ظل . فقلت وأرى بك أيضا أن الإنسان يرى صورته في المرآة وهو جائز . قال نعم . قلت فهل إذا دامت الصورة مخوفة في المرآة يحرم ذلك . قال . كلا . قلت فالتاس يستحي في الصور الشمسية قد رجعوا إلى البلاء والجود للخرن . قال إذن قد أنفتقنا فأنا أقول أن التصوير جائز وأنت تقول فوق ذلك إن هذا لاهو تصوير ولا دور رسم بل هو ظل الله أميته فأننا نتصور منك أن نرسم لنا أشكال الحيوان متى لزم . قلت إن شاء الله عسى أن يكون قريبا (هذا الموضوع كتب قبل أن أشرحه في سورة يونس)

هذا ثم أن هذه الطوائف الأربع وما جاء بعدها الواردة في عجائب التل وتركيبه تعرف معنى قوله تعالى - تقسيم ضاحكا من قولنا - وأخذ يدعو الله أن يوفقه . وأنت أيها التكي إذا اطعنا على هذا فاعلم أنه نعمة لك من الله بسبب القرآن وأدع الله أن يلهيك أن ترشد الأمة الإسلامية وتذرع شريك الأفريق وتفهم من حولك من المسلمين حتى لا يضلوا وحتى يعرفوا نعمة الله تعالى . ولما كانت العلوم بها تكون سعادة الحياة ونظام الدول أتبع ذلك بقصة الهدى كما قدمنا فان الأمم لا دول لها ولا نظام إلا بالعلم والعلم يتبعه العمل الذي طرب سليمان أن يوفق له . فانظر كيف أعقبه الله بقوله (وتفقد الطير) وتعرف الطيور فلم يجد فيها الهدى (فقال ما لي لا أرى الهدى) لأنه محجوب عنى بسائر أوجوه ذلك (أم كان من الغائبين) بل أكان غائبا عنى . وإيضاحه أنه لما لم يره ظن أنه حاضر ولا يراه لما لم يره . فقال ما لي لا أرى الهدى - ثم لاح أنه غائب فأضرب عن ذلك وأخذ يقول بل أهو غائب . ثم قال (لأعذب به عذابا شديدا) كنتنفر ريشه ويجعله مع ضده في قفص (أو لأخذن) ليصير به غيره (أو لأؤتيني بساطان .يين) بجمعة تبين غنره . والمعنى أنه يفعل معه أحد الأثنين على تقدير عدم الثالث (فكش غير بعيد) زمانا غير بعيد أو مكثنا غير طويل كما تقول عن قريب . فلما رجع سأله عما لاقى في غيبته (فقال أضطت) علمت شيئا من جميع جهاته (بما لم تحط به) يعني بحال سألني لم تحط بها . وفي هذا الخطاب من الهدى مكافأة لسليمان دلالة على أن الأنبياء وغير الأنبياء في الأرض قد يخفى عليهم ما يعرفه غيرهم . ونظير ذلك ما تقدم في (سورة الكهف) من قول الخضر لوسى مامنه « ما علمني وعلمك وعلم الخلاق بالنسبة لعلم الله إلا كما أخذ الظائر ببقائه من هذا البحر » فهناك أفاد أن علم الخلاق قليل بالنسبة لعلم الله وهنا أفاد أن أعظم علماء الأرض قد يجهلون ما يعلمه أحقر الخلوقة . كل ذلك ليعرف الناس أقدارهم ولتعلم الإنسان من كل أحد وأن ذلك حض من الله للأمة الإسلامية أن يعلموا سائر الناس وأن يشغلوا كل واحد فيا اختصه الله به من القوى والادراك والعمل كما سخر سليمان الهدى لمعرفة الخير فسلیمان يجزع عن الانبياء بخير سبأ وعظماة الدول الإسلامية المستقبلة يجب عليهم أن يوزعوا الأعمال على الناس ويشغلوا كلا بما يناسبه . وإذا كان سليمان استعان بالهدى فليستمن عقلاء أمة الإسلام بجميع الشعب وليعلموه وليجعلوا كلا مختصا

بما خلق له وقد أودعنا هذا في (سورة البقرة) عند قوله تعالى ... لا يكلف الله نفسا إلا ريسها ... فعلى عقلاء أمة الاسلام أن يستخرجوا كنوز الآراء وجواهر الأعمال من جميع الأفراد من انسان وحيوان للعدل مزينة ليست في الهدى . وللهدهد مزينة ليست في الانسان ، وبشكل انسان مزينة ليست في غيره وهكذا الحيوان ومنها ما قاله الهدهد سليمان (وجئتكم من سبأ بنياً يمين) بخبر محقق ، وسأ هو ابن يشجب بن يعرب بن قحطان عليه السلام من سبأ فقال وجعل له عشرة من البنيين ثيامن منهم ستة وثلاثون أوبسة ، ولما قال الهدهد - بنياً يمين - قال سليمان وما لك قال له (إني وجدت امرأة تملكهم) وهى بلقيس بنت شراحيل من نسل يعرب بن قحطان ، وسيأتي في سورة سبأ تحقيق أمرها وأمر سبأ أجعين وهى من نسل يعرب بن قحطان والصميرى ... تملكهم - سبأ (وأوتيت من كل شئ) يحتاج اليه الملوك (ولها عرش عظيم) أى سرير كبير عليه السلام ويقال انه كان من ذهب وقضة مرجع بأنواع الجواهر قوائمه من ياقوت أحمر وأخضر ودرّ وزمرد وعليه سبعة أبيات وعلى كل بيت باب مغلق (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله) فهم كانوا يعبدونها (وزين لهم الشيطان أعمالهم) عبادة الشمس وغيرها من الأفعال والاعتقادات التى لا تلقى فضدهم عن السبيل) سبيل الحق والضواب (فهم لا يهدون) اليه ، وقوله (الايسجدوا) بدل من أعمالهم أى فزين لهم الشيطان أعمالهم ثم بينها باستباح سجودهم لله أى زين لهم عدم السجود الخ عليه السلام وقرئ - ألا - بالتخفيف وهى للتنبيه وبإلتهاد أى ياقوم واسجدوا فعلى أسرى (الله الذى يخرج الغيب فى السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون) وصف الله بما يوجب قوته بوجود السجود له وذلك انه يظهر الغيب وهول ماخفي في غيره ، فأشراق السواكب وانزال المطر وابيات النبات وإيجاد المخلوقات كل ذلك أخرج لما اختبأ عن الأنظار بالظلام والسحاب وباطن الأرض وحالة الامكان فان العالم كان خبيثاً في حال الامكان فظهر بالاجتماع ، وكما أنه يظهر ما اختبأ يعلم ما يخفى ويظهر ققدرته عامة في كل ممكن وعلمه عام في الممكنات والواجبات والمستحيلات ثم ذكر عظمة الله وأبان فضله على عظمة عرش بلقيس فانه اذا شملت قدرته كل شئ وأحاط علمه بكل شئ فلا جرم يكون عرشه أعظم العروش ولذلك قال (الله إلا اله الأورب العرش العظيم) ولقد نسكعشرها وعرف عرش الله اشعاراً بما ذكرناه ، وتقدم في ﴿هود﴾ وفي ﴿يونس﴾ معنى العرش وعظمة عرشها بالنسبة الى ملوك الدنيا وعظمة عرش الله بالنسبة الى جميع المخلوقات (قال سنظر) سنصرف ونأمل (أصدقت أم كنت من الكاذبين) لأننا لاناخذ القضاء بملء لسانه ولا نعمل إلا بعد تجرّبه واختباره وامتحان كما هو شأن ملوك الأمم المدبرين للممالك العظيمة (أذهب بكتابي هذا فألقه اليهم ثم تولّ عنهم) تمنع عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه (فانظر ماذا يرجعون) ماذا يرجع بعضهم الى بعض من القول (قالت يا أيها الملأ) بعد ما ألقى اليها (إني ألقى الى كتاب كريم) لكرم مضمونه وحرصه ولقرابة شأنه لأن الهدهد ألقاه من كوة على نحرها فهذا وجه القرابة فقيل لها بمن هو فقالت (إنه من سليمان) ان الكتاب من سليمان (وانه) أى المكتوب والمضمون (بسم الله الرحمن الرحيم) المقصود (ألقوا على) ألا تنكبوا على ولا تمتنعوا من الاجابة (واتنوني مسلمين) متقادي وهذا الكتاب فيه وصف الله بسفاه الكمال والأمر لهم بعدم التكبر بل بالاعانة (قالت يا أيها الملأ أفنتوني في أمرى) أشيروا علىّ فيما عرض لى (ما كنت قاطعة أمراً) قاضيته وفصلته (حتى تشهدون) تنحسرون (قالوا نحن أولوا قوة) بالأجساد والعدد (وأولوا بأس شديد) نخبة وشجاعة (والأمر اليك) أيها الملكة في القتال وتركه (فانظري ماذا تأمرين) تشهدنا مطيعين لأمرك (قالت) بلقيس محبة لهم على ما أظهرها من الميل الى القتالية بما أظهرها من قوتهم المادية وعددهم وقائدهم قائلة لهم إن سليمان إن قاتلناه ربما دخل بلادنا فأضرب بالأنفس والأموال وأتقى والضباب وهذا قوله تعالى (قالت إن الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة) بنهب أموالهم وتخريب ديارهم واهانتهم وأسرهم (وكذلك يفعلون)

يقول الله إن هذه هي صفة الملوك الفاتحين وهو الحاصل الآن في مصر والشام وبلاد العراق وبلاد فارس والجزائر
ومراكش ، فشكل هذه البلاد لجهل أهلها دخل الفرنج بلادهم وأذلّوهم وقهروهم والجهل علم وصلى الله
أن يرجع لهذه الأمة مجدها واستعلاها ، ثم قالت (وإني رسالة إليهم) رسالة (مهدية) أدفع بها عن ملكي
(فناظره بم يرجع المرسلون) من حاله حتى أعمل بحسب ذلك ومرادى بذلك أن اختبره ألمك هوأم نبي فإن
كان ملكا قبل الهدية ورجع وإن كان نبيا لم يقبل الهدية ولم يرضه منا إلا أن ننسبه في دينه و بلفظ قالت
ذلك لأنها كانت لبيبة عاقلة قد قاست الأمور وسيرتها فأهدت له وصفاً ووصافاً ، وألبست الفلجان لبس الجوارى
بأن جعلت في أيديهم الأساور من الذهب وفي أعناقهم أطواق الذهب وفي آذانهم أقراطه وشوقاً فرصعت بأنواع
الجواهر وحلت الجوارى على خسماثة رمة والفلجان على خسماثة برذون وأهدته حقاً فيه درة غير مثقوبة
وبخرعة معوجة الثقب وبعث إليه لبنات من الذهب ولبنات من الفضة وتاجاً مكللاً بالزبر والياقوت وأرسلت له
المسك والعنبر والعود البلتجوج ودعت المنبرين عمرو ومعه أشراف قومها وكتبت مع المنذر كتاباً تدكر فيه
الهدية وقالت إن كنت نبياً ميز بين الوصفاء والوصاف وأخبرنا بما في الحقي قبل أن تنسجه وأتعب البرة بقا
مستويا وأدخل في الخزنة خيطاً من غير علاج وأمرت الفاسان والجوارى أن يتشب كل منهما بالآخر وقت
مخاطبته لهن وقالت للرسول إن نظرك نطر غضب فهو ملك فأنا أعز منه وإن قابلك بديشة ولطف فهو نبي
فلما وصلا إلى معسكره وعظم شأنه تقاصرت إليهم نفوسهم واستغفروا لبنات الذهب والفضة في جانب ملأوا
من الإهانة والعظمة فوضعوها في فرج قد تركها النبي سليمان على قدر ما أحضروا من اللبائن ، فلما وقفوا بين
يديه تلقاهم بالبشر والقبول والأنس وسألهم عن حالهم وأعطوه الكتاب فقال أين الحق فلما رآه قال إن فيه
درة ثمينة غير مثقوبة وخزنة معوجة الثقب فأمر الأرض فأخذت شعرة ونفذت في الدرة وأمر دودة بيضاء
فأخذت الخيط ونفذت في الخزنة فدعا بالماء فسكنت الجارية تأخذ الماء بيدها فتعطيها في الأخرى ثم تضرب
به وجهها والفلجان كما يأخذهن يضرب به وجهه ثم رد الهدية (فلما جاء) الرسول (سليمان) وحصل ما تقدم
ذكره من نقب الدرة وغيره (قال) للذين عمروا معه من أشراف قومها (أتأتون بمال) وأنا لم أرسل
للمال والمال زائل إنما أرسلت لأعلم الناس الحكمة وأهدتهم الصراط المستقيم (فأأتاني الله) من النبوة
والملك كآرائهم بأعينكم (خبر بما أتاكم) لأنكم لم تؤثروا إلا ما كآؤل من ملكي وأنا أوتيت الملك والنبوة
(بل أتممهم بديتكم فترحون) ولا يفرح الأنبياء والمؤمنون إلا بفضل الله وبرحمته ، فبذلك فليفرح العقلاء هو خير
مما يحكمون من المال (الرجع إليهم) أيها الرسول (فلما أتيتهم بجود لا قبل لهم بها) لاطاقة لهم بمقاومتها ولا
قدرة بهم على مقاتلتها (ولنخرجهم منها) من سبأ (أذن) بذهاب ما كانوا فيه من العز (وهم صاغرون)
أسرى مهانون (قال يا أيها الملأ) أيكم بأيتي بعرضها قبل أن يأتوني مسلمين) لأطعها على بعض ما أنعم الله
به عليّ من الحجاب النبوية والآيات الإلهية لتعرف صدق نبوتي وتعلم أن ملك الدنيا في جانب مجائب الله
وبدائع قدرته يسر وأن حكمه الله أوسع مما يشاهده الناس من آثارها من يجري العادة وأيضاً لأختبر عقلها
حين أنكر عرضها ، ولما كانت الأرواح الأرضية والسموية جميعاً ﴿قسمين﴾ قسم نوراني إلى قسم ظاهري
أرضي والأول أوسع علماً وقوة والثاني محدود العلم والقدرة لا فرق في ذلك بين الأرواح التي في أجسامها في
الأرض والأرواح التي جردت من مادتها سواء أكانت خارجة من عالمنا هذا أم لم ترد له بل عاشت في عالم الأرواح
ولم تسكن أرضاً ، هذه قاعدة مطردة تجدها في كتب الأنبياء وفي علم الأرواح الحسنة التي ملأ الأنظار
وشرحناه مراراً في هذا التفسير بحيث إن الروح الذي كان في أرضنا ونزح من جسمه يصبح وقوته وعلمه على
مقدار أخلاقه وصفاته رفعة وضعة وهكذا جميع الملائكة منهم من هم في أعلى مقام ومنهم من هم أقرب إلى
عالمنا - وما منا إلا مقام معلوم - فكل روح غلبت عليها الآراء الأرضية والأحوال المادية يقل علمها

وقد سرتها على مقتضى ذلك ، وكل روح تجردت من أخلاق أهل الأرض والأحوال المادية وكانت ذات أخلاق إلهية وحس عام ورفعة شأن واقتراب من النور الأعلى كانت همتها وعافوها أوسع على مقدار ما انصفت به من ذلك - وأن الـ ربك المتعالي - ولا يشفي غلتك في هذا إلا أن تطالع ﴿ كتاب الأرواح ﴾ الذى ألفتته فى ذلك ، اذا عرفت ذلك فانك تفهم قوله تعالى ﴿ قال عفريت من الجن ﴾ أى خيث مارد قوى داهية وكان مثل الجبل يضع قدمه عند منتهى طرفه ﴿ أنا أتيك به قبل أن تقوم من مقامك ﴾ أى مجلس قضائك وكان يقضى كل يوم فى الغداة الى نصف النهار (وأتى عليه) على جملة (القوى آمين) على ما فيه من الجواهر وغيرها فلما سمع سليمان ذلك قال أريد أسرع من ذلك لأنه يعلم أن فى الأرواح من هو أقدر على احضاره فى أقرب من ذلك كما علمت مما فصلناه لك لأنهم درجات كاهنهم ﴿ قال الذى عنده علم من الكتاب ﴾ وهو الذى صفت نفسه من ظلمات هذه الأرض وتباعد عن الكبر والحسد والظلم وجميع ما فى عالم المادة وهو مفرم بالعوامل العلوية فهو أرقى من ذلك العفريت من حيث اشراق نفسه وصفاء باطنه ، هذه صفات الذى عنده علم من الكتاب فسواء أ كان هوجو بريل أو ملك آخر أو صنف بن رخصيا الذى هو صديق يعرف اسم الله الأعظم أو سليمان نفسه وسواء دعا الله بقوله « يا ذا الجلال والإكرام » أو قال « يا حى يا قيوم » كما قالت عائشة أو قال « يا لها ولله كل شئ لها واحدا لإلا لأنه لا أنت انتهى برخصيا » أو غير ذلك فلاصل واحد هى نفس مشرقة ملكية أو انسية توجهت الى الله بأى اسم كان أو بهمتها فالداعى اللهم والنفوس الصافية ولاصفاء إلا بالتعالى عن أحوال المادة فلا يملك التفصيل بتعيين الذى أحضره ولا بالدعاء الذى دعا به وقد أدركت سر الحقيقة

خذ ما تراه ودع شأ سمعت به * فى طاعة الشمس ما يفنيك عن زحل
فدع زيدا يقول فى المجالس بأن سليمان مد عينيه ونظر الى اليمن ودعا أصنف فبعت الله الملائكة فجاءوا السرى يجررون به تحت الأرض حتى نبع من بين يدي سليمان ، ودع عمرا يقول خر سليمان ساجدا ودعا باسم الله الأعظم فغاب العرش تحت الأرض حتى ظهر عند كرسي سليمان فقال ما قال ﴿ أنا أتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك ﴾ أقول قد عرفت الحقيقة وستعرف أن هذه القصة من أكبر معجزات سيدنا محمد ﷺ والقرآن فاق ما سألته لك فى شأن نقل الأمتعة من أماكنها بطريق غير طريق المجازات وإنما هو بطريق الأرواح واستحضارها أصبح معروفا ، إن هذه القصة ذكرها الله فى القرآن وقد علم أن الأمم ستعرف هذه الحجاب فأودع هذه المعجزة فى الكتاب لإزید المسهون علما وحكمة وليبعثوا عن عجائب صنع الله ، فلئن نقل عرش بلقيس بطريق المعجزة التى لا يمتدى اليها الناس فسترى كيف تنقل الأرواح الأمتعة من أماكنها على أيدي أكار الحكماء والفلاسفة فى أوروبا ، ولترى أن هذا القرآن فيه أصول الحجاب أودعها فيه لهذا الزمان حتى لا ينفرا المسلم من علم الأرواح وعلم الأرواح يقصد منه تقرب نفوسنا وتقرىبها على ذلك العالم الجليل حتى لا تنفر من الموت ولا تنفر من الأرواح اذا وردت اليهم وتفرح بالموت وتفرح بلقاء الله ، فليجرت فى هذا العلم المسهون حتى يهتدوا بهدى سليمان ، وهل ذكرها الله فى القرآن لإلهادنا ؟ إن سليمان عليه السلام أوحى اليه أن يوجه همة الى احضار عرش بلقيس بطريق العوالم اللطيفة الروحية فحضر العرش (فلما رآه مستقرا) حاصلا بين يديه (قال) وقد تلقى النعم بالشكر على مقتضى سنن المخلصين من عباد الله تعالى (هذا من فضل ربي) ففضل به على من غير استحقاق والاشارة الى التسكن من احضار العرش فى مدة ارتداد الطرف من مسيرة شهر بين نفسه أو غيره (ليبلو أن أشكر) بأن أراء فضلا من الله بلا حول منى ولا قوة (أم أ كفر) فلا أشكرها وأنسب العمل لنفسى فلا امل ولا جاه ولا ذكر حسنا فى هذه الدنيا ولا علم ولا حكمة إلا والله بدلى العبد بها لأن ذلك كله تربية للخلق ، فالنعم الجسمية والنعم الروحية والعقلية كلها مواهب يمتحن الله الناس بها فى نسلها هوى ومن شكرها ارتقى (ومن شكرها فاما يشكر لنفسه) لأن ذلك يستجلب لها دوام النعمة (ومن كفر فان ربي غنى بلا)

عن شكره (كريم) بالانعام عليه (قال نكروا لها عرشها) بتغيير هيئته وشكاه (ننظر أتمتدى أم نكون من الذين لا يهتدون) الى معرفته وإلى الإيمان بالله ورسوله حينما ترى أن عرشها تقترها وقد خلفته مغلفة عليه الأبواب موكبة عليه الخراس فتى عرفت أنه هو عرشها كان ذلك داعية للإيمان بفرقة العرش مقرنة بالإيمان لأن المجزأة مقرونة بسبقه لها الى سليمان فلما دار على العقل والذكاء والنظنة (فلما جاءت قيل أهكذا عرشك؟) وذلك لامتنحان عقلها ولتشبيه عليها لأنهم ذكروها عنده بسخافة العقل (قالت كأنه هو) ولم تقل هو هو لاحتمال أن يكون مثله وذلك من كمال عقلها، ولما ظنت أنه أراد بذلك اختبار عقلها واطهار مجزأة لها قالت (وأوتينا المسلم) بكال قدرة الله تعالى وصحة نبؤتك (من قبلها) من قبل هذه المجزأة (وكنا مسلمين) منقادين خاضعين لأمر الله ولأمر سليمان (وصدّها ما كانت تعبد من دون الله) أى صدّها سليمان أوله عما كانت تعبد من دون الله وحال بينها وبينه (إنها كانت من قوم كافرين) يقول الله تعالى لإعابادتها غير الله التي صدّها عنها أنها نشأت بين قوم يعبدون الشمس ولم تعرف لإعابادتها، وعبادة الشمس وعبادة السكاكب قد شغلت عقول الأمم أجيالا وأجيالا لأن الله أكبر من كل شيء، فإذا كانت الشمس لها فلا يبحث الناس عن أكبر منها، ولما نزل الإسلام والبيانات التي حرمت عبادة السكاكب بحث الناس في أمر السكاكب فأروا الشمس أقل شأنًا من غيرها وأن الله تعالى يريد إيقاف العقول وترقية النفوس البشرية بمثل هذه البيانات التي ترتفع عن المادّة من حيث الخلق ومن حيث العبادة وقد تقدّم هذا في سورة الأنعام، الى هنا تمّ اختبار عقلها وعرف أنها ذكية، وهناك تبدى له أن يعرف ساقيا لأنه قيل له أن رجلها كخافرجار، ولما كان الله تعالى لطيفا حكيما لا يكشف السر ولا يفضح فكانت هذه الأخلاق شنيعة الأنبياء والحكماء والملوك العظام فلا يفضحون أحمدا ولا يخزون بل يتطهرون فيأبديون. بنى قصرا من زجاج أبيض وأجرى من تحته الماء وألقى فيه حيوانات البحر ووضع سريره في صدره مجلس عليه فلما أبصرته ظنّه ماء راكدا فكشفت عن ساقيا وهذا قوله تعالى (قيل لها ادخلي الصرح) الفصر (فلما رأت حبيبتة لكشف عن ساقيا قال انه) إن ما ظنّته ماء (صرح مزمع) مجلس (من قوارير) من زجاج وليس بماء حينئذ سرت ساقيا ومجبت من ذلك فزاد علمها أن ملك سليمان من الله تعالى واستدلّت بذلك على التوحيد والنبوة (قالت ربّ إني ظلمت نفسي) بعبادة غيرك (وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) أى أخضعت له التوحيد والعبادة وهل تروّجها هو من بعد أن اتخذ الحمام والنورة لأجلها فازى بل شعر رجلها وأحبها حبّا شديدا وصار سليمان يزورها كل شهر بأرض اليمن في حصونها أم لم يترّوجها بل زوّجها الى ذى تبع ملك همدان وليس في معرفة الحقيقة كبير فائدة ولكن الرأى الثاني أصح. انتهى التفسير المفضل للقسم الثاني من السورة، وهنا ﴿أربع اطائف﴾

(١) في المهدد الذي أحاط بما لم يحيط به نبيّ علما

(٢) وفي قول بليس - ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون -

(٣) وفي قول سليمان - فما آتاني الله خير مما آتاكم -

(٤) وفي قوله تعالى - قال عفر يت من الجن - الخ

﴿الطيفة الأولى في المهدد الذي أحاط علما بما لم يحيط به نبيّ مع ذكر بعض أنواع الطيور

وأن هذه تشمل عجائب الأسرار في - طس -﴾

تفقد فعل حاض والطير مفعول والفاعل ضمير يعود على سليمان، وقد قلنا في هذه السورة ان السين هي أول حروف سليمان والفاء أول حروف الطير، فهنا ﴿إسمان﴾ وهما سليمان والطير وفعل هو تفقد ونحن أمرنا بالاعتقاد بالأنبياء. ألا ترى الى قوله تعالى - فبهدهم اقتده - نبيّنا أمر بالاعتقاد بهم وسليمان من المقادير هم فأنما أمور بالاعتقاد بهم والاعتقاد لا يكون في الأسماء وإنما يكون في الأفعال والفعل تفقد، فهذه الحروف

الأربعة التاء والفاء والقاف والdal هي السمر المسكون والجوهر المسكون هي الحروف التي وقعت بين الفاء والسين طاء الطائر وسين سليمان وهما الرموز لهما بما في أول السورة - طس - . علم الله أن أمة الاسلام ستنام حوالى (٩٠٠) سنة . نامت الأمم الاسلامية بعد العصور الأولى . ثلاثة قرون هي التي نبضت فيها الأمم الاسلامية فخرت أهل الأرض كلهم وناج السملون شرقا وغربا ثم ناموا ، ولكن كان فيهم أولوا بقية في العلم والدين فظهروا وبرزوا وقتنا دون وقت . بقية الأمم الاسلامية نامون هائمون على وجوههم جاهلون بحال ربهم عاكفون على الرئاسات وطلبها والأموال وجهها وقد أيقظ الله حوطينهم أهل أوروبا والصين واليابان وأهل أمريكا الذين لم يكونوا منذ (٤٠٠) سنة إلا أعما دبت فيهم الطمعية والجهل العمى وبقى المسلمون بين هؤلاء وهؤلاء لاهم في العير ولا في الخير فأكرم الله عليهم في نعمته الكوارث والحوادث والأوصاب الحائلة فيهم من الأمم المحيطة بهم والطائرات المحققة فوقهم والمدافع الموجهة اليهم واستزاف ثروتهم وضياع ملكهم وتغييرهم بالجهالة والتعدي على الدين وعلى الجسد وعلى المال ، ونسمة العلم الذي بدلناهم من الأمم حوطين ومن المؤلفين الذين يقومون بنشر الحكمة والعلم بينهم ليوجهوا همهم الى ما أحاط بهم ، واعلم ان الكوارث والمصائب الحائلة بالأمم الاسلامية لا تفيدهم ما لم يذكرهم بها المذكرون وبرشدهم لها المرشدون ، ومن المنذرات المبشرات هذا التفسير ، وهما أنذا ذكر المسلمين بقوله تعالى - وتفقذ الطير - وقد بينت اني مأثور أن اتفق تفقد سليمان الطير . ولما غاب الهدد قال له - وجئتكم من سبأ بنبأ يقين - إذن التفقد يكون من نتائج اليقين وما الذي جاء به ؟ جاء به الطير المتفقد ، وتفقد ابراهيم النجوم والشمس والقمر بعد أن كسر الأصنام فقال الله لاقوم فيه - وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين - وتفقد رسول الله ﷺ النبات والطير ليصل أصحابه كما في حديث البخاري إذ أخذ يسألهم عن شجرة شبه المسلم فأخذوا يتسكرون في شجر البوادي فلم يصب في الإجابة إلا ابن عمر ولكنه خجل أن يجيب فأجاب ﷺ بأنها النخلة لأنها تموت اذا قطع رأسها ومن رأسها تشرب ، ثم قال ابن عمر لأبيه لقد وقع في قلبي انها النخلة فأفسد عمر على أنه لم يقبله رسول الله ﷺ فأما تفقد رسول الله ﷺ للطير فانه ضربها مثلا إذ قال « لو تكلمتم عن الله حق توكلمه لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خفافا وتروح بھانا » . فهذا التفقد للسموات في قصص ابراهيم ونحوه وأشجر البوادي والطير من رسول الله ﷺ ولطير من سلمان ، كل ذلك تدكيرنا أن نتفقد كل شيء لانفكر كوكبا ولا شمسا ولا قرا ولا طيرا ولا حجرا ولا شجرا إلا تفقدناه وهذا أمر واجب وهذا الوجوب يختلف باختلاف الأشخاص وانما قلت انه واجب لأننا مأثورون بالشكر ومأمورون بالنظر ومأمورون بالفكر ولا شكر إلا بعلم ولا علم إلا بنظر ولا نظر إلا بالتفقد . اذا طق المسلم انه بقوله أنا أمّنت بالله أو ايقنت بالله قد أتمت معاملتي فهو مغرور فسرى له هذا الغرور من شيخه الذي لقنه العلم فأوقفه عند حد محدود خسر عقله وكبه فكبكت الأمة كلها وأحاطت بها الأمم وزلتها ودرستها وأنمتها ، فقبض شيوخ العلم وبعض شيوخ الطرق يلقنون تلاميذهم في ألا تقرأ الكتب غير ما قلنا لكم ونحن نقول . كلا ، أيها المسلمون تفقدوا كل شيء ، ألم يتفقد سلمان الطير ، ولماذا أنزل الينا هذا القول ؟ ولماذا رمز الله لنا بالطاء والسين في أول السورة ؟ لماذا يقول الله لنا في أول السورة - طس - . يقول لنا ذلك لأنه علم أننا ستكون أمة نائمة مئات السنين وسيأتي علينا هذا الزمان زمان العرفان والنور فيسأل الشباب قائلين لم ذكر الله - طس - وهذا ان الحرفان لامعين هما فأى فائدة في ذكرهما فنحن نحبب بأن أمثال هذه الحروف جعلت أشبه بالمفاتيح لفتح مغلف على المسلمين أجيالا وأجيالا واكتشافهم بكتب موزونة وعلوم محصورة وقد عمى أكثر الناس عن قوله تعالى - واشكروا لي ولا تكفرون - والشكر لا يتم إلا بالعلم والعلم عام وعن قوله تعالى - وقول رب زدني علما - فاذا كان النبي ﷺ أعلم الخلق بربه وأمره بازدياد العلم فما بالك بنا نحن فنحن مأثورون بازدياد العلم من باب أولى ، ولهذا كله الرمز بالحروف الأربعة

﴿ كيف يتفقد ، مؤلف هذا التفسير ﴾

أنا إلى الآن لم أتم تفقد نفسي ولا تفقد العالم وأقول تفقدت نفسي وتفقدت السموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى وهذا مذكور في هذا التفسير ، فأما نفسي فاني عجبت لها ، رأيتهما لا تفقد عند حد تهتم طربا لبهجة النجوم والشمس والقمر وقمر بعلام النيسل والنهار والشجر والنجم وما في باطن الأرض من المعادن والمجائب ، لم أجد لها نظيرا في عالم الحيوان ، فيكل طير قانع بما خلق له كما ستره هنا ، فترى الطيور المدجاجة تحضن أولادها وتمتن بصغارها مثل الحجل والحمام ، وترى الطيور ذات الأرجل السكفة كالطير فرحة بالحبوب والخشيش وكذا الأوز والبعجم ، وترى الطيور الشاطئية تمتد منقارها وعنقها الطويل لتتغذى بالزواحف المائية مثل أبق قردان والعلق ففرح بذلك ولا يطلب غيره وهكذا الطيور الحارسة تأكل الطيور الأهلية والسماك وليس لها همة فوق ما عندها ، أرى هذه الطيور كل غاد ورأى يطلب ما خلق له ففرح بما عنده عاكف على مالهيه وأرى الزواحف كالسلاحف قانعة بما عليها من السرعة التي تأوي إليها متى دهمها خطر أو أحست بعطب وهذه هي قلعتهما وحصنها . وأرى التساح من الزواحف اشتدت عنايته بما هو غاية أمنيته وهي يبيضه الذي يدفنه في الرمل على الشاطئ . وأرى الحرياء فرحت بما لديها من القدرة على التوقن ومجازاة ما هو لها في لونه لتعفظ بذلك نفسها وهكذا عما لا تسمه هذه المقالة

تفقدت نفسي فوجدتها مخالفة طي هذه الحيوانات فكل حيوان خاصة لا يبتغها وهو بما فرح وهو بما غفور أما هذه النفس فاني وجدت فيها تسمى لتعرف كل شئ . فبأيتها النفس أخبر بني هـل أنت كل شئ حتى تبحي عنه ؟ فأجابني قائلة نعم أنا قديمة من نور ربى . أنا مرسله إلى هذه الأرض وكل نفس من نفوس بني آدم قد أرسلت إلى هذه الأرض ووضعت في هذه الأجسام وهذه الأجسام ما هي إلا آلات بها تصطاد للمعاني من هذه العوالم وهذه العوالم بها غذائنا وشرابنا ولباسنا ومساكننا وحسناتنا وبحصيل ذلك تقوى عضلاتنا بالحركات وتقوى عقولنا بالتفكير وينتج نفوسنا بالجمال والازينة

ثم إننا نغفر هذه الأجساد في الأرض ونذهب إلى العوالم العليا وكل قد أخذ من الأرض زادا عليا وأخلاقيا على مقدار همة وهناك تكون الدرجات على مقتضى الهمم لا غير

هذا كلام نفسي لي وهذا كله رمز الطاء والسين في أول السورة فطاء الطير وسين سليمان يفتحان لنا باب التفقد كما تفقد سليمان الطير وتفقد رسول الله ﷺ كل شئ فكان قبل صلاة الليل يقف وهو ينظر النجوم ويقول - إن في خلق السموات والأرض - الخ وتفقد الأمم أمة فإرسل لهم رسوله يدعوهم إلى الاسلام وبعد إرسال رسوله أخذ بحارهم ثم تمم أصحابه عمله فتفقدوا الأمم وجاسوا خلال أرضهم من بلاد فرنسا إلى بلاد الصين ثم ناموا ونحن أبناءهم فأخذت الأمم تتفقدنا كما كان آبائنا يتفقدونهم فأصبحت عند تلك الأمم كالطير عند سليمان فسليمان تفقد الطير وآبائنا تفقدوا الأمم وهذه الأمم أخذت تتفقدنا وقد قالوا ﴿ إن أبناء العرب من الأمم الإسلامية الآن قد رجع كثير منهم إلى سكنى القفار الموحشة والصحراء الكبرى ولا يعلمون أن آباءهم كانوا ملوكا لهم دول عظيمة ﴾ هنا من تفقدهم لنا . وإعلم هداك الله أن هذا التفسير من مقتدات نهضات عظيمة سترج الأرض رجا وتقوم أم عظيمة لا يدري إلا الله مقدار عنايتها يعلمون أن هذه العوالم كلها كتاب من الله كتبته لنا ونحن قرائه

﴿ تذكرة بما اتفق لي أيام نال العلم ﴾

إن الذي كان له الفضل في مدرسة (دارالعلوم) هو المرحوم علي باشا مبارك وزر بالمعارف وأقد كان يدخل

البروس بمدرستنا فرحا بنجاحه في إقامة هذه المدرسة . ولقد قال مرة ﴿ ليكن في يد كل منكم (كنشاشا) يكتب فيه كل ما ينع من له بناء شائع أو طير صالح أو نور باهر أو جمال ظاهر أو حادثة غريبة أو مسألة محيية فإن ذلك يكون عذرة له وحكمة تنفعه وقد انتفعت بهذا ﴾

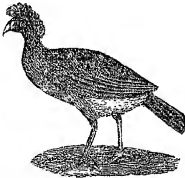
ومما قاله أيضا ﴿ إن العلم لأحد له وليس العلم قاصرا على مافي الكتب فجدوا فيه وتعلموا وادرسوا الدنيا بعقولكم ﴾ أقول وأنا أوصي بهذه الخصلة فإنها خير معوان على الحكمة العامة ومن حافظ على هذه الخصلة من صغره وهو ذو ميل طبيعي للحكمة والعلم والكتابة فإنه مهتأ بالحكمة والعلم ويكون نورا لأمته ويكون أنشأوه نعمة عامة للأمة ويرقى أمته على مقدار همته ثم هو يحس في نفسه بسعادة وجبور وسرور لإبلاغه إلا هو ربه ولأن قصر على هذا في معنى الطاء والسين في أول السورة ، ولأخص تفقدي في هذا المقام بما هو أليق به وهي الطيور فأفقدتها من ﴿ وجهين * الوجه الأول ﴾ أن أذكر بعض عجائبها الفاهرة فأذكر بعض الطيور ثم ما هو شبهها

﴿ الطيور ﴾

الطيور حيوانات قلبية تضع أيضا يخرج منه صغارها بعد التفرج . وحيث أنها ترتفع في الهواء خلق الله تركيب بنيتها مناسبا لذلك فشكل جسمها بأعظم شكل مناسب لثقل الهواء وخلق لها أجنحة بدل الأطراف المقامة وليس لها أسنان وفيها منته بمقار وعلى ذلك تزداد أغذيتها من غير مضغ ولذا جعل الله معدتها قوية جدا وهي (القوامة) وجعل لها حوصلة فيها تالين الحبوب قبل وصولها إلى القوامة ومما أوجد فيها من قوة الإلهام تصنع أعشاشها وترقد على بيضها وتحن على صغارها ومنافعها كثيرة فإنها يستعمل لحمه غذاء ويضه كذلك ، ومنها ما يدفع مضار عظيمة كتبديد الحشرات والديدان المضرّة بالمزروعات وتنقسم إلى جملة رتب

(١) - ﴿ الطيور الساجية ﴾

وهي تشمل الطيور الأهلية التي تستعمل لحومها ويبيضها غذاء وتشمل الساجية المعتادة وهي أكثر الطيور الساجية نفعاً من أجل لحمها الذي يستعمل غذاء ويبيضها الكثير الذي يحصل نفسه صناعة في معامل مخصوصة تسخن إلى حرارة مناسبة كما يحصل ذلك إذا احتضنت الفرخة بيضها ، والساجية تعنى بصغارها بحيث إذا طرأ عليها خطر تجمعهما تحت أجنحتها وتدافع عنها بقوة وأما الديك فلا يهتم بأمرها ، والفراخ الرومية والهندية تنسب للطيور الساجية ، وكذا القيق وذكرة يسمى بحجلوه يعرف أيضا بدجاج البر (انظر شكل ١٦)



(شكل ١٦ - القيق المعروف بالحجل)

(٢) ﴿ الطيور ذات الأرجل السكفية ﴾

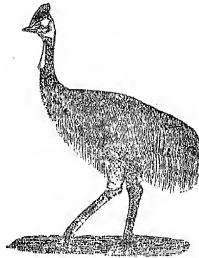
هي طيور يوجد بين أصابع أرجلها غشاء يصير أرجلها كمخازيف وجسمها مستطيل يشبه السفينة وريشها مغطى بمادة زينة تمنعها من البلى بالماء فلا ينقل جسمها فتعوم بسهولة وترغب وجودها في الماء ، ومنها البط ويستعمل لحمه غذاء وغذاؤه الحبوب والحشائش ومنه نوع يسكن الأجزاء القطبية يسمى ايدر (انظر شكل ١٧ في الصفحة التالية) يوجد أسفل بطنه ريش ناعم تحشى به الوسائد الخفيفة ، والأرز المعتاد لا يخاف الباط إلا قليلا في الجسم والطباع . ومنها البجع وهو طير ظريف أبيض يقتنى زينة في الفساق



(شكل ١٧ - رسم الأيدر)

﴿ الطيور الشاذية ﴾ (٣)

هي طيور أرجلها طويلة عارية عن الريش وعنقها ومنقارها طويلان جدا وهذا يساعدها على سرعة الجرى في مياه المزارع لتتغذى بالزواحف المائية والأسماك والديدان وبعضها يتغذى بالحبوب والحشائش ومنها أبو قردان وأبو مغازل واللقاق الذى يفترس الزواحف التى على شاطئ النيل بكثرة ولذا كان محترما جدا عند قدماء المصريين حتى كان عقاب من قتله الإعدام ، والتعامه وهى أكبر الطيور فيصل علوها الى مترين ونصف وتسكن صحارى أفريقيا وبشها يستعمل للزينة مرغوب فيه تضعه نساء الافرنج فوق البرانيط ، والكزوار (انظر شكل ١٨) وهو طير يسكن الهند ورأسه مزينة بقلنسوة



(شكل ١٨ - صورة الكزوار)

﴿ الطيور المتسلقة ﴾ (٤)

هي طيور تسلق على فروع الأشجار بسهولة لتتغذى بالثمار أو بالحشرات التى على الأشجار ولذلك خلق الله أصبعين من أصابعها متهيتين الى الأمام وآخرين الى الخلف وهى مشهورة ببهاء ريشها وغلاء ثمنه وتشمل الببغاء وهى بأنواعها مشهورة بخاصية محاكاة الأصوات ، ونقار الخشب (انظر شكل ١٩) ومنقاره قوى يشق به قشور الأشجار ليأكل الحشرات



(شكل ١٩ - صورة نقار الخشب)

(٥) الطيور الدورية

هي طيور صغيرة بعضها مشهور بحمال صوته وبعضها يباه ريشه وهي تنتقل من اقليم الى آخر ومعظمها يتغذى بالحشرات ، ومنها الببيل المشهور بحسن صوته ، والعنديل والخفاف المشهور بعصفور الجنة وهي تبدد الحشرات الموجودة في الهواء ، والقنبر (انظر شكل ٢٠) وهو طير يتدلى في الثريد في فصل الربيع وهو من الطيور التي تفرّد حال طيرانها ، والغراب والهدهد يتغذيان بالديدان



(شكل ٢٠ - صورة القنبر)

(٦) الطيور الجارحة

هي طيور لا تعيش إلا بالسلب والنهب ، ولما خلق الله جسمها معدّا لذلك فجعلها قوية منقارها كلابتي وأرجلها منتهية بأظافر كلابية حادة وطيرانها شديد وحاسة بصرها قوية جدا تدرك بها فريستها من بعد وهي تقابل الحيوانات الكاسرة من الحيوانات الثديية ، ومنها النسر ويسمى (ملك الطيور) لقوته وشجاعته فيرفع فريسته بين محالبه ، والعقاب طائر كبير عنقه خال عن الريش ، والصقر طائر في قمة الدجاجة وهو أجل الطيور الجارحة شكلا وأكثرها شجاعة وخفة ولما كان يعلم الصيد في القرون الوسطى ، والحداة (انظر شكل ٢١) وهي مشهورة بشراحتها وخطفها لصغار الطيور الأهلية والسماك ، واليوم والمصاص من الطيور الجارحة أيضا لكنها قليلة القوة أعينها واسعة يدخل فيها بالنهار ضوء شديد يحدث غلظتها ولذا لا تطير إلا ليلا ولا يسمع لطيرانها صوت ولذا تستولى على فريستها أثناء نومها بسهولة وهي نافعة جدا لأنها تبدد الحيوانات القراضة الصغيرة والحشرات المضرة والزاحفات (شكل ٢١)

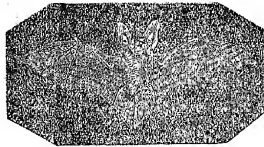


(شكل ٢١ - رسم الحداة)

هكذا ما أردت ذكره من الطيور ليكون تذكرة للذاكرين . فاذا رأى المسلم الطير في شواطئ البحار أو فوق رؤس الجبال أو في الحدائق الغناء فانه لا يأمن بها أنسا علميا إلا اذا عقل الفرق بينها وبين بعض خواصها كالذي ذكرناه هنا . ومتى عرف ذلك وغيره أصبح في بهجة وصارت العوالم حوله جنة أعنت له في الدنيا وله في الآخرة مزيد

(٧) الحيوانات الشدية ذات الأيدي الجناحية

أما ما يشبه الطيور فهو « الخفاش » وهو من الحيوانات الشدية ذات الأيدي الجناحية أو الوطواط ويتميز بوجود ثنية من الجلد تمتد بين أطرافه المقامة والخلفية على شكل أجنحة بها طير كالبطير (انظر شكل ٢٢) وهو حيوان يهرب من الضوء بالنهار اضعف بصره وقد عوّضه الله قوة في إحساسه ويتغذى بالحشرات ولذلك هو نافع وهذه صورته

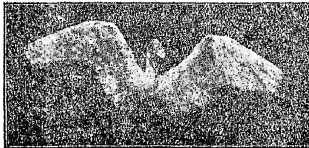


(شكل ٢٢ - صورة الخفاش ، انتهى من كتاب المختصر المفيد)

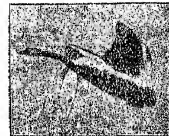
« الوجه الثاني » أفقد طيران الطيور كي يفتح باب الطيران في الأمم الاسلامية ليشاركوا الأمم في الطيران وقد جاء في « مجلة الجديد » مانسه

« طير الأوز العراقي الذي هو معجزة من معجزات الطبيعة »

ليس عجيبا أن نعوم الأوزة فان تكوين جسمها على شكل قارب ، ولكن ما يثير العجبة عند العلماء كيف انها تستطيع أن تخلق في الجوف بهذا التكوين العجيب بل تطير بكل سرعة وسهولة مع انه لو صنعت آلة ميكانيكية على مثالها لكان من المستحيل أن تطير بالنسبة لتركيبها المربك . ولما كان العلماء والمختصون يقتبسون على الدوام من مدهشات الطبيعة و يصنعون على مثالها فقد توجه التفات بعض العلماء الى دراسة طريقة الأوز في الطيران لاقتباس ما يمكن أن يكون له فائدة عظيمة في تقدم الطيارات (انظر شكل ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٦ و ٢٧)



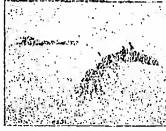
(شكل ٢٤)



(شكل ٢٣)



(شكل ٢٧)



(شكل ٢٦)

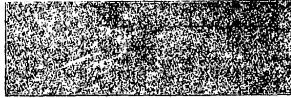


(شكل ٢٥)

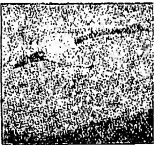
ويلاحظ عند محاولة الأوز للطيران أنها تنهض من الماء ملوثة بجناحيها في الهواء بحركة مختلطة بين السير والطيران مادة رقبته الطويلة الى الأمام ، ولاتلبث حتى تنتظم حركات جناحيها وتندفع بقوة الى الاتجاه الذي تريده فيكون عنقه الطويل الممتد هو الحافظ لتوازن جسمها في الجوّ وليس عليها إلا الاستمرار في تحريك الجناحين وضغط الهواء الى أسفل ولذلك تحصل جناحيها ينحنيان كثيرا نحو الأرض ، فهل يستطيع الانسان أن ينقل عن الطبيعة شكل هذه السفينة الهوائية العجيبة ؟ ذلك ما سيرهن المستقبل على إخفاقه أو نجاحه (انظر شكل ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ و ٣١)



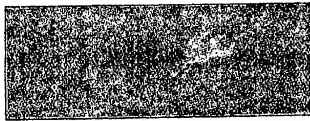
(شكل ٢٩)



(شكل ٢٨)



(شكل ٣١)



(شكل ٣٠)

ومن نقدي للطير ما قرأته تحت هذا العنوان في نفس المجلة

(الحرف والفنون والصناعات عند الطيور)

ألقى الأستاذ (كانلان) محاضرة على عدد كبير من علماء فرنسا وأعضاء الأكاديمية عن حياة الطيور وطباعها وغرائزها ، ومن أغرب ما ذكره في محاضرته أن لكل نوع من الطيور استعدادا خاصا للحرف والصناعات والفنون ولكنها تختلف عن الانسان بأن الطير لا يزاحم أنواع الطيور الأخرى ولا يحسن غير العمل الذي تمليه عليه غريزته . وقد ضرب الأستاذ الأمثلة على ذلك فقال (إن الغراب يشبه عمال المناجم فهو لا يجيد إلا الحفر والتنقيب ، والحمام الزاجل بما عرف عنه من الميل للأسفار الطويلة يمثل المولودين بالرحلات من

بني الانسان والبلبل بتغيره يؤذي بين الطيور فن الفناء والطير المسمى (روسبول) يشبه البوميين في التشرد وعدم الاستقرار في مكان ، فتراه يوما يهاشر نوع (الكنتاري) من الصافير وتجسده في يوم آخر قريبا من خلية نخل ﴿ على أن الطيور لم تحرم من مهرجين ومضحكين إذ يقول الاستاذ (كانلان) ﴾ إن بين العصافير فضيلة زرقاء اللون دأبها الاتيان بحركات بهاولانية مضحكة ، ويلحق بذلك ماقراته أيضا وهو ﴿ هجرة الفيران من إنجلترا بقيادة فأراعى ﴾

يرى التاريخ كثيرا عن مهاجرة الفيران وانتقالها على شكل قطعان كبيرة من بلد الى آخر وتدميرها مآجدها في طريقها حتى تأتي على الأخضر واليابس ، وقد حدث أخيرا في إنجلترا على أن تزول الأمطار الغزيرة في منطقة (لي) أن هاجرت الفيران في تلك المنطقة فسارت في طريق (ابدموتون) صفوا متلاصقة يقودها فأراعى ، وكان هذه القطعان النائرة الجائعة منظر يلقى العجب والجزع ، تغلاها الطريق من المارة وركاب السكك حتى الكلاب المعروفة بجرائعها وشجاعتها لم تلك أنفسها من الخوف والتعشي عن الطريق لهذا الجيش المغير وانتهت هذه الهجرة عند غابة شاسعة صادفتها الفيران في سيرها ففترقت في نواحيها ومسارها اه

(صر من أسرار الطاء والسين)

(هذا السر قد تين يوم السبت (١١) مايو سنة ١٩٢٩ م)

إن هذه السورة قد ذكر الله فيها اثنين من الأمم وهما أمة النمل وأمة الهمد والهمد من دواب الأرض والهمد من أواع الطير الذي يطير بجناحيه ، أفليس هذا كالتطبيق على آية الأنعام إذ يقول الله تعالى - وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم - فمن دواب الأرض النمل التي تبسم سليمان صاحبها سمع قولها ، ومن الطائر الذي الجناحين الهمد الذي سأل عنه . إن الله يوفق المسلمين بهذا فيقول لنا استيقظوا أيها النائمون . هذا نبي من أنبياء بني آدم وهذه أمم أمثالكم ولجلافة قدر هذه الأمم أهم لها هذا النبي لا يظلمكم . لا ترون انها أمم أمثالكم والمثلية في هذا المقام يجب أن تسترعى أفعالكم ، فهل هذه المثلية تمر عليكم مرور النسيم على الحساء . ألم بأن لكم أن تعرفوا أن دراستها واجبة كدراسة الأمم حولكم والأمم الإسلامية التي تعيش وتموت وهي جهالة نظام الحشرات كالنمل ونظام الطيور كالمهد ونظام أمم الأرض الأخرى ولو اجالا مستعدة للطاعة الكبرى والنبلة والوقوع في بران الاستعمار كاجهات الدولة العباسية أمر أمة التار المجاورة لها أيام (قطب أرسلان) وكاجهات المصريين قسرة الفرنسيين أيام احتلالهم أرضهم كقمة منذ ذلك فكان هلاكهم على يدهم . وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون -

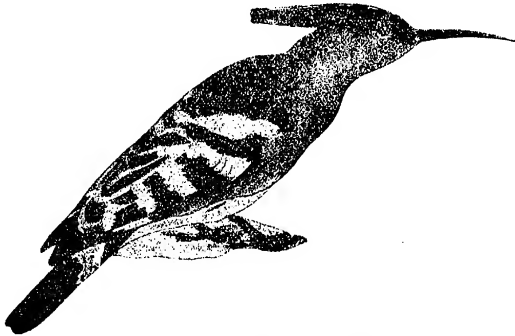
اللهم انك بحرفي الطاء والسين المشيرين للظائر ولسلطان قد أيقظت فينا ذكرى جهلنا بعوالم الطير وعوالم الحشرات فقد تقدم قريبا في ﴿ رسالة عين النملة ﴾ أن في أوروبا علما يسمى (أنثومولوجي) أي علم الحشرات فهذا العلم اليوم يدرسه القوم في أوروبا ونحن نستمد من علومهم كما تقدم (ستري) إن شاء الله صورة النمل مع صورة العنكبوت في سورة العنكبوت للوازنة بينهما

وأما الطيور التي تقفدها سليمان وخاطب منها الهمد فان الأمم حولنا درستها دراسة نامة ، لماذا هذا ؟ لأن حياتنا لاتم إلا بمعرفة خواصها وأحوالها . ألا ترى الى ما ذكرته لك في أول سورة يوسف ، أذكر لك بما كتبه هناك واني قد كنت مفكرا في أمر الدودة التي كانت تفتك بالبرسيم والذرة وغيرها واني كنت أرى (أبا قردان) في لبنان صفرى يأكل هذه الدودة - أكلأما - وأخذت أجمع آراء الفلاحين وأنا مدرس بالمدارس الأميرية وكتبت مقالة في ﴿ مجلة الملايئ العباسية ﴾ سنة ١٩١٢ م فأصدرت الحكومة بعد ذلك أمرا بعدم صيد (أبي قردان) ثم درس رجال الزراعة بقية الطيور فأصدروا أمرا بتحريم صيدها ، ومنها الهمد الذي

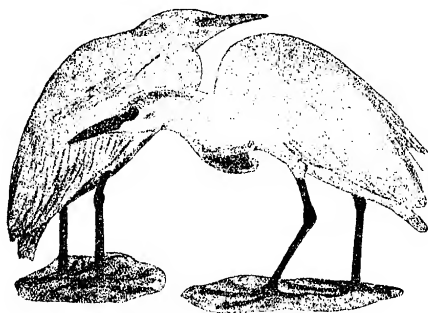
خاطبه سليمان عليه السلام

سبحانك اللهم وبحمدك ، أنت الذى جعلتنا وجعلت الطيور وجعلت الحشرات أمما مشتركة فى العمل ، أنت أشركت معنا الهدهد وأبقردان والرفراق الشامى والرفراق البلدى وغيرها ، جعلت هذه كلها شركاء لنا فى زرعنا أى انهما مساعدات لنا على زرعنا . فلولاهذا الهدهد وأبقردان وأنواع من العصافير وغيرها مما تقدم مصورا مشروحا فى أول (سورة يوسف) ما تم لنا زرع ولادرت بيننا ضرع

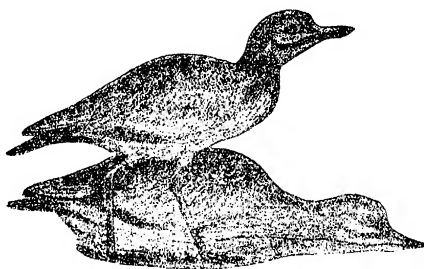
اللهم أنت المحمود على النعم . أنت معلم الجاهل ومعلم العلماء . أما العلماء فهم الأمم التى سبقتنا بالعلم وانتفعت بعلوم آبائنا وهم الأمم الغربية والأمريكية وأمة اليابان ونحوها . وأما الأمم الجاهلة فهم أكثر المسلمين الحاليين هذه الأمم التى نفرت من العلم وقنعت بالجهل وكذب عليها صغار الشيوخ فرمزت لهم بهذين الحرفين - طس - فرأوا الطاء فى أول الطير والسين فى أول اسم سليمان عليه السلام فاستيقظوا الى علوم الطير وعلوم الحشرات ورأوا أن الهدهد وأبقردان والسكروان والرفراق البلدى (انظر شكل ٣٢ و ٣٣ و ٣٤ و ٣٥) التى تقدمت هى وغيرها فى (سورة يوسف) هى المساعدات للناس فى حفظ زرعنا ، وقد منعت حكومتنا المصرية الناس من صيدها لحفظ زرعنا . إذن خطاب سليمان للهدهد إيذان بما فيه وفى أمثاله من المنافع وانه مساعد لنا فى حفظ زرعنا لأنه يأكل الدود الأكل لزرعنا ، فله علينا الحفظ والكرامة بل يحرم قتله هو ومأمعه من الطيور لأن قتلها قتل لنا وان لم يتضح بأجلى بيان فبإعانة إلّا فيما كتبناه فى هذا التفسير . هنالك عرفنا يا الله حكمة انزال قصص سليمان مع الهدهد وأن له ولجميع الطيور شؤنا لاتعرف إلا بالدراسة كما للحشرات ولجميع دواب الأرض وأن المسلمين لاحتياة لهم اذا جهلوا الأمم حو لهم من بنى آدم ومن دواب الأرض ومن طير السماء هذا سر من أسرار الطاء والسين والجد لله رب العالمين



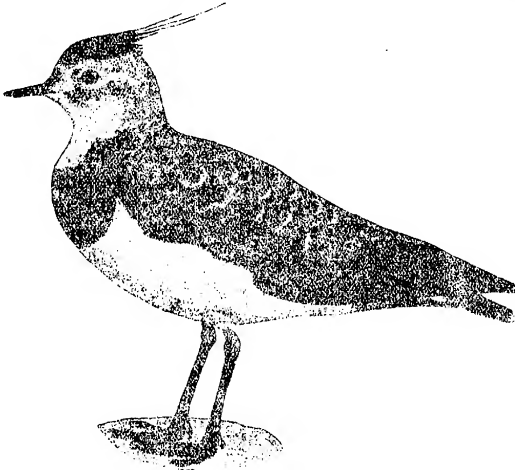
(شكل ٣٢ - صورة الهدهد)



(شكل ٣٣ - صورة أبنى قردان)



(شكل ٣٤ - صورة الكروان)



(شكل ٣٥ - صورة الزقراق البلدى)

﴿ تحريم صيد هذه الطيور ﴾

أبها المسلمون هذه الطيور المذكورة هنا مع المهدد وهي (الكروان والزقراق البلدى وأبوفردان) هذه الأربعة من طيور تبلغ فوق الثلاثين عدا تقدم ذكرها في (سورة طه) هي التي تأكل البود ﴿ وعبارة أخرى ﴾ هي تساعدنا في زرعنا ، فهل يليق بالمسلم أن يعيش ويموت وهو لا يعلم ما ينفعه من الطيور وما يضره وتكون حياة الطيور وموتها تابعين للمصادفة العمياء والناس يعيشون بالأعمى ولاهدى ولاكتاب منير هذه الطيور آكلات للبرد وبأسكلها للبرد ينجوزرعنا ونجوزرعنا نعيش وهناك نعيد الله ونقوم بالأعمال النافعة ومالائهم الواجب إلا به فهو واجب . هل يرضى المسلم أن يكون هو المختص بالجهل دون الأمم . الناس في الشرق والغرب يدرسون هذه الطيور وحكوماتهم الناهضة تحرم صيدها ، وأنا أقول إن هذه الطيور متى ثبت نفعها لزرعنا حرم صيدها حتما ، وإذا خالف في هذا مذهب من المذاهب بخلافه هنا يزول متى ثبت ضرر هلاك ذلك الطير . هذه مسألة واحدة من آلاف المسائل في هذه الحياة نام عنها المسلمون قرونا وقرونا جهلا وغفلة عن خطاب سليمان عليه السلام للمهدد اذ اعتبره أمة من الأمم ، وكفى في الجوف وفي الأرض وفي أضواء الكواكب وفي العناصر من علوم قصر فيها المسلمون نازكين قوله تعالى - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - وقوله تعالى - وقل رب زدنى علما - انتهى

﴿ من أعجب أسرار الظواهر والسين - طس - ما خطر لي ليلة الاثنين ١٣ ماير سنة ١٩٢٩ م ﴾

سبحانك اللهم وبحمدك ، أنت المنعم ، أنت المثل ، اللهم أيدتنا وعاملنا فلك الفضل ولك النعمة ولك الحمد جعلت ما بين الظاهر والسين علوما وعلوما ، ومنها ما أذكره الآن وهو أن نفقد سليمان للطير وكلامه مع المهدد

بعد أن سمع كلام الخلة يفتح لنا باب السياسة والعلم على مصرعيه ، ولأذكر من ذلك ﴿ أسرين ﴾ الأمر الأول ﴿ ان الأمم لاتكون اسلامية حقيقية إلا اذا قطعت اسمها الخلة واصطل المهدد ، أما عمل الخلة فانها حافظت على دوائها من المفاجأة ولومن غير قصد خذرت قومها من سليمان وجنده ، والحق يقال أن الأمم التي لايمون لها ولاجواسيس تتدخل الأمم كلها فتعرف الخطار فتتوفاه أحقر من النمل وأولئك أضل من الأنعام . فإلحاح أمة اسلامية تنزلت عن الخلل في سياستها بترك الخنزير ، ألم يقل الله - خذوا حذركم - وأكد ذلك بأن الخلة خذرت قومها من نبي من أنبياء الله لايقصد اضرارها ، أما عمل المهدد فانه كشف أحوال أمة أخرى . إذن لابد من ﴿ أسرين ﴾ محافظة على الدولة وكشف لأحوال الأمم الأخرى والعلوم ﴿ الأمر الثاني ﴾ ان مخاطبة المهدد لسليمان كانت بغاية الحرية فانه يقول له (وهو يملك ذبحه وتنف ريشه وجسده واذلاله) - أعطت بما لم تعط به - الخ فهذه الخصلة تدل على حرية نامة ولم ينزل الله هذا إلا ليعلم أهل الأرض قاطبة أنه لا يمكن استخراج قوى النفوس الانسانية إلا اذا كانت متمتعة بحرية الرأي كما يتمتع المهدد بذلك ، فأما اذا صغرت نفوس الناس من الضغط والذل في أي أمة فإن الانسانية العامة يعثرها نقص بمقدار ما فقدت من قوى كانت كاشنة في تلك النفوس . فغرت ثمرتها كما أوضحت في كتابي ﴿ أين الانسان ﴾ وعلى المساهين أن يبدوا هذه الحرية ويستخرجوا آراء المساهين بها ثم يعاونوا عليها في الأرض كلها اه

﴿ السلام على المهدد تفصيلا وعلى فن الطيران في عصرنا الحاضر ﴾

ذكر الله المهدد وانه أخير سليمان بما لم يحط به علما ، وهذا فتح لباب فن الطيران وهذا الفن هو سلطان الأمم اليوم ، يا محبا ، مهدد يذكره الله في القرآن ويخبر سليمان وهو نبي بما لم يحط به علما ، فإياك بنا نحن الذين لاعلم عندنا فتحن أخرى أن نحصر على المواصلات بيننا بكل طريق وسبيل ممكن ومنه فن الطيران إن منشأ فكرة الطيران كانت عند الأمم كلها قديما ، واتى أذكرك أيها الذي بماسر في سورة المائدة عند ذكر القرباب وابن آدم وأن الهواء أخف من الماء (٨٠٠) مرة والبخار أخف من الماء (١٧٢٨) مرة ولذلك نرى السحاب يرتفع في أعلى الجوّ ، ولاجزم أن قاعدة (أرشميدس) لها السلطان على هذه العوالم فانك ترى أن الجسم في الماء يخف بمقدار حجمه من نفس الماء ، ومعنى هذا أن الحديد والنحاس والحجارة وغيرها اذا غمست في الماء فقدت من وزنها مقدار حجمها من الماء وعلى ذلك لايعوم السمك على وجه الماء إلا اذا نفخ الكرة الهوائية الداخلة في جسمه حتى يكبر حجمه ويكون وزنه قريبا من مساواة وزن حجمه من الماء فاذا ضغط السمك كرهت الهوائية نفخ الهواء صغر جسمه فصار أثقل من مقدار حجمه من الماء فنزل الى أسفل وهذه القاعدة هي التي استخرج العلماء بها الوزن النوعي للأجسام فيقال هذا المعدن وزنه النوعي (٥) أو (١٠) أو (١٣) وهكذا أي انه أثقل بما يساوي حجمه من الماء بهذه المقادير ، وهذه القاعدة نفسها تدبر على ما يطير في الهواء ، فإياك البالون الآتي ذكره إلا على هذه القاعدة أي أن يكون الحجم الطائر في الهواء أخف منه كما أن السمك يكون أخف من الماء حتى يعوم . إذن هذه قاعدة واحدة في الهواء والماء ولكن النوع الانساني لم يقف عند هذا الحد فقال - كلا - لابد لي أن أفلد الطير ، الطير جسمه ثقيل فعلى أن أطيّر بجسمي الذي هو أثقل من الهواء مئات المرات وعلى أن أدرس الطير في الجوّ وأعلم كيف يتمكن من الطيران وجسمه أثقل من الهواء ، راسم فنزل الشعراء وأدخلوا في غزلهم انهم يطيرون الى أحبابهم بأجنحتهم ويقول شاعرهم

أسرب القطا هل من يد ير جناحه * لعل الى من قد هويت أطيّر الخ

ولقد ورد في قصة حسن الصائغ المصري وصف الطيران الخيالي بالآثواب والريش وهكذا ، وفي آداب اليونان انهم كانوا يشيرون الى استخدام الأجنحة وتقليد الطير . وفي الآثار المصرية من صورهم بصورة أناس

ذوى أجنحة ثم انتقل الخيال الى العمل

(١) في القرن السادس عشر حاول رجل ايطالي الطيران فسقط وكسر عظامه ومات

(٢) وفي القرن السابع عشر فعل مثله رجل ألماني فمات

(٣) ومثله مسنر (كيزفرنسوس) في القرن الثامن عشر فلم ينجح

(٤) ومثله عباس بن فرناس صاحب الصحاح كما هو معلوم

ههنا دخل النوع الانساني في الجدة والعمل بعد الخيال وأخذوا يدرسون الطيور فأقول من درس الطيور وحركاتها (بورلي) سنة ١٧١٣ فدرس حركات عدة أنواع من الطيور وعضلاتها الصدرية فأفنى بججز الانسان عن الطيران ، ولما تبين للناس من ذلك رجعوا الى فكرة المناطيد المبنية على نظرية الخفة والقل التي ذكرناها وقتئذ بما نقله (جان بير بلانشاد) الفرنسي في أواخر القرن الثامن عشر الذي قطع بحرا المانش من (دوفر) الى (كاله) في المطاد سنة ١٧٨٥ م ولكن الانسان لم يأس من فكرة المشاكلة للطيور فقام (ليليا تال) بمتحن قوة الطيور ثانيا فظهر له أن هناك سرا آخر غير قوة العضلات في الطائر وهوان يخوم الطائر في الجو فاذا قدر الانسان أن يصعد الى الجو بقوة رافعة وأخذ يحوم فان ذلك يفتح له باب الطيران ، وذلك بعد أن درس الطيور عشرين سنة ولكنه مع حجة نظر بته قد مات ضحية التجارب سنة ١٨٩٦

ومن المعلوم أن الانسان كله أشبه بجسم واحد ، فإذا حصل ؟ تنبه لهذا العمل الشاiban الأمريكيان (ويلبور وأورفيل رايت) وأخذوا يصنعان الطيارة المنبسطة الأجنحة المسيرة بالقوة ويحسنانها حتى سنة ١٩٠٥ فطارا أحدهما في الهواء مسافة (٢٤) ميلا في مدة ثمان وثلاثين دقيقة ، فهذا أول النجاح في الطيران

وقد اشترت حكومة الولايات المتحدة : « طيارة رايت » بمبلغ ٢٥ ألف دولار للمخترعين معا . هنالك ظهر فن الطيران وشاع في سائر أنحاء العالم فظهر أن طيران الطير في الجو له نظام خاص ، فن الطير ما يجري أولا على الأرض ثم يطير قليلا قليلا ويصعد وذلك لأنه يرفع جناحيه بخلو المسكان من الهواء فيحلب محله هواء آخر مما يحيط به ، فهذا الهواء بهجومه على جناحي الطائر يرفعهما الى أعلى فاذا أعاد الكرة مرة أخرى ورفع الجناحين زادت قوة الرفع والهواء الهاجم على الجناحين . إذن سر الطيران راجع لأمر عجيب أي حسن السياسة والنظام تخفض الجناح ورفعه أشبه بالراوح التي يترك بها الهواء والهواء بعد الرفع بهجم فيعطى قوة وهذه القوة تضرب طيرين بحجر ، أولا ترفع الطائر بضغطة على الأجنحة الى أعلى ، وثانيا تدفعه الى الأمام لأن الهواء الهاجم انما يأتي من الخلف لأن الطائر حينما يخفض جناحيه يرجع الهواء الى خلف فاذا رفع الجناح هجم الهواء الخلفي على الجناح بمقدار دفعه ، فهو إذن يرفعه الى أعلى ويدفعه الى الأمام معا . إذن يأس الناس من الطيران أولا ناشئ من اعتقادهم أن قوة العضلات هي السبب ونجاحهم ثانيا بسبب ما عرفوه في سنة ١٩٠٠ أن هناك سرا غير القوة الجسمية كالسر الذي عرفوه في البخار وحسن استعماله ، فهنا الارتفاع في الجو والسرعة الى الأمام جا آدها بالحكمة في استعمال الهواء وحسن النظام الذي وضعه الله في الطير . فلما عرفه الانسان فعل مثل ذلك ولذلك نجد الطيارة يجب أن تجري على الأرض أولا ثم تأخذ في الارتفاع قليلا قليلا بما تفعله حركاتها من الأمام كما تفعله أجنحة الطيور

﴿ الاحتفال بهذين المخترعين في هذه الأيام ﴾

جاء في الأخبار العامة هذه السنة ما يأتي

في ١٧ ديسمبر سنة ١٩٢٨ احتفلوا بمضى (٢٥) سنة على تجربة الأخوين (ولبر) و (أورفيل رايت) في فن الطيران . ولد (ولبر) المذكور في ١٦ ابريل سنة ١٨٦٧ في بلدة (ملفيل) بولاية (انديانا) من أعمال الولايات المتحدة الأمريكية . وولد أخوه (أورفيل) سنة ١٨٧١ ولما تملأا علوهما الثانوية فتحا دكانا لاصلاح

المرجات (المجلات) ثم اعتنينا بأمر الطيران . وفي ١٧ ديسمبر سنة ١٩٠٣ طار أحدهما بطيارة من صنعهما مسافة ٢٩ ذراعا فلبث في الجو ١٧ ثانية فكان بذلك أول إنسان طار بطيارة أثقل من الهواء . وفي ٥ أكتوبر سنة ١٩٠٥ طار (أورفيل) بالقرب من بلدة ديتوت مسافة ٢٤ ميلا بسرعة ٣٨ ميلا في الساعة ولكن الأغنياء لم يقدروا المساعدة فذهب (ولبر) سنة ١٩٠٨ م إلى فرنسا . وفي ٢١ سبتمبر فاز بجائزة (ميشان) بعد مطار مسافة (٥٩) ميلا فذاع صيته حالا . وفي سنة ١٩٠٩ طار فوق (نيويورك) مسافة ٢١ ميلا في ٣٣ دقيقة و ٣٢ ثانية . وفي سنة ١٩٠٩ منحهما الكونغرس (مجلس الأمة الأمريكية) وساما ضرب لهما خاصة ثم اشترت الحكومة طيارتهما بستة آلاف جنيه

وقد توفي (ولبر) سنة ١٩١٢ ولا يزال أخوه (أورفيل) حيا وهو رئيس المهندسين في شركة طيران كبيرة إذن الطيران بالطيارات التي هي أثقل من الهواء ابتداء من سنة ١٩٠٣ في شهر ديسمبر واشتراه في (٢٥) ديسمبر سنة ١٩٢٨ والطيارة الأولى بقيت ١٧ ثانية في الجو والطيارة الآن أي بعد (٢٥) سنة تبقى مخلقة في الجو ٩٠ ساعة ، وسرعة الطيران الأولى لا تزيد عن (٣٨) ميلا في الساعة والآن تبلغ (٣١٩) ميلا في الساعة وذلك في الطائرة المائية التي ركبها الكابتن (دارسي كريج) الانكليزي في نوفمبر سنة ١٩٢٨ إذن الناس من سنة ١٩٠٣ ابتدؤا عصر اجديدا ، وينتظر الناس أن يكون الطيران شائعا سنة ١٩٣٤ ثم إن البليون (غراف ز بلين) بلغ طوله ٧٦٢ قدما والبليون الانكليزي المنتظر اتمامه طوله ٧٢٠ قدما ويمكنه أن يجتاز (٩٠٠) ميل من غير أن ينزل إلى الأرض وهو يعمل مائة مسافر . والبليون الأمريكي الذي بيني الآن طوله ٧٨٠ قدما ويسير في سرعة ٨٥ ميلا في الساعة ، فالبونات متقدمة لأنها تستطيع ان تحمل مائة مسافر ، أما الطيارات فلم تصل اليها ، نعم الآن يشتغل مهندس ألماني بعمل طيارة من هذا القبيل ، ويظن الناس اليوم أن زيادة السرعة في الطيران ربما تصل إلى خمسمائة ميل في الساعة بعد أن تدرس طبقات الجو العالية دراسة تامة

اللهم إنا نحمدك على العلم والحكمة التي بها فهمنا قولك في (سورة المالك) - أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن إنه بكل شيء بصير - فهذه الحكمة وهي رد الفعل في الهواء وضغطه على الجناحين بعد خفضهما هي الداخلة في قوله تعالى - إنه بكل شيء بصير - فهو الذي أبدع هذا الشكل من الحكمة وأودعه الطير وقلده الإنسان . كل ذلك لمناسبة الهدى الذي جرى من سليمان إلى باقوس في بلاد اليمن والحمد لله رب العالمين

﴿ جوهره في قوله تعالى بعد آية الهدى - الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم - ﴾

من اللطائف البديعة إن كنت راكبا في قطار السكة الحديدية المتوجه إلى المريج لعمل في الحقل فقابلني رجل من المريج فقال ألاتذكرني . أنا الذي كنت أطلع التفسير مع فلان في بلدة المريج فتذكرته فقال أريد أن أسألك - لم يقول الله - الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم - تارة ويقول تارة أخرى - رب العرش الكريم - فقالت له إن الملك قد يكون عظيم العرش عظيم الملك دولته مشرفة على أمم كثيرة ولكنه غير كريم ، أما الله فانا نشاهد أن ملكه واسع وعرشه عظيم ، ومن طبع الملك العظيم في أهل الأرض انه يذهل الملك عن تفقد الأمور الصغيرة فليس في قدرة ملك من ملوك الأرض أن يبادر إلى إجابة كل مريض وكل فقير وكل يتيم وكل عجوز وكل أرملة ، بل بكل ذلك إلى نوابه في الأقاليم ، فلوك الأرض كلها اتسع ملكهم كثرت حاجات الناس إليهم ، وعلى مقدار ذلك يكون ضعفهم عن القيام بها فهذا مستحيل عقلا وعادة ، فأما الله فانه مع سعة ملكه وعظمته فانه تجل لسلك امرئ في نفسه فشكا إليه أمره وأغاثه وأعانه وأبى ذلك في ظاهره

خسب بل يتجلى له في داخله وقرة نفسه ويحدثه ويسأله فيجيبه مرة ويؤجل الاجابة مرة أخرى ثم هو يلزمه في الحياة وبعد الموت ولا يفارقه ، وتراء يتكون مع الطير ومع الحشرات ومع دراب الفلوات ولا يترد دودة في شجر ولا طير على شجر ولا ذئب في فلاة ولا مخلوقا دق "أوجل" إلا وهو معه ينجيه في سرائه وضرائه . فهذا هو الكرم الحقيقي . وهذا معنى قوله تعالى في سورة المؤمنين - فتعالى الله الملك الحق - لأن الملك الحق هو الذي يتصف بهذا . إن الملك الحق هو الذي يتفقد رعاياه في سرهم وعلايتهم وهذا بعض السر في قوله تعالى فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم - فهذا هو الكرم الحقيقي وهذا هو الملك الحقيقي . أما ملاوك الأرض فملكهم ليس - قال بل ملاوكهم مجازيون ، ومن آيات رعايته ودلائلها المشاهدة أن كوكب الشمس تراه النحلة والنحلة والملك والصملاوك وساكن الأرض والريخ وبقية السيارات وغيرها كأنها له وحده وكأنها لا تقابل غيره وكذلك القمر . فاذا كانت الشمس التي لاتنقل هذا عملها فكيف بالخالق الحكيم ؟ فهو مع الجميع سرا وجهرا . واذا كان ابن سينا والغزالي يقولان ﴿ إن ذا العقل الكبير يكلم رجلا ويكتب بيده ويسمع بأذنه رجلا آخر ولا يراه واحد من هذه الشؤون عن الآخر ﴾

فهذا فتح باب أن نعرف أن القول الكبيرة كاللائكة تسع خلائق كثيرة في آن واحد ، فالله إذن أوسع وأعلم وهو الحكيم العليم . فاذا سمعت الله يقول في سورة المؤمنين - أنخسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون - فهو من هذا الباب لأنه كريم ومن أجل كرمه انه لما خلقنا لم يرد بذلك مجرد وضعنا في الأرض مدته ثم يهلكنا ، نعم لا يخرج على الخالق ولكنه لا يفعل ذلك ويقول لنا اطمشوا بإعبادي أنا خلقتكم ووزقتكم وابتليتكم بالشر والطير وعلمت سرهم وجهركم وحافظت عليكم وأجبت دعاءكم وأنعمت عليكم ثم لا تحسبونها ، ولكن أهم من هذا كله انكم لا تفنون فأنتم تعيشون أبدا سرمدا ، واذا كنتم أنتم تأفنون أن توصفوا بالعبث فهل أرضى بالعبث في صني ؟ ومن أين اتصفتم بصفة الأتفة من العبث إلا بالقبض من آثار قدرتي وعلمي ، فإنني أنا أقبضكم في دار أخرى ولذلك أتى بها بصيغة الاستفهام الانكاري فقال - أنخسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون - ثم وصف نفسه بالعلو والعظمة ووصف عرشه بالكرم وليس من الكرم أن تخلق أرواحنا ثم تملكها بالامزية ولا منفعة كأنها موج البحار أو هبات النسائم أو خطرات الأوهام ، إذن نحن نرجع لله بعد حين

فلما سمع ذلك الرجل قال هذا كاف وافققت الحمد لله رب العالمين . ولما كان ذلك السؤال قبيل طبع هذه السورة لحقته بها ، وأنا أجد الله على التوفيق . ثم الكلام على الطائفة الأولى ﴿ الطائفة الثانية في قول بلقيس - ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون ﴾

هذه الآية تدل على ما كان عند العرب من أمر الشورى وانها قديمة العهد ، ومن عجب أن الأمة العربية بعد الاسلام في هذه الأجيال القرية نسبت مجد آبائهم الأقدمين ونسبت مجد الاسلام ، يقول الله - وأمرهم شورى بينهم - وينقل الكتاب عن أسلافنا أن مجالسهم كانت شوروية . فيا عجب . لا أخلاق الآباء اتبعنا ولا الدين نهجنا . إن أمة العرب اليوم قد انحلت عراها واختل أمرها ، أو أذكر لك حادثة واحدة . ذلك أنه منذ خمسة أعوام وأنا أكتب في تفسير هذه السورة كانت تدور الحرب بين أمير نجد الذي احتل مكة وبين علي بن الحسين الذي هو ملك جدّة . فالأول يريد اخراج علي منها والثاني يدافع عنها . وقد حضر وفد ينوب عن مساعي الهند يحمل تفويضا منهم ليفاض المتعار بين منزع الملك على الوفد من السفرا إلى مقابلة ابن السعود أمير الوهابيين . ولما طلبوا منه أن تكون مكة وبلاذ الحجاز محكومة بالقوانين الشورية وبالنظام الدستوري وأن يحكم البلاد مجلس شوري يديره رئيس ويكون أعضاء المجلس بالانتخاب أتى على الوفد ذلك وقال ان البلاد لا يوافقها ذلك . فتعجب من أم الاسلام اليوم كيف أصبح بعضها لا يولي على دين ولا على مجد سائى بل أكثرهم

مستبثون ظالمون . ومن آيات الله أن يحصل الاشراق بعد الظلام وقد بزغ فجر الحرية في الاسلام وسشرق شمسها على الاقطار كلها ، وإذا كان المسجون اليوم في أدنى درجات الانحطاط بالنسبة لغيرهم فما ذلك إلا علامة على سرعة تبدل الحال - تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شئ قدير - الذى خلق الموت والحياة - والفسد يقع ضده فكما يتبع النهار الليل هكذا سيتبع العدل الظلم والرفقة الضمة ومن يمشى يره والله مقلب الليل والنهار انتهت الطليعة الثانية

﴿ الطليعة الثالثة في قوله تعالى - فما آتاني الله خيرا مما آتاكم - ﴾

هذه الآية والآيات السابقة كقوله تعالى - فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعني الخ - دلالة على أن نعمة العلم هي كل شئ وهي كل نعمة ، ألا ترى الى سلمان وقد دعا الله فيما تقدم لما سمع كلام النملة ورفح بالنعمة كيف أخذ بعد ذلك بتقيد الطير وبكلم المدهد وينظر في شأن الملك واسلام الأمم المجاورة له ، انظر كيف ذكر قصة بلقيس وهدها واحضر عرشها بعد أن نال نعمة العلم بها ثواب الحيوان كائنات ، فهو أولا منح نعمة العلم ثم منح نعمة هداية الناس فلا ريب أن الإلهاد العلم ولا هداية للناس إلا بعد العلم ، وانظر كيف يقول بعد حديث النملة - رب أوزعني أن أشكر نعمتك - ويقول بعد أن رأى عرش بلقيس - هذا من فضل ربى ليباركني أشكركم أ كفر - فكأن الانسان في جميع أحواله مختبر ، فبالعلم مختبر ، بالعلم مختبر ، بالكرامة الإلهية مختبر ، والأبناء بالمجربات مختبرون وهذا كله من قوله تعالى - ونبأكم بالشر والخير فتنة - فلا فرق بين نبي ولا مؤمن والله الأمر من قبل ومن بعد -

﴿ جوهره في قوله تعالى - إن الملوك اذا دخلوا قرية - الخ مع قوله تعالى - فتلك بيوتهم

خاوية بما ظلموا - ﴾

حضرت صاحبى العالم الذى اعتاد أن يتحدث معي في أهم ما في هذا التفسير فقال إن هذه السورة لشملت على اثنين مرتين ترتيبا ذكر يا محببا . فأولاهما تدل على أن الملوك اذا دخلوا فاتحين بلادا أفسدها وأذلوا الأعداء فيها وهي قوله تعالى - إن الملوك اذا دخلوا قرية أفسدها وجعلوها أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون - والآية الثانية قوله تعالى - فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا - يظهر لي أن ورود هاتين الآيتين من حيث الترتيب مقصود وكأنه يقول سبحانه « إن هؤلاء الظالمين لابد أن تخرب بيوتهم وتصبح خاوية على عروشها » وما أحسن الإفاضة في هذا الموضوع حتى تتجلى الحقيقة ناصعة فإن هذا الزمان زمان ظهور الحقائق الواضحة . أما الاجال فلا يكفي أولى الأبواب . فقلت إن هذا المقام يعوزه البحث في أصل نشأة هذا العالم ونظام ذراته والسير في الموضوع من الذرات الى الأجسام الى الأمم بحيث تكون العلوم مستخدمة فيه وهذه سنة في الأساليب خطرت لي هذه النيلة (مساء الأربعاء ٢ يناير سنة ١٩٣٩ م) فقلنا وما هذا الأسلوب الذى خطر لك . فقلت إن هذا الانسان لم يكن على هذا الخط إلا لما في تركيبه من القبول لهذه التنوعات السياسية . فإذن لتجاذب أطراف الحديث في أصل نشأته ونشأة العوالم التى ركب منها . فقال قل سوخا . فقلت إن الانسان والحيوان صريكان من مادة نارية مضطربة . فقال أريد أن أفهم ما تقول . فقلت قد قدمت في سورة البقرة « مِمَّ يَتَرَكَّبُ النبات » ولا جرم أن النبات غذاء الحيوان والنبات والحيوان غذاء الانسان . ففى عرفت العناصر التى تركب منها النبات في (سورة البقرة) أدركت الاضطراب في السياسة وفي النظام الاجتماعى

﴿ مزاج هذه الدنيا محرق ﴾

(١) العناصر محرقة مثل اليوتاسا والبوتاسيوم

(٢) المعادن فيها قوة تحكم العناصر

(٣) النبات له نفس تضبطها وهو مختلف باختلافها

(٤) الحيوان كثير الاختلاف والنفوس حركات تلك الأحوال الى عواملها

(٥) الانسان يلقاه حوتها الى عواملها أعلى

(٦) وهكذا آراء فلاسفته كالفارابي وأفلطون في عدنية

(٧) ثم محال الأسم المقلوبة والمخالفة

(٨) هو في ذلك لم يرتق عن الحيوان

قال ضاحي ، يا عجبا ، أي مناسبة بين علم السياسة وعلم الكيمياء . إن العناصر المذكورة في سورة البقرة عند آية الطير وبرايم تعرف بعلم الكيمياء ولا مناسبة بين هذا العلم وعلم السياسة ونظام الدول . فقلت خير لنا أن لا نطيل وأن نهجم على الموضوع حتى تظهر لك جليسة . قال إذن لتبينها هنا بطريق يخالف طريق مافي (سورة البقرة) بعبارة أوضح لتكون هنا قاعدة غير ماضية لك . فقلت نعم ، العناصر التي يتركب منها النبات هي التيروجين (الازوت) الذي تتركب منه العضلات في الحيوان . والكربون الذي يتركب منه الدهن في الحيوان أيضا والادروجين الذي يدخل في الماء مع الأكسجين . فهذه الأربع معروفة في النبات والحيوان . ويضاف إليها (١) البوتاسا (٢) الصودا (٣) الجير (٤) المغنيسيا (٥) حمض الفوسفوريك (٦) حمض الكبريتيك (٧) سلسكا (٨) كاور (٩) أكسيد الحديد ، هذا ما ذكرته هناك (١) البوتاسا من البوتاسيوم وهو معدن أبيض فضي اللون اذا قطع غير أن سطحه يسود سريعا واذا ألق في الماء يشتعل بنور بنفسجي وهناك تتكون البوتاسا

(٢) الصودا من الصوديوم وهو معدن فضي اللون لين اذا ألق في الماء الحار وأحى قليلا يشعل بنور لامع أصفر فاقح ، وكل أملاح الصوديوم اذا أشعلت تكتسب الذهب لونا أصفر

(٣) الجير هو أكسيد الكالسيوم والكالسيوم المذكور هو فلز ذو لمعان أبيض يتغير بسرعة في الهواء الرطب إذ يتكون طبقة سنجابية من الكالسيوم على سطحه ، واذا سخن على صفيحة من البلاتين التهاب فيحترق بلهب شديد اللعان وهو يحلل الماء على السرجة المعتادة . ثم ان أكسيد الكالسيوم المذكور وهو الجير المعروف يحصله الناس بحرق كربونات الجير في فرن يسمى في مصر (قينة) ويسمى الجير الحلي ومعنى حصلنا الجير الحلي المذكور بالحرق وقد بناء بالماء فانه يسخن الماء ويصير له بخار ثم يشقق ويزداد حجما واذا كان ذلك الماء كافيا استعملت قطع الجير الحلي الى مسحوق أبيض يسمونه (الجير المطبقا)

(٤) وأما حمض الفوسفوريك فهو مركب من الفوسفور مع غيره ، والفوسفور « قسبان » أصفر وأحمر أما الأصفر فهو سريع الاشتعال ولذلك يجب حفظه في الماء لئلا يشتعل من حرارة الهواء الاعتيادية وأما الأحمر فلا يشتعل بسهولة ولذلك يمكن حفظه في الهواء مثل سائر المواد وهو لا يوجد إلا مركبا مع الكسك والصخور وهو يكون مع التراب والتراب يدخل النبات والنبات يدخل الحيوان فالفوسفور جزء من عظامها فهو يتكون مع الأكسجين ويكون فيها حمض الفوسفوريك وعظام الرجل الواحد يستخلص منه خير طرل فوسفور خالص (٥) المغنيسيا هو مركب المغنسيوم مع الأكسجين فالمغنسيوم معدن فضي اللون لين قابل لأن يسحب شريطا وخيطولا ولا يكون صرفا في الطبيعة بل مركبا مع أجزاء أخرى مثل المادة الفعمية (الكربون) ومع المادة الرملية (السليكا) والمغنسيوم اذا أشعلناه يعطى نورا لامعا أبيض صافيا . وبخار المغنسيوم أسود وهو يسعد منه بدون احتراق

(٦) حمض الكبريتيك هو مركب من الكبريت مع غيره . والكبريت موجود في الطبيعة صرفا في جوار البراكين وقد يكون مركبا وهو جامد أصفر اللون قسم ذرأحة خاصة سريع الاشتعال وعند الاشتعال يكون غازا قوي الرائحة معطسا خائفا ساما وله ألثة شديدة للعادن . والكبريت يتكون مع الأكسجين

فيكون حامض السكير ينك الذي يقال له في التجارة (روح الزاج) الذي يستعمل في الصابون
(٧) والسليكا هي مادة مركبة من السليكون مع الأكسجين والسليكون مادة باورية سوداء ويستعمل
بازالة الأكسجين من السليكا ، والمحرق المسمى بالكوارتز أودب المذمب المتباير أيضا هو سليكا صرف والرمل
والصخور الرملية كلها سليكا صرف أو مزيج ببعض المواد الأخرى وهكذا بعض الأشجار السكرية مثل الجشت
واليبس واليشم وهو الحجر الجاني والعقيق والياقوت وبختر الصوان والحلخيدوني سليكا ، وأنواع الرمل الملوثة
سليكا ملوثة بأوكسيد الحديد أو مواد أخرى وهو موجود في قشر جميع أنواع القصب والخيزران وسوق الحبوب
والخشائش وذلك سبب إهذاء حروف السكاكين بها ، والسليكا موجود في أكثر المياه الطبيعية في حال التوازن
وبكثر في مياه النايح الحارة في (سيلانده) والزجاج والحزف الصيني والفخار والأجر سليكات ، والزجاج
يصنع بإحساء مزيج من الرمل الأبيض (السليكا) والكاس أو البودا أو البوتاسا مع أوكسيد الرصاص
(٨) أما الكور وهو (الكورين) فهو لا يكون سوا في الطبيعة ويكون فيها مركبا من الصوديوم
وهو ملح الطعام ، والكور الذي هو الجزء المنتم للملح غاز مطلق لونه ميمر مخضر رائحته مفضضة خالقة يحدث
سعالا شديدا وهو سام

(٩) أما أوكسيد الحديد فهو الأكسجين متحد بالحديد والحديد قليل جدا في النبات وهو معروف
فلا نطيل به

فلما سمع صاحبي ذلك قال هذا من علم الكيمياء وقد أطلت فيه واني أخاف أن قراء هذا التفسير تنبو
طباعهم مع علمي بأنك تعاشت في هذا المقام أن تأتي بما يصب من أوصاف هذه العناصر ونحن الآن في
تفسير آيتين من كتاب الله تعالى آية - إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها - آية - فقلت بيوتهم خارية
بما ظلموا - . إن هذا المقام يحتاج إلى الحصر وحجم الدوام بحيث تكون هذه الكيمياء منسجمة مع ما
سيأتي بعدها ويكون الموضوع هيئة واحدة لا انقسام لها حتى تأخذ بمجامع المقاب لأن هذا المقام حقيقة
غريب وإذا انظم شمله والتأمت أطرافه واستوفيت تفاصيله سرى في العقول الإنسانية كمنه لا الإسلامية
وحدها وحصلت به فكرة نافعة لهذا العالم الإنساني . فقلت له إن الأمر في هذا المقام سهل فانا نقول إن
جميع النباتات مركبات من هذه التسعة ومثلها الحيوان والإنسان لأن هذين على مقتضى النبات ، فإذا رأيت
الشرة والقمح والشعير والقطن والبرسيم وأمثالها فاعلم علما ليس بالظن أن أزهارها وأوراقها وأغصانها وعروقها
الضاربة في الأرض كلها مركبات من هذه العناصر

(١) فاستحضر أمامك قطعة من البوتاسا إن هذه البوتاسا منها ما يسمى بالبوتاسا السكرية ومحاو لها
يستعمل في تحضير الصابون اللين أي (الصابون البوتاسي) والفاير كيف يشتمل إذا أتى في النار ، فهذا جسم
ناري لا غير

(٢) وأحضر أيضا قطعة من الملح فإن فيها الكور وهي المادة المنفطرة وفيها الصوديوم وهي المادة المحرقة

(٣) وقطعة من الجير الحلي

(٤) والعيسدان الفسفورية التي يوقد بها الناس إذ تلهب بالهك ، قد جعل الفوسفور متحدا مع مادة
أخرى في أعلى العود وبه يكون الانتهاب

(٥) وقطعة من السكيريت الذي تقدم لك وصفه

(٦) وقطعة صخر رملية

إذا جمعت هذه أمامك فقل إن أملي كل نبات وكل حيوان ، ما هي النباتات على الأرض ؟ هي مواد محرقة
مواد كلها مهلكة . انهم إنك أنت الحكيم وأنت العالم وأنت الجليل . يا الله رأينا جلالك في الدنيا قبل الموت

رأينا في هذه المادة حكمته وبدائته وجباله . لماذا هذا ؟ لأنك حسنت قفاننا وذرتنا وقبحنا من مواد محرقة ، ولماذا كانت محرقة مهلكة ؟ لأنها غزاقية وسائر العناصر التي تبلغ نحو (٨٠) من ذرات ضوئية وباهي إلا نقطة تسمى (الكثيرة) تسكون في المركز ثابتة وهي كهرباء موجبة وأخرى تدور حولها وهي تسمى بروتونا وهي كهرباء سالبة وتدور السالبة حول الموجبة ستة آلاف مليون مليون مرة في الثانية الواحدة وباختلاف عدد الكثرينات والبروتونات تسكون هذه صوديوما وهذه كبريتا وهذه فوسفورا وهكذا

اتضح الأمر وظهر وعرفنا أن هذه القطيع التي أمامنا الآن وفيها ملح الطعام المشتعل على جسمين مهلكين وفيها البوتاسا الخ كلها عبارة عن كهرباء اختلقت أجزاءها فاختلقت أوصافها فكانت النتيجة أنها جميعها مواد محرقة ؟ ١. إذا لأنها مركبات من كهرباء أرض من نور الحركة السريعة والحركة توجب الحرارة والحرارة تكون كهرباء وتسكون نورا وهكذا

لأن من الأجسام الداخلة في النباتات الكبريت والكبريت يتركب البارود منه ومن ملح البارود ومن الفحم ، فن ملح البارود ٧٨ في المائة ومن الكبريت عشرة ومن الفحم ١٢ إذن البارود دخل في تركيب الكبريت ، ذلك الكبريت الذي دخل في النبات كما سيأتي وصفه . ومقادير أجزاء البارود عند الدول الآتية ماباقي بيانه

	فرنسا	ألمانيا	انجلترا
ملح البارود	٧٥٠٠	٧٤٠٠	٧٦٠٠
كبريت	١٣٥٠	١٠٠٠	١٠٠٠
خلم	١٢٥٠	١٦٠٠	١٤٠٠

هذا تركيب البارود عند هذه الأمم . إذن الكبريت الذي دخل في القطن وفي الفحم وفي القز وفي البرسيم دخل في البارود . المادة التي تركب منها غذاء الانسان وغذاء الحيوان نار مشتعلة فكيف اطمانت هذه النار وكيف سكنت ، وما الذي أسكن هذه النار وأقرها حتى أصبحت طعاما لنا وشربا وواظفها وأبا متاعا لنا ولأفهامنا كيف تسكون هذه الأرض نارا ملتهبة أو كهرباء مذبذبة وتصبح مخضرة وكيف تسكون حركات ذراتها ستة آلاف مليون مليون مرة في الثانية فما الذي كسر تلك الحرارة وأخذها وتبعتها فاقبلت حالا إلى عناصرها تلك الخواص المحرقة ؟ ما الذي أخذ تلك النار المتقدة . إن خواص السكاوير وخواص الصوديوم وخواص البوتاسيوم وخواص الكبريت كلها ترجع إلى الحرارة والاحتراق وأسكن هذه بالنسبة لحرارة الكبريت في ذراتها قابلة أنها محرقة جدا فإن الحركة السريعة فيها أعظم والحركة تنبع الحرارة . أما الجواب على ذلك فانه يظهر لي أن هذه العناصر فيها قوة من عالم آخر غير العالم الأرضي سكنتها فأخضعت تلك النترات المشتعلات على القوة الموجبة والقوة السالبة الكبريت بآية وهذه القوة تسميها نفسا معدنية وبها حفظت تلك الحركات واقلبت إلى خواص عرفناها في الصوديوم والبوتاسيوم والفوسفور والكبريت . ثم إن هذه العناصر أيضا دخلت في النبات

﴿ الكلام على النبات ﴾

فاغترالى (البوتاسا) فهي في شهر القطن (٥٠٥٠) في المائة وفي بذر (٣٣٣) في المائة وفي خشبه (٣٣٩) في المائة . وقد دخلت في عود القمح (٣٣٨) في المائة وفي حبه (٣١٥٤) في المائة وفي تنه (١٥٦٤) في المائة . وهكذا بقية العناصر لها نسبها كلها مذكورات في (سورة البقرة) فارجع اليها عند الطير وإبراهيم . فإذا قرأت هذا الموضوع هناك وضمته إلى ما هنا عرفت أن معظم الانسان والحيوان عبارة عن هذه القطع التي أحضرها أممك الآن وأكثرها محرقة مهلكة . فبالتشريع ما الذي قلب وضعها ﴿ والجواب على ذلك ﴾ أن هناك نفسا نباتية كنا فيما مضى نعدّها أفل من النفس الحيوانية ولكن الكشف

التي تقدم في (سورة الحج) على يد عالم هندي أبرز لنا أن النبات ينمو ويتحرك فبناء عليه أصبحنا نجيب من كهر بام موجبة وسالبة اختلفت مقادير جزئياتها وحرارتها فأعطتنا عينا وقصبا وزيتونا ونحلا وحداثي غلبا أعنى انهما في المعادن ، أعطتنا فوسفورا محرقا وكبريتا محرقا وبوتاسوما كذلك وان تنوعت الصفات وهما ارتقت في الاعطاء فانها أعطتنا الغذاء كالبر والفاكهة كالتفاح والدواء (كالسنامكي والخروج) والبداء كشيخة تسمى (الدأوره) والسام والخمر كالأفيون عند كثيره أو عند قتله ، وأعطتنا الحلو والحامض والمز والحريف ، وأعطتنا ما لا يتناهي من العجائب والحكم مما لا يحصره الله ، وبأيت شعري من أين جاءنا ذلك الذي سميناه نفسا هنا في المعدن وفي النبات . فقال صاحبي انها كالماء في المادة ككون ماء الورد في الورد . فقلت وإذا كانت هذه التي سميناها نفسا نباتية وما قبلها التي سميناها نفسا معدنية اعطت بعد الكرمون في تلك الثمرات الكهر بائية فلماذا لم تبرز أرضنا حرارة كحرارة الشمس وتستفي عن حرارة الشمس ؟ إن أرضنا لاتنال حياة الحيوان والنبات فلماذا النبات لإلجماء وحرارة وسكن الحرارة تأتي من الشمس والنجوم لا من الأرض والله يستعمل حصوله لإلبضه الشمس المتبر البخر المجرى للهواء الحامل للسحاب المطر على الأرض الجارية بسببه الأنهار فلانهم ولاسحاب ولا رياح إلا بالشمس . وإذا احتاجت أرضنا الى (أمرين) وهما اصلاح الظواهر بالحرارة واصلاح البواطن بنفس مدبرة ورأينا انها عجزت عن اصلاح أسهل الأمرين وهو ظواهر الأجسام بالانصاف فن باب أولى تعجز الأرض عن أن تضم بين جوانحها أعظم الأمرين وهي النفوس المدبرة فثبت بهذا البرهان أن المادة ليست فيها نفوس مطلقا لابائية ولا حيوانية ولا ماسميناه نفسا معدنية لانها محتاجة جدا للاصلاح الى حرارة الشمس والاصلاح ماعليها من حيث ظاهره . إذن للنبات نفوس جاءت من عوالم أخرى تجهلها كل الجهل وهذه النفوس المجهولة لنا كل الجهل تحل في النبات عند استيفاء شرط الانبات وتعدل تلك الثمرات وتستخرج بها وفيها أفانين الصور والأشكال والفراوات العجيبة

﴿ الثمرات في عالم الحيوان ﴾

ثم اذا وجهنا نظرا ثلثا الحيوان أفتيناه مركبا مما تركب منه النبات لأنه غذاؤه وحكم المركب حكم أجزاءه فهذه البوتاسا وهذه الصودا وما عطف عليها كلها داخلات في أجسام الحيوان ولقد أنت بالحبب العجيب فيه أكثر مما في النبات . فاذا رأينا الكبريت قد دخل في البارود (بارود الحرب) غير ما تقدم مع الفحم وملح البارود بهيئة خاصة بحيث يكون نغما مع غم نباتي خاص فهناك يأتي بالمقصود من الحرب وهكذا اذا رأينا أي الكبريت مع أخويه مستملا في الخالط المضطربة والمفرقة والمحركة في الحرب وفي السوارج التي جعلت لأحراق مراد العدو القابلة للامتراق بترتيب غير ما تقدم وأجزاء بحيث تختلف عما قبلها فتكون ثلاثة أجزاء من البارود المحبب (٤) من البارود الثفاني و (٢٨) من الكبريت وطب هذا الساروخ يكون مقبعا . وإذا أردت بالسوارج إثارة الأماكن لتري لا يكون من ملح البارود (٨) أجزاء والكبريت (٢) ومن الأنيمون جزء واحد والصودا إذن يكون شديدا . وقد تظهر السوارج بهيئة مفرقة هذه تكون بأجزاء بهيئة غير ما تقدم . وإذا نظرا الى نفس الكبريت الذي جعلناه مثلا هنا في النبات واقتصرنا على القطن أفتيناه كما تقدم داخل في شهره بهيئة حبس الكبريتيك فهو (٨) في المائة تهر يبار في بذره (٢) في المائة وفي الخشب (٥) في المائة . إذن الكبريت الذي أعان على أنواع البارود والسوارج وكشف الأماكن واحراق العدو هاهو ذا أعان في النبات أي في القطن خاصة على حصول شعراته . ذلك الشعر المركب من شعرات هي أنابيب مفرطحات مركبات من مادة (سليولوز) وهذا الشعر يخلط بمحاض التريك وبمحاض الكبريتيك يكون هو قطن البارود الذي اذا سخن احترق بحيث لا يترك فضلة وهذه المادة جعلت مع مواد أخرى وصبت في قوالب فصار مفرعات فالكبريت كما دخل في المفرعات المعدنية دخل في المركبات النباتية

﴿ الحيوان ﴾

ثم انه هو وجيع المواد الأخرى يدخل في جسم الحيوان . إن الحيوان يقتذى بالنبات و يتشكل و يتقل بمادته فيحصل هناك تنوع لا حده ، فينبأ نرى الحية الساتمة المتغذية بالمواد الغنية والأسهل الصاري للقتل بلعم الحيوان والنمر والطيور الكاسرة ترى أنعاما ودواب وطيورا مفردة سارة وأخرى مرقشة الصور جميلة الهيئة متينة الأجسام وترى الجو والبحر والبر ملئت أنواعا تنشطها الله وكأيا مختلفات الصور والادراكات والأعمال والأمكنة والأغذية وهكذا . كل هذه لم تخرج عن كونها مركبات من المواد المحرقات المتقدمة . وهنا يرد نفس السؤال المتقدم ؟ لم أصبحت المادة الكهر بائية التي هي الكترولونات (كهر بائية موجبة) و بروتونات (كهر بائية سالبة) تجري حول الأتري . أقول لم أصبحت هذه في الصوديوم حرارة وفي النبات أغذية وأدوية ثم أصبحت في الحيوان اليوم حسا وحركة و حياة ونقلا لأمور المعاش وأجهزة للفتكوت داخلية في جسمه منها يستخرج نسجه الذي يستعمله لاصطياد الحشرات كالذباب مثلا وفي النحل لاصطناع العسل وحفظ الولد ونظام الجمهورية وفي حيوان المرجان لاحتداد جزائر وجزائر تمتد بعشرات الآلاف في البحر (انظر صور جزائره في آخر سورة الفرقان فيما تقدم) وهكذا كيف انقلب تلك الحركات النارية الضوئية الكهر بائية اتحادا بين أنواع الذرات المسكرو سكونية المحدثه للجدرى وللحمى فتناوتت تلك الحيوانات التي لا ترى على اهلاك نوع الانسان أو أنواع أخرى كالخيل والأنعام وهكذا . أقول ﴿ والجواب على ذلك ﴾ عين الجواب المتقدم في النبات . ان الأرض والمواد التي فيها ليس عندها شئ كامل فيها يصنع هذه الخبايا كالقوى الخفية في أدمغة الجبار التي بها تعرف الطرق والمسالك وتحيط بها علما يفهم عنه الانسان ، وإذا كانت أرضنا كما تقدم لم تجد في عناصرها حرارة تغنيها عن حرارة الشمس وللحياة ولاضياء ينير السبل فكيف قدرت هذه المواد أن تحدث لنا نفوسا ذكية تعطى حيوانا الأمرين معا نظام تركيبه وهدايته الى معاشه والى سبيله في حياته ، فإذا كانت الأرض عاجزة عما به الاضاءة والانضاج فما أعجزها وأضعفها عن أن تأتي لنا بالقوة النامية الحيوانية والادراك والتدبير ومعرفة الطرق وتربية النرية . كلا . كلا . إن هناك نفوسا ليست من هذه المادة رفعت القوة التي في العناصر فتزعت سوارتها التي كانت محرقة في الكبريت ومفرقة في القطن الى حسن في الحيوان وتبصر فيه وإدراكه وهداية بالبحر والشمس والقمر

﴿ الانسان ﴾

هنا تأتي الى عالم الانسان ونقول فيه ما قلنا في الحيوان ولكننا نرى فيه عجائب لا تحصى ، ففيه الأبناء والحكماء والملوك وفيه النصابون والاصوص والسفاكون ، أقول لا غربة فيادته معروفة ، إياك أن ننسى أنه هو نفسه فوسفور وماءه فهو كالباب وكالفرقات المتقدمة ، فهذه النفس التي دخلت من عالم أعلى من عالمنا يجب أن تكون على شاكسة الجسم ، ذلك لأن النظر يلائم المظروف كما ان الصدف يلائم الجوهر فيه ، هنالك يظهر لك لم كان اليون بين الناس عظميا ، فهذا ملك وهذا شيطان ، ذلك لأن الاختلاف في الانسان أعظم من الاختلاف في الحيوان وفي الحيوان أعظم من الاختلاف في النبات وفي النبات أعظم من الاختلاف في المعادن إن المسافة هنا شاسعة جدا فالنفوس الحالة في الأبدان إما أن تغلب هي فتغلب القوى الهائلة في الذرات التي صلت انها كهر بائية كلها الى منافع وفضائل . وان غلبت قوى الذرات أنزلت النفس الى مراتبها وغلبت طباعها إن بين نفوسنا وبين المادة مشاكسة . إن المادة كهر بائية كما قدمنا وهي شديدة الحركات ونفوسنا يظهر أنها من عالم أظف جدا ففترها سراب هذه الكهر بائية تدعت بها فدخلتها خبست فيها وأخذت تسعى طوعا أو كرها . وهما هي ذه تجاهد وقد حوّلت تلك القوى المادية المهلكة الى حسن وحركة وخيال وقوة مفكرة وقوة حافظة وأخذ العالم ينطبع في قوى هذه النفس انطبعا وكأنها نور أشرق من لدن الحضرة الإلهية . ولما

نزل الى الأرض وغمرته المادة أخذ يتطلع كرة أخرى الى الملاء الأدنى فظهرت في لوحة نفسه صور السموات والأرضين على مشاكة طبعه الإلهي الذي نسبده فهو من نور إلهي ، وهنا يقع التفاضل ، فالنفوس الضعيفة تصبّر العالم كله اجالا ولكنها لا تبرز هذا التصوّر الثقات ولا تعقل بل تهمل والنفوس الكبيرة تعقل علما ليس بالظن أن هذه القوة والقدرة خلقت فينا لندرس بها هذا الوجود والافلاماذا زارها حاضرة عندنا ولماذا زارنا في عذاب واصب في هذه الأرض لراحة لنا ، كل ذلك لنعلم اننا مخافون لعالم أعلى ولن ندركه إلا اذا عرفنا قيمة أنفسنا التي لا تقا بمذكرنا بمجدنا الأئيل وعلنا الرفع وشرنا الأعلى

هاهوذا الانسان هو المركب من تلك العناصر المحركة والنفس الحالة فيه ليست من هذا العالم بما قدمنا من البرهان لأن هذا العالم الأرضي لم يقدر أن يستغني بضوء نفسه من نفسه فهو عن ضوء العقل أعجز . إذن نفوسنا من السموات أى من عوالم أشرف من الأرض . هذا هو البرهان الذي اطمأنت له نفسي . هذا هو البرهان الذي أنبى عليه ما يأتي

﴿ أولاً ﴾ أذكر نظام الانسان في مدينته

﴿ ثانيا ﴾ أنبئه بغاية ما وصل اليه بعقله وذكاؤه في اجتماعه وسياسته

﴿ ثالثا ﴾ أذكر كيف كانت الأمم المغلوبة اغيرها يسرع اليها الفناء

﴿ رابعا ﴾ أذكر أن الأمم الغالبة تلحقها في ذلك مع ذكر شواهد التاريخ

﴿ خامسا ﴾ أبين أن الانسان في ذلك لم يبلغ شأ الحيوان في الابداع حتى انه يحجز عن أن يصنع ما صنعه

المرجان من أحداث أرض تنفع الانسان والحيوان

﴿ سادسا ﴾ أنبئ ذلك بخطاب عام للأمم الاسلامية كلها شرقا وغربا

كل ذلك تفسير لثمانين الآيتين - إن الملوك اذا دخلوا قرية أفسسوها - الخ وقوله تعالى - قتلك بيومهم

خاتمة بما ظلموا - فهنا إذن ﴿ ستة أمور ﴾

﴿ الأمر الأول في ذكر نظام الانسان في مدينته ﴾

(سياسات الانسان)

هل لك أيها الذكي أن أسمعك كلام العلامة الفارابي الذي خصته في كتب كثيرة مثل كتاب ﴿ نهضة الأمة وحياتها ﴾ أذكر لك الآن ماملخصه ﴿ إن من الناس من قالوا انما الحياة هي اللذات فحسبوا لعليها وتركوا ماوراءها وهؤلاء يسمون ذوى الحياة الحسية ، وآخرون يقولون إن المدار في الحياة على الكرامة فلنعتش على الكرامة والعظمة لأن المقصود من الحياة ذلك ، وآخرون يرون أن الحياة يجب أن تكون بالغبلة فيقبلون فعل الاسود والخور وآخرون قالوا إن الانسان مدني بالطبع وهؤلاء انقسموا ﴿ قسمين ﴾ قسم مدينته فاضلة وقسم مدينته فاسقة فأهل المدينة الفاسقة هم (١) إما اجتمعوا بطريق النسب والعصبة وغلّبوا غيرهم (٢) أو بطريق اللغة فأهل اللغة الواحدة يستعبدون سواهم (٣) وأما بالوطن فأهل الوطن الواحد يستعبدون سواهم (٤) وأما بالدين فأهل الدين الواحد يذلون سواهم ويدوسونهم (٥) وأما بالمعاهدة فالدول المتعاهدة المتعاقدة تستعبد غيرها (٦) وأما بالمصاهرة فالأمم التي يتصاهر ماوكها أو ذودها الأمر فيها يكونون عونا على من سواهم (٧) وأما بالاستعباد فالأمة تستعبد أخرى وهما معا يستعبدان أخرى وهكذا (٨) وأما بملك جامع يجمعهم فيكونون حربا على من سواهم

هذه هي التي ذكرها الفارابي في كتاب ﴿ أهل المدينة الفاضلة ﴾ وجعل هؤلاء كلهم أهلا لمدينة فاسقة خارجة عن الحق ، وأياك أن تظن أن الاجتماع الذي اجتمعوا عليه المساهمون من هذه المدينة الفاسقة لأن المساهمين الأولين كانوا يعرفون لماذا يخضعون الأمم ، كانوا يخضعونها للرابطة الانسانية الدينية وليعالمهم فلما انحطت

مدارك المسلمين نسوا أن القوتوس للدين ولرفق الأمم فأدلو الأمم فطردهم الله من ديارهم ، هذه آراء أهل المدينة الفاسقة في نظر الفارابي ، وعلى هذا القول تكون الأمم المعاصرة لنا كلها فاسقة لأنها اجتمعت بالوطن وبالعصبة أو بالمعاهدة فانك ترى أن الانكسار تعاقدوا مع اليابان على الروسية سابقا فهزموها فهذه غلبة بالمعاهدة وكذلك اجتمعت أوروبا سابقا أيام حرب (البوكسري) في الصين على حرب هذه الأمة ولم تنل أوروبا كلها منها حظها وهاهي ذه الآن غلبت أوروبا كلها ، والمقصود من هذا المقال أن الأمم الحالية في رأى العلامة الفارابي فاسقة وذلك انها ليست تراعى إلا أنفسها وتريد الخير الخاص مع اذلال غيرها واهلاكهم ، وهذه الحصلة بعينها هي التي كانت في نفس المادّة لأنك علمت أن المواد المعدنية الداخلة في النبات وطباعها نارية وهذه الطبيعة النارية ههنا أولا القوة المعدنية ثم القوة النباتية ثم القوة الحيوانية ، فالما جاء الانسان بقيت فيه طبائع النار وها هو ذا أخذ بالتهديب شيئا فشيئا ، ههنا أفق وقفة لأنظرمك أيها الذكر . لقد تبين من هذا كله أن الانسان الحالي لا تزال فيه طبيعة النار المتددة وهذه النفس التي نزلت من السماء وهبطت الى الأرض ودخلت هذه الهياكل الجثمانية لم تزل طبائعا تقرب من طباع الآساد وطباع الكبريت والفوسفور والسكرور ، إن المادّة أشبه بجهم فهى جهم الصغرى والله كوثم مهندسة ونظام دقيق قد استبان لك في دقة الحساب إن يدخل النصر الواحد في أنواع من النبات بأوزان تختلف باختلاف النبات كالبرسيم وكالقمح وكالقمح وكالقمح في (سورة البقرة) في الجدول هنالك عند آية الطير وابراهيم إذ يكون الوزن مختلفا باختلاف النبات ولولا هذا الوزن لم يكن قطن ثلبسه ولا برّ نأكله ولا برسيم تأكله النوا ، فالجواب في ذرات هذه كلها جار بلا خطأ ولوحصل أى اختلاف في الحساب لم تسكن هذه الحياة ولا هؤلاء الأحياء . إذن الله قبل مع المادّة التي تعيش فيها مثل ما سيفعل مع النار يوم القيامة . إن الجبار يضع قدمه في النار (كما في الحديث) فتقول فقطع . فها هو ذا سبى حنا وضع النفوس المعدنية والنباتية والحيوانية فانتظمت أحوالها . ولقد هدبت هذه المادّة تهذيبا حسنا وسارت سيرا مستقيما بسبب حساب النرات الذي هو أرفق لهذه النفوس التي نزلت للأرض من عوالم أخرى ، فأنه على صراط مستقيم قال تعالى - وأن هذا صراطي مستقيما فاتبوه - الخ وقال - مامن دابة إلا هو أخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم - ولا جرم أن النوا والنبات كلها موزونات ذراتها بوزن لا عوج فيه ولولا ذلك ما عاشت ولانما الحيوان والنبات ولا وجد في الأرض ، ويقال في الصراط « انه أدق من الشعرة وأحد من السيف » وصراط الله كذلك لأنه لولا هذا الحساب ما كان حي - وإن ذلك ذكره عقب ذكر النوا ونحن نقول - أهدنا الصراط المستقيم « صراط الذين أنعمت عليهم - وصراط الذين أنعم عليهم هو صراط الله وصراط الله هو الذي عرفته في نظام هذا الوجود . إذن وصلنا الى المقصود . هذه أرواح بنى آدم جاءت الى الأرض وجعلهم خلقا أرض . لم يجعل الله عقولنا كعقول الحيوان بل ففتح لنا باب الفكر وقال انظروا فنظر الفارابي هذا النظر في نوع الانسان وقال انهم فساق ، ثم ذكر آراء العلامة الفارابي في سياسة الانسان

﴿ أهل المدينة الفاضلة ﴾

وقد ذكرت هذا المقال في مواضع من هذا التفسير وأنا أجله هنا الآن . قاس مجموع الأمة على نظام الجسم الانساني وأخذ يشرح الجسم كالأعضاء وأعصاب حس وأعصاب حركة ويتكلم على أعضاء الهضم وأن الفم يتحطم المعدة والمعدة تتحطم الأمعاء وهكذا ويخلص كل ذلك في أن الأعضاء منها خادم ومخدوم والقلب كالوزن بالدماء وهو مجلس القوة الحاكمة واستنتج من ذلك كله أن كلا من أبناء الأمة يوضع في مركزه الذي استعمله فكما استعملت العين للإبصار والأذن للسمع والمعدة للهضم والدماغ للتفكير هكذا يجب أن يكون أرباب الرأي هم الحكماء وأرباب القوة هم الجيوش وهكذا ، وأبان أن التركيب اذا اختل - اختلت المدينة وصارت فاسقة ، ويرى أيضا أن أهل الأرض كلها يجب أن ترتب دولهم على هذا المبدأ بحيث تكون كل

دولة في مركزها الخاص بها اقتصادا وعمالا ويصبح الناس كلهم أمة واحدة فان خالفوا ذلك كانوا افسادا ولكنهم لم يوضح تعليمهم العام بل تركه لمن يفهم ذلك بعده ، وأنت ترى أن آراءه تستمد من نفس الطبيعة وتندجو النحوي الذي أثبت لك في هذا المقام

سبحانك اللهم وبحمدك أنت الذي ألهمت الحكماء فعبروا عن صراطك المستقيم بما شاهدوه في عمالك ، قاس الفارابي نظام الأئمة على نظام الجسم الانساني وهكذا جميع الأمم وإن كان قوله اجاليا ، وأنا قلت هنا انك أنت أخضعت المادّة بالنفوس التي أنزلتها الى الأرض وهذه النفوس من النور الذي أبدعته نفوسنا نور إلهي ولذلك يسمونها بالجزء الإلهي فينا ، ونحن الآن لم نصل الى الدرجة التي بها تسعد في الحياة لأنك أنت على صراط مستقيم ونحن لم نسر على صراطك الذي نقوله كل صباح - اهدنا الصراط المستقيم - صراط الذين أنعمت عليهم - ومن أعظم المنعم عليهم أولئك الذين تكون مدنيهم على هذا الخط ويكونون في السلام الذي نقوله في التشهد ﴿ السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴾ وأنت تقول لنا - ولا تسعدوا في الأرض بعد اصلاحها - وتقول لنا - تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يربدون علوا في الأرض ولا فسادا - فجعلت الدار الآخرة مرتبة على عدم العلو في الأرض وعدم الفساد فيها ، فقولنا في المسلاة ﴿ السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴾ تدخل فيه تلك الحال التي يكون الناس فيها أمة واحدة إذ يكونون مصلحين في الأرض غير مفسدين وهم منهم عليهم لا يربدون العلو بل يكون الملك والعرش للنفعة العامة وخدمة المجموع لا للأغراض الخاصة التي هي شأن أمة الأرض قاطبة اليوم

أنا قلت لك ان العلامة الفارابي لم يبين تعليم الأمم ولم يفصله ولكن الذي تعرض للتعليم هو أفلاطون في جمهوريته التي جعلها على لسان (سقراط) أستاذة فأنا أورد جملا منها الآن ثم أتبعه بما أراه في زماننا ﴿ آراء أفلاطون في سياسة الانسان ﴾

ذكر أفلاطون في المقالة الخامسة من جمهوريته أن التعليم لا يختص بالرجال بل يعم الرجال والنساء معا وقال إن التفاوت بين الرجل والمرأة راجع للتفاوت في التعليم وبذلك يشارك الرجال في الحرب والوظائف المدنية ويتعلمن الموسيقى والرياضة البدنية كالرجال سواء بسواء ، وهنا ذكر كلاما لا ينبغي لأنه لا يوافق حالنا ولادينا . وقال في المقالة السادسة ﴿ إن معرفة الوجود الحقيقي لا تكون إلا للفيلسوف لأنه هو وحده الذي يحقر الظواهر ، وهو وحده الذي ينفر من الكذب ، وهو يحقر ما يستعظمه الجمهور من متاع الدنيا إذ لا يريد إلا التشبه بالنظام الأزلي ﴾ وأخذ يذكر تربية الحكام فقال ﴿ يجب أن يكونوا قادرين على العلم والعمل فيصطنع أذكى أهل المدينة وأكثرهم حافظة وأصبرهم على التعب ويمتنعون في الأشغال الفكرية والجسمية ويؤخذ أفضلهم للرئاسة ﴾ ثم قال ﴿ وهذا الجد والنصب والتعب لابد منه لمن يريد أن يرتقي الى معرفة أعلى العالما وهو معنى الخير المحض (وهو الإله في كلام أفلاطون) ﴾ ثم قال ، إن الخير للعالم كالشمس لبقية الموجودات منها يستمد كل موجود وبقاؤه ولا يعرف إلا بها ﴿ ولا طريق لها عنده إلا العلم الإلهي الذي له ﴿ طريقان ﴾ طريق البقع وهو الاستقراء أي الارتقاء من المعاني المفردة الى ما هو أرفع منها الى أن يبلغ الى جميعها تحت معنى عام ، والذي طريق التحليل والنقسيم بين المعاني الجملة الى أن ينتهي التحليل الى المعاني المفردة ﴾ انتهى من ترجمة الأستاذ (سنتلانه)

ولعل بعض هذه المعاني غامض فأوضحه قائلا ﴿ انه يقول إن الله سبحانه كالشمس فكما أن الشمس بها ظواهر الحياة وبها هدايتنا لطريقنا هكذا الله به قوام الحياة وبه هو معرفة المعنى فهو لحي وهو الهادي وعقولنا إن لم تستمد منه لم تعرف شيئا كأن أجسامنا إن لم يحياها هو لم يحيى ﴾ وطرق الاستدلال التي ذكرها هي في العلم الإلهي من فرق الفلسفة بحث بدرس الانسان هذه الدنيا بنا بالحيل والنسج وما بطريق

الاستقراء ، ومن اطلع على هذا التفسير عرف بجهل مايقوله . وذكر في المقالة السابقة مسألة المعرفة وضرب الناس مثلا بالمفارة التي تحت الأرض وفيها أناس مفلولون منذ صباهم معتلون فيها في رقبهم أطواق من حديد تمنعهم كل حركة ولم يروا إلا ما أمامهم من الدور إذ لا يلتفتون يمنة ولا يسرة . وراءهم نار على رية وهي تنير المفارة وبين المفارة والنار برق وبجانب الطريق حائط على طوله وقد كثرت المارتون بهذه الطريق وهؤلاء المارتون يحملون تماثيل مختلفة وأنواعا من المضاعف ثم إن أصحاب المفارة أشبه بنا الآن لأنهم لم يروا من أنفسهم إلا الظل ولم يروا نفس الأشياء وهذا الظل للتأويل والأمتعة ، ثم إن هؤلاء إذا اتخذوا فاتهم يتبعون تلك التماثيل أسماء ويتكلمون بأنه ليس في الوجود سواها فإذا انطلق أحدهم من المفارة فإنه يستحيل أن يقدر على مقابلة الأنوار إلا بتدريج فنهالك يتعذر ذلك المنطلق منهم على أن يرى ظل الأشياء أولا في الماء ثم يرى نفس الأشياء ثم ينتظر السحاب ليلا أولا فيرى السكواكب ثم يرى القمر ثم الشمس ثم يعلم أنها سبب الفصول والأعوام وسبب كل ما يحدث على الأرض وكل ما يراه في المفارة ثم يرجع إلى أهل المفارة ليهديهم إلى ما هدى إليه شفقة منه عليهم وهناك يتعذر على الظلمة شيئا فشيئا حتى يقدر أن يعيش معهم ثم يتحدثهم فيستخرون منه وينسبون له للجهل روبا يتحدثوا بقلته ثم قال فهذه حال الناس في الدنيا بالنسبة إلى حقيقة المعرفة فالمفارة هي هذا العالم المحسوس والنار ضوء الشمس والأسرار المفلول الذي خرج من النفس إذا ترفت إلى عالم المعاني فإذا بلغت النفس أقصى العالم المعقول فهناك تعرف بعض معنى الخير المحض (يريد الله) فإذا شعرت بذلك عرفت أن الخير المحض (يريد الله) هو علة كل مافي هذا العالم من الجبال والخير ، ومتى أدرك الإنسان ذلك صغر لديه كل مافي هذا العالم وتمنر عليه توجيه همه إلى الأمور والسخيفة التي هي مطعم أبناء جنسه وشغل أعمارهم في هذه الدنيا اه ثم قال (أفلاطون) ومن هذا يستدل على أن المعرفة لا تحصل للنفس دفعة واحدة كما يتخبر به بعض الناس إذ يقولون ﴿ نحن ندخل المعرفة مرة واحدة في النفوس الحالية منها كما يفعل بالمكشوف البصر بأن يرجع له الابصار ، والحق على خلاف ذلك وهو أن كلامنا له قدرة طبيعية على إدراك العلم وله كذلك آلة معه طهذه الغاية والحيلة فيه أن يحول هذه الآلة والنفس أجمع من مشاهدة مايقف إلى مشاهدة ما هو موجود في الحقيقة إلى أن يتعود شيئا فشيئا على مشاهدة ما هو كالشمس في الوجود وشو الخير المحض (يريد الله) ثم قال أفلاطون وعلى هذا فليس الأمر أن تحصل على الابصار إذ الابصار حاصل لسلك منا لكن آتة لم تنظر حيث يجب أن تنظر فينبغي تقويمها لكي تنظر حيث يجب ﴾

ثم رتب على هذا كيف تكون تربية الحائكم الفيلسوف ليستعد للحياة النظرية والعملية معا فقال بعد الفراغ من التربية المفروضة على جميع أصحاب الرئاسة وهي الموسيقى والرياضة البدنية يصطلي منهم من هم أقوى جسما وأصح عقلا وأصبر على المشاق وأتقى وأتقى وأكثر قوة على التعرض للخطار وابتعادا عن الملاذ والشهوات فيعملون أولا عوام الرياضات الحساب والهندسة والموسيقى ، فهذه العوام مع الاحتياج إليها في العجل تعود النفس على مراقبة الأشياء الدائمة التي لا يلحقها التغير لاقتربها من الوجود المحض (الله)

ثم يتلو هذا التعليم الرياضة الحربية مدة عامين أو ثلاثة ثم الرياضات من جديد حتى يبلغ التلميذ من عمره ثلاثين سنة ثم يعلم العلم الإلهي فيبحث عن علل الأشياء وجوهرها العقلي وهذا هو البحث عن الوجود ، قال أفلاطون ﴿ إن هذا العلم لبقية العوام كالشخص للظل وكالملمر للظن ، ويستمرن في هذا العلم خمس سنين ثم يدرب في العوام الحربية وغيرها ، ثم إذا انتهوا من ذلك كله يقدرون أمر المدينة بصفة حكام وذلك إذا بلغوا من العمر خمسين سنة ﴾ انتهى

وقال في المقالة الثامنة ﴿ فذكرت أن هذه هي المدينة الفاضلة وهؤلاء هم حكامها فإذا فسدوا زالت مدينتهم ورجعت فاسقة فتكون أولا عسكريا وهي الخاضعة للقوة الغضبية ، أما المدينة الفاضلة فهي خاضعة للقوة

العاقة ، ثم حكومة الجهور ثم حكومة الجبار والفسق وهى حكومة الفرد)

ثم أبان أن هؤلاء المتعلمين هم الأشراف وحكومتهم تسمى (حكومة الأشراف) ثم قل : { إن فساد المدينة الفاضلة ينشأ من فساد النسل وتنازل الأولاد فى أخلاقهم وأفكارهم عن شرف آبائهم ، ومن ذلك ما يقع بينهم من تفرق الآراء والشاجر وكثرة الفتن ويكون مآل أمرهم أنهم يقسمون المكاسب والأموال فيما بينهم ويستخرون بقية أهل المدينة لتدفعهم بعد أن كانوا لهم حراسا وحكاما فيغلب عليهم حب السلطان والمال وينفرد كل واحد برأيه ، فإذا تنمذى الأمر على ذلك وفترت الثروة وانتشر فيهم حب الترف والاسراف والحرص على المال فقد ينقص بقدر ذلك من احترامهم للفضائل ويزداد انجذابهم بالأغنياء واستغفارهم للفقراء . إذن تنبدل هيئة المدينة شيئا فشيئا وتصبو الرئاسة الى الأقل وهم الأغنياء . إذن تكون المشاركة فى الحكومة على قدر المكاسب وأنه لاحق فى الرئاسة إلا لأصحاب الأموال دون غيرهم وعلى ذلك تنظم أخلاق أهل المدينة بحب المال والبخل وعدم البرودة والحرص ثم يدمر الأمر على ذلك فيصبح المال فى يد زمرة قليلة من الأغنياء ويزداد الفقراء يوما فيوما لأجل ما يؤخذ منهم من الربا وما يبيع من مكاسبهم لخلاص الديون ويزداد الأغنياء بقدر ذلك ثروة وقدره وأذن تكون المدينة { فرقتين } الفرقى الأكبرهم الفقراء والأقل هم الأغنياء الذين ييدهم زمام الأمور فيهيكون فى الذات والاسراف ويتبع ذلك الكسل وضعف الأبدان وفساد المزاج وعدم الصبر على المتاعب والمشاق فإذا رآهم الفقراء على تلك الحال وشعروا بغلبة عدوهم ورفورقوتهم على قوة الأغنياء لابلث الأمر أن تنشب نيران الفتنة والثورة فى المدينة فرما يغلب الفقراء فيأخذون فى قتل الأغنياء واجلبأهم عن المدينة (وقد حصل هذا فعلا كما قدمته فى سورة النحل ببلاد الترك وبلاد روسيا حرفا بحرف هو بعينه فقد أخرج بنوعمان وقتل القيصير وانتهت هذه الفتنة) ونهب أموالهم فتصير الحكومة اليهم ويسببون فى المدينة بالأمر وهذه هى الحكومة الجهورية (ديموقراطية) وهنالك تمام الحرية وإزالة عنان الأحكام والموانع والفروض الواجبة فيفتح كل من الأفراد هواه ويصير الأمر كالفوضى بينهم لاسراكم ولعسكروم ولأثبات ولاتحاد وتستمر الحال على هذا المنوال الى أن يسقط اعتبار الأحكام من نظر الجهور وهذا إفراط فى الحرية فلا يبين الراعى والرعية حاجز ولا يبين الأب وابنه قيد وينعل كل رباط فيحصل إذ ذاك العكس ، فالتى اذا جاز الحذر انقلب الى ضده ، والافراط فى الحرية يوقع الأمة فى العبودية الناتئة - جزاء وفاقا -

هنالك عند تفاقم الأمر يصبح الأمر بيد واحد مسند برأيه ولا يعتمد إلا على قوة سلاحه فيطغى ويجور ولا يأمن أحد ظلمه وهذه هى الحكومة الجبرية وهى آخر هيئات الحكومات التى تغير اليها المدينة الفاضلة وهى أخسها مرتبة وأضرها عاقبة على الأمة

وفى المقالة التاسعة ذكر أفلاطون أخلاق النفس الجبرية المشاكلة للمدينة الجبرية فقال انها النفس العدمية العفة والحياء المطلقة فى ميدان الخلاعة والظلم والاستبداد لاستيلاء النفس الشهوانية فيها على النفس العاقلة فهى أشبه شئ بنفس السكان والمجنون ، فإذا كثرت مثل عدد تلك النفوس فى المدينة كانوا الجبار المنسلط عليها من أقوى الدعائم للاستمرار فى ظلمه وسعادة هذه النفوس وسعادة الجبار المنسلط عليها لامتعى لها إلا الشقاء المستمر بل هم أشقى الناس وأحقهم بالشفقة وأهل مدينهم أشقى أهل المدن ، فإذا ارتبذ الميثاق الحسن المذكورة وجعلنا الموازنة بين الماكسل منها من السعادة جيلة وأفرادا عرفنا أن مراتب السعادة تناقص فيها على قدر تنازل المراتب فأعلاها درجة فى السعادة (مدينة الأشراف) فالمدينة سعيدة وأفرادها سعداء وهكذا بالترتيب الى آخرها وهى الهيئة الجبرية فهى أقلها سعادة وأكثرها شقاوة ، ثم قال « ان أسعد الناس وأفضلهم وأعظمهم هومن ملك نفسه ونظامها على هيئة (مدينة الأشراف) وأشقى الناس هو أظلمهم وأخبثهم وهو الذى على هيئة (المدينة الجبرية) فهو ظالم لنفسه وغيره ولم يترك للعقل وللعدل مجالا »

والقالة العشرة التي هي آخر الكتاب ذكر فيها انه يجب التجبر على الشعراء والمشتغين وغيرهم من الصنائع التي شأنها تمثيل الأهواء والعواطف الموهبة لأن في عملهم اغراء النفوس وجعلها على ما يشاهد أو يسمع من أنواع الشهوات والغضب والقسى والحزن والمفرط والضحك المفرط وغير ذلك من أنواع امواطف المناقضة لاعتدال النفس وما يجب حفظه من رئاسة النفس العاقلة ، قال لأن ليس من أنواع المجاهدة ما هو أعظم خطرا وأعسر مباشرة من الجهاد الموقوف عليه أن يكون المرء فاضلا لا خبيثا فلا ينبغي أن تغفل عن العدل والاعتدال معيشة الفضائل لأجل شيء آخر سواء كان الكسل أو المال أو السلطان أو جزل الشعر . انتهى ما ذكره أفلاطون ترجمة الاستاذ سنبلانه

ثم أنا ذكرته مجلا سابقا وهنا فصلته تفصيلا أوسع لما سأورده هنا ، فها أنا ذا أميها لنذكر لك مبدأ الأمر وهو هذه العناصر التي في أرضنا ومنها الصودا والبوتاسا والكبريت التي هي من جملة ما في النبات والحيوان والانسان من العناصر وانها محرقات منتهيات كما ان الاكسوجين أيضا ملتهب وهو من أهم أجزاء تلك المواليد وأن هذه النفوس النباتية والحيوانية تصرفت في هذه الطبايع فحولتها الى ما هو أكل ، ثم إن هذه النفوس الانسانية أكل وقد لعبت بها هذه المادة فرجعته الى أخلاقها والنفوس نارة تكمل لأنهما من عالم أعلى ونارة تسفل لأنهما لم تحطأ مثل هذا العالم المضطرب المحترق ثم ذكرت لك أخلاق النفوس البشرية في كلام الفارابي وأن المدينة الفاضلة نتيجة كمال هذه النفوس ككمال النظام في الجسم الانساني وقلت انه لم يبين التعليم بيانها وانها أتبعته بكلام أفلاطون وان كنت أجعله في غير هذا المكان لأنه ذكر التعليم وفي كلامه الاصول التي سأبني عليها إن شاء الله ما حصل في أمثنا الاسلامية وما في ذلك من العجب والعلم والحكمة وبدائع الأقدار ومجائب التصريف الإلهي في هذا النوع الانساني وكيف يشابه الأولون والآخرون انتهى

﴿ التعاليم الاسلامية ﴾

(ماذا أصاب أمثنا الاسلامية من الأهوال السياسية بمخالفتها في التاريخ

وتطبيق الآية على السابق وعلى اللاحق)

ولذا فرغت من الكلام على الأمر الأول وهو ذكر نظام الانسان في مدينته وعلى الأمر الثاني وهو ذكر غاية ما وصل اليه بعقله وذكاؤه في اجتماعه وسياسته أين ﴿ الأمر الثالث والرابع ﴾ اللذين فيها أن الأمم المقلوبة لغيرها يسرع اليها الفناء وأن الأمم الغالبة تلحقها في ذلك الفناء وأذكر شواهد التاريخ على ذلك كما وعدت ، ولأقدم مقدمة في ذلك فأقول

لا جرم اننا الآن في تفسير آيتين من كتاب الله تعالى وهما - إن الملوك اذا دخلوا قرية - الخ وقوله تعالى - فذلك يومئذ يوم عار - فلا يبين ما يناسب كلام أفلاطون من القرآن . اللهم انك أنت الذي خلقت هذه المادة وأنت الذي جعلتها محترقة مضطربة وأنت الذي خلقت أرواحنا والقوى المعنوية والنباتية والحيوانية وجعلت هذه النفوس من عندك مهيئات على هذه الأرض واصطفت من هذه النفوس الانسانية الطافها وأمرتها أن تفكر نارة باجتهادها ونارة بأن توحى اليها ، فالحكاء بالجد والتفكير والأنبياء بالوحي ، وأزنت العلم على قلوب حكماء في الصين والهند و بابل وقدماء المصريين وقد تشابهوا في أصولهم وكان من بقيتهم الوارث علم قدماء المصريين (أفلاطون) ومن معه من الحكماء ، ثم إن هذا الفيلسوف أكرم كتبه ومضى اليك ولم يقدر على إيجاد أمة من الأمم بل بعده بعشرات السنين ذهب دولته وهي اليونانية وحلت محلها دولة الرومان وورثوا ديالهم وعالومهم وتسك بها أمثال (سنيكا وشيشرون) الفيلسوفين الرومانيين وتسلطت هذه الدولة على أمة كثيرة ثم فسقت ، ولكنك قبل أن تنزعها أردت أن تظهر أمة أخرى بشكل عجيب فعمدت الى بلاد قليلة النبات لاعلم عند أهلها فهم في قفرهم أبعد الناس عن كل علم وتهذيب واصطفت واحدا منهم وقلت له

.. والشعراء يتبعهم الغاويون * ألم تر أنهم في كل واد يهجمون * وأنهم يقولون ما لا يفعلون .. فهذه الآية قد فسر بها (سقراط) الذي زالت وولت أمته ودولة أمة اليونان بعدها فقد قال في المقالة العاشرة المنتهية ذكرها بوجوب الحجر على الشعراء والمصورين والمشغصين الخ لأن هؤلاء يفتشون على الأمة أبواب الفسوق والفسيان فتضمت الأبدان والعقول وتصبح مدتهم فاسقة ، وقلت له - وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا - وهذا اجبال يفصله ما تقدم في مقالات (سقراط) قبل المقالة العاشرة كما سمعته من المدينة الفاضلة وهي العسكرية والمدينة البحرية وهي حكومة الفرد المستبد ومن المدينة التي تحت حكم الأغنياء ، وكيف ينتهي أمر هؤلاء بضمها الأجسام وضعف العقول بالانهمالك في الشهوات فيذهب ملكهم ويضيع مجدهم ، فهذه المدينتان الأربع ^(١) التي ذكرها أفلاطون وإن كان في بعضها نظرماسا وضحه بعد هي التي ذكرها الله في القرآن بهذه الآية . وقلت له - أذهبت طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها اليوم تحزنون عذاب ألوان بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون - ، وقلت له - ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون - ، وقلت له - إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين وابتغ فيها آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض - وقلت له - نخرج على قومه في نبيته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم * وقال الذين أوتوا العلم وبلغكم ثواب الله خير لن آمن وعمل صالحا ولا يلبقها إلا الصابرون نخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين * وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يسقط الزرق لمن يشاء ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون * تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للتقين -

فهذا كلام ابن اصطفتي من هؤلاء الذين لا علم عندهم ولا مدينية فلما اطلعنا على خلاصة فلسفة الأمم السابقة ألقينا تفسير هذه الآيات قد حصر في العقول من عندك قبل نزول القرآن كأنك أنزلت هذه المعاني أولا ثم أنزلت القرآن انطلق الآن عليها وتوحيها شرحا لها كأنك خلقت النبات قبل خلق الحيوان ليكون مربي له وخلقتهما معا قبل خلق الانسان ليكونا سعادة له ، فهذا الدين أنت أنزلته على نبي أمي وأمتي آمينون حتى اذا قرأوا كتب الأمم السابقة دهشوا وقالوا يا عجبا ياربنا يقول أفلاطون في جمهوريته فيما تقدمت بها ^(٢) إن أولئك الملوك المستبدين في شقاء في حياتهم وهم معرضون لزوال الملك بعد ضعف أجسامهم وعقولهم ^(٣) هذا من جهة ومن جهة أخرى أن هذه الأموال والنعم الظاهرة التي يعظمها الجمهور عند طائفة من الناس وهم الفلاسفة عذاب واصب لأنهم اطعموا على الخير المحض ، وهؤلاء الفلاسفة يجامون حياتهم كلها بقوة لعقولهم بالعلم الرياضي والإلهي ولأجسامهم بالخير الحزني ، فالعظمة والسعادة إذن ترجعان الى شئ غير المال وهو قوة العقل بالعلوم جميعها لاسما معرفة الخير الأعظم وهو الله ومعرفة الخير الأعظم لاتأني الى الناس بقية فلا بد من ممارسة العلوم العقلية والصناعات العملية هذه في وقت وهذه في وقت آخر حتى يقوى العقل ويقام الانسان جميع الشهوات وتسلم لصاحبه مقاييد المدينة ويتولى نظام الأمة . إذن ما كان يفكر فيه الحكماء جاء به نفسه القرآن ، ففهم المسلمون أم لم يفهموه ، عفاوه أولم يعقلوه ، فكيف وضع الله من بذور في الأرض نخرجت زرا ففهموا الناس لا يعقلونه ، فإذا رأينا أما اسلامية ماتت وأخرى حية وهم جميعا لا يعلمون هذه العلوم فليس هذا بدعا فهذه أعمال الله ، ينزل الخير ولكن هذا الخير ينتظر أصحابه وهم قراء هذا التفسير وأمثاله ومن على شاكلتهم بل انهم حين يقرؤن هذا يزبدون دهشة واستغرابا لهذا الاتحاد العجيب بين العلوم الخزونة عند الأمم وبين الدين المنزل على النبي ﷺ

فهذه هي الآيات التي أنزلها يا الله على من اصطفتيه من أمة العرب فأصبحت المدينتان الأربع التي هي

(١) الرابعة هي الديمقراطية التي يذهبها سقراط ولا يوافقها المؤلف اه

أدنى من مدينة الأشراف منطبقة في الأغاب على هذه الآيات فإذا كان هذا الفيلسوف يقول ان بني آدم جميعا لا يرون من الخير والحقائق إلا صورها ولا يعرف الحقائق حق معرفتها إلا الذين تدرجوا في العلوم وقتنا فوقتنا كأن يتعلموا العلوم الرياضية أو الإلهية سنين ثم يتأهلوا سنون أخرى يتعلمون فيها الأعمال الحربية تقوية لأبدانهم ويعيدون المكر هكذا دواليك ، فهو لاء في نظره هم الذين يعرفونك أنت وبدرون ملكك على صراطك المستقيم فإذا كان هذا رأي على علانته فما أنت ذا بالله قالت - أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض - الخ وقالت - الله لإله إلا هو الحي القيوم - الخ وقالت - ألا يذكر الله تقدمهن القلوب - فلا اطمئنان لدولة إلا بمعرفتك أنت ، وقالت أيضا - وأعدوا لهم ما استعظمتم من قوة - وقال علماء الاسلام باستحباب السبق والري لتقوى الأبدان وهكذا ، وقد جهت ذلك كله في قولك - وزاده بدلة في العلم والجسم - . هذه بالله آيات دينك المنزلة على النبي الأمي وهذه آراء حكماء خافتهم قبله وكأها بجهولة عند عامة هذا الانسان فالعامة لا يعرفون إلا الترف والتبعم والقلبة والراحة ويطنون انها هي أهم السعادات لجاء العقل الذي خرج من بين هذه الحواس المغفولة في وسط هذا الانسان المحبوس في مغارة (أفلاطون) وقال أيها الناس أنتم غافلون ، أنتم لا تعرفون من السعادات إلا ظاهرها ، ولان العلوم إلا صورها ، أما حقيقة السعادات وحقيقة العلوم فليس لها سبيل إلا بالعقول ثم جاء الوحي مؤيدا لذلك كل التأييد بل أصبح ما وهبته للعقول غذاء وتقوية وشرحا لما أنزلت بالوحي فاصطلح العقل والوحي في هذا التفسير وتماثلوا في التقديم والحديث واطلع عقلاء المسلمين على خلاصة علوم الأمم فمصبغون أمة لانظيرها في السابقين والجد لله رب العالمين

ههنا بالله عرفنا اتجاه الفلسفة اليونانية الأفلاطونية والقرآن الذي أنزلته على نبيك العربي - فإذا وجدنا ؟ وجدنا أن هذا الفيلسوف لم يكون أمة وإنما تأليف نقاتها أمة الرومان فالعرب فأهم أوروبا وهاهي ذه تدور بين الأمم في أمريكا وأوروبا والشرق الأقصى ، ووجدنا أن نبيك العربي بالوحي خلقت على يده أمة وصلت مشارق الأرض ومغاربها ، فلننظر الآن ماذا كان يفهمهم حتى ارتقوا ، هاهذا القرآن والحكمة اتفقا على أن المال والاستكثار منه مضعف للأثم مزيل للآل ، فانظر أيها الذي ماذا جرى ؟ أحتل الغنائم وهذه الغنائم في الحكمة سبب ضياع المجد والعقل والسعادة كالأجمع عليه الدين والفلسفة كما علمت فقال الله لهم - لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم - إذن أخذ الغنائم قد أشتم منه رائحة القضب السجاوي ، وتقسم عند تفسير هذه الآية أن محمد بن اسحق قال « لم يكن أحد من المؤمنين بمن حضر بدرًا إلا وأحب الغنائم إلا عمر بن الخطاب وسعد بن معاذ ، ولذلك قال ﷺ لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر بن الخطاب وسعد بن معاذ » هذا الذي ذكرته هناك ، إذن هذه المسألة قد اختبأ فيها غضب من الله ولا يظهر أثره إلا في وقته أي حينما تظهر ذريرة غير صالحة وتستعمل هذه الغنائم في شهواتها ويجعلون الأمم عبيدا لهم ولا يكونون نافعين للأثم بل آكلين أموالهم باسم الدين ولذلك ورد في حديث البخاري الذي ذكرته عند تفسير الآية أيضا أن الذي ﷺ قال « إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتن عليكم من زهرة الدنيا وزينتها فقال رجل يا رسول الله أو يأتي الخبر بالكر » الحديث ، فارجع اليه في سورة الأنفال في أوها . إذن رسول الله ﷺ صرح بهذا وعلم ما ستلاقيه أمة من هذه الغنائم وفتوح البلدان فانه أظهر للذي سألته عن ذلك أن فتوح البلدان وان كان خيرا فانه يكون شرا على نفوس استعظمته ووضعه في غير موضعه بخلاف الصالحين . إذن رسولك ﷺ علم الأمة معنى القرآن وهوان الغنائم ليست للذات بل هي لنفع الأمم لاغبروان حادت عن هذه الجادة انقلبت عذابا واصبا ماله من دافع ثم سمعنا رسولك ﷺ يقول في رواية الترمذي عن عائشة أن النبي ﷺ قال لها « إن سرك الحق في فيبفك من الدنيا كراد الراكب ، وياك ومجالسة الأغنياء ولا تستخلى نوبا حتى ترقيعه » وقال عروة فما كانت عائشة تستجد نوبا حتى ترقيع نوبها وتكسسه * وفي حديث الترمذي أيضا

عن عليّ « قال بنينا نحن جلوس مع رسول الله ﷺ إذ طلع علينا مصعب بن عمير رضى الله عنه ما عليه إلا بردة مرققة بغرو فلما رآه ﷺ بكى للذي كان فيه من النعمة ، ثم قال كيف بكم إذا غدا أحكم من حالة وراح في أخرى ووضعت بين يديه تحفة ورفعت أخرى وسترتم بيوستكم كما تستر السكبة قالوا يا رسول الله نحن يومئذ خير من اليوم فسكنى الموتى وتفزع للعبادة ، فقال بل أنتم خير منكم يومئذ » وعن عائشة رضى الله عنها قالت « كان يأتي علينا الشهر ما نوقد فيه نارا انما هو النور والماء الا أن نؤذي بالصميم » أخرجه الشيخان والترمذى * وفى رواية « ما شج آل محمد من خبز البر ثلاثة ثلاثا حتى مضى لسبيله » * وفى رواية « ما أكل آل محمد أكلين في يوم إلا إحداهما نحر » * وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال « كان رسول الله ﷺ يبيت الليالى المتتابعة وأهله طاولا لا يحدون عشاء وكان أكثر خبزهم الشعير » أخرجه الترمذى وصححه فهذه هى التعاليم يا الله التى أنزلتها على نبيك الأسمى فآلفيناها بفسر القرآن بقوله وفسله ويقول لهم إن فى الفنائم لداء فدينا وذكرهم بالعباد وبكى وبكى معه أبو بكر وجاء عمر فطلب أن يعرف سبب بكائهما حتى يبكى أو يقبكا فإذا هى نفس الفنائم ، هذه هى الأحوال النبوية فى العصر الأول ، فإذا جرى بعد ذلك ؟

﴿ الكلام على تحريب الفاتحين للمالك وكيف يجازون بزوال ملكهم بعد ذلك من ابن خلدون ﴾

وصلنا الآن من المقدمات فى الفصلين الثالث والرابع الى المقصود منهما وهوان المولى يذلون أهل البلاد وهؤلاء الظالمون أيضا تخرب بيوتهم ، ولأذكركم مجلا من كلام العلامة ابن خلدون فى تاريخه فى الجزء السابع فانظر ماذا يقول وهالك نصه

قال ، لما فرغ شأن الردة من افرىقيا والمغرب وأذن البربر لحكم الاسلام وملك العرب واستقل بالخلافة ورئاسة العرب بنو أمية اقتصدوا كرسى الملك بمدشى واستولوا على سائر الأمم والأقطار وأتحوا فى القاصية من لدن الهند والصين فى المشرق وقرغانة فى الشمال والحشة فى الجنوب والبربر فى المغرب وبلاد الجلائقة والافرنجة فى الأندلس وضرب الاسلام بجراحه وألقت دولة العرب بكسكها على الأمم ثم جاع بنو أمية أنوف بنى هاشم مقامهم فى نسب عبد مناف والمؤمنين استعفاق الأمر بالصوية وتكرس خروجه عليهم فأتحوا فيهم بالقتل والأسرى حتى توغرت الصدور واستحكمت الأوتار وتمددت فرق الشيعة باختلافهم فى مساق الخلافة من على الى من بعده من بنى هاشم ، فقوم ساقوها الى آل العباس ، وقوم الى آل الحسن ، وآخرين الى آل الحسين فدعت شيعة آل العباس بخراسان وقام فيها الجينية فكانت الرسالة العظيمة الحائرة للخلافة وزلوا بغداد واستباحوا الأمور بين قسلا وسبيا وخلص منهم فى الأندلس عبد الرحمن بن معاوية بن هشام فجدد فيها دعوة الأمويين واقطع ما وراء البحر عن ملك الهاشميين فلم تخفق لهم به راية ، ثم نفس آل أبى طالب على آل العباس ما أكرمهم الله به من الخلافة والملك وفرج المهدى محمد بن عبد الله المدعو بالنفس الزكية فى بنى أبى طالب على أبى جعفر المنصور وكان من أمرهم ما هو مذكور واستلجهم بجيوش بنى العباس فى وقائع عديدة وفرّ ادريس بن عبد الله أخو المهدى من بعض وقائعهم فى المغرب الأقصى فأجاره البرابرة من (أوربة) و(مغيلة) وقاموا بدعوته ودعوة بنيهم من بعده ونالوا به الملك وغلبوا على المغرب الأقصى والأوسط وشؤا دعوة ادريس وبنيه من بعده فى أهل من زانة مثل (بنى يفرن) و(مغراوة) وقطعوه من ممالك بنى العباس ، واستمرت دولتهم الى حين انقراضها على يد العبيديين ولم يزل الظالمون أثناء ذلك بالمشرق ينزعون الى الخلافة ويبشرون دعائهم بالقاصية الى أن دعا أبو عبد الله المحسوب بأفرىقيا الى المهدى ولد اسماعيل الاسام ابن جعفر الصادق فقام ببراة كتمانة ومن اليوم من صنهاجه وملكوا افرىقيا من يد الأغالبة ورجع العرب الى مركز ملكهم بالمشرق ولم يبق لهم فى نواحي المغرب دولة ووضع العرب ما كان على كاهلهم من أمر المغرب ووطأة مضر بعد أن رسخت الملة فيهم وخالطت بشاشة الايمان قلوبهم واستيقنوا الوعد الصادق أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده

فلم تسليخ الملة بانسلاخ السولة ولا تقوضت سباني الدين بقوى من الملك وعهد من الله ولن يخلف في تمام أمره
واظهار دينه على الدين كله فتناغي حينئذ البر بر في طلب الملك والقيام بالخدمة اليه الى أن ظفروا من ذلك بحظ
مثل كسامة بأقر يقيا ومكاساة بالمغرب ونافسهم في ذلك زنانة وكانوا من أكثرهم جها واشدهم قوۃ فسهرروا
له حتى حتر برا محسوم بينهم فكان ليني يفرن بالمغرب وأقر تينا تلى يد صاحب الجمار ثم على يد بيلي بن محمد
وبنيه ملك ضخم ، ثم كان المعارة على يد بني خزر دولة أخرى تتلذذوها مع بني يفرن وصنهاجه ثم انقضت
تلك الأجيال وتجرد الملك بالمغرب بعدهم في جبل آخر منهم فكان ليني صرين بالمغرب الأقصى ملك وابني عبد الواد
بالمغرب الأوسط ملك آخر فقامهم فيه بنو قوجين و بطن من (مفراوه) حسبجا نذكر ونستوفي شرحه ونذكر
أيامهم و بطونهم على الطريقة التي سلكناها في أخبار البربر والله المعين لأرب سواء ولا مبدود إلا بإياه انتهى
ما أردت منه والله أعلم

ولارب أن هذا الاجبال هو الذي جاء به نبينا ﷺ فانه خاف من فتوح البلدان ومن الغنائم وقد تحقق
ماخفه واحمد لله رب العالمين

﴿ سر ارتقاء العرب ثم انحلال دولتهم ﴾

قلت لك أنفا ان الله الماعظم دولة الرومان واستفطحت وعلم انها ستدخل محمد الى أمة بدوية فاصطفي
أفضلها وعامه ثم وازنت بين ما أوحى اليه وما جاء على قلوب الحكماء لأن المادۃ منه والحكمة منه والوحى منه
- فأينما تولوا فثم وجه الله - وانما الجاهل هو الذي ضاق عقله فلم يتسع لإلى بعض هذه ، فالعقول والأجرام
والدين كلها من الله بل الخبر والشركه منه وكلاهما عند العقول سواء في الافادة والتعليم ، أقول فلما أخذت
دولة الرومان تسحل كان الله قد أعد أمة أخرى خرجت من البادية لتعليم الناس وأباح لها الغنائم لأن هذه
الغنائم ساعدتها في فتح البلدان وطهرهم بالمال وبالرجال فذهبوا الى الهند والصين وإلى أرم القرمجة وأصبحوا
كلهم تحت حكم أمة واحدة ، لم يرد الله بهذا في حكمته إلا أمرا واحدا هو نذر الدين في هذه الأصقاع لأن هذه
الأمم في عالم متأخر وهي أرضنا التي علمت انها عالم كله نيران متأججة وهو على صراط مستقيم فلس من الملل
عنده أن يجعل أمة واحدة تقود العالم كله لأن ذلك ليس هو العدل الذي أنزله في الأرض ، فلابد لسلك أمة
أن تستخرج مواهبها ، وهل تستخرج ، وماهبها بتسلط أمة واحدة عليها لذلك أرسل الله نيا أميا ﷺ وذلك
بعد أن عجزت الفلسفة والحكمة في الأمم عن اسعاد الأمم ، إن الفلاسفة اجمين عجزوا أن يشعروا علما واحدا
في العالم كله يجمع الأمم ، ولم يقن اسقراط وأفلاطون المتبحرين عند جميع الأمم أكبر جبارة العقول أن يوجد
أمة تنشر هذه التعاليم فاختر الله أمة العرب وطهرها في البلاد شرقا وغربا ووضع لها مع ذلك داء دفيناً وهو
المال وفتوح البلدان وأمر رسوله ﷺ أن يحفرهم المال ويخوفهم الفتنة بالمال ، فلما توفاه الله أخذوا هم
يتعمون سنته ، ولقد سمى المساهون أبا بكر خليفة وهكذا من بعده فهم خلفاء لأملاك ، لأن مال الله ليس لهم
بل هم خلفاء على عباده وجميع الناس خلفاء على أموالهم وتسلطهم على الأمم أولا وبالذات لتعليم الدين فلم يزل
الدين يمتكن في قلوب الأمم وشيطان الطمع يوسوس في قلوب العرب بحيث يكون الخلف متعرقا عن السلف
- تغلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا -

هنالك دالت دولة العرب وحلت محلها دول أخرى ثم ذهبت وحلت أخرى محلهم ، لماذا كل هذا ؟ لأن
الله يقول - وتلك الأمم نداولها بين الناس - فلم يخص العرب بالملك بل هو سخرهم كما سخر النحل والحشرات
لانتاج النبات والنحل إنما تسمى للعسل ، وكما سخر الذكور والاناث لانتاج الذرية وهم إنما اجتمعوا للشهوة
لاغير ، فهذه الشهوة قد سخرهم الله بها حتى ولما التزربة ثم ذهبت وضعت وحل محلها ما هو أعلى وأغلى
وهو الاتحاد والعطف عليهم والمعايشة وتدير المنزل ، هكذا اذا كان بعض من كانوا اساعين في فتوح البلدان

لا يريدون إلا عرض الدنيا فان عملهم أنتج تلقيح أفكار الأمم بالدين الاسلامي مع العلم بان المسيحية رضوان الله عليهم والتابعين ما كانوا يريدون إلا اعلاء كلمة الله ، ولولا ذلك ما أذابوا مهجهم في الحرب ولا توسعوا في الأمم شرقا وغربا . إذن أنت يا الله هكذا أردت ، حدثت من المال وحذرهم نبيك ﷺ وطهرتهم في الشرق والغرب فغنموا الدين ثم أخذت تسلب من الأبناء مانتحت الآباء لتهدم الأسباب التي كانت أمانا للعرب البلاد لأهلها كأنك حكمت بموت صاحب الشريعة ﷺ لما أغتصم الدين بقتل له ولم . اليوم أكلت لكم دينكم - فهو ﷺ مات لما أنتم ما أوجبته عليه والعرب ماتت دولتهم لما أنتم ما خلقت لأجله لأن الدين لك أنت والأرض لك - إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين - إذن كل ما حصل في أمم الاسلام مصداق للقرآن وللحديث ولأفعل النبي ﷺ وللكلام الفلاسفة اليونانيين والمسلمين

﴿ نبذة من أسباب زهاب دولة أمة العرب مصداقا للآيات والأحاديث وقوله ﷺ لما أخبرهم بأنهم ينفدون في حلة وبروجون في أخرى وانهم توضع أمامهم محفة وترفع أخرى ﴾
جاء في « الرحلة الأندلسية » مادلغسه انه قد كنز زواج ولادة الأندلس من العرب وأمرائهم من الاسبانين وأول من تزوج منهم عبد العزيز بن موسى بن نصير فقد تزوج بالسيدة (ياوانا) أمثلة لبري ملك القوط بعد أن مات أثر جرحه في واقعة شريش التي قتل عليه فيها طارق بن زياد وتزوج الأمير محمد بن عبد الله ابن محمد بن عبد الرحمن الأوسط باسبانية اسمها (ماريه) وورق منها بولده عبد الرحمن الناصر وتزوج الحاكم ابن الناصر بن أبي عامر بنت (سانسكو) ملك بافاريا ولدت له ابنه عبد الرحمن وكانوا يدعونه سانسكو الصغير لميله الى ملاذته وجاراته على الدين في سيرته الشخصية ، وتزوج المأمون بن الناصر بطان الموحدون باسبانية اسمها حجاب وخلف منها ابنه الرشيد ، وتزوج السلطان محمد بن أبي الحسن بن الأحرار بالسيدة (زينا) الاسبانية وولدت له ابنه أبا عبد الله وكانت أم عبد الحق بن أبي سعيد سلطان بني مرين اسبانية . قال وقد فسد الزواج والفسر بالاسبانيات من القوط وغيرهم بين الأمراء والرؤساء من العرب وكان هذا العنصر الجليل شئ من التأثير فيهم ظهرت نتائجه الخبيثة عند ضعف الدولة كما كانت سببا في استكانة هشام المؤيد الى طابعه ابن أبي عامر ، تلك الاستكانة التي ساعدت عليها في أول الأمر ثم فلما اختلفت مع المنصور وهو قوى الإرادة لم تقدر على كسر حتمه فلما كبر ولدها ظهر أثره فيه فأصبح جبانا لا يسي الا الى لذاته وقضى في حياته على الدولة الاموية وهذا من أسباب ضعف العرب في أوروبا كما كان من أسبابها كذلك ضعفها في بني العباس بالشرق إذ كانت أم المستعين بالله العباسي صقلية وأم المهتدي رومية وأم المقتدر تركية وكانت كثيرة التدخل في أمورا الخلافة مدته ولدها وتجتمع بالوزراء والقواد في مجلسها وتصدر اليهم أوامرها من غير علم ولدها فلذلك أخذت الدولة تضعف في الشرق واستبدت الأتراك بدولة بني العباس كما ذهبت دولة بني أمية بالأندلس بنظر ذلك فيما علمت ، وبعد ذلك ظهرت التربية الاجنبية في عبد الرحمن بن أبي عامر فيه قضى على الدولة العاصرية وفي الرشيد بن مأمون بضعف الموحدون وفي عبد الحق بن سعيد المريني ملك المغرب بشياع الملك من بني مرين وفي أبي عبد الله ابن الاحمر بالقضاء على حكم العرب في الاندلس

وقد كان الزواج بالاسبانيات ليس خاصا بالاعراء بل تقاضاهم الى العاقبة بل نسبهم اليهم على غير عادة العرب فقالوا ابن الرومية وابن القوطية بل هذا التلقح ظهر أثره في البربر فرق من أخلاقهم وقل من حلتهم هذه أحوال أم العرب شرقا وغربا ، فهل تعجب بعد هذا البيان اذا ذكرت ما قدمته لك في (سورة طه) عند قوله تعالى - وقل رب زدني علما - إذ ذكرت لك هناك انقسام الدولة العباسية في الشرق الى دول مختلفة أو تخلفها هناك بعد انحلالها ، وكذلك لا تعجب اذا عرفت ما ذكره هنا من انحلال الدولة الاموية بالأندلس وانقسامها الى عشرين دولة صغيرة مثل (اشبيلية . جيان . سرقسطه . النقر . طليطلة . قرمونه

الجزيرة الخضراء . مرسية . بلسية . دانية . طرطوش . لاوده . باجه . مالفه . بطليوس . لشبونة . جزائر البليار . قرطبة) راجع كتاب « الرحلة الأندلسية » لصديقنا البتوني . فهذه النبذة التاريخية ملخصة منه . هذا ممدق الأحاديث المتقدمة والآيات وآراء الفلاسفة ، فالتى عليه السلام قد أخبره وجعل المال والغنائم سببا للجرمان اذا استعملت للشهوات وتذكر حديث الرواس في حلة والغدو في حلة وقوله تعالى - وأترافهم في الحياة الدنيا - وآراء أفلاطون اذا أصبحت أخلاق الأبناء على خلاف أخلاق الآباء وهى المدينة التى انصرفت عن مدينة الأشراف وهى كذلك للمدينة الفاسقة عند الفارابى ، إذن ما حصل لأمر العرب قبلنا هو مقتضى قواعد الدين والحكمة وفى أجد الله حمدا كثيرا على ما علم وأعلم وأسعد فله الحمد فى الأولى والآخرة وله الحمد وإلى ترجعون

هنا الطمأنات النفس للعلم وعرفت الحقيقة بقدر الطاقة البشرية ، وما كان يخيل لى مرة فى أول حياتى أن أطلع على هذا الجبال والبهاء والحكمة وأن أصل الى بهجة الحكمة والعلم بمقدار طاقى بحيث يكون شربا صافيا وطريقا معبدا يسير به أهل العلم فى حياتى وبعد موئى وعليه ينون مستقبلهم فى هذه الحياة ويعرفون نظائره من المؤلفات فى زماننا حتى يحبوا ما اندرس من معالم العلم والدين ويوقظوا ألبما خلت ودولا هلكت فالتة كما أذهب ملك كثير من الأمم الشرقية فأنامهم أجيالا هولاء محالة معيده لهم مجددهم لأنه جعل العالم دولا - وتلك الأيام نداولها بين الناس - وهو يقبل الليل والنهار ، فها هو ذا قد أعد العدة ومهد الطرق لخلق أم جديدة فى الشرق . فهو كما مهد لنهاب دولهم بأن أمر مترفهم بالاندلس من الأمويين والعباسيين ففسقوا فيهم حقاً عليهم القول فدمر دولهم تدميرا . هاهو ذا سبحانه أخذ يهيئ الأسباب لارجاع شباب دول أخرى من أبنائهم قد ناموا أمدا طويلا ومن تلك الأسباب هذا التفسير وأمثاله فيسرقوه ويقرأ أمثاله رجال وشبان وستقوم أم وأم أعلى كعبا وأرقى وأشرف دولا من الأمم السابقة فى الشرق إذ يتسبرون بما حلّ بأبائهم ويظهر فيهم مؤلفون يعلمونهم ما كان يحمله آبؤهم وإذ ذاك يعرفون معنى قول النبى عليه السلام « ويل للعرب من شرّ قد اقترب » ويعرفون أيضا قول النبى عليه السلام لمن جاء يسأله عن الساعة أن ذلك حين تلد الأمة ربتها وحين يتناول الرعاء فى البنيان وهذا هو الذى حصل فعلا فى الشرق والغرب كما علمت فان الامام ولدن الملوك كما رأيت فى بنى العباس وبنى أمية وهكذا انساء الا جانب على وجه العموم فكان ذلك سببا فى فساد الدول الاسلامية وضاعها فاذا علموا ذلك فهموا أن جوابه عليه السلام للسائل عن الساعة جاء على الاسلوب الحكيم إذ يسأل السائل عن الساعة العاتية فأجابها هو عن الساعة التى تضع فيها دولة العرب وقد عرفت المهجزة فى ذلك كما كتبت فى كتابى « التاج المرمع »

وهنا أن أن أتى اليك ماعدت له هذا المقال فى الامر الثالث والرابع وهولب الامرين وما تقدمت انما هو مقدمات لهذا الباب وهو - ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها - الخ - وأن - بيوتهم خاوية بما ظلموا - كما قاله أبو نصر الفارابى فى المدينة الفاسقة التى لم تكن على سنن الجسم الانسانى الطبيعى وكما قاله أفلاطون فى المدينة التى مالت عن سنن مدينة الاشراف فأسمعك الآن فصولا تؤيد ما تقدمت من كلام العلامة ابن خلدون وهما « مطلبان » المطلب الأول « كيف يحصل الفساد والخراب فى الأمم المغلوبة » المطلب الثانى « كيف تقع الأمم الظالمة فى سوء أعمالها وتذهب دولهم

المطلب الأول . كيف يحصل الفساد والخراب فى الأمم المغلوبة على أمرها تفسير لقوله

تعالى - إن الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها - الخ »

(فصل) قال العلامة ابن خلدون مانصه

(١) إن من عوائق الملك حصول المذلة للقبيل والاقبياد الى سواهم

- (٢) وأن الأمة اذا غلبت وصارت في ملك غيرها أسرع اليها الفناء
 (٣) وأن الأمم العربية (التي تركت الدين ورجعت الى قسوتها الأولى) اذا تغلبوا على أوطان أسرع اليها الخراب
 (٤) وأن العرب (أى بعد أن تركوا الصبغة الدينية) أبعد الأمم عن سياسة الملك
 (٥) وأن الظلم مؤذن بخراب العمران

هذه هي الفصول التي ذكرها ابن خلدون مبهرنا عليها بمحادث وسأذكرها لتعلم لماذا ذهبت دول آبائنا في الشرق وفي الاندلس وتعلم قوله تعالى - إن الله لا يضير ما تقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال - وهناك تفرح بنعمة العلم إذ تقف على الحقائق وتنفع الأمم الإسلامية بعلمك وعملك واجتباك ما فعله المتأخرون ، فقال رحمه الله تعالى في الأول

﴿ الفصل الأول في أن من عوائق الملك حصول المذلة للقبيل والالتقياد الى سواهم ﴾

وسبب ذلك أن المذلة والالتقياد كاسران لسورة العنكبوت وشدتها فان انقيادهم ومذلتهم دليل على فقدانها فما رغبوا للمذلة حتى يجزوا عن المدافعة ومن يجزع عن المدافعة فأولى أن يكون عاجزا عن المقاومة والمطالبة واعتبر ذلك في بني اسرائيل لما دعاهم موسى عليه السلام الى ملك الشام وأخبرهم بأن الله قد كتب لهم ملكها ، كيف يجزوا عن ذلك وقالوا - ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها - أى يخرجهم الله تعالى منها يضرب من قدرته غير عبيدنا وتكون من مهبزاتك يا موسى ، ولما عزم عليهم لجؤا وارتكبوا العصيان وقالوا له - اذهب أنت و ربك فقاتل - وما ذلك إلا لما آتسوا من أنفسهم من الجزع عن المقاومة والمطالبة كما تقتضيه الآية وما يؤثر في تفسيرها وذلك بما حصل فيهم من خلق الانقياد ومارثوا من النكال للقبط أحقابا حتى ذهبت العصبية منهم جلة مع أنهم لم يؤمنوا حتى الايمان بما أخبرهم به موسى من أن الشام لهم وأن العاقلة الذين كانوا بأرضهم فريستهم يحكم من الله قتره لهم فأقصروا عن ذلك ويجزوا تعويلا على ما عكسوا من أنفسهم من الجزع عن المطالبة لما حصل لهم من خلق المذلة وطعنوا فيما أخبرهم به بنبيهم من ذلك وما أمرهم به بفقيههم الله بالتب وهو أنهم ناهوا في قفر من الأرض ما بين الشام ومصر أربعين سنة لم يأووا فيها لعمران ولا نزلوا مصر ولا خاطبوا بشرا كما قصه القرآن اخلطة العمالة بالشام والقبط بمصر عليهم لجزعهم عن مقاومتهم كما زعموه ، ويظهر من مساق الآية ومفهومها أن حكمة ذلك التي مقصودة وهي فناء الجيوش الذين يخرجوا من قبضة النذل والقهر والقوة وتحلقوا به وأفسدوا من عصبيتهم حتى نشأ في ذلك التي جيل آخر عزيز لا يعرف الاحكام والقهر ولا يسياس بالمذلة فنشأت لهم بذلك عصبية أخرى اقتدروا بها على المطالبة والتقلب ويظهر لك من ذلك أن الأربعين سنة أقل ما يأتى فيها فناء جيل ونشأة جيل آخر ، سبحانه الحكيم العليم ، وفي هذا أوضح دليل على شأن العصبية وانها هي التي تكون بها المدافعة والمقاومة والحماية والمطالبة وأن من فقدتها يجزع عن جميع ذلك كله . ويلحق بهذا الفصل فيما يوجب المذلة للقبيل شأن المغارم والضرائب فان القبيل الغارمين ما أعطوا اليد من ذلك حتى رضوا بالمذلة فيه لأن في المغارم والضرائب ضججا ومذلة لا تحتلها النفوس الاية إلا اذا استهوتت عن القتل والتلف وأن عصبيتهم حينئذ ضعيفة عن المدافعة والحماية ، ومن كانت عصبيته ضعيفة لا تدفع عنه الضم فكيف له بالمقاومة والمطالبة وقد حصل له الانقياد للنذل والمذلة كما قدسناه ومنه قوله ^{عليه السلام} في شأن الحرث لما رأى سكة الحراث في بعض دور الأنصار « ما دخلت هذه دار قوم إلا دخلهم النذل » فهو دليل صريح على أن المغرم موجب للمذلة ، هذا الى ما يصحب ذل المغارم من خلق المكر والخديعة بسبب ملكة القهر فاذا رأيت القبيل بالمغارم في ربة من النذل فلا تطمعن لها بملك آخر الدهر ، ومن هنا يتبين لك غلط من يزعم أن زنابة بالمغرب كانوا شاذية يؤدون المغارم لمن كان على عهدهم من الملوك وهو غلط فاحش كما رأيت إذ لو وقع ذلك لما استتب لهم ملك ولا تمت لهم دولة ، وانظر فيما قاله (شهر برز) ملك البلب

لصبي الرجن بن وبيعة لما أطلت عليه وسأل (شهر بن راز) أمانه على أن يكون له فقال « أنا اليوم منك يدي في أيديكم وصغرى (١) منكم فربما ينكم وبارك الله لنا ولكم وبني بيتنا اليكم التمسلكم والقيام بما تعجبون ولا تذلونا بالجارية فتعجبونا العلوكم » فاعبر هذا فيما قلناه فإنه كاف
هذا ما قاله العلامة ابن خلدون في الفصل الأول . فأما ما قاله في الفصل الثاني وهو أن الأمة اذا غلبت وصارت في ملك غيرها أسرع اليها القضاء فهذا انه

﴿ الفصل الثاني في أن الأمة اذا غلبت وصارت في ملك غيرها أسرع اليها القضاء ﴾

والسبب في ذلك والله أعلم ما يحصل في النفوس من التسكسل اذا ملك أمرها عليها وصارت بالاستعباد آلة لسواها وعالة عليهم فيفقر الأمل ويضعف التناسل والاعتماد إنما هو عن جدة الأمل وما يحدث عنه من النشاط في القرى الحيوانية فإذا ذهب الأمل بالتسكسل وذهب ما يدعوا اليه من الأحوال وكانت العصبية ذاهبة بالغلب الحاصل عليهم تناقص عمرانهم وتلاشت مكاسبهم ومساعدتهم وهجروا عن المدافعة عن أنفسهم بما خضع الغلب من شوكتهم فأصبحوا مغفلين لكل منقلب طعمة لكل آكل وسواء كانوا حاصدا على غايتهم من الملك أولم يحصلوا وفيه والله أعلم سر آخر وهو أن الانسان رئيس بطبعه بمقتضى الاستخلاف الذي خلق له والرئيس اذا غلب على رئاسته وكبح عن غاية عزه تسكسل حتى عن شمع بقله ويرى كبده وهذا موجود في أخلاق الاناس . ولقد يقال مثله في الحيوانات المفترسة وانما لا تصافد اذا كانت في ملكة الأدميين فلا يزال هذا القبيل للمالوك عليه أمره في تناقص واضمحلال الى أن يأخذهم القضاء والبقاء لله وحده واعتبر ذلك في أمة الفرس كيف كانت قد ملأت الظلم كثرة ولما فئنت حاميتهم في أيام الحرب بقي منهم كثير أو كثر من الكثير يقال ان سمعدا أحصى من وراء المداين فكانوا مائة ألف وسبعة وثلاثين ألفا منهم سبعة وثلاثون ألفا ربي بيت . ولما حصصوا في ملكة العرب وقبضة القهر لم يكن بقاؤهم إلا قليلا ودثروا كأن لم يكونوا . ولا تحسبن أن ذلك ظلم نزل بهم أوعدون شملهم فلسفة الاسلام في العدل ما علمت وانما هي طبيعة في الانسان اذا غلب على أمره وصار آلة لغيره . ولهذا انما تدع للرق في الغالب أمة السودان لانتقص الانسانية فيهم وقربهم من طبيعة الحيوانات الجهم كما قلناه أومن يرجو بانتظامه في ربة الرق حصول رتبة أوفادة مال أوعز كما يقع للمالك الترك بالشرق والمالوج من الجلافة والافرنجة بالأندلس فإن العادة جارية باستخلاص المولة لهم فلا ينافون من الرق لما يأملونه من الجاه والرتبة باصفاء الدولة والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق

هذا ما قاله العلامة ابن خلدون في الفصل الثاني . فأما ما قاله في الفصل الثالث وهو أن الأمم العربية (أي التي تركت الدين) اذا تغلبوا على أوطان أسرع اليها الخراب فهناك نصه

﴿ الفصل الثالث في أن العرب اذا تغلبوا على أوطان أسرع اليها الخراب ﴾

والسبب في ذلك أنهم أمة وحشية باستحكام عوائل التوحش وأسبابه فيهم فصار لهم خلقا وجيلة وكان عندهم ملذوذ لما فيه من الخروج عن ربة الحكيم وعدم الانقياد للسياسة وهذه الطبيعة منافية للامران ومنافسة له فغاية الأحوال الهادية كلها عندهم الرحلة والتلب وذلك مناقض للسكون الذي به الثمران ومناف له فانجز مثلا انما حاجتهم اليه لنسبه أثافي للتقدير فيقتلونه من المباني ويغزونها عليه ويعذبونه لذلك والخشب أيضا انما حاجتهم اليه ليعمروا به خيامهم ويتخذوا الأوتاد منه لبيوتهم فيخربون السقف عليه لذلك فصارت طبيعة وجودهم منافية للبناء الذي هو أصل الثمران هذا في حالهم على العموم وأيضاً فطبيعتهم انتهاب ما في أيدي الناس وأن يزرعهم في ظلال ومناجمهم وليس عندهم في أخذ أموال الناس حد ينتهون اليه بل كلما امتدت أعينهم الى مال أوتاع أو ماعون انتبهوا فإذا تم اقتصادهم على ذلك بالغلب والمالك بطلت السياسة في حفظ أموال الناس وخرب الثمران وأيضاً فلا شيء يتلفون على أهل الأعمال من الصنائع والحرف أعمالهم لا يرون

(١) كذا بالأصل

ملا قيمة ولا قسطا من الأجر والثمن . والأعمال كما سنذكره هي أصل المكاسب وحقيقتها وإذا فهمت الأعمال
وهذا ما جئنا ضفت الأمانى المكاسب واقتبضت الأبدى من العمل وايدعز الساكن وفسد العمران وأيضا
فانهم ليست لهم غاية بالأحكام وزج الناس عن الفساد ودفاع بعضهم عن بعض انما همهم ما يأخذونه من
أموال الناس منها أو منما ، فإذا وصلوا الى ذلك وحصلوا عليه أعرضوا عما بعده من تشديد أحوالهم والنظر
في مصالحهم وقهر بعضهم عن أغراض الفساد وربما فرضوا العقوبات في الأموال حرصا على تحصيل الفائدة
والجباية والاستكثار . ناكها هر شائهم ، وذلك ليس بمن في دفع الفساد وزجر المتعرض لها بل يكون ذلك
زائدا فيها لاستسهال القرم في جانب حصول الفرض فتبقى الرعايا في ملكتهم كأنها فوضى دون حكم والغوضى
مهلكة للبشر مفسدة للعمران بما ذكرناه من أن وجود الملك خاصة طبيعة للانسان لا يستقيم وجودهم
واجتماعهم إلا بها وقدم ذلك أول الفصل ، وأيضا فهم متنافسون في الرئاسة وقل أن يعلم أحد منهم الأمر
الغيره ولو كان أباه أو أخاه أو كبير عشيرته إلا في الأقل وعلى كره من أجل الحياء فيعتد الحكماء منهم والأمراء
وتختلف الأبدى على الرعية في الجباية والأحكام فيفسد العمران وينتقض **قال الاعرابى الوافعلى** عبد الملك
لما سأله عن الحجاج وأراد الثناء عليه عنده بحسن السياسة والعمران فقال « تركته يظلم وحده » وانظر الى
ما ملوكه وتعلبوا عليه من الأوطان من لدن الخليفة كيف تقوض عمرانه وأقرساكنه وبذلك الأرض فيه
غير الأرض ، فالبن قراهم خراب إلا قليلا من الأمصار وعراق العرب كذلك قد خرب عمرانه الذى كان
لأفروس أجمع والشام لهذا العهد كذلك وأفر بقة والمغرب لما جاز إليها بنو هلال و بنو ساجم منذ أول المائة
الخامسة وتوسوا بها لثلاثة وخمسين من السنين قد لحق بها وعادت بساططه خرابا كما بعد أن كان ما بين
السودان والبحر الروى كله عمرانا تشهد بذلك آثار العمران فيه من المعالم وتماثيل البناء وشواهد القرى
والمداشر والله يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين . انتهى ما قاله العلامة ابن خلدون في الفصل الثالث
وأما ما قبله في الفصل الرابع وهو أن العرب (أى الذين تركوا العمل بالدين) أبعد الأثم عن السياسة فهذا نصه
الفصل الرابع في أن العرب أبعد الأثم عن سياسة الملك

والسبب في ذلك انهم أكثر بدواة من سائر الأمم وأبعد مجالا في الفقر وأغنى عن حاجات التلذذ وحبوبها
لاعتيادهم الشغل وخشونة العيش فاستغنوا عن غيرهم فذهب انقياد بعضهم لبعض للافهم ذلك ولتوحش
ورئيسهم محتاج اليهم غالبا للعصية التى بها المدافعة فكان مضطرا الى احسان ملكتهم وترك مراعاتهم لئلا
يختل عليه شأن عصبيتهم فيكون فيها هلاكه وهلاكهم وسياسة الملك والسلطان تقتضى أن يكون الناس
وازعابا بالقرى والام تستقم سياسته ، وأيضا فان من طبيعتهم كما قدمناه أخذ مافى أيدى الناس خاصة والتجافى
عما سوى ذلك من الاحكام بينهم ودفاع بعضهم عن بعض ، فإذا ملكوا أئمة من الأمم جعلوا غاية ملكهم
الانتفاع بأخذ مافى أيديهم وتركوا ما سوى ذلك من الاحكام بينهم ، وربما جعلوا العقوبات على للفساد في
الأموال حرصا على تكثير الجبايات وتحصيل القوائد فلا يكون ذلك وازعا وربما يكون باعنا بحسب الأغراض
الباعثة على الفساد واستهانة ما يعطى من ماله في جانب غرضه فتتمو للفساد بذلك ويقع تخريب العمران فتبقى
تلك الأمة كأنها فوضى مستطيلة أيدى بعضها على بعض فلا يستقيم لها عمران وتخرب سريعا شأن الفوضى
كما قدمناه فبعثت طابع العرب لذلك كله عن سياسة الملك وانما يصيرون إليها بعد انقلاب طباعهم وتبدلها
بصفة دنيئة تنحو ذلك منهم وتجعل الوازع لهم من أنفسهم وتحملهم على دفاع الناس بعضهم عن بعض كما
ذكرناه واعتبر ذلك بدولتهم في الملة لما شيد لهم الدين أمر السياسة بالشرعية وأحكامها المراعاة لصالح العمران
ظاهرا وباطنا وتتابع فيها الخلفاء عظم حينئذ ملكهم وقوى سلطانهم **كان** رسم اذار رأى المسلمين يجتمعون
للسبلة يقول أكل عمو كبدي يعلم الكلاب الآداب ، ثم انهم بعد ذلك انقطعت منهم عن العولة أجيال نذوا

الدين ففسوا السياسة ووجهوا إلى قهرهم وجهوا شأن عصبيتهم مع أهل الدولة بيهدهم عن الانقياد واعطاء الصفة فتوحشوا كما كانوا ولم يبق لهم من اسم المالك إلا أنهم من جنس الخلفاء ومن جيلهم ، ولما ذهب أمر الخلافة وانحى رسمها انتفع الأمويون من أيديهم وغلب عليهم العجم دونهم وألقوا بأبدي في قفارهم لا يعرفون الملك ولا سياسة بل قد يشغل الكثير منهم أنهم قد كان لهم ملك في القديم وما كان في القديم لأحد من الأمم في الخلافة ما كان لأجيالهم من الملك ودول عاد ونموذ والعماقة وجير والنجاة شاهدة بذلك ثم دولة مضر في الاسلام بنى أمية ، وبنى العباس لكن بعد عهدهم بالسياسة لما نسوا الدين فرجعوا إلى أصلهم من البدوة وقد يحصل لهم في بعض الأحيان غلب على الدول المستضعفة كما في المغرب لهذا العهد فلا يكون ماله وغايتة إلا تخريب ما يستولون عليه من العدران كما قدمناه والله يؤتي ملكه من يشاء اه

هذا ما قاله العلامة ابن خلدون في الفصل الرابع ، وقال في الفصل الخامس مانعه

(الفصل الخامس في أن الظلم مؤذن بخراب العدران)

وهنا ذكر أن الناس إذا اغتصبت مكاسبهم وقهروا على ممالكهم وانتهت من أيديهم كساحوا عن العمل وانقطعت آمالهم وقعدوا عن العمل لعلهم أنه ذهب من أيديهم ، وضرب لذلك مثلا ما ذكره السهودي في أخبار الفرس عن الموبذان صاحب الدين أيام بهرام بن بهرام ومعارض به للملك في انكار ما كان عليه من الظلم إذ سمع اليوم وسأل بهرام الموبذان عن معنى كلامها فقال له انه يعلمه وأن الأئمة لما طلبها التكرشرت عليه أن يقطعها عشرين قرية من الخراب فقال لها إن دام بهرام أقطعك ألف قرية فتنسبه الملك فقال له الموبذان لا يتم الملك إلا بالتريفة ولا تتم التريفة إلا بالملك ولا عز للملك إلا بالرجال والرجال بالمال والمال متوقف على العارة والعارة بالعدل والعدل ميزان منصوب بين الخليفة وأهله أنه قد انتزع الصياع من أهلها فهلكت الرعية وضاع الجند وهومت الدولة فاعطى الملك وعدل فانظم ملكه . وهكذا أخذيين أن الدولة العظيمة لا ينام فيها أثر الظلم دفعة واحدة بل يكون بالتدريج ثم يظهر بعد حين كالأزمات الدائمة - والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون - انتهى المطلب الأول

(المطلب الثاني في كيف تقع الأمم الظالمة في سوء أعمالها وتذهب دولهم تبينا لقوله تعالى

- فذلك بيوتهم أخوية بما ظلموا - وفي هذا المطلب جوهرتان)

(الجوهرة الأولى ما قاله العلامة ابن خلدون أن من عوائق الملك حصول الترف وانقسام القبيل في النعيم) قال وسبب ذلك أن القبيل إذا غلبت بعصبيتها بعض القبل استولت على النعمة بمقداره وشاركت أهل النعم والخصب في نعمتهم وخصصهم وضربت معهم في ذلك بسهم وحصة بمقدار غلبها واستظفار الدولة بها فان كانت الدولة من القوة بحيث لا يطمع أحد في انتزاع أمرها ولا مشاركتها فيه أذن ذلك القبيل لولايتها والقربى بما يسوغون من نعمتها ويتركون فيه من جبايتها ولم تسم آمالهم إلى شيء من منازع الملك ولأسباب انما همهم النعم والسكسب وخصب العيش والسكون في ظل الدولة إلى الدعة والراحة والأخذ بمذاهب الملك في المباني والملابس والاستكثار من ذلك والتأني فيه بمقدار ما يحصل من الرياش والترف وما يدنو اليه من توافع ذلك فتذهب خشونة البدوة وتصف العصبة وبالسالة ويتعمدون فيما آتاهم الله من البسطة وتنشأ نهمهم وأعقابهم في مثل ذلك من الترف عن خدمة أنفسهم وولاية حاجتهم ويستكفون عن سائر الأمور الضرورية في العصبة حتى يهين ذلك خلقا لهم وسجية فتقص عصبيتهم وبسالهم في الأجيال يهدهم بتعاقبها إلى أن تنقرض العصبة فيأذنون بالانقراض وعلى قدر زرفهم ونعمتهم يكون اشراقهم على الفناء فضلا عن الملك فان عوارض الترف والفرق في النعيم كاسر من سورة العصية التي بها التظلم ، وإذا انقرضت العصية قصر القبيل عن المداقة والجدية فضلا عن المطالبة والنهمهم الأمم سواهم ، فقد تبين أن الترف من عوائق الملك والله يؤتي ملكه من يشاء اه

فهذا هو تفسير قوله تعالى - إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها - وقوله تعالى - فذلك يومئذ بينهم خاوية بما ظلموا - وبهذا تم الأمر الرابع من الامور الستة المذكورة

﴿ الأمر الخامس ﴾ في أن الانسان وإن قلدا الحيوان في صناعاته فإن هناك من الأعمال ما يعجز عن نظيره الانسان فيصعب عليه أن يجد فيه

﴿ الأمر السادس ﴾ خطاب الأمم كلها شرقا وغربا ، وهذان الامران ستراهما في آخر هذه السورة عند قوله تعالى - سترجم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - الخ

ولسكن هنا أمم الكلام على نظام الأمم الاسلامية الذي ظهر في التاريخ ونقله عن ابن خلدون ، فإذا فعل الله تلقاه هذا ؟ علم الله قبل أن يرسل نبينا ﷺ أن أمم العرب والأمم التي معها ستقوم دولهم بالعصية لأن استعداد أهل الأرض إذ ذاك لم يتجاوز هذا المقدار من الفضائل وعلم أنهم سيجوبون الأرض شرقا وغربا وانهم سينشرون الدين ثم تنطوي دولهم واحدة بعد الأخرى ، فإذا أعد لأهل الأرض ؟

﴿ أولا ﴾ أوحى الى رسوله ﷺ أن يخبرهم بأن فتوح البلدان سيكون فتوح شرق وغاية الأمر انهم مستخرون وأخبرهم بأنه يخاف عليهم من ذلك الفتوح وأن البطنة والترف سيهلكهم ، فعل الله ذلك كله معهم

﴿ وثانيا ﴾ خلق أمما أخرى وأعدها لمهارة الأرض وأرسلهم من جزيرة قلاء في الأرض ليعلموا الأمم لما علم يعلمه القديم أن فارس واروم قد قتلهم البطنة ، هكذا هذه الأمم الاسلامية أعد لها أمما تعمل معهم

إذا أضناهم الترف وأهلكهم النعم كما أخبر الصادق ﷺ ومما نال الأمم التي أعدها الله لمهارة الأرض واستعهاها

﴿ الجوهرة الثانية ذكر بعض الممالك التي أعدها فاحتلت بلاد بعض المسلمين لما ذهبت دولهم ﴾ ذكرت لك أيها الذكرى فيما تقدم هنا اجمال الكلام على ممالك الاسلام وانهم ذهبت دولهم دولة بعد أخرى

من عرب وغيرهم وقلت لك أنهم على وتيرة واحدة (حرص على الدنيا - ترف وشهوة - ظلم الرعية - ذل الرعية ذهاب الدولة) فهي أتاذا أذكر لك الممالك التي كان أعدها الله لتحتل بعض بلاد الاسلام وهذه الممالك التي

سأذكر هالك امتازت بأنها لاتجمل الأحوال موقوفة على الملوك بل الشعب قائم بترقية نفسه بخلاف تلك الممالك فقد كان المدار غالبا عندهم على الملوك فان مالوا للعمل والاصلاح مالوا اليهما والاغلا فكانت الشعوب تتبع المصادفات

وهكذا لا يتزوجون الأجانب لئلا يفسد النسل فتضيع الدولة وتذهب هباء منثورا ، وهكذا لا يأمنون الأجانب فلا يولونهم الوظائف العالية في بلادهم بخلاف الأمم الاسلامية كالتركية ، فلا ذكر لك دولة انكلترا وفرنسا الخ

﴿ دولة انكلترا ﴾

كانوا في أول أمرهم كالوحوش ومساكنهم حقيرة يقيمونها نارة من الأعواد وأوراق الشجر وتارة من الطين وكان عملهم صيد الحيوانات بها يعيشون وحالهم كالحالف العرب وكانوا يسجدون للصخور والجمارة

وينابيع الماء وأول ظهور أمرهم كان قبل المسيح (سنة ٥٥ م) على ما يقول السيد أحمد ابن السيد زبني دخلان ثم لم يزل أمرهم يظهر ويقوى ولم يستأفوا إلا (سنة ٨٢٧ م) وستة ٤٤٣ وكان دخولهم في

النصرانية قبل الهجرة بست وعشرين سنة وهم فيهم الكاثوليكية والبروتستانت والبهرية وهم مجتمعون من قبائل شتى ، وفيهم جماعة من (الكاثيئين) ولهم جزيرتان منفصلتان (بريطانيا) و (ايرلنده) وصارت

دولتهم عظيمة واستولوا على الهند سنة ١٧٥٧ م أي سنة ١١٧٢ هـ وتم احتلالهم على الهند سنة ١٨١٩ م أي سنة ١٢٠٨ هـ هجرية وذلك بعد حروب كثيرة ، واستولوا على جبل طارق الذي في الغرب سنة ١١١٩ هـ

إذ انتزعوه من الأسبان في ذلك التاريخ والاسبانيون قبل ذلك انتزعوه من المسلمين سنة ٨٦٧ هـ وهذا الجبل مفتاح البحر الأبيض المتوسط وهو مقابل للجزيرة الخضراء التي هي من بلاد الأندلس ويسمى جبل طارق وطارق هو طارق بن زياد مولى موسى بن نصير وموسى مولى عبد العزيز بن مروان الذي هو أخو عبد الملك

ابن مروان ووالد عمر بن عبد العزيز فسمى الجبل باسم طارق المذكور لأنه نزل بالمسلمين عنده لما قصد فتح الأندلس ولذلك يسمى (جبل الفتح) والعامة يسمونه (جبل الطار) وهكذا دخلوا مصر بعد ذلك

﴿ دولة الفرنسيس ﴾

أما دولة الفرنسيس فقد ابتدأ ملكهم (سنة ٤٢٠ ب م) قبل الهجرة بمئة (٢٦٢) ذلك ابتداء نظام ملكهم ، وقبل ذلك كان لهم ملوك لم ينقطع أمرهم ولم يكمل استعلاطهم بل كانوا تارة يستقون وتارة يختارهم غيرهم ، ومبدأ أمرهم كان قبل الميلاد بخمسة قرون وكانت اليونان تحكمهم ولما غلب الرومان اليونان حكموهم فلم يكن ملكهم مستقلاً وكانوا يهدون الأصنام المصورة على صورة السكواكب فهي أشبه بديانة أهل الهند عباد الأوثان ثم دخلوا في النصرانية (سنة ٤٩٦) وأول من دخل منهم فيها الملك (كاريس) وهم كانوا ليكية وبعضهم على المذهب البروتستانتى ، ومنهم من لا يتدين بدين بل كثير منهم من ينكرون الصانع وقد حصل بينهم وبين الانجليز حرب دامت (١١٦) سنة من سنة ١٣٣٧ م أى سنة ٧٣٨ هـ والصلح كان سنة ١٤٥٣ م أى ٨٥٧ هـ وهذا يسمى حرب المائة سنة

واستولت الفرنسيس على الجزائر بأمر بيقية سنة ١٢٤٦ هـ وفى سنة ١٢٩٦ دخلوا المحاكم التونسية فى حمايتهم وقد استولوا على مراكش فى أيامنا هذه

﴿ دولة هولاندا ويقال لهم الفلمك ﴾

هذه كانت تحت حكم اسبانيا ودار الحرب بين السولتين مدة ثمانين سنة واستقلوا سنة ٩٨٧ هـ وفى تلك السنين استولوا على بلاد جاوه وكان دخولهم النصرانية فى الزمن الذى دخل فيه غيرهم من أوروبا

﴿ دولة اسبانيا ﴾

كانت تابعة لدولة اليونان فالرومان ثم بعض ملوك أوروبا ثم استولى المسلمون على أكثر ممالكهم لما فتحوا الأندلس فكان الأندلس تحت يد اسبانيا الى (سنة ٩٢ هـ) فانتزعه المسلمون منهم وبقى معهم ملك ضعيف فى آخر الأندلس ووقع بينهم حروب كثيرة ثم انتزعوا الأندلس من المسلمين شيئاً فشيئاً الى أواخر (سنة ٩٠٠ هـ) ثم أخرجوا من بقي من المسلمين بالأندلس فى (سنة ١٠١٠) واستقلوا بالملك ، وكانوا أولاً يهدون الأصنام ودخلوا فى النصرانية فى الزمن الذى دخل فيه غيره . انتهى من كتاب السيد أحمد ابن السيد زبى دحلان المترجم عن اللغات الافرنجية

هذه هى الدول التى أردت ذكرها هنا لأن هؤلاء أكثر من يحتلون اليوم بلاد الاسلام ذكرت دولهم ليعلم المسلمون أنهم لما جعلوا الممالك مغنم واقتتلوا على ذلك لأجل الترف والتعجم فى العصور المتأخرة أبدهم الله عن الملك وأجلس غيرهم على عروشهم وذلك قوله تعالى - وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً -

﴿ استعمار الفرنجية لبلاد الاسلام وهل يدوم ؟ ﴾

اعلم أن الله عز وجل كما قدمنا قد أعد الأمم العربية لفتح البلاد لما أصبحت الأمم القديمة لاتصلح لادارتها ولما فسدت الأجيال العربية والامم التى حلت محلها أعدت أمماً أخرى كالانجليز وكالفرنسيس ، ولكن هذه الأمم سلكت مسالك العرب فى القرون المتأخرة ، وإنما أرسل هؤلاء فاحتلوا بلاد الاسلام ليوظف فيهم روح الحمية - ليعلموا يقنون - والزمان سيستبدر دورته ، وهما هى ذى الأمم الشرقية آخذة فى الرقى بحجة لأخذ مكانتها تحت الشمس - وهم من بعد غلبهم سيفليون - والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون -

ولكن هنا أخطب الأمم الاسلامية فأقول ، هاأنتم أولاء قرأتم تاريخ أسلافكم والمعلم على ما حل بهمهم فى الشرق والغرب وظهر اسكن هذه الحاصل

(الخصلة الأولى) إن الترف والتتم هما المقصودان لسلك من طلب الملك في الأمم الإسلامية المتأخرة في الأندلس وفي بلاد الشرق

(الخصلة الثانية) إن هذا الترف والتتم جعلهم على ظلم الرعية كافي آية... إن الملوك إذا ذاقوا خلقية أفسدها -

(الخصلة الثالثة) أن تلك الأمم المظالومة بذل جهده الأعمال

(الخصلة الرابعة) أن الأمم الغالطة تصنف قواها الجسمية والعقلية بسبب الغفلة والكسل والانكسار على

عمل غيرهم

(الخصلة الخامسة) أن هؤلاء المالكين ينقرضون أيضا

(الخصلة السادسة) أن أمما أخرى تحل محلهم

(الخصلة السابعة) أن هؤلاء يحصل لهم ما حصل للسابقين حتى والنحل بالنحل

ونتيجة ذلك أن الأمم ما هي إلا كدود مخلوق في جنة الميت وهذا الدود للمافى جسمه يأكل بعضه بعضا حتى إذا بقيت في آخر الأمر دودتان أكلت أقوامها أضعفها ثم ماتت الآكلة بالجوع . وهذا تاريخ الأمم المتأخرة الإسلامية

(لطيفة في هذه الأيام)

في هذه الأيام حصل أمر مهم لابد من ذكره في التفسير لأنه يتناسب هذا المقام لأن الله عز وجل قد أبدع هذا التفسير تأييدا عظيما ، ذلك أنه في يوم ٢٤ إبريل سنة ١٨٢٩ دعاني الاستاذ أحمد زكي باشا لحظا شاي جمعت علماء الشرق وعلماء الغرب ، فلا أدرك ما دار فيها لأنه أكبر شاهد على ما وصل اليه جيلنا العربي من التضرع للأهم وهذا نص الخطبة

أتمتعون أيها السيدات والسادات التي أغتنم كل فرصة سانحة لتكون واسطة التعارف بين أكبر الأفريق وأفضل العرب ول في ذلك مطلع بعيد المدى وهو أن يكون هذا التفاهم سببا في خلق جبر جديد من الصفاء والوفاء بين الشرق والغرب ، فهذه الغيوم التي نشكو من تواليها لابد لها من الانقشاع ، وتلك الازهاقات التي نعانها من سياسة البطش والاستعمار لا مناص لها من التبدد والزوال ، أما الامتيازات الأجنبية التي تجعل أكبر عز في بلادنا مهانا في عقدراره ومهضوم الحق بازاء الآفاق الطارىء عليه فقد انقضى زمانها ودالت دولتها في كل البلاد (ماعد مصر)

هذه الامتيازات هي الغلبة الكبرى في سبيل التفاهم بيننا وبين أوروبا لأنها أكبر سبة لكرامتنا القومية ولماضينا المجيد ، ولادواء هذه الحال القاسية إلا عن طريق أهل الرأي المجربين عن الهوى وهم أفاضل الأفريق ذوو الأخلاق الطاهرة والضمائر الحية ، أولئك الذين لا تعميهم مصالحهم الشخصية فيصورتونا بأشكال لا تنطبق على الواقع ولكنها ترجع بالفرايد المادية عليهم وحدهم دون غيرهم ، هؤلاء المستشرقون والمستعربون هم القادرون على بث الدعوة بين قومهم لبعدها لوهم أخيرا وبعد تعادي الزمان على الاعتراف بأن العرب جديرون بأن يقبوا مركزهم تحت الشمس لأنهم على الأقل مساوون لبعض الأمم العاشية في النصف الشرقي من أوروبا لقد كان من دواعي اغتباطي أن يجتمع في هذه الفترة القصيرة سيدات من كرام العائلات الشرقية والأفريقية بجانب رجال من الطراز الأول على ضفاف البحر الأبيض المتوسط للتعاون على انشاء قطرة أدبية فوق ذلك البحر المجيد لتسهيل التواصل والتعاون بيننا وبين أوروبا الرشيدة ، أتوجد فرصة لتحقيق هذا الغرض من التي أناحيها في الزمان في هذه الساعة ، ثم أخذ الاستاذ زكي باشا في تقديم المحتفل بهم الى الحاضرين حسب ترتيب أسمائهم في الحروف الهجائية فذكر أولا الاستاذ جيل بيهم فالاستاذ أنجلو جويدي فالذكور شخت فالسيد عبدالرحمن القصبي فالسيد العربي فالستراكرين فالاستاذ ليليان فالاستاذ مار جوليت فالاستاذ تابلو فالاستاذ

يهودا ذا كرا عن كل منهم ما كان فيه الغناء والكفاء لثمر وب الحاضرين بهم ، الى أن قال
 بإسادة العرب . وبأفضل الأفرنج ، مفروض عليكم أن تتأفروا على تحقيق الأمانى السكبار التي يترجمها
 أبناء الشرق على العموم ويحق اليها العرب بنوع خاص
 فيإسادة العرب ، وبأفضل الأفرنج ، مفروض عليكم أن تتأفروا لتحقيق هذه الغاية بقلوب يعمرها
 الإيمان بتحقيق الانسانية على الانسان ، مفروض عليكم أن تتعاونوا هنا وفي ما وراء البحار على تهيئة الرأى
 العام في ديار أوروبا وأمريكا لادراك هذه الحقيقة التي نفعت الخلفاء في أيام الحرب والتي سيحتاجون اليها بلاشك
 كلما تجدد الخطب واشتد الكرب
 مفروض عليكم أن تتواصلوا بالفعل وبالصمل الى تحقيق تلك الأمانة العالية الشريفة وهي المجاهدة في
 ديار أوروبا وأمريكا حتى يعرف أهلوهما بأن العرب جديرون بالرعاية والاحترام ، جديرون بالحريّة الصريحة
 جديرون بالاستقلال التام

على كل يوم موقف ومقالة * أنادى ليوث العرب ويحكموهوا
 ثم دعى للسكلام حضرة أسعد اطفي بك رئيس نقابة موظفي الحكومة فألقى كلمة توه فيها بما للمستشرقين
 من الفضل في خدمة العلم واللغة العربية وختمها بالترحيب بهم وشكر الحاضرين على تلبية الدعوة ، وبعد ان
 انتهى أسعد بك من كلمته وقف الاستاذ (لبنان) المستشرق الألماني فاستهل الكلام بقوله « نحن الغربيين
 متشكرون جدا لسعادة زكي باشا طه الحفلة التي جاءت فريدة في مجموعها ولوانها جاءت على الحرك (كذا)
 ثم قال اتنا ونحن في ألمانيا نقول ألمانيا فوق الجميع وأنتم أيها المصريون تقولون في وطنكم مصر فوق الجميع
 ولكن كلتنا في هذا الاجتماع هي العلم والتفاهم بين الأمم الشرقية والغربية فوق الجميع »
 وبعد ذلك دعى للكلام الاستاذ (مارجليت) المستشرق الانجليزي المشهور وهو في العقد الثامن من
 عمره غيا الحاضرين وشكرهم على حقولتهم واحتفائهم وخص بالشكر الصلابة زكي باشا على هذا الاجتماع
 الذي سبق ذكره في الأفتدة طول العمر على مر السنين مستهدا بأحد أبيات المتنبي اه وانما ذكرت
 هذا لأنه لاجتماع جمع من عظماء الشرق والغرب وكنائس أبناء العرب نطلب المساعدة من علمائهم في استخراجنا
 من ذل الاستعباد ، ذكرت هذا ليعرف أبناءنا بعدنا ذلك فيمحترسوا

« الذي أراه في اسعاد هذه الأمم الاسلامية في المستقبل »
 أيها المسلمون إياكم أن يزججكم ما نقلته عن ابن خلدون في قوله « ان الأمم العربية لا تسلط إلا على البساط
 وانما مادخلت أمة إلا أسرع اليها الفساد وانها خربت أيما وأما كما تقدم » فانه هو نفسه قال « ان ذلك ما
 حصل إلا بعد أن تناسوا الدين ورجعوا الى طبيعتهم » ثم ان الله ما فعل ذلك إلا تحقيقا لوعده إذ قال - وتلك
 الأيام ندأولها بين الناس - ثم هو سبحانه وعدنا خيرا فقال - ولا تكفروا بالكافرين أو توتوا الكتاب من قبل
 فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون * اعلموا أن الله ينجي الأرض بعد موتها قد بينا لكم
 الآيات لعلكم تفقهون - اتنا وصلنا الى أدنى مراتب الاسلام في قرون وقرون سواء أكننا عربا أم تركا ،
 فهذه الأمم كانت تجهل الدين جهلا تاما ، وهاهوذا وعد الله عز وجل بإحياء أمتنا قد ظل إبانة وأقبلت أيامه
 « اجتماع الأمم بالعلم بعد الاجتماع بالعصبة »

لقد تبين لكم من تاريخ الدول الاسلامية من كلام ابن خلدون أن قوامها لم يكن إلا على العصبة فلا
 مهدي إلا بالعصبة ولا ملك إلا بها ، وقد تقدم أن العصبة تضمحل وتضعف بالترف والترف من نتائج الملك
 إذن الاجتماع بالعصبة والقرباة أمره زائل بالبرهان العملي . لقد وضع الصبح لذي عينين وجاء الحق وزهق
 الباطل ، إذن هذه القرون ذهبت ولم تفر الانسانية من الدين الاسلامي في سياستها باطلان ، ومامل المدينة المقامة

على العصبية والنسب إلا كمثل الشق المبني على جبال الظاهر فإنه ذاهب متى قضى العاشقان شهوتهما وكسر سورة الشق والطعام شهوة الشهوة وعلى مقدار ضيقها يقل الشق ثم يزول بتنا . فأما الحب المبني على العلم فلا حد لدوامه ، فحب الشاب لفتاة مجرد النظر الظاهر ليس كحب المتعلم للعالم الذي يهره بعلمه وسعوره يسدع بيانه فيأبى ما بينهما . ان الاجتاع الانساني المبني على اللغة أو النسب أو المهادنة أو التغلب أو نحو ذلك مما ذكره الفارابي ورواجه في آخر تفسير السورة . كل هذا لا يثبت له فان هؤلاء تسجل رايهم متى خضعوا لالتف وخضعوا للذات فأولئك تذهب مدنيتهم هباء منثورا

﴿ الطريق الأقوم لسعادة الأمم الاسلامية المستقبلية ودوام ممالكها ﴾

انما السبيل لذلك أن تسمى كل أمة من الأمم الاسلامية حالا الى تعليم جميع أفراد الأمة رجالا ونساء وأن يتعاون جميع أهل العقل وذوى الوجاهة وأرباب الأموال في تنقيف الشعب كله ، فإذا وقع كتابي هذا في يد رجل ذي منزلة سادية فليتكبر في أقول ولا يسع حاله مع أمثله وأصحابه وأهل الوجاهة وأرباب الأموال وليشمر واعين ساعد الجدوليعلما الشعب كله وليفتحوا دور التعليم ولتكن هناك مدارس ليلية يتعلم فيها الفلاح والصانع بادئ القراءة والكتابة ولتكن لهم مناهج بها يدرسون ما ينفعهم في صحة أبدانهم وطرق معاشهم ومعادهم ويعرفوا ما حولهم من الخيرات في الأرض ، وسيكون منهم أفراد ممتازون خلقهم الله في كل قطر فهو لا يتعلمون ما يوافق عقولهم ويناسب أمر جسمهم من العلوم والصناعات وهؤلاء يكونون عماد الأمة يتودرون هؤلاء العامة في أمر دينهم ودنياهم ، وقد قدمت أمثال هذا القول في كثير من فصول هذا التفسير مثل ما ذكرته عند قوله تعالى - لا يكلف الله نفسا إلا الوسعيا - في آخر البقرة . وهذا واجب على كل أمة وقت تحت الفرجة ، أما المستقلون فأمرهم معلوم فهم جميعا قد استيقظوا والله معين لسلك مجد

إن ما أكتبه الآن متى عرفه المسلمون لا يفت في طريقة مدفع ولا نار . إن العلم أمر راسخ والعقائد متى رسخت فمن يعيها عائق وإن يصدها صلا بل تأخذ مجراها وتنتهي الى نهايتها ، فإذا قرأ المسلمون عوام الأمم المحقة بهم وأشرب حبها قلوبهم فيها لك يظهر جيل جديد مغرم بحمالة الله ، مغرم بارتقاء الانسانية ، مغرم بالسلام العام ، عالم ما يقوله في صلاته - الحمد لله رب العالمين - لارب المسلمين وحدهم ، وإذا كان الله مربى العالمين فلنكن متخلقين بأخلاقه ونطلب منه أن يهدينا الصراط المستقيم والصراط المستقيم هو صراط الله الذي عرفناه في السموات والأرض من القيام بالنسب والعدل والنظام والاحكام العام لا الخصاص وحينئذ يكون كبار الأمم مشوقين لأن يقلدوا النظام العام فهم كحكمة العرش أو كملائكة الذين يقومون بنظام هذه العوالم كلها وهذه الحال هي الأنسب لما نرى من جمال الكواكب ولما نرى من عموم أنوارها وهذا كما فعل الله الذي نطلب منه الهداية لصراطه . إن المسلم خاف حياة أعلى من حياة هذه الأمم ومتى قرأ الناس هذا التفسير وأمثاله أشربوا الى هذه الحياة وعملوا لها ولن يقف الإصلاح بعد ذلك لأن الشق العام في الأرض للنجوم والعلوم والآثار واللكشف الحديث واستخراج ما في الأرض والهواء من التمر الإيجابية يزاد جيلا بجيلا ، ثم ان هذه الحال لا يخاف زوالها لأن زوالها سببه الترف والتعيم ، والترف والتعيم انما يكون عند القوم الذين جمعهم العصبية كملالك الاسلامة بعد العصور الأولى ، والترف مهلك ولكن الأمم الذين يعرفون هذه العاوم ويدركون هذا الجمال وتكون لهم حكومات اتخابية يصطفون فيها أشرافهم عقولا وأذكاهم وأصلحهم يدبرون أمورهم مع عموم التعليم وانتشاره وعموم الحركة العلمية والصناعية مع س قانون يحرم البطالة والاستجداء من الناس لا يخاف عليهم ما كانت تخافه الأمم السابقة فأين الترف والتعيم والبطالة والكسل والانتكال على مايجي من الناس بالعصف والفلم فلا ظلم اليوم ولا غصب للأموال بل هو نظام ثابت وكل مغرم بعلمه أو بصناعته قائم بواجبه هناك يكون العدل والحب والحق والسعادة اه

﴿ عبرة تاريخية في آية - لمن للملك اذا دخلوا قرية - الخ ﴾

اعلم أيها القارئ أن هذا النوع الانساني لا يزال في مبدأ تطوره انه أشبه بالأطفال أو المراهقين الذين يتخذون ويتقاعلون ويرجم بعضهم بعضا بالحجارة وهم أبدا في هرج ومرج ، هذا هو نوع الانسان ، ذلك النوع الذي امتلأت نفوسه بالبر والاحسان والرحمة ثم غطى ذلك كله الشهوات والذات فاستحل ما كان حراما ، واستحسن ما كان قبيحا ، فترى منافقة منه يجتمعون ليدبروا الخيل لأخذ أموال الناس في ظلام الليل اليهم وهم الموصون وآخرون يترصون في طريق السابلة فيقتلون في القفار والأودية بعيدا عن العمران وهم بحاجة من القانون والشرطة ويعيثون بالمحاربة قتلا وسرقة ونهب ، وقد تكون تلك الفئة أكبر وأكبر حتى تكون جيوشا جائرة يقودها ملك كافق للسلطان سليم ، ذلك الرجل المسلم الذي قرأ كتاب الله عز وجل ، فهذا الملك لم يحجزه الدين ولا العقل عن إذلال بعض الأمم الاسلامية وهم في ديارهم آمنون . إن هذا الانسان لا تزال طباعه وحشية ونفوسه كبريمنة سبعية لا يهتمون الانسانية العامة ولا الاخوة الادمية ولا الاخوة الدينية الخاصة

لقد رأينا ملوك أوروبا قد اجعوا كيدهم وأتوا دفا لحاربة المسلمين في دارهم أيام صلاح الدين الأيوبي وأشد من هؤلاء همجية وأكثرهم وحشية من يفكرون بأمة ويميتون آلافا من الناس وهم على دينهم وهم شريقيون مثلهم بالإثم ارتكبه ولأذنبت جنوه لإلأنهم أحياء مسلمون ، ذلك هو السلطان سليم سلطان الأمة التركية وهو من بني عثمان فقد انقضى على مصر سنة ١٥١٧ أفرنكية والبلاد كانت بلادا صناعية زراعية وكان لها أسطول قوى يحمي تجارتها بينها وبين الهند وهكذا بينها وبين أوروبا ، فهؤلاء الترك لما دخلوها شبقوا سلطانها (طومان باي) بمصر بعد ما قتلوا السلطان الغوري ببلاد الشام وشبقوا شمل العرب بين وأخذوا أعظم العمال في البلاد وهم أنف صانع وجواهرهم الى الانسانية وفضلوا ما بين مصر وأوروبا والهند فأصبحت البلاد زراعية واستحدثت ضيقة بعد أن كانت قوية ومامت الصناعة فيها ولحقها الوار وحل بها الكساد وصار الناس ﴿ طبقتين اثنين ﴾ طبقة الفلاحين للعمل وطبقة الموظفين للعظمة والمال والجاه . أما طبقة الصناع فهي ليست ذات بال ، ولقد سرت الروح الزراعية في البلاد وأهمت الصناعة واستولى الحكم على أهم موارد البلاد وهم ظالمون ، وسرى ذلك الداء في الأمة أربعمائة سنة ، ولا زال لهذا الخلق بقية باقية في البلاد الى وقتنا هذا ، كل ذلك من همجية الانسان الأولى وفسوته وطغيانه ، فهذا ملك مسلم لم يمتد دينه من تغيير طابع أمة قد خلقها الله فيها في هذا الزمان وأرادت أن تجاري الأمم ولكنها بطيئة التقدم بما ورثت من صفات الضعف في أبناء بلادي السلطان سليم الذي أعظم أمر الحكم فاهم السطوة والثروة وسواهم لاهو في العرب ولا في الغير . وامتد هذا الخلق في أهل بلادي في عصرنا الحاضر إذ استقلت البلاد استقلالا اسميا ومع ذلك بقي هذا الخلق في أهلهما فنتهم من التخاص من قيود الاحتلال . مثلا نجد رئيس حكومة إيطاليا (ماسولينى) راتبه (٣٠) جنيا شهريا . وهذا مثل ضربته لنظارته في أوروبا ولكن مصر فيها اليوم أى سنة ١٩٢٨ م نحو (٦٠) وزيرا يتناول كل منهم معاشا قدره (١٥٠٠) جنيا في العام وابتاعت الوظائف مائة حكومة البلاد فصارت تقرب من نصفها وهذا سبب الخلق الذي ورثناه من سلاطين آل عثمان لما حكموا البلاد

وكما أثر سلاطين آل عثمان في أخلاق أممتنا المصرية أثروا في قوتها العلمية فإن الفاطميين أسسوا الأزهر وعلموا فيه مذهبهم (٢٠٠) سنة أى مدة بقاء دولتهم بمصر . وفي نظير الأزهر أسس (نظام الملك) المدرسة النظامية في بغداد لتعليم الدين الاسلامي على مذهب أهل السنة ليقاوم التعاليم الشيعية في مصر لاسما ما كان منه في (دار الحكمة) أو (دار العلوم) التي أسسها الحاكم بأمر الله بمصر . ولما قلب صلاح الدين الأيوبي في علي الفاطميين (سنة ٥٦٧ هـ) أبدل تعاليم المذهب الأربعة بتعاليم الشيعة في الأزهر ودعا للخليفة العباسي وأدخلت فيه العلوم الرياضية والنجوم وغيرها وحجج اليها الطلاب أفواجا من أقاصى البلدان . ولما زالت الدولة الأيوبية ودخلت

مصر في حكم الممالك أولا ثم في حكم الأتراك أخيرا انحدرت شأن النفسة العربية والعلوم وكان أسوأ انحطاط وتدهور لها في القرن الثامن عشر المسيحي ، ثم أخذت تسترد البلاد بعض مكائنها أيام محمد علي باشا ، ولا زالت في ارتفاع وانخفاض للآن تخشى بيط ، وتتمتع في أذيال التحلل بين الأمم . وهذا زمان نهوض الأمم جماء فلا بد من نهوض هذه البلاد ، وانما ضرب هذا المثل وهو مثل المصريين مع الترك لا بين لك بكل جلاء ووضوح كيف يكون إفساد الممالك إذا دخلوا قرية ، وكيف يجعلون أعزّة أهلها أذلة ، فالإفساد في مصر يشمل القوة العقلية والقوة الصناعية وقوة العفة ، فعلى الرياضيات ونحوها والطب وأمثال أقيمت من الأزهر الشريف وهكذا الصناعات وهكذا ماتت الميزة القعساء ، والطمة الثمياء وهي العفة والتبصر من الترف فإن الترف مادخل أمة إلا أفسدها فكثير في مصر الحكماء المرفون المنقصون في اللذات واستمر ذلك الخلق حتى لعق بعض أهل بلادى الآن * والدليل على ذلك مرتب الوزراء الضعيف المتقدم ذكره ، قال تعالى أقوم - أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون - فعلى الأذكيا قراء هذا التفسير أن يكونوا قادة للأمة الإسلامية وليعلموا أهل البلاد صغيرا وكبيرا بالتدريج وليجدوا في إفهام الشعب هذه المعاني وليرزقهم على الصناعات والعلوم ولينصروهم من الترف والنعم كما كان الترك قبل انقلابهم الأخير إذ اقتصروا بالحرب والعظمة على الناس فانتصروا في الترف على طول الزمان فخلصهم رقاب الأمم واستنزلهم أمواهم - إن الإنسان لظالم كفا -

إن المسلمين في المستقبل غديرهم بالأمس - والله يعلم وأنتم لاتعلمون - والله غائب على أمره ولستكن أكثر الناس لايعلمون -

(الطائفة الثالثة في نقل عرش بلقيس ونحوه)

لأنقل لك من (كتاب الأرواح) شذرة تناسب هذا المقام ، قد جاء في صفحة ٥٥ مائه واليك الآن شرح كيفية مغامرة المراد وفقا لتعليم الأرواح ذاتها المنقول في (كتاب الوضاء) للعلم الفيلسوف (الآن كاردك) وهاهوذا

- (س) هل السيال العام عنصر الأشياء كلها ؟
- (ج) نعم كل مافي السكون مركب من العنصر الأصلي
- (س) هل من مناسبة بينه وبين السائل الكهربي ؟
- (ج) إن الثاني مركب من الأول .
- (س) في أي حالة يظهر السيال العام على بساطته الأصلية ؟
- (ج) لا تظهر بساطته الأصلية إلا في الأرواح النقية ، أما في عالمكم فهو متقلب أبدا متغير تتركب منه المادة الكثيفة المحيطة بكم ، أما السائل الذي يقرب منه بالأكثري في أرضكم هو السائل الفناطيسي الحيواني
- (س) كيف يتمكن الروح من تحريك الجاد ؟
- (ج) يخرج جزء من السيال العام بالمائع الحيوي المنبعث من أعصاب الوسيط
- (س) هل تنفض الأرواح المائدة بأيديها المجسمة على نوع القول ؟
- (ج) بل عند ما يريد الروح أن يحرركم مائدة بحيتها حياة اصطناعية بواسطة السيال العام والسائل المنبعث من الوسيط وبعد ذلك يجتذنها ويحركها بقوة مابه من السائل المخصوص المنبعث منه بفعل الإرادة وعند ما يكون الجسم الذي قصد تحريكه ثقيل جدا يستعين بأرواح أخرى تأتي لمساعدته
- (س) هل الأرواح التي تأتي لمساعدته أدنى منه ونحو أمره ؟
- (ج) الغالب هي أرواح مقارنة له

- (س) هل اسهل الأرواح كفاءة على إتيان تلك الأعمال ؟
- (ج) لا تأتي هذه الأعمال إلا أرواح - قابلة - تتجرد بعد من المؤثرات المادية
- (س) استأنيجول أن الأرواح العلوية لا تنازل لعمل ما يلبق بها فقط نسال عما اذا كان طهه الأرواح المجردة عن الماديات - قدرة على انشاء هذا العمل اذا أرادت
- (ج) لها القوة الأدبية كغيرها للقوة الطبيعية فاذا اقتربت الى هذه تستخدم من يملكها كما تستخدمون أنتم العالين لرفع الأثقال
- (س) يظهر من قولك أن العنصر الحيوى مستقر فى السيلال العام . و بما أن الجسم الروحانى مركب من هذا السيلال فبدونه لا يستطيع الروح أن يأتى عملا فى المادّة الهويولة
- (ج) نعم وهو يمي المادّة الجمادية بنوع ما حياة اصطناعية قطعيه منفادة لاشارته ، فاروح إذن لايجوزك المادّة أو يرفعها بقوة ذراعها بل المادّة الحية تتحرك من نفسها لاشارته
- (س) فما دخل الوسيط فى هذا الحادث
- (ج) قد قلت لك إن المانع الحيوى الذى لا يملكه إلا الروح المتجسد أى الوسيط يستعيره الروح الذى لم يتجسد ويمسكه بمقدار من السيلال العام وبهذا المزيج يمي المادّة وهذه الحياة مؤقتة تلاشى مع التسلل وأحيانا قبل نهايته ان كان السائل المنيب من الوسيط ضيقا
- (س) هل يستطيع الروح أن يعمل بمهزل عن الوسيط ؟
- (ج) كلا . فقط يعمل أحيانا من غير علم أى ان من اناس من يلبث منهم هذا السائل الحيوانى من غير علم منهم فيستعيره الروح ويحدث تلك الأعمال البديهية من دون وجود وسيط ظاهر يساعده على عمله
- (س) هل المادّة التى أحيهاها الروح تعقل ما تفعل
- (ج) لا عقل لها أكثر مما للعما التى تشيرون بها لأن ماها من الحياة الصناعيّة تجعلها فقط منفادة لمركات الروح فلا تنوهموا أن الطاوله المتحركة روح لأنه ليس لها من ذاتها فسكر ولا ارادة
- (س) ما العلة المنغلية فى الحوادث الروحانية ، أهى الروح أم السوائل ؟
- (ج) الروح هى العلة والسوائل هى الواسطة الآلية ووجود كاهما ضرورى
- (س) ما وظيفة ارادة الوسيط فى هذه الحوادث
- (ج) وظيفة احضار الأرواح ومساعدتها على تنفيذ السوائل
- (س) هل فعل الارادة ضرورى بوجه الاملاق ؟
- (ج) انها تساعد على العمل وتزيده قوة ولكن ضرورتها ليست بمطلقة لأن الحوادث تتم أحيانا رغما من هذه الارادة حتى بدون علمها ، وهذه برهان على كون علة الحوادث ليست فى الوسيطا
- (س) لماذا ليس لكل الناس هذه الخاصية
- (ج) لاختلاف الامزجة والاصوبة التى يلقاها الروح فى تركيب السوائل فبعض الوسطاء لا ينفث منهم المانع الحيوى إلا بفعل الارادة وغيرهم يتدفق منهم بسهولة طبيعية فيستعيره الروح ويعمل فيه بدون علم منهم ، لهذا ليس لكل الوسطاء قوات متساوية
- (س) أيستقر الروح الفاعل بالمادة داخليا أم خارجا عنها
- (ج) يعمل فى كلا الحالين لأن الروح ينفذ فى الجساد ولا يهوقه عائق عن الدخول فى أحسن الاماكن والنفوذ فى أكثف المواد
- (س) كيف يعمل الروح عند طرقه الموائد

(ج) مطرفته السائل المبرج الذي يستعمله في التحريك وفي الطرق فتمسك ما يحركها ينقل اليكم النور
مركباً يحركها وعند ما يطرقها ينقل اليكم الهواء صوت طرقها

(س) لا يصعب علينا ادراك ذلك عند ما يطرق الروح الجداد ، ولكن كيف يستطيع أن يسهلنا أصواتا
وألفاظا مركبة

(ج) بما أنه يعمل في الجداد لا يصسر عليه العمل في الهواء أيضا ، وأما الألفاظ المركبة فيقلدها كما يقلد
بقي الأصوات

(س) تقولان الروح لا يستعمل يديه في تحريك المواضع أنه قد شوهد في جملة حوادث نظرية ظهور
أصابع تمر على ملامس الارض لضرب الألمان ، أليس ههنا حركة الملامس متأنية عن ضغط الأصابع لها

(ج) يتعذر عليكم بعد ادراك طبيعة الأرواح وكيفية فعلها إلا بمثله منقاربة لاثملاً أذهانكم فلا تتصوروا
طرائق أحماها مشابهة لطرائقكم ، أما قلت لكم ان فعل الروح مناسب لطبيعته وأن سوائ الجسم الروحاني
تنفذ في المادة وتحييها حياة صناعية ، فبعد ما يوضح الروح أصابعه على دساتين الارض يضدها حقاً بل يحركها
ولكن ليست القوة المفعلية هي التي تنضغط على الملامس بل التي يحجبها كما يحجب المادية تتحرك من نفسها
بفعل ارادته وتحدث الصوت ، وقد يحدث أمر يصعب عليكم فهمه وهو أن بعض الأرواح السفلية المتأخرة لا
يزال غرور الحياة متركة عليها فظنن بنفسها انها تسهل كما لو كان لها جسم مادي فلا تدري بهلة ما تأتيه من
الأعمال كما لا بدري الفلاح بأصول الألفاظ التي يركبها ، فإذا سئلت هذه الأرواح كيف تضرب على الارض
أجابت انها تضرب بأصابعها بالهلة الحقيقية فيحدث الفعل فيها غريزي دون أن تدري بأصوله وهكذا
قل عن الألفاظ التي تسميها

(س) يظهر في بعض الحوادث الروحانية ما هو متناف لسلل النوايس الطبيعية المعروفة . أفلا يجوز الاشتباه
في بعضها ؟

(ج) السبب في ذلك بعد الانسان عن معرفة كل النوايس الطبيعية فلا يعرفها كلها لأصبح روحاً علوياً
ففي كل يوم تظهر اكتشافات جديدة تكذب من ظن نفسه انه قد بلغ متهى المعرفة ولم يبق شئ خافياً عليه ، فهذه
الاكتشافات المستجدة بيه الله الانسان انه لا يثق بأنوار علومه إذ سيأتي يوم فيه يعود علم العلماء خزاناً لهم .
الأترون يوماً ما أجراماً تنقلب حركتها على قوة الجاذبية كقوة المدفع المقذوفة في الهواء والمطاد المتطابر في القلاة
كفأكم تكبراً يا بني البشر . الأخرى بكم أن تقرروا بضعفكم وعجزكم عن ادراك كل شئ

قال شير محمد لما سمع هذا القول . هذا رجوع الى ما قبل في القرون الأولى والأعصر المظلمة من أن الأرواح
لها قدرة على رفع الأثقال وعظام الأعمال بأسباب يزعم القوم انها طبيعية . قالتهم ولا عار في العلم إذا كشفت
اليوم ما أنكره أمس وهذا يا شير محمد رجوع منك الى مبدأ الترفع والاستكبار عن القول بصحة ما قبل في
الأعصر الغابرة ولكن علينا أن نخضع للعقل وتدع الكبرياء فالدليل واضح والصدق راجح
وليس يصح في الأذهان شئ * اذا احتاج التهار الى دليل

قال إذن عات القصة الثالثة عسى أن تكون أوفى حجة وأهدى سبيلاً وأقوم قليلاً وأرجح بيانا وأقوى
تبيانا وأعز تهراماً وأرفع مقاماً . قالت روى العلامة (والاس) الانجليزى في صفحة ٧٢ من الكتاب المذكور
مانهه بالحرف الواحد

أعجب ما رأيت من وساطة الأنسة (نيشول) إيجادها زهوراً وفواكه داخل غرفة محكمة الغلق في أول
مرة بدا على يدها هذا الحادث كانت في منزل بصحبة بعض من أخصاقي فبعد أن تناولنا الشاي لأننا كنا
في فصل الشتاء دخلنا حجرة صغيرة مغلقة بأحكام وما قدنا برهة من الزمان حتى لاح على المائدة التي جلسنا

حروبا كية وافرة من الزهور منها شقائق النعمان والخزامى والاقوان الأصفر وخلافها من الزهور الربيعة وكل أوراقها غضة ناضرة مكللة بالندى الرطب فيستساكها وحفظها باعتناء بعد أن عاقت عليها شهادة غضة من الحضور . وحوادث كهذه تكررت أماني ثبات من الزمان وفي محلات شتى وظروف مختلفة ، فتارة جاءتنا الزهور بكيمات وافرة وطورا مصحوبة ببعض نمار يطلها الحضور . وفي إحدى الجلسات الملب صدق لي الى الروح إحضار دوار الشمس فما مضى هنيهة حتى رأينا انه انخطت على المائدة هذه الزهرة وعلوها ستة أقدام وجرت منها مكسوة بكومة من التراب . وفي جلسة أخرى حضرها المسير أواف ترولوب والكلول والهارفي وقد قصد هؤلاء الأشراف قبل إقامة الجلسة أن ينشوا العرفة جيدا في كل أنعامها وأوعروا الى مدام ترولوب بأن تنقص جيدا كل قطعة من ثياب الأنسة (نيشول) ثم جلسنا حول المائدة والمسير ترولوب قابض على يد الوسيطة . وبعد مضي عشر دقائق استنشقا جميعا أربع زهور فأوقدنا حالا الشمعة فوجدنا أذرع المسير ترولوب والأنسة نيشول مكسوة بزهرة النسرين اه

وأغرب المنقولات التي تحدثت بها مؤخر المجلات الروحانية منقولات الزهور على يد الوسيطة (حذروت) ومنقولات الآثار القديمة والنباتات حتى الأسماك وبعض الطيور الحية على يد الوسيط الشهير بايلي . وقد شهد هذه الغرائب كثير من مشهورى العلماء في استراليا وإيطاليا وألمانيا وخلافها من الممالك الأوروبية التي تجول فيها الوسيطان المذكوران . وروى المعلم الفيلسوف (الآن كاردك) في «كتاب الوسطاء» أحداثا تقريبا شاهده عيانا والأسمثلة التي طرحها على الروح الذي أتم الحوادث والملاحظات الأصولية التي علقها روح علوى على أجوبته كما يأتي

(س) نرغب اليك في أن نقيدنا لم لا تقوى الروح على إحضار المنقول لإعند لقاء الوسيط في السبات المتناطليسي
(ج) السبب في ذلك طبيعة الوسيط ومزاجه فما أستطيع عمله مع هذا وهو نائم أستطيع انشاء مع آخر وهو يقظان

(س) لم تتأخر طويلا في إحضار المنقول وتمهيج بشدة رغبة الوسيط في ذلك
(ج) إطالة الوقت ضرورية لي لمزج السوائل ، أما تمهيج رغبة الوسيط فن باب التسلية والمزاج (ملاحظة الروح العلوى) لم يسب في جوابه ولا أدرك غاية تمهيج رغبة الوسيط فظنها بابا من التسلية مع ان مفعولها إثارة رشع السائل الحيوى بزيادة وهذا ناتج عن الصعوبة التي يلقاها الروح في هذا الحادث عند مالاتكون وساطة الوسيط بديهية

(س) هل للحضور تأثير في انفاذ عملك
(ج) إن انكار الحضور ومقاومتهم تركبنا في العمل جدا فلهذا نفثر بسط مالدينا أمام ناس مؤمنين بخبره باصول الروحانية

(س) من أين أحضرت الزهور والحلاري
(ج) قفلت الزهور من البساتين
(س) ومن أين أخذت الحلاري ، أما درى البائع بنقصانها
(ج) إنى أخذ الحلاري من حيث أشاء ولا يتضرر البائع بذلك لأنى أضع له بدلها
(س) والحوائث التي أحضرتها أليست بذات قيمة فكيف لا يتضرر صاحبها بخسارتها
(ج) أخذتها من محل لا يعرف أحد بنوع الايجمل لأحد ضرر من ذلك
(ملاحظة الروح العلوى) ليس الجواب بمستوفى الشروط والروح يحاول فيه اقناعكم باستقامته وعدم تضرر أحد بسرقة والحال أن الشيء لا يهوى إلا بمثله وذى قيمة واحدة فلو أمكن للروح ابدال الشيء بنظيره ما

احتاج الى أخذ الأول بل استعمل الشيء الثاني مكانه

(س) هل تقوى على احضار زهور من كوكب آخر (ج) كلا . هذا مستحيل
(ملاحظة الروح العلوى) أجب بالصواب وذلك لاختلاف السوائل الهيمية بكل من الكوكبين
(س) هل تستطيع احضار زهور من خط الاستواء
(ج) أستطيع نقل الشيء من أى بقعة من الأرض كانت
(س) هل تستطيع رد الأشياء التى أحضرتها وارجاعها الى مكانها
(ج) كما استطلعت احضارها هكذا أستطيع إرجاعها
(س) هل تشعر بتعب فى انشاء العمل
(ج) لا يكفى العمل تعباً طالما أنا مأذون فيه إنما نلقى العناء الشديد فى أعمال لا يؤذن لنا فيها
(ملاحظة الروح العلوى) لا يشاء أن يقر بما يذره من التعب الجسيم من عمل كهذا مادى على نوع القول
(س) ما الصعوبات التى تلقاها (ج) أخصها سوء السوائل وعدم ملائمتها لعملنا
(س) كيف تحضر المنقول ؟ هل تمسكه بيدك (ج) كلا بل أخفيه فى
(ملاحظة الروح العلوى) بل هذا غلط لأن الروح لا يتخفى فى شخصيته بل ينج شيئاً من سائل
جسمه الروحانى الشديد التقدد والانبساط بجزء من السائل الحيوى المنبعث من الوسيط ، وهذا المزيج يستمر
المنقول ويحمله

(س) هل يعسر عليك احضار شئ ثقيل الوزن
(ج) لا فرق لوزن المنقول عندنا وإنما نؤثر جلب الزهور لطيها ولطافتها
(ملاحظة الروح العلوى) هذا صحيح فانه يستطيع احضار ماوزنه مائة ومائتا كيلو دون أن يرتبك بهذا
الثقل ، فقط بما أن كمية السائل المزوجة يجب أن تكون مناسبة لجسم المنقول (وبعبارة أخرى) بما
أن القوة هى موازنة المدافعة فينتج أن الروح لا يحضر زهوراً أو أشياء خفيفة إلا لعدم وجوده فى الوسيط أو فى
نفسه المائع الضرورى لنقل ما هو أثقل منها
(س) هل يتوقع أحيانا اختفاء أشياء سببها الأرواح
(ج) نعم قد يتوقع ذلك ويمكن استرجاع الشئ بالتوصل الى الروح فى رد ما أخذه
(ملاحظة الروح العلوى) هذا صحيح وقلماً برد الروح ما أخذه ولكن بما أن فعلاً كهذا يستدعى ظروف
النقل ذاتها فينتج أن وقوعه نادر جداً وضائع الشئ يتأذى عن طبعك لاعتنا فعل الأرواح
(س) أليس من المنقولات ما يصوغها الروح من نفسه بما يأتى من التغييرات فى السيل العام
(ج) أنا لا أستطيع ذلك ولكن روح أرفع منى لا يجزعه
(س) كيف أدخلت هذه الأشياء الفرفة وهى محكمة السد
(ج) أدخلتها منى وأنا محتضن لها بجوهري ولا أستطيع أن أشرح أكثر من ذلك

فلما أن سمع ذلك شير محمد رأيته استبشر وفرح وابتهج وانشرح وقال ياسيدى إن منسى أنا وظلاب
العلم فى هذا المقام كمثل صبية صغار ماتت عائلهم وهم لا سيد عندهم والولد والاحول بيدهم ولا قوة ، يفتشون
الثرى على الجيوب ويلتحفون السماء بعد الغروب فقال لهم فائل أيها الصبية المعدمون واليتامى الملقون
هل جاءكم نبا عما تملكون من القناطر المقطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث بما
تركه أبوكم فى قرية تبعد عنكم بأميال وأنتم لا تعلمون فقالوا ما لنا بهذا من علم إنما نحن صالبيك محقورون
وصغار منهموكون ، وفقراء محرومون ، وأذلّة معدمون . ولكن هذا الكلام قد ترك أثرًا فى أفئدتهم ، ومنج

الفرح بترحومهم ، فاستأوا يساهلون ويسألون الركبان ، من كل ناد ورايح ، عن هذا النبا العظيم ، وهم بين
تصديق وتكذيب وتقريب وتبعد ورجاء وبأس وأمل وفنوط حتى اذا جاء من يده الحل والعقد وقال
هلما يا أيها النبا فانظروا ، شدة أرضكم وخيلكم وأنعامكم ، فقرروا عينا ، وانشرحوا صدرا ، وطبخوا نفسا ،
واصبروا قلوبا ليلوكم حتى تبلغوا سن الحلم . فان استأنا منكم رشدا دفعنا إليكم أموالكم وعسى أن تعرفوا قيمها
وتقوموا بحفظها ولا تهاونوا في حفظها وعسى أن تكونوا من المفلحين

ذلك ما يستأذى مثانا وقد عشنا في الدنيا جاهلين وقرأنا كتب المراسين فسمعناهم حدثونا بحديث البقاء
بعد الموت وذكروا عوالم السهل والجبل والبر والبحر تسكتفنا في توجهنا وتعيش معنا في عشنا وتلقى
الينا علما وتدلى الينا بحكمة . وأن منها من ترفع الأتقال من مكان الى مكان . أوليس من العجب أن حديث
بليقيس وسيدنا سليمان في هذه السورة له اتصال بهذا الحديث . ومن ذا الذي كان يدور بخلد أو يخطر بقلبه
أو يحس له أن العلم يكشف لنا جواز نقل عرش بليقيس من العين الى الشام قال تعالى - قال عفريت من الجن
أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين - قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به
قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر
فأما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم - الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا
الله - بعد أن كانت تلك القصص مما نسمعه وأؤمن به لفظا ولا نعقل له معنى . اتضح الأمر وظهر وتجلي
للعين وعلمنا أن ذكر مثل هذه القصص لاستيقاظ الأمم بعم الأرواح ليرقوا شعورهم وأن البحث في تلك
الأحاديث من أقوى أسباب ارتقاء العقول وارتفاع الأمم ليكون الشك سببا للبحث والبحث مقدمة الوصول
وانظرك كيف يقول الله تعالى - ليبلوني أأشكر أم أكفر - ولا يجرم أن غرائب عالم الأرواح نعمة علمية ، فمن
الناس من يستمسك بها ومنهم من لا يبالى ويقول لاخير فيها لاطعام فيه ولا لباس ولا زينة ولا جاه ، فإنا وما
للأرواح والآخرة والأولى - إن هي إلا حياتنا الدنيا موت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم
إن هم إلا يخرصون -

ثم قال شريح محمد ، يسأدي سيقول السفهاء من الناس هل كان - الذي عنده علم من الكتاب - محضرا
للأرواح . قلت ان قال قائل هذا فقل له ذلك لاعلم لنا به وهذا مقام لا نصل اليه وإنما مقامين أن الكشف
الحديث أظهر وجود مخلوقات حية عاقلة روحية تصديقا للقرآن لها قدرة على حل الأتقال ، فهذا ما نرى اليه
ليثق من لا يؤمن بالقرآن أن ذلك حق ، فأما ما عدا ذلك فإلى به يدان ولست أدخل في هذا الميدان مع
من لا يعقل البرهان . فقال حسن . انتهى ما قلته من كتابي ﴿ الأرواح ﴾ وبهذا تم الكلام على القسم
الثاني من السورة والحمد لله رب العالمين

(الْقِسْمُ الثَّالِثُ)

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ تَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ * قَالَ
يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَفْهِرُونَ اللَّهَ وَلَكُمْ رَبُّكُمْ رُحْمَاءٌ * قَالُوا
أَطِيعُوا آلَ بَنِي إِدْرِيسَ وَمَا لَكُم بِآلِهِمْ مِنْ شُعَيْنٍ * قَوْمٌ شَفَعْتُمْ بَيْنَهُمْ * وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ نَسَمَةٌ
رَهْطٌ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ * قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ
مَا شَهِدْنَا هَٰذَا مِثْلَ آلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ * وَسَكَرُوا مَسْكَرًا مَسْكَرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ *

فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِمِهِمْ أَنَا ذَمَرْنَا هُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ * فَلَمَّا يَبُوءُكُمْ خَاوِيَةً
عَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * وَلَوْ مَا إِذْ
قَالَ لِقَوْمِهِ أَنَا تُؤَنُّونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ * أَنْتُمْ كُنْتُمْ أَتَوُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ
النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُجَاهِلُونَ * فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ
قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْفُسٌ مَبْغُضَةٌ * فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ فَذَرْنَاهَا مِنَ الْخَافِرِينَ *
وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ *

التفسير اللفظي

قال تعالى (واقدر أرسنا إلى قومك أنهم صالحا أن يعبدوا الله) بأن أعبدوه (فإذا هم فريقان يختصمون)
مؤمن وكافر يختصمون في الدين (قال يا قوم لم تستحلون بالبيتة) بالبلاء والعقوبة (قبل الحسنة) العاقبة
والزجة (ولولا) هلا (تستغفرون الله) بالتوبة إليه من كفركم ومعاصيكم (لهلكم ترجون) لانهبون في الدنيا
(قالوا اطيرنا) تشاءنا (بك وعن معك) إذ تناهت علينا السداد فتمرت كلفتنا وحسن القطرنا وذلك
بشؤمك وشؤم من معك (قال طائركم عند الله) أي ما يصيبكم من الخير والشر مكتوب عنده، وسمى طائرا
لأنه لا شيء أسرع من نزول القضاء المحتوم، ويقال (طائركم) على سرعة صعوده، وقوله (بل أنتم قوم
تفتنون) تختبرون بتعاقب السراء والضراء وهذا اضرب عن بيان طائرهم وهو بسدا ما يزيل بهم من الشر
إلى ذكر سيبه (وكان في المدينة تسعة رهط) تسعة أنفس وهو من الثلاثة إلى العشرة والفر من ثلاثة إلى تسعة
(فيبذلون في الأرض ولا يصلحون) شأنهم الإفساد الخالص عن شوب الصلاح (قالوا) قال بعضهم بعض
(نقاسهوا بالله) أي أحلفوا به (لبيته وأهله) لئلا يغتن صالجا وأهله ليلا (ثم لنقول لوليسه) لولى دمه (فما
شهدنا) ما حضرننا (مهلك أهل) أي قتل صالح وأهله فما ندري من قتله ولا من قتل أهله (ولنا لصادقون)
ونحلف لانا لصادقون (ومكروا مكرا) غدروا غدرا حين قصدوا قتل صالح ومن آمن معه من قومه (وملأنا
مكرا) دبرنا تدبيرا بأن جعلنا إهلاكهم (وهم لا يشعرون) بذلك، ثم أبان ذلك فقال (فانظر كيف كان عاقبة
مكرمهم أنا دثرناهم) أهلكتنا التسعة * يروى أنه كان لصالح في الحجر مسجد في شعب يصلي فيه فقالوا زعم أنه
يفرع من آل ثلاث ففرغ منه ومن أهله قبل الثلاث فذهبوا إلى الشعب ليقتلوه فوقت عليهم صخرة من جبالهم
فطبقت عليهم الشعب فهلكوا وهلك الباقون في أماكنهم بالصيحة، وإلى هلاكهم أشار سبحانه بقوله (وقومهم
أجمعين * فلما يبوءكم خاوية بما ظلموا) بظلمهم وكفرهم (إن في ذلك لآية) لبعرة (لقوم يعلمون) قدرنا
(وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) الكفر والشرك لذلك خصوا بالنجاة (ولو طأ) وأذكروا طم أبدا منه
قوله (إذ قال لقومه أنا أنؤمن الفاحشة وأنتم تبصرون) تعلمون أنها فاحشة لم تسبقوا إليها وهو ما من بصير
القلب، ولا ريب أن اعتراف الفاحشة من العالم بها من أقبح الذنوب، وما من بصير العين لأنهم كانوا بأنونها
و بعضهم بصير بعضا، ولا حرم أن فاحشة العلانية أقبح من فاحشة السر، ثم بين تلك الفاحشة وعلاها بالشهوة
لعماد لآزدرائها ومناظرتها الكمال متى خلت من الحكمة في خلقها وهي أن يطلب منها للنسل فقال (أنتم
لتأتون الرجال شهوة من دون النساء) اللاتي خلقن لذلك (بل أنتم قوم تجهلون) تعلمون فعل من يجمل
قبه أو يكون سفها لا يميز بين الحسن والقبيح أو تجهلون العاقبة (فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا

آل لوط من قريشكم إنهم أناس يفتخرون) يتزهون عن أهاليها ويعتدونها قدرا (فأعجبناه وأهله إلا امرأته قدسناها من الغابرين) قسرتنا كونها من الباقين في العذاب (وأعطينا عليهم مغلرا) هي الحجارة التي أمطرنا على شذاذهم والمسافرين منهم (فساء) فبئس (فارالمذيرين) مطهرهم . انتهى التفسير النافذ للقسم الثالث من السورة وأجلد الله رب العالمين

﴿ جوهرة في قوله تعالى أيضا - إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها - مع قوله تعالى

- فذلك بيوتهم غاوية بما ظلموا - أيضا ﴾

اعلم أن الأمم الإسلامية أصابها ما أصاب الأمم فأنهم ظلموا أنفسهم والبلدان التي فتحوها وسدأقا لحديث « إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح عليكم الخ » . إن الله عز وجل بالرصاد لكل أمته والله عز وجل لما أنزل القرآن جعله نورا مبينا وأمر المسلمين أن يكونوا خيرة أمة أخرجت للناس فيجعلوا العالم كله أمة متعاونة فلا ظلمة ولا مظلمة . ولقد ظهر في أوروبا وفي الشرق من الآراء ما يناسب ما ذكرناه لينزل الظلم من أهل الأرض وهو الذي كان يأمر به نبينا ﷺ إذ يأمر بالحق والرحمة ويقول الله الله - فلا تقصم العقبة - وما أدراك ما العقبة - فك رقية - أو اطعام في يوم ذي مسغبة - بنيا ذا مقربة - أو مسكنا ذا متربة - ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالرحمة - . إن السبل هو الذي يوصي غيره بالصبر والرحمة العامة . وليعلم المسلمون أن أهل الأرض مستعدون لذلك . فإذا بلغ المسلمون ذرى الحمد في العلم والعمل فليرقوا الانسانية والدليل على أن الأمم قابلة لذلك ﴿ لطيفتان ﴾

﴿ الطيفة الأولى في رأى فيلسوف الصين « كوفوسيوس » في دولة العالم ﴾

معلم أن العالم (كوفوسيوس) الفيلسوف كانت ترشد الشعب الصيني العظيم وتكون مصيره ومع انه قد مضى عليها ألوف السنين يقول دارسوها انها تتوى من الآراء والصالح والنظريات ما يكاد يكون عصريا ﴿ مثال ذلك ﴾ ما اقتبسه (المسترفرد مارتن) من هذه التعاليم عن دولة العالم وهو بالترجمة كما يلي ﴿ عند ما يسود مبدأ السولية يصير العالم بأسره جمهورية واحدة وتنتخب الأمم أفاضل ذرى مواهب ومقدرة فيتكممون عن الاتفاق الحقيقي ويتفقون الونام العالمى ويصبح الناس والحالة هذه لا ينظرون الى الدين -هم بأنهم والدينهم غصب ولا الى أولادهم بأنهم أولادهم غصب ، وسيعين للتقدمين في السن مهابا حتى وفاتهم ويدبر عملا لرجال تقدمهم الشيخوخة ويقدم للأحداث ما يساعدهم على النمو والتقدم في مراحل الحياة . أما الأراذل والأيتام والمقطوعون والهزلة من تأثير الأمراض فكاهم تسكفل بهم الحكومة وسيضمن لكل رجل حقه واسكن امرأة شخصيتها ﴾ انتهت الطيفة الأولى

﴿ الطيفة الثانية ﴾

في ذكر مجاه عن أحد الضباط الأوروبيين إذ منح الأمير عبد الكريم بعد انتخذه . وهذا نص مجاه في جريدة الأهرام بتاريخ ٦ مارس سنة ١٨٢٩ م

﴿ عواطف كريمة ﴾

(كيان كنننج في شعره)

عرفنا من قبل الكيكن كنننج رجلا أيا همما أعجب بشجاعة الرقيقين وساء ما يليق حقهم من باطل أعدائهم فالتدب يسى للسلم بين عبد الكريم وأعدائه سعي لم يقصر فيه ولكن خيبه ظلم السياسة وكبرياؤها فهل عرف قومنا أن هذا الرجل الانكليزى الشريف شاعر رحيم القلب على النفس ، يستعرض في شعره الماضى والحاضر بشد بدكر العظامه ويقضى حق البطولة أنى وجدها ؟ وهل عرفوا أن اعطاء التاريخ الاسلاي من شعره للسكان الأول والنصيب الأوفر ؟ طلع علينا (الكيكن كنننج) منذ عامين بطائفة من شعره سماها

(موت أكبر وقصائد أخرى) خص بمعظم صفحاتها جلال الدين أكبر شاه ملك الهند العظيم قتل هذه السقاية على سرير الموت محتضرة ، وما أوسع هذا مجالاً لقرينة شاعر كبير القلب ذكي الفؤاد
ثم نشر هذا العام طائفة أخرى من شعره عنوانها (أوعيد الله وقصائد أخرى) وهي مائة وخمسون صفحة من الشعر الجيد تستغرق قصة أبي عبد الله آخو مالوك غرناطة أربعاً وثلاثين ومائة صفحة منها ، وقد أعطى فيها الشاعر للتاريخ نصيبه وللإنسانية حقها وأن النفس الكبيرة التي تقدر البطولة وتحبها عليها في بأسائها هي التي وقفت بالكاتب كمنهج على أبي عبد الله في أيام نحسه كما وقفت به من قبل على جلال الدين أكبر في سريره موته ، وكذلك قطعة عن جنسة العريف فيها للشعر والقلب الطوف مجال واسع وأعظم ما في الكتاب من بعد ﴿ قصيدتان ﴾ إحداهما ﴿ في رثاء المرحوم سعد باشا زغالول وكان الشاعر قد رآه حين قدم مصر منذ ستة وأصنف ، وفي هذه القطعة يصف بلفظ موجز وقع المصاب في مصر ومكة الزعيم الفقيد من قلوب أمته ، ثم يهيب بالمرء بين ألا تأسوا وسيروا على سنة زعيمكم فالمتقبل رضاء أمامكم ، وحسبنا من نبل الأخلاق والانتصار الحق أن يقف الشاعر هذا الموقف من رجل مات وهو في نضال سياسي نخاض فيه الانجياز (قوم الشاعر) ﴿ والقطعة الثانية ﴾ نظمها حين أهدق بالزعم الرئي عبد الكريم نحسه فاضطره إلى الاستسلام لعدوه ، والشاعر يمثل فيها ريفيا محتضرا يفقد زعيمه العظيم . انتهى الكلام على القسم الثالث من السورة

(الْقِسْمُ الرَّابِعُ)

قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ؕ اللَّهُ خَبِيرٌ ؕ أَمَّا يُشْرِكُونَ * أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ؕ أَوَلَمْ مَعَ اللَّهُ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْمِلُونَ * أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ؕ أَوَلَمْ مَعَ اللَّهُ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَحْمِلُ كُفَّاءَ الْأَرْضِ ؕ أَوَلَمْ مَعَ اللَّهُ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ * أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ بِشَرًّا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ؕ أَوَلَمْ مَعَ اللَّهُ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ * أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ؕ أَوَلَمْ مَعَ اللَّهُ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَ نَسَبِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ * بَلْ أَدَارِكُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي سَكْةٍ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ * وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاءُ آبَاؤُنَا أُنْمِئْنَا لَمُخْرَجُونَ * لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ * وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي صَبَاقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ * وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ

ردف لكم بعض الذي تشتمون * وإن ربك لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون * وإن ربك ليعلم ما تنسكن صدورهم وما يقولون * وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين * إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه مختلفون * وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين * إن ربك يقضي بينهم بحكمه وهو العزيز العليم * فتوكل على الله إنك على الحق المبين * إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين * وما أنت بهادي العمى عن صلاتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون * وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون * ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون * حتى إذا جازوه قال أكدبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما أما ذا كنتم تعملون * ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون * ألم يروا أننا جعلنا الليل يسكنوا فيه والنهار مبصرا إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون * ويوم ينفخ في الصور فتخرج من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين * وترى الجبال تحسبها جامدة وهي كمر يمر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون * من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون * ومن جاء بالسيفة فكبنت وجوههم في النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون * إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرّمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين * وأن أنزلوا القرآن فأنى هدتني لئنفسه ومن صلّ قلن إنما أنا من المنذرين * وقل الحمد لله سبّركم آياته فتعرفونها وما ربك بفاقل مما تعملون *

اعلم أن الله عز وجل لما قص في السابق من هذه السورة نبأ داود وسليمان وقوم لوط وعود وقد ورد ما استبان به عظمة الله وإتمامه على عباده من علم وحكمة لداود وسليمان وإطلاعه عليه السلام على عجائب الطبيعة وبدائع الحيوانات في الجوف والتراب وإتهاجه بمعركة غرائرها وطبائرها وعجائنها وإلزامه بمراتب الحق والسياسة والملائكة وما خوطم الله من قدرة وعلم ، وكيف رتبهم مراتب ونظمهم صفوفاً كل فيما استعد له من عقابيت يقدرهم على الأعمال بمسقة وملائكة يزاولونها بسهولة تبعاً لنفوسهم ومراتبها في الحياة والرقى ، ومن نصر واعتلاء على أهل الكفر كما في قصة عود وقوم لوط إذ أهلك الله الكافرين ورد كيدهم إليهم وأوقعهم في حفرة حفروها وداهية لغيرهم طلبوها . لما قص الله ذلك وعرفت منه فضله العظيم استبان به

أن النفوس الطاهرة الراقية تنال العلم والنصر فلا جرم يستحق سبحانه الجدة على انعامه وبؤلاء الأنبياء المخلصون
سلاماً من الأذى ونصراً على أعدائهم ، هاتان نيتجتان لما تقدم ، انعام من الله وأمان للذين اصطفاهم
ولا جرم أن ذلك يرجع الى أصل الموضوع وهو التوحيد ، فالتم الواصلة للعضلطين من الأنبياء وغيرهم والسلامة
الموجهة اليهم لانهم وحدوا الله وساروا على نهجه في الأعمال الشريفة وتحققوا بأخلاقه ، فإذا وجب أن
تبين آيات من آياته وبجائبات من بداهته ليلحق الخلف بالسلف ويقرأ الناس في سطور هذه السكتات آيات
الجلال كما قرأها سليمان في عالم الحشرات والطيور وعالم الجن والملائكة ليعضدوا حذوه في شكر الله وليكون هذا
العلم ابتلاء لهم وامتحاناً حتى اذا عرفوا الموهبة شكروا النعمة والتحقوا بالقرين كما قال سليمان - رب أوزعني
أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي - وكما قال - ليلوئي أشكرأم أ كفر ومن شكر فأنما يشكر
نفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم - هذا هو المقصود من ذكر هذه الآيات الآتية

وهي (١) خلق السموات والأرض (٢) وانزال الماء من السماء (٣) وابنت النبات (٤) وابداع الجداث
البهيمت (٥) وجعل الأرض قراراً بحيث أمكن الاستقرار عليها فاستقر عليها الانسان والحيوان (٦) وخلق
الأنهار الجارية في خلالها (٧) وخلق الجبال التي ينزل المطر منها في الأنهار (٨) وابداع حواجز بين الماء للملح
والعذب بحيث لا يختلطان (٩) واجابة دعاء من اضطر الى الله والتجأ اليه من كل مكروه (١٠) وكشف الضر
عن الانسان (١١) وجعل الناس سكاناً للأرض بالورثة عن السابقين فيتمتعون فيها قرناً بعد قرن وجيلاً
بعد جيل وأمة بعد أمة (١٢) وهداية الناس بالنجوم والعلامات في ظلمات الليالي بالبر والبحر وفي مشبهات
الطرق كما يقال طريقة عمياء وعلاماً للتي لا منار بها فأودع في قلوب البشر علوماً بها عرفوا طرق البحار ومسالكها
ومدارات النجوم وأهلها أن تكون لهم الابرة المغناطيسية لتدسهم على جهة الشمال تقريباً متى عرفوها
عرفوا سائر الجهات بها (١٣) وارسل الرياح مبشرات قبل المطر ليستمتع الناس لنزولها فوسيع مستبشرين
(١٤) ولا جرم أن من قدر على هذا قادر أن يعيد الخلق كما بدأه (١٥) ومن تأمل هذا عرف أن الله يرزق
الناس بأسباب علوية وسفلية معاً ، فالعالم كله متفق في أعمال نتائجها متوافقة فقد اتحدت الأسباب العلوية
والأرضية وتعاونت على رزق الانسان والحيوان ولا يصح هذا الاتحاد إلا اذا كان الصانع واحداً ولو تعدد فكان
اسكل له عمل من هذه الأعمال لم تكن النتيجة كما هي حاصلة بهذه الوحدة لأن اختلاف المديرين يقتضي
اختلاف النتائج والنتائج متعددة متعارفة ، إذن الإله واحد (١٦) ولا جرم أن ذلك يدل على أن الله يعطى مافى
السموات ومافى الأرض ولا يعلمه سواه لأن هذه النتائج الصادقة لا يستخرجها إلا العالما بها ولا يعلمها سواه ، فإذا
لا يعلم الناس متى يبعثون (١٧) بل انهم فوق ذلك تكامل علمهم في الآخرة واستحكم بدلائل وحجج قاطعة
ومع ذلك هم متبحرون فيها شاكون بل هم فوق ذلك عسى عنها لا يدركون دلائلها لاختلال بصائرهم وهذا
وان ذكر انه من في السموات والأرض ليس القصد منه إلا الذين كفروا

هذه المسائل السبعة عشر هي من قوله تعالى - وقل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى - الى قوله
- بل هم منها عميون - واعلم أن هذه النعم المذكورة تذكروا للمسلمين وبصرة لهم أن يعرفوا نعم الله تعالى
وفقهوها ويدرسوها ويعلموا بها كما فعل سليمان عليه السلام فانه لما علم الحشرات طلب من الله ان يلهمه
الشكر على ذلك العلم ، ولما نال الملك في الأرض ووصل الى أقصى ما يرام من العلم جعل هذا اختباراً فهكذا فليكن
حال المسلم فليدرس السموات والأرض والمطر والنبات والأشجار والبحار ويتوجه الى الله وعلى المسلمين أن
يكونوا علماء بالنجوم وبالطرق في البر والبحر بالعلوم المختلفة وأن يذلوا الطبيعة بالبراسة لا بالهجرة كسليمان
عليه السلام وأن يكونوا مصلحين في الأرض حتى تلحقهم كلمة رسول الله ﷺ إذ قال بأمر الله الحمد لله على
ما أنعم على عباده وحياء كل مصطف من عباده النافعين خلقه الهادين لهم المرشدين الصادقين فليكن في

عددهم حقاءً وحدهم التدخل فيمن سبحانه النبي ﷺ بأمر به وليكون عاقبتك في الدنيا والآخرة كماقية سليمان ودانود وأمثالهم

﴿ تفسير الكلمات في هذه الآيات ﴾

قال قتال (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) أمر الله رسوله ﷺ أن يحمده الله شكرًا له على نعمه التي يبسطها الخلق على صطفى من نبي ومؤمن وتلك النعم علوم وهداية ونصر وأن يحيى هؤلاء الذين اصطفاهاهم (الله خير أما يشركون) إلزام لهم وشتمهم وتنفية لأيمانهم (آمن) بل آمن (خلق السموات والأرض وأزل لكم) لأجلكم (حدائق ذات بهجة) بساكنات ذات حسن يشجع بها من رآها (ما كان لكم أن تنبتوا شجرها) أي أنكم لا تقصرون أن تنبتوا شجرها (بل هم قوم يعلمون) عن الحق الذي هو التوحيد (آمن جعل الأرض) بدل من خلق السموات والأرض وكذا ما بعده (قرارا) دحلا وسواها للاستقرار عليها (خلاها) ظرف أي وسطها وهو المقول الثاني والأول - أنهارا - وبين البحرين حاجزا - مثل ذلك (رواسي) جبالا ثواب تنعها من الاضطراب لأن الجبال متصلة بالطبقة الصوانية ثابتة منها وهذه الطبقة لواقطع جزء منها لاضطربت النار وخرجت من باطن الأرض فكانت براكين فاهتزت وخرت بعد الاضطراب الكثير (البحرين) الملح والغلب (حاجزا) مانعا أن يتخطا (لا يعلمون) التوحيد (آمن يجب المضطر) المكروب المجهد المضروب بالحاجة المحوجة من مرض أو نازلة من نوازل الدهر فهي إذا زلت بأحد بادر إلى الالتجاء والتضرع إلى الله (ويكشف السوء) الضر إذ لا يقدر على تغيير حال من فقر ومرض وضيق إلى غنى وسعة إلا الله القادر (خلقاء الأرض) بأن وزعكم سكنائها (قليلًا ما تذكرون) أي تذكرون تذكرًا قليلًا (يهديكم) يرشدكم (بين يدي رجته) قدام المطر (آمن يبدؤا الخلق) نطفًا في الأرحام (ثم يعيده) بعد الموت (ومن يرزقكم من السماء) بالمطر (والأرض) بالنبات (برهانكم) حجتكم (إن كنتم صادقين) أن مع الله آلهة شتى (قل) يا محمد لأهل مكة (لا إله من في السموات) من الملائكة (والأرض) من الخلق (الغيب إلا الله) زلت في المشركين حين سألو رسول الله ﷺ عن وقت الساعة، والمعنى أن الله هو الذي يعلم الغيب وحده (أأن يعثون) متى ينشرون وأين أصلها أي وأن (أدراك) تسامول وانتهى واستحج * يقال أدركت الفاكهة تسامولت فنجا وأحله تدارك فأدغمت الماء في الدال، وزيدت ألف الوصل ليكن التسامول بها (عمون) جمع عم وهو أعمى القلب * وقيل أدراك بمعنى اضمحل كما يقال تدارك بنو فلان إذا تتابعوا في الهلاك أي اضمحل علمهم في الآخرة . انتهى تفسير بعض الكلمات والله أعلم

﴿ لطيفة ﴾

اعلم أن هذه المذكورات التي عدناها (١٧) هي التي تفهم المسلم كيف يحمده الله . إذ حمد الله إنما يكون على نعمة والنعمة ما يدرسها الإنسان لا يفهم معناها وإذا لم يفهمها فلا جد له كما شرحناه في سورة الفاتحة . أم يعلم المسلمون أن هذه هي التي يحمده عليها . إن الحمد ثناء بحميلة لأجل جميل اختياري ، فإذا لم يعرف الإنسان الحمد المودود عليه فلا جد له والله أمر نبينا ﷺ أن يحمده الله وذلك الحمد يكون في العبادة وفي العلم ، أما في العبادة . فسلم يقرأ الفاتحة ويحمده الله فيها على أنه صرني العالم كله وهو برحمة ، وكذلك نرى المسلم يقول ﴿ التحيات لله ﴾ فسلم يحمده الله ويقول التحيات له ، ويقول المسلم أيضا في الرفع والاعتدال ﴿ ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد ﴾ هذا حمد المسلم في العبادة ، فانظر أثر العبادة ، إن أثر العبادة يظهر في العلم ، انظر أيها الذكر ، أن الحمد في الصلاة على تربية العالمين وملء السموات والأرض وما بينهما وملء كل شيء بعد ذلك ، انظر أليس هذا هو ما في هذه السورة ، أم يذكر الله هنا بعد ذلك الحمد المودود عليه ، أم يذكر السماء والأرض والمطر والنبات والأنهار والبحار والهداية في البر والبحر

وارسال الرياح ، انظر . إن الله لم يذكر في هذا علم الحيوان لأنه تقدم في قصة سلمان وذكر الإنسان في قوله - ويحكم خلفاء الأرض - فاذن المحمود عليه هنا جميع هذه العوالم وهي المذكورة في قول المؤمن ﴿ ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض الخ ﴾ فانظر كيف أمر الله النبي ﷺ أن يقول لنا - الحمد لله - ثم ذكر المحمود عليه على سبيل العلم لاعلى سبيل العبادة ، فالعبادة مجرد تذكرة ، وأما هنا فهو علم فاذا قال - الحمد لله رب العالمين - وقال ﴿ الحمد لله ملء السموات وملء الأرض ﴾ فنتيجة ذلك أن يدرس هذه العوالم بقدر امكانه وعلى قدر فهمه فيها يكون ارتقاؤه الى الله تعالى . هذا مقصود الحمد هنا وهو الدراسة والعلم فلاحظ لإمعنة المحمود عليه والمحمود عليه هو هذه المذكورات وهذه المذكورات هي محجبات السموات والأرض وما بينهما من نخل وهدهد وجبن وملائكة ومطر ونبات وريز وبحر وجبل الخ هذا هو الحمد ، أما السلام في قوله - وسلام على عباده الذين اصطفى - فاعلم أن ذلك هو الدرجة الثانية وهي ترجع الى الأخلاق والفضيلة والانسان ما دام مبعدا عن حب الناس جاهلا بالجامعة الانسانية فهو بعيد من ربه ، فالانسان سعاده في ﴿ بأمرين ﴾ * الأمر الأول ﴿ العلم وقد علم في الحمد ﴾ الثاني ﴿ في الحب العام والحب الخاص أشاره بقوله - وسلام على عباده الذين اصطفى - أتمرى أيها الذكر أين هذا في ديننا ؟ ابحث عنه تجد في التشهد ، تجد السلام يقول ﴿ السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴾ يقول المسلم مخاطبا النبي ﷺ السلام عليك يحميه اجلالا وبشره بشرى على بشرى بالسلامة كتحميمه الملائكة وهذه التحية من بواعث السرور والمودات ، يسلم المؤمن على النبي وعلى نفسه وعلى كل عبد صالح وهذا عين قوله تعالى - وسلام على عباده الذين اصطفى - فليذكر المؤمن وقت الصلاة في هذا المعنى وليقل ﴿ السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴾ إن التفكير في هذا المعنى يحدث آلفة بينه وبين الأرواح الشريفة التي ارتقت الى عالم الصفاء والنور حتى اذا مات أحسن بالآلفة الجامعة بينه وبينهم فلا يفر منهم ولا ينف . هذا هو المقصود من هذا السلام وليفكر فيمن اصطفاهم الله بالعلم والحكمة وليأخذ بأحسن مما عمووا به كما قال تعالى - فبهداهم اقتده - والاهتداء بهداهم لإحكام رابطة بين المرء وبين الصالحين فهناك ﴿ رابطتان ﴾ رابطة بالتسليم في العبادة ورابطة بالقوة الحسنة في العلم كقصة سلمان هنا إذ يتبحر الانسان في العاوم ويغوص في بواطنها من علم طبيعة وعلم أرواح ويزيد في الاخلاص لله والتسليم له فلا يفتقر بما أعطى بل يقول - ليأبوا أشكر أم أكفر - الخ فمن اقتدى بعالم أو بنبي في خصلة فقد عظمه وحياه وهو أيضا في كل صلاة يسلم عليه . وهذا فهمنا - قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى - وصار المخلص أن يتبحر في العلوم ليمجدنا الله وأن تقتدى بالأنبياء ليكون ذلك رابطة تجمعنا بهم وهذه رابطة أؤكد من رابطة التحية كما قال ﷺ ﴿ أنت مع من أحببت ﴾ وكما قال تعالى - أولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ﴾ ذلك الفضل من الله -

واعلم أن الذين اصطفاهم الله أشبه بآباء للناس ، وكأن الله عز وجل منزّه عن المادّة مرقى العالمين مسدد لهم ليرقيهم من حال الى حال ، فكذلك هؤلاء الصالحون يسبرون على السفن الذي سنه وان كانوا في هذه الأجسام فهم وان شاركوا الناس في أمور الحياة لا يريدون بها إلا القوة على المنافع العامة للأمم ، وكلما كان الانسان أزهد في المادّة وأحب للعلم وأكثر مساعدة وجبا للناس كان أقرب الى الله ، وكلما نزل عن ذلك كان أبعد عنه ، إن الله أعطانا دروسا شتى في الحياة ، قلل الشهوة البدنية زمن الكبر ، وأكثر من المصائب في المنازل وفي المدن وفي علاقات الأمم بعضها ببعض وفي الأجسام ، كل ذلك ليفهم الناس أن هناك حياة أرقى من هذه وكأنه يقول أيها الناس إن هذه الحياة ليست أعظم حياة ، إن ربك قادر وليست قدرته واقفة عند هذا الحد ، إن هناك حياة أوسع من هذه الحياة وأعلى منها ، وعلى مقدار اخلاصكم في أعمالكم وخواص

نفوسكم من عتائق هذه الحياة فمما نحن يعلم أرقى . والعالم الأرقى يكون فيه عبادة الدين اصدقاني كسمايان انه لم
تفتت زخارف الدنيا ، ان الملك وطاعة انالك لم تؤثر في نفسه . انه يذكر ربه في وادى الخلق كما يذكره وهو على
عرش بالقوس وبفؤوس الأسماء . وذلك هو عين التفويض وباب الحب فلتفتتوا به وبالا ببناء لتسكنوا مع الذين
أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا

﴿ جوهره في قوله تعالى - أقم خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتا به
حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها - الخ وفيها « لطيفة الأولى »

في شرح هذه الجباب « اللطيفة الثانية » في بهجة الحدائق ﴿

﴿ اللطيفة الأولى في شرح هذه الجباب وفيها خمس مطالب ﴿

(١) في قوله - حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها -

(٢) وفي قوله - أقم جعل الأرض قرارا -

(٣) - وجعل خلالها أنهارا -

(٤) - وجعل لها رواسى - الخ

(٥) وفي قوله - أقم يجيب المضطر اذا دعاه - الخ

﴿ الطلب الأول في الحدائق ذات البهجة الخ ﴿

يعيش الانسان في هذه الأرض وأكثره في غفلة محجوب عن جماله وبهائه وحسنه ، إن العالم في نظر
أكثر هذا الانسان محجب وراءها بحجب مسدولة بل هو مظلم قائم لالة فيه ولا جبال إلا لالة الحيوانية ، فالتناس
يعيشون مسجونين بما أعطوا من حواس وبما نالت تلك الحواس من اللذات الحسية وينظرون الى اطواء
والى الماء والى المعادن كالحديد والكبريت والبوتاسيوم والصوديوم والجير والمغنيسيا والفوسفور والسلكا
(الرمال) والكلور وغيرها نظروهم الى أمور جامدة فائرة خاملة لا تتحرك من همهم ولا تبث من نشاطهم اللهم
إلا علماء الصناعات المتعلقة بهذه الكائنات والعلماء الكيمياء ومن يحا تحوهم ورجال الصناعات والعالم
الجزئية كلهم نظروهم جزئى ومنهم محصورى في دوائر ضيقة ، ولكن من حسن الحظ أن هذا الانسان خلقت فيه
طائفة عقولهم أوسع ونظروهم أعلى وحسنتهم أشرف ونورهم أهدى وأجلى وأجلى وأجلى إذ ينظرون بهيئة
تندرج تحتها كل العلوم ، تلك الطائفة هم خلفاء الله فى أرضه ، هم الذين جعلوا فى الأرض أوصياء على هذا
الانسان المسكين المحبوس فى الأرض المغمورة فى حائتها الممنوع عن الجمال ، فهؤلاء يقولون نعم العالم الذى نحن
فيه في ظاهره جاد جاف وعند البحث نظر ففرى هذا الهواء وهذا الماء فيها عناصر الاكسوجين والادروجين
والايزوت ويصحب هذه الثلاثة الكربون ، فلما فيه العنصران الأولان والماء فيه العنصر الأول والثالث
والكربون أى الفحم معروف وهذه الأربعة تتجمع ويخلق منها كل نبات وكل حيوان مع اضافة مقدار قليل
من العناصر التسع المتقدمة التى أوّلها الحديد وآخرها الكلور . من هذه العناصر أو أكثرها يكون النبات
ويكون الحيوان . إذن هذا الهواء وهذا الماء وقليل من الكبريت وقليل من الفوسفور الخ هو نفسه هذا
الانسان وهذا الحيوان وهذا النبات ، فما هو إلا أن يأخذ الانسان حب القمح أو حب الشعير أو القرة أو الرسيم
أو النجود أو الالبوايا أو الخشخاش أو الجوز ويزرعها فى أرض صالحة ويتمدها بالطرق المرفوقة فانه يرى بعد أيام
أن البنية التى كانت فى داخل تلك الحبوب أخذت تنمو وأخذنا نلاحظ أن هناك

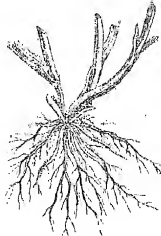
(١) جنرا وهو المنفوس فى الأرض وله فروع ويعرف بالمجموع الجذرى

(٢) وساقها والجوهر الذى يرتفع فى الهواء ويتفرع فيه وأن من الحب الذى زرعناه ماهو ذو فلقين مثل
البوايا والفول ، ومنه ماهو ذو فلق واحد مثل القمح والشعير

(٣) وأن المجموعات الجذرية إما وتدية ، وأما ليفية ، وأما درنية ، فالوتدية هي التي يستخرج الجذر الأصلي في النمو مع بقائه أكبر من فروعه وذلك مثل جذور البرسيم والجردل والشجاش ، والليفية تكون قليلة النمو وجذوراتها كثيرة مثل جذر القمح والشعير والقرع ، وأغلب النباتات ذات العنقة الواحدة ، والدرنية تكون منتفخة بمثلثة للمواد الاذخارية التي يتغذى بها النبات في المستقبل مثل الجزر والبطاطا والفجل واللفت والبسجر وهكذا ، وهذه صور أنواع الجذور الثلاثة الوندى والليفى والدرنى (انظر شكل ٣٣٦ و٣٣٧ و٣٣٨)



جذر الدرنية



(شكل ٣٣٧ - جذر ليفى)



(شكل ٣٣٩ - جذر وندى)

(شكل ٣٣٨ - جذر درنى)

(٤) وأن الجذور لا يحمل أوراقا وله قلسوة تصون تحته وله منطقة نامية بالقرب من طرفه وله منطقة ماصة وهي منطقة الشعيرات الجذرية وله منطقة مثبتة خالية من تلك الشعيرات وليست ماصة وهو متفرع على جذيرات صغيرة وهو متجه رأسيا من أعلى الى أسفل ويسمونه الانحناء الأرضى ويؤثر على هذا الاتجاه عوامل أخرى مثل الرطوبة والضوء ونحوهما

(٥) وأن الساق تحمل أوراقا وبراعم (وهي المجموع المكون من قمة الساق ومن الأوراق الصغيرة التي تحميها) وليس لها شعيرات ماصة كما للجذور وليس لها قلسوة وتؤمها طرفى ودون الطرف وتنتج رأسيا من أسفل الى أعلى وتحمل الأوراق وتعرضها للهواء وتوصل العصارات من الجذور الى الأوراق ومن هذه الى الأعضاء الأخرى ، وقد تؤدي وظائف الأوراق وتقوم مقامها وتمتلئ بالمواد المدخنة في بعض النبات كالقصب والتبن الشوكى والبطاطس ، ومتى نما النبات ترى له أزهارا تنشأ عليه ويطلق على مجموعها اسم (الفروع الزهرى) ثم تذبل الزهرة وتستحيل الى ثمرة

(٦) وأن الأجزاء الرئيسية للنباتات الزهرية هي الجذور والساق والورقة والبرعم والزهرة والبزرة ، ثم ما التى نراه من الجذائ في الجذر وفي الساق ، أما الجذر فأنظر ماذا جرى فيه ، لقد رأيت أيها التكى بينك نظامه في باطن الأرض فهو إما مثل الوند وإما مثل الليف وإما مثل الدرنة ، ثم انظر ماذا حصل ؟ حصل كل العجب وأنى عجب بعد أن ترى ساقا وورقا وبرعما وزهرا وثمرات . كل ذلك حاصل بسبب الجذور الممتدة المتفرعة في الأرض ، ماذا فعلت تلك الجذور يا ترى ؟ هذه الجذور فيها فتحات شعيرية ، تلك الفتحات الشعيرية تمتص المواد من الأرض . أى المواد تمتصها ، تمتص ما فيها مما ذكرناه من العناصر وهي الاكسوجين والادروجين والاوزون والكالكريت والحديد والفوسفور الخ . وكيف تمتصها . تمتصها بمقادير خاصة بمقاديرها في القطن وغير مقاديرها في الفول غير مقاديرها في الورد جميل الرائحة غير مقاديرها في العنب (انظر ما تقدم في سورة البقرة وأقرأ الجدول المذكور عند مسألة ابراهيم والطير) والعجب لاختلاف المقادير التي يتناولها النبات هناك وبها تختلف السوق والأوراق والظهور والروائح والأغذية والفواكه . فبالت شعري أبى الحكمة التي تعلمتها تلك الفتحات الشعيرية

حتى امتصت ما يلحق ببقائها طعما وتولوا وقدرنا . ثم إن النباتات تبايع مئات الألوف عدا وقد اختلفت الاختلاف مدتها عظمى فكيف اختلفت الفسحات الشجرية فيها اختلاف بمقدار اختلاف ظواهرها . ثم إن الكبريت والحديد والفوسفور والسايتكا والاكسوجين وما شابهها هي هي نفس الكمثرى التي نأكلها والورد الذي نشمه والزيت الذي نستعمله . إذن نحن لم نستعمل شيئا إلا تلك المواد التي نشاهدها من ماء ومن هواء ومن معادن أرضية ولكن هذا السحر الحلال الذي ظهر في الأعمال التي ظهرت في حب القمح وفي حب الذرة وفي حب النوى والتمر والشمس هو الذي أرانا هذه العجائب . لا تمر ولا ذرة ولا ورد إلا أجزاء هوائية ومائية ومعنوية تقدم ذكرها اختلف تقاعها واختلفت أفعاليها فصعد الامام الغزالي إذ يقول ﴿ إن المشعوذ البارغان يفعل مثل ما رآه في الطبيعة ولكن الناس لاعتيادهم على مشاهدة هذه العجائب أنسوا بها فلم يروا فيها غرابية ولا عجيبة ﴾ ومن عجب أيضا أن المادة المسماة (الكأوروفيل) هي التي تجعل للنبات لون الخضرة وخاصة أجزاء النبات التي تحتوي على الكأوروفيل . أنها متى كانت معرّضة للضوء تمتص (غاز الكربونيك) من الهواء وتخلله إلى كربون واكسوجين فتحفظ الكربون وتطرد الأكسوجين . وتعرف هذه الظاهرة (بالتمثيل الكأوروفيلي) إذن هذه الخضرة تفعل في النبات فعل التنفس في الحيوان فالحيوان يبق الكسوجين ويطرد الكربون بالتنفس والنبات بالمادة التي أحدثت له الخضرة طرد الأكسوجين وأبقى الكربون بعكس الحيوان ولما كان النبات الذي يعد مئات الألوف مختلف النتائج والثمار اختلف طرق امتصاصه من الأرض بالشعيرات الجذرية كما تقدم واختلف طرق تصرف المادة الخضراء في هيئة تنفسه . فاجب لاختلاف اختلاف الفسحات الشجرية في الجذور الأرضية واختلاف الخضرة في الأوراق الهوائية . الخضرة واحدة ولكنها تختلف اختلافًا بالقوة والضعف . وبهذا الاختلاف يختلف فعلها التنفسي في الهواء وتكون الثمرات والأشكال على مقتضى الاختلافين ويرجع كل هذا إلى هواء وماء وكربون وحديد وفوسفور وكبريت مما تقدم ذكره . فجمال الأزهار وبهجة الثمرات وابتسام الورد وبهجة البساتين . هذه كلها هي نفس الماء ونفس الهواء ونفس القمح ونفس الكبريت . فليات شعري من أين جاء للهواء والقمح أن يعقل أن الجذر لابد أن يشتمل على قسم يثبت في الأرض وعلى قسم يخوفها وعلى قسم آخر يمتص الغذاء في الأرض والغذاء لابد أن يكون مناسبًا لفاكهة وللعجب ولطالب الحيوان ولطالب الانسان الغذائية والوقائية والفاكهة . حارت العقول يارب فيما نراه وما ألفناه . هذا هو قوله تعالى - ما كان لكم أن تفتنوا شجرها - هذا هو تفسير هذه الآية أي فكيف تفتن هذا الشجر وما هذا الشجر إلا مواد نراها ولكننا لا نقدر أن نصنع هذه الأعاجيب منها . فنحن أمام هذا النظام أشبه بجميع الناس أمام الخطباء والشعراء إذ يعرفون الكلمات والحروف والمعاني ولكنهم لا يقدرُونَ أن ينظموا أشعارا كأمريء القيس ولا تراثا مثل عبد الحميد الكاتب . فائدة يقول لنا - هاتم أقرؤا كتابه - هاتموا هذا النبات وهكذا الحيوان ، هذه كلها من المواد التي ترونها فهل تقدرُونَ على هذا النظام . كلامي . كلام (٧) ثم إن الساق إما أن تكون قائمة ، وإما أن تكون زاحقة ، وإما أن تكون متكونة متسلقة ، فالأولى كالأشجار المعروفة والقمح والذرة ، والثانية كالخيار والقرع والشليك . وهذه لما كانت فروعها يجب أن تكون كثيرة الماء ضعفت فامتدت على الأرض وسجلت الأرض عنها غمارها ، فترى البطيخ والقرع وأمثالها على الأرض اضعفت تلك السوق المائية عن حملها . والثالثة تتسلق السياج وسدوع الأشجار الأخرى كالبلاب الذي يلتف حول الأجسام التي يتسلقها وبضها كالكرمة والبزلاء يثبت بتلك الأجسام بواسطة (مخالب) وهي خيوط رفيعة تلتف حول الأجسام التي تصادفها ، ومخالب الكرمة غصون محوزة ولها نواها قد تحمل براعم . أما مخالب البزلاء فهي أوراق محوزة . ثم إن غصون السوق الهوائية قد تتحول إلى أشواك للدفاع عن النبات كما في البرتقال (انظر شكل ٣٨)



(شكل ٣٩ - صورة محالقي السكرمة)

فانظر اعدن اقلب تارة الى محلاق لرفع شجرتة وتارة الى شوكه ليحفظ النبات ثم الورق انقلب الى محلاق ليرفع شجرتة أيضا

(٨) ثم انقل الى عجائب العلم والحساب والهندسة في النبات (أذكر ك بما تقدم في سورة الحجر عند قوله تعالى فيها - وأنبثنا فيها من كل شئ موزون - فنأمل شكل ١ وشكل ٢ وشكل ٣ وشكل ٤ في سورة الحجر) ونأمل رعاك الله لنظام أوراق النباتات المختلفة وكيف كانت محسوبة بحساب عجيب فتراها على الأغصان بينها مساحات متساوية تكون دائرة تامة

فانظر الى هذا الحساب هناك والى هذه الدقة في الهندسة والحساب البديع واقرأ بقية شرح الحساب هناك ثم ارجع الى أول المقال فأول المقال انه ليس عندنا شئ إلا هذا الماء وهذا الهواء وهذا الحديد ثم انظر هذه التنوعات في الجذور وفي السوق وفي الأوراق وفي الأزهار وفي النتائج وفي حساب الأوراق على الساق ونظامها وأعدادها ودواثرها . هذا معنى - ما كان ليكن أن تبتوا شجرتها - وكيف ثبت شجرتها ونحن اذا لاحظنا نظام الجذر لا لاحظنا نظام الساق ولا الزهر ولا الفاكهة ولا حساب الأوراق . فهذا كله حاصل ولا يخل بعمل بسبب مزاجه الآخر له . هذه الملاحظات الخفية التي ذكرتها لك أيها الذكي في الحدائق والأشجار ورائر النبات متى تأملتها وجدتها شرحها علم الفلسفة القديمة والحديثة . وقبل أن أذكر آراء الفلاسفة أندم القول في الحدائق فأقول

اعلم أن الحدائق ذات البهجة على قسمين ﴿ قسمين ﴾ حدائق في البر وهي مردقة وحدائق في البحار عرفها الناس في أيامنا هذه وذلك باختراع آلة وهي عبارة عن غرفة يمكن الغوص بها على أعماق بعيدة في الماء وتتصل بالسفينة بواسطة أنوبة تحمل الهواء ، ومن مزيتها أن حركتها عينا وشمالا لا تأتي مع حركة السفينة وسيرها ، وهي تنفع لرجلين أحدهما يتولى إدارتها وإزالتها واصعادها والآخر لقيامه بتدوير المناظر ثم هي مزودة بنظارة يبلغ قطرها مترين وسعها ستين مترات بحيث تمتد منها البصر على مساحة واسعة . ذلك الى أنها تستخدم لعكس الأشعة وتسهيل استكشاف المناظر . وقد استطاع هذا المخترع وهو (المستر ويليام سن) المشهور باستكشافاته البحرية أن يرتاد في غرفته هذه مياه جزائر البولينيز وأن يشاهد من عجائبها ما نادر دهشة العمامه . فلما ذكره له رأى من النباتات المتباينة الألوان ما يشبه أجمل الحدائق فوق اليابسة وأن هذه الحدائق تسكنها حيوانات مختلفة الأنواع . فيها حيوانات رخوة وذوات أصداف لم تسكن مردقة حتى الآن وهي تطاحن وتتنازع أكثر من تطاحن حيوانات اليابسة وتنازعها . وأغرب ما ذكره المستر (ويليام سن) أن من هذه الحيوانات ما يشبه النبات في شكله ولكنها حيوانات متارية إذ تنفض على الأشكال التي ليست من نوعها فتفسرها

ثم كان من أثر مشاهدته أن كشف لنا ظاهرة جديدة حتى أن الأسماك السديمية كالتي يدور حولها
البحر أو تلك البحر ليست على خطتها بل هي أشبه الأسماك فكلما وأكثرها خطا أحيائها حذفت لسمك صغير
له أسنان حادة ينضمها به ثم يثبث في جسمها مادة سائلة تتغلبا لسانتها . وشاهد المشر (ويليام سن) حركة
بين خيصال غلافه من السمك تنويعت فيها الأسماك . والآلات فكان من هذه الآلات المركبة في جسم الأسماك
ما يشبه السيف . ومنها ما يترب شكاه من المنشار . أما ضعف هذه الأسماك فهو ما كان يشغل في جسمه شوكة
يطعن بها جسمه انتهى من مجلة الجديد

(تطبيق المذاهب الفلسفية في جميع الأمم على نظام النبات)

قام في اليونان (ثاليس) بأكثر من خمسة قرون قبل الميلاد فقال أصل العالم الماء . لماذا ؟ لأنك رأيت
الماء داخلا في النبات وفي الحيوان

(٢) ثم قام بعده (أنكساجورس) فقال . كلا . أصل العالم الهواء

(٣) ثم قام أكسيمندر فقال أنا لا اعتبر إلا المادة العامة . فأما الماء والهواء فهما إلا فرعان ومنه
(ديموقريطس) إذ رجع إلى الجزء الذي لا يتجزأ وقد أخذ به علماء الأشعرية من أمثال الاسلامية

(٤) ثم قام فيثاغورس وقال لا أيها الناس كلا . ثم كلا . مالنا وللباء والهواء والمادة . أصل هذا العالم
انما هو العدد والحساب لأنني رأيته منظما

(٥) فقال أنكساجورس . كلا . أيها الناس هل يكون الحساب بلا حساب والنظام بلا منظم . هناك عقل
يعقل هذا العالم

(٦) ثم جاء سقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس فقالوا بأله منظم للعالم

هنا ملخص مذاهب اليونان وتبعهم الرومان وقامت أوروبا فلم يخرج مفكرهم عن هذه الآراء فأما
أهل الهند فاني رأيت في كتاب (راجا يوغا) أن قوما منهم أشبه بثاليس ومن معه لا يرون للعالم صانعا وهم السنيخ
وقوم مثل أنكساجورس لا يرون له علما به وآخرون يشبهون أفلاطون ومن معه . فاليجيون يقولون انه عالم
بما لانهاية له ومعلم لكل عالم في العوالم كلها . والذين يذهبون كتاب الفيدا يقولون هو عالم صانع للعالم كله جزئيه
وكليه مستدائين بالنظام الموسيقي

وبناء على ذلك أصبحت عقول أهل الغرب وأهل الشرق ترجع إلى ما تراءى في هذا النبات .
فأهل السنيخ في الهند وثاليس ومن معه في اليونان لم ينظروا إلا إلى ما أمامهم كما ينظر العالم في هذا النبات
ولا يفكر إلا في المادة وحدها . فأما اليجيون في الهند وأنواع الفيدا وهو الكتاب المقدس عندهم فانهم
لاحظوا ما هو أعلى من حيث نظام الأوراق والأزهار وحسابها كما لاحظها أفلاطون وسقراط وشراحها
جيدا كما نقلت عنهما في رسالتي التي سمتها «مرآة الفلسفة» فقالوا بأن للعالم إلهام نظم وهو حكيم ومبدع
لأن مسألة النبات التي شرحتها هنا قد شرحت أدوار الفلاسفة في الشرق والغرب وقد أصبح ما كان من الفلسفة
عسرا الفهم (عويضا على العقل مشتتا للفكر موجبا للأحزاد للجهل الغاشي واضعوبة الكتب) مشاهدا
بالعصر سهل الفهم شارحا لاصدر قريبا من العقل يفهمه المتوسطون . أما أنا فاني أجد الله عز وجل إذ وقت
على هذه المذاهب واختصرتها هنا وطبقتها على النبات واستبان بهذا أن الناس في مشاهدة هذا العالم أشبه
بالعيران الست الذين شاهدوا الفيل وكل حكم عليه بما وقع تحت حسه فأقرأه في سورة المؤمنين عند قوله
تعالى «كل حزب بما لديهم فرحون» ومن أدرك ما كتبت الآن ووقف على تفصيله في غير هذا المكان
فانه للاحالة ينظر لاختلاف مذاهب الفلاسفة في الغرب والشرق في عصرنا فنظر البصري إلى الفيل وقد سمع العميان
الست يدرسون له لسلك رأى فيه وهو من آرائهم يسخر وقد عرف أن كلا منهم قال بعض الحقيقة أما هو
فقد وقف عليها وهو من الموقنين . انتهى الكلام على «المطلب الأول» في قوله تعالى هنا ... وأنزل لكم من

السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان اسمكم أن تنبتوا شجرها -

﴿المطلب الثاني في قوله تعالى - أتمن جعل الأرض قرارا -﴾

أقول ، لقد تقدم رسم القارات كلها في (سورة النور) فلرجع إليها هناك وانظرها مع الحدائق البهجة

والنبات والحيوان

﴿المطلب الثالث والرابع في قوله تعالى - وجعل خلاها أنهارا وجعل لها رواسي -﴾

فالمطلب الأول هو النبات وما كان النبات لا بد له من قرار أتبعه بالمطلب الثاني ثم أتبعه بما كان سبب انبائه فذكر الأنهار والأنهار لا تكون إلا بالسحاب والمطر والتابع الذي يكون في الجوف ثارة وتارة يقع على الجبل فينزل الماء في داخله ويحزن فيه فتنبع منه العيون وبعد الأنهار في الأوقات المختلفة ، فانظر في (سورة النور) وتأمل هذه الجبال هناك فانك تجد في تفسير قوله تعالى - ألم تر أن الله يربح سحابا - الخ صورة السحاب الذي ليس بركوم والسحاب المركوم والسحاب الذي يخرج منه الودق ، وهكذا ترى الثلج الذي هو كالجبال في الجوف الذي يخلف البرد فيه وهو معروض لوصول الهواء الحار اليه فيرجع مطرا وهكذا جبال الثلج التي تحفظ فوق الجبال مثل جبال الأناب المرسومة هناك وهكذا الثلج الذي يكون فوق الجبل ويرى نازلا منه في النهر كمنهرا لونه الذي يصب في البحر الأبيض المتوسط كما يصب فيه النيل الخارج من خط الاستواء من البحيرة المسماة بحيرة فيكتوريا ، فهذه التالوج وهذه الجبال تراها مرسومة في تفسير تلك الآية فلاحاجة لاعادتها هنا وأما قوله تعالى - وجعل بين البحرين حاجزا - فانظره في سورة الفرقان عند قوله تعالى - صج البحرين - الخ اه

﴿المطلب الخامس في قوله تعالى - أتمن يحجب المضطر اذا دعاه -﴾

وهذا أمر لا يعرف إلا بالوجدان ولكل حيوان ولكل إنسان في الأرض شؤون تخصه لا يعرفها غيره والله أمته بأمداد خاص وأتقدم من خطره هو أدري به وحده ولكل ذي نفس مع ربه سر لا يدركه سواهما . ويظهر لك في مثلثنا أنك تراه توضع غصن الكرمة لجمله محلا ، وقد تقدم رسمه وتوقع ورقة البازلاء فكأنك كذلك كما تقدم ، وتوقع غصن البرتقال فمارشوكا لحفظ النبات ، فهو قد رأى ما يحتاجه البرتقال من الحفظ وما يحتاجه البازلاء والكرمة من المالحق لترتفع بها على غيرها فأمدها فهو إذن يحافظ على الجزء كما يحافظ على السكل ويراقب الورقة الصغيرة ويقفل فيها ما تقتضيه المصلحة . فهذا نظير إجابة المضطر اذا دعاه . هذا مافتح الله به في هذه الآيات كتبته ليلة الاثنين ١٥ ابريل سنة ١٩٢٩

﴿البهجة في حدائق ذات بهجة﴾

أكتب هذا صباح يوم الخميس (٦ يونيه سنة ١٩٢٩) إذ كنت متوجها لزيارة بعض الأصحاب في شارع الصليبه الموصل من ضريح السيدة زيب إلى القلعة ، فبينما أنا أسير إذ رأيت أمرا غريبا ، رأيت منظرا جديلا وحديقة بهجة في الجهة الشرقية للجامع ابن طولون ، ذلك المسجد الذي أسس منذ نحو مائة وألف سنة فوق (جبل يشكر) ولقد كنت قبل اليوم أرى هذا المسجد حوله مبان قفرة وبيوت ضئيلة كأنها الأكواخ مشهد بها بقض النفوس ويحلب البؤس وهذا القبح والبؤس بسبب تلك القاذورات والحيوانات البرية والرطوبات المنشرة التي تكون سببا في المرض وفساد الصحة وذهاب الأجسام والنفوس والأخلاق ولقد مدنت لي شهور وشهور لم أمر من هذا الشارع . إن حكومتنا المصرية لما لما من الاتصال برجال الغرب أرادت أن تجار بهم في تحسين القاهرة وتجميلها فاشتريت تلك البيوت الحفيرة وغيرها وهدمتها وصنعت في محلها هذه الحديقة فاستوقفت نظري ولم أشأ أن أمدف في المسير حتى أنأمل هذه الحديقة . المسجد فوق الجبل والشارع منعطف عنه بما يزيد على ١٢ مترا ، فبناء عليه جعل هذا المنحدر الذي هدمت البيوت المبينة فوقه حديقة

طريقة مأثورة من (سبع قطع) متحارات (القطعة الأولى) بجملة الشارح في أسفل المسطر يصفون به الشكل محيط بها سور من الحديد قد زرعت حدائق تكون طول السنة مخضرة ويسمونها (قارو) وفي وسطها روضة طريفة صغيرة مزروعة أشجاراً أوراقها طويلة أزهارها كبيرة خضرة يسمونها (كنه) أو سابل وهذه الروضة المسفرة أيضاً يصفوا به الشكل كمدار الكواكب كلها فانها يصفوا به ويخطونها بأشجار السور والجبل وكل هذه إنما اختيرت لأنها مخضرة طول العمر لا يتبخت ورقها ولا يطمع الناس في أكل ثمرها فكان الأعمار يضيغ رونق بعض الأشجار ويضك قواها فلا تقي على رونقها طول السنة

هذه هي القطعة الأولى والقانع أنت الباقية كلها مستويات الشكل شيط: بعض سورها شجر يسمى (توتة) أخذوا هذا الاسم من اللغات الأفرنجية التي جابوا هذه الأشجار منها . هذه هي الحديقة التي رأيتها وأنا الآن أراك أنها الدكي تقول لي ، لقد وصفت حديقة لاقية لها وفي الدنيا حدائق جميلة بهجة وهذه بالمشبه لها أثر بعد عين أو عدم بالنسبة للوجود . فأقول أنا لم أكتب هذا المقال لأسمعك هذا الوصف . كلا . بل إنني أريد أن أذكر ما خطر بذهني حين رأيت هذه الحديقة ، تذكرت أن هذا المكان كنت أكنه منذ ٣٠ سنة بالقرب منه وما كان له هذا الرنق فتغيرت الحال فقلت في نفسي هذه أجسامنا التي نعيش بها نرى الله يقبها من حال إلى حال ثم يهدمها ويحدث غيرها ، فإذا رأينا الأرض الملاصقة لمسجد ابن طولون لما هدمت بيتها ظهر لها رونق جديد هكذا فلتكن أجسامنا بعد أن تهدم تظهر أرواحنا بمنظر جميل شارح للصدور وهذا الخاطري هو المقصود الأول من هذا المقال بل المقصد الأهم من هذا هو تذكري للمسلمين بقوله تعالى — حدائق ذات بهجة —

ما هي البهجة هنا ؟ بظن الجهلاء وصغار العلماء أن البهجة في مناظر الحدائق وظواهرها مع أن خضراء الدمن أي تلك الحشائش التي تنبت في الأماكن المستفجرة تكون ذات بهجة أيضاً ، كلا . إن المدن إذا ازدحمت بالسكان وتراكت فيها الأقفاص والضائق الأنفاس فيها وتعدر على الناس القيام بأهم شؤونهم لما يتخلل شوارعهم وأن تقسم من المزايل والآثرية والقيامات والقاذورات فتنبعث منها الروائح الكريهة وتكثر الحيات وتضغ الأبدان ولا يبقى في المدن إلا أناس قويت أجسامهم فتجملت هذه الملهكات فعاثت ، والأمم مادامت جاهلة لم يظهر فيها مفكرون ترضى بهذه الحال وتعتقد أنه لا مفر منها وأن هذه هي الحال العامة وليس هناك خير منها فيجوس الرباء خلال الديار فيعجز الأجيال جيلاً بعد جيل والناس لا يعقلون . فأما إذا تخلت الحدائق المدن كهذه الحدائق هنالك يتجدد الهواء وسط المدينة فيكون المدينة بهذا تنفست بعد أن كانت لا تنفس لها . وبيانه أن النبات ينه وبين الحيوان اشتراك فعلي في الحياة ، فالإنسان والحيوان يخرج الكربون (الفحم) من أنفاسهما ويأخذ الهواء ويوصله إلى الأشجار ، ومعلوم أن أوراقها أشبه بالثة فتأخذ من الهواء المادة الفحمية الآتية من أغصان الإنسان والحيوان وتعطي الهواء مادة الحياة التي يسمونها الأكسجين وتقول أنها الهواء خذ مادة الحياة هذه وسلمها بإسلام إلى أخوتي وإخواني الإنسان والحيوان فيحمل النسيم تلك التحية ويسير إلى أن يوصل تلك المادة وهي (الأكسجين) إلى الإنسان والحيوان فينفسان بها أي يجلبانها من الهواء ويدخلانها في المادة الدموية فتتظلم وتطعمها قوة الحياة فيكون الدم شرباً يابداً بعد أن كان وردياً . فأنا إذ وقفت أمام هذه الروضة الصغيرة كنت كأني أسمع تلك الأوراق والأشجار والأزهار تتخاطبن بهذه المعاني وتقول قل للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، لماذا كانت مساكنتكم في مصر ومراكش والجزائر وتونس والعراق وغيرها أقل رونقا وبهجة وتنبعث منها الروائح الكريهة ؟ أجهاتم العالم ونذتم العلماء أم لم تفهموا قول الله تعالى — فأنبثنا به حدائق ذات بهجة — فهذه البهجة التي تظهر في رونق الأشجار والأوراق تنبت منها نفوسكم بهجة وحياة فتكون هناك معادة القلوب وانتعاش المدن وقلة الرباء وارتقاء الأمم

فها أناذا أكتب هذا للمسلمين وأقول قد بلغت اللهم فاشهد . فلما كتبت هذا حضر صديقي العالم فقال
 هذا كلام حسن ولكن مامني قولك « قد بلغت اللهم فاشهد » هل أنت بلغت ديناً ، وهل الحدائق ذات
 البهجة يجب أن تتخلل المدن الإسلامية حتى تقول لأهل بلغت اللهم فاشهد . هذه قلها التي عليها السلام في حجة
 الوداع ولكن قلها في أمور هامة وهو حفظ الأنفس والأموال والرفق بالعبيد والبسالة . أما هذا الذي تنقله
 فلا هو في العير ولا في النفي وإنما أنت رجل رأيت حقيقة في مكان كنت تسكن قرب بامنه وكان مكاناً مزدجماً
 بالسكان قدراً فأصبح مكاناً جليلاً فأثر في خيالك . هذا أول الأمر وهذا آخره . قلت يا صاح اسمع . أليس
 ترى بعد هذا البيان أن فيه حفظاً للأنفس وحفظاً . قل بلى . قلت ومتى صحت الأنفس كثرت الأموال . قال
 بلى . قلت أليس من هذه أن نفس النساء والعبيد . قال بلى . قلت أومع صدق أنت بالقضايا العلمية التي ذكرتها
 لك قال نعم . قلت إذن فقد الصحة وحصول الوباء المتكرر في البلدان عمت نساء وعبيداً ذلك لأورجاء ، ولكن
 هنا الموت ليس بالسلاح المعروف وإنما هو بسلاح آخر أرسله الله لأهل الأرض ليهلك بهم فيجهد الأرواح حصداً
 أفلاتذكر أن هذه الباءت فروع كفايات . قال بلى . قلت وتركها لهم على الأمة كلها . قال بلى . قلت
 ولذلك يعم المرض ولا يقتص وكذلك الوباء . كل ذلك عقاب على ترك فرض الكفايات . قال نعم . قلت فهاذا
 تريد بعد هذا البيان ، أليس في ترك هذا الإصلاح هلك الأنفس التي حضر منها عليها السلام قل بلى . قلت إذن
 وصلنا المقصود ودخل هذا الموضوع في نفس الحديث المذكور وصار الإثم ناصباً بمثل وبمثاك فاذ لم تنقح الناس
 اقناعاً تاماً فانهم لا يعلمون ، فاهم ما قلت وفهمه للناس ، أفلا يتحلى أن أقول « قد بلغت اللهم فاشهد »
 قال لقد أفتيتني بحسن بيانك ، إن من البيان لسحراً . فقلت الحمد لله رب العالمين

﴿ الطبقة الثانية في بهجة الحدائق ﴾

هذه الآيات باب نابع منه لتدخل أبواب الحدائق الفناء والمقول الحضراء والبساتين البهجة المدهشات
 وهذه ذكرى لما كان يدق أيام شباني . ومشي في أول عياني ولوع بالأشجار والأزهار والزرع والأعشاب
 أجلس على حافة الأنهار وعلى شطوطها وفي المزارع وتحت الأشجار وأسمع تغريد طيورها وغو يرأشها
 ورنين حشرتها ، وأرى مستقرها ومستودعها ، وكل كنت أطرب لم رأي جمالها وبديع نظامها وفنن أوراها
 وبدائع أغصانها وترنح فروعها وبهجة حسنها . ولقد كان يغيل لي أنها مرافق فانات ومغان مرشحات
 ذات معان مبهجات ، وكأنما تغر يد أطيارها وغو يرأشها ورنين حشرتها وهي تردد في الجوفات بين ألحانها
 وعجائب نظماتها وبدائع هزجها ورمالها جماعات من الموسيقين القنين يضربون على دفوفهم ويفنون على
 أعوادهم وقد برعوا في فنونهم وانتظموا في صفوفهم فأبهجوا السامعين

هذه كانت حال أيام الشباب لاسيما إذا جن الليل وأرخى سدوله وانظرت الراقصات الحبان والبائعات
 الطرف المضيات دياجي الظلمات الباسيات الثقورات الشارحات المصدور الداعيات إلى الجاهل أن أجل العقول
 وأكبر النفوس أن هلوا إلى واقفا على . إن ابتسام الزهر واقتار الثغر وبهجة الورد واعتدال القدر وحجرة
 الحكة كاهن مشقات من سجاى وبهجة أنوارى ومحاسن إصدارى وإرادى فلا تقصدرا إلا إلى ولاية ولوا
 إلا على . ولرفقوا النفوس إلى العلا وأتم مبهجون

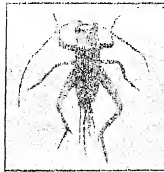
هذه كانت قصة خيالي في مبدأ حياى في الرياض المشذبات والحقول الحضرات ، فهل كان يجيش بتلي
 أومر بخاطر ما ظهر الآن وبهر من علم الحشرات وغنائها وأن تلك الحدائق والحقول كان فيها تلك العناني
 حقيقة لا مجازاً وحسلاً لا خيالاً ، وهل كنت أعلم إذ ذلك أن من أنواع الحضرات ما بالغ النيران بينها ما بغا غلما
 وأصبحت حضارتها بأبلغ في الحقيقة من حضارة الإنسان . إن هناك نظاماً يفوق الوصف في تلك الخلوقات قد
 قرأتها في سور كثيرة لاسيما في هذه السورة ، مثل أن العلماء راقبوا النمل فوجدوا الرائدة منهم تسبق شواربها

بشوارب الثانية فيحصل هناك حجة كبيرة في تلك الجملات ، انها تعاونت ، انها متحدة ، إن بينها تناظرا بطريق (التعريف الذى لاسلك له) كيف لا وقد أدهش العلماء أن رأوا جماعات منها تقطع الأميال في الليل البهيم لتتخذ حشرة وقفت أسيرة ، فن أخبرها وأتى واسطة للتبليغ غير ذلك . يظن العلماء أن لها لغات لكن لا نسمعها وقد أثبتوا أن لها معاني وآلات طرب بقسميها وهما ذوات النسخ كالزمار وذوات النقر كالطبل . مثاله (السيكادا) وهى نوع من الذباب الكبير فان له طبلا ينقر عليه كطبل الانسان وهذه صورته (شكل ٤٠)



[(شكل ٤٠ - رسم ذباب كبير له طبلة يتحدث بها صوت الموسيقى)]

وهكذا هناك حشرة تفرغ جذع شجر المليون أو غيره فتجعله كالبطة فيسمع لذلك صوت مستمر . وهذه صورة الجدجد وغناؤه معلوم (شكل ٤١)



(شكل ٤١ - صورة الجدجد « الصرصور »)

وهناك الخنفساء التى تعزف بطريق خاص بها وتشد عضلات الرجلين المقدمين والرجلين المؤخرين فيظهر بينهما غشاء رقيق مشدود فتعزف عليه ويظهر لها صوت جليل مثل (الناى) أليس هذا هو عين قول الله تعالى - وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا آمم أعمالكم - أليس الخنفساء القبيحة المنظر التعسة لها مالا من أنواع الموسيقى والغناء والألحان ، فيها هي ذه المائتة لم تقتصر على حال دون حال بل وصلت الى الزينة وهى نوع الموسيقى التى كنت أتخيلها في الحقول وماهى بخيال بل كان الوجدان يقتطف ويختطف ذلك الفرح وتلك الهجة من بين الأعشاب ويلقيها الى نفسى فأتحيل النغمات وان كنت لا أسمعها وأستعارف تلك المعاني وان كنت لا أدركها

﴿ معاني الغزل ﴾

وهل كان يدور بخلد أحد من أهل العلم قبل الآن أن لأمثل آلات موسيقية وانها تحتك بأجسامها في أوراق الأشجار فتحدث صوتا في بعض الغابات يسمعهونه على بعد ٣٠ قدما وبين كل ثملة وأخرى مسافة معاومة فتحدث هناك نغمة خاصة ويكون البدء وتسكون النهاية في وقت واحد ، وهذا جهاز التنفس في الحشرات والغشاء الرقيق الذى يحدث الصوت (انظر شكل ٤٢ وشكل ٤٣ في الصفحة التالية)



(شكل ٢ - جهاز التنفس في الحشرات والغشاء الرقيق الذي يحدث الصوت)



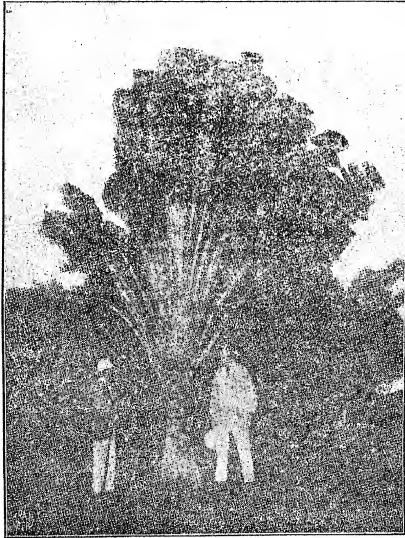
(شكل ٣ - رسم الخنفساء الوغلية وهي طائرة)

إن أجنحة الحشرات تتحرك بسرعة تفوق الوصف بل تصل إلى (٣٥٠) مرة في الثانية في الحشرة المسماة بالزجاجة الزرقاء ، وليست موسيقى الحشرات كلها بالقرأ والاحتكاك . كلا . بل منها ماله جهاز تنفسي بجهاز الانسان

يقول علماء الحشرات إنه مامن نوع من أنواع الحشرات إلا وله نغمات خاصة به ، واذن قوة الانسان لن تقدر أن تدرك ذلك وقد قطعوا الأمل أن يدركوا ذلك بالآلات لأنهم يقولون « إن الانسان أدق نحومليون مرة من أشد الآلات العلمية إحساسا »

بهذا نفهم قوله تعالى - حداثق ذات بهجة - وقوله تعالى - رعى الأرض آيات للوقنين * وفي أنفسكم أفلا تبصرون - أفلمست أنا أيها الذكر على حق اذا قلت وأنا في تلك الحقول أيام الشباب ، ان النجوم الباسمة الثغر ليل تقول هلموا الى لأن أرضنا فيها معان بدعية محببة قد استبهمت علينا فشوقتنا الى المعرفة العامة في الأرض وغيرها وبالمعرفة تكون السعادة ، ومعنى طربا من هذه الأرض أدركنا جلالاً أرقى ومحاسن أبهى والسلام اه

وأقول أيضا هل كان يحيل الى وأنا في حال الشباب جالسا في الحقول كما قدمت آتفا أن هناك شجرة تسمى « شجرة السامع » نقلا عن مجلة الجديد وهامى ذه (انظر شكل ٤) في الصفحة التالية)



(شكل ٤٤ - شجرة السامح في حديقة النباتات في (جورجتون) عاصمة غيانا البريطانية وهي تحتوى دائما على كمية كبيرة من المياه النقية الصالحة للشرب فاذا تقب أحد الفروع يتسرب الماء من الفتحة بقوة وكل فرع به مخزن مستقل من الماء)

أم كان يحيل الى أن هناك عواطف للحب بين أنواع الحيوان والطيور كما ترى من مغازلة الطاووس لأنثاه (شكل ٤٥ في الصفحة التالية) فلقد جاء في مجلة الجديد أيضا مانصه



(شكل ٤٥ - رسم مغازلة الطائوس لأنثاه)

(مغازلات الحيوانات والطيور وهدايا العشاق)

تقدم الأستاذ (جوليان سوريل هكسلي) بجامعة أكسفورد إلى الجمعية العلمية الانكليزية بأبحاث هامة أثبت فيها أن كل انطرق والاجراآت التي يتنهن في عجايب الذكور والاناث من بني الانسان لاستئالة القلوب موجود مايمثلها من كل وجهه بين الحيوانات والطيور فانه يكون بين الجنسين فيها المغارلات والغناء والرقص وتقديم الهدايا إلى آخر مايصير بين الحب والحبيب وليس ذلك قاصرا على الأنواع العليا . فالاستاذ هكسلي يثبت أن بعض الحشرات تنعطر بروائح الخمار والأزهار كي تكون محبوبه ، ومن المعروف أن كثيرا من الطيور والحيوانات حتى الأنواع الزاحفة منها تعرف أغاني الحب وتكثر منها لاستئالة القلوب

(حب العنكبوت المبصر)

ويرى الأستاذ (هكسلي) أن لكل نوع من الحيوان طرقه الخاصة به حسبما يتفق مع تكوينه فالعنكبوت مثلا (قسبان) قسم يتجول ويصطاد فريسته ، وقسم يتخذ بيوتا من النسيج الدقيق الذي يغزله ، ويرى

أن العنكبوت الأخير لا يبصر فلما شق منه طريفة غير التي بقيها العاشق من النوع الأول ، فالعنكبوت المنبجول الذي أبصر عنكبوتية من نوعه أخذ يدنو منها بأرشفة حركة ثم إذا دار أماءها يأخذ في الرقص - سوطا بكل مهارة ودقة حتى إذا وجدانه أثار ملها اليد أتى بجسمه أثناء رقصه فوق جسمه بها وقد تسببت هي بالفتنة ففرقاصن معا نحو مائة دورة قبل اتصالها العنيف الجنوني

﴿ حب العنكبوت الأعمى ﴾

وأما العنكبوت الأعمى وهو الذي يتخذ البيوت الخيطية فانه يعبر عن عواطفه في الحب بطريفة أخرى غير الرقص لأنه لا تراه حبيبتة حيث يدنو من بيت معشوقته بكل مهارة كأنها هوروميو تحت شرفة جوليت فلا يحطم لها خيوط البيت ولكنه يمز أحد الخيوط برشاقة وينقر عليه بخفة و بطريفة خاصة تفهم منها العنكبوتية أن الطارق هوروميو لاذباة وهذه الإشارة الأولية لأبد منها والا فان المعشوقة العمياء ربما حسبتة فرسة وأكاته وقد يجيء العنكبوت حاملا الى حبيبتة فرسة من اللحم المختار ملفوفة في خيوط من الحرير على سبيل الهدايا فان تقدم الهدايا ليس خاصا بالانسان بل هو غريزي في بعض أنواع الحيوانات والطيور . و يوجد نوع من الذباب يصنع الذكر منه (باقة) من الأزهار الدقيقة ويقدمها للأنثى ليشعرها بحبه ، وذلك بأن يخرج إفرارا يصنعه على شكل فقاقيع صغيرة ويجمع قطعها من أوراق الأزهار و ياصقها عليها فإذا صنع باقته كذلك وضعها على رجله وقدمها لحبيبتة

﴿ حب الفراش ﴾

ومن البديهي أن تأتى الطبيعة في زخرفة الفراش بأبهج الألوان الجميلة لم يحصل عبثا فلابد من أن تطاؤرات الانتخاب الطبيعي لاختيار النوع الأمثل كانت على أشد حرارة بين هذه الحشرات ، وهل معنى ذلك الاستعداد العواطف الحارة بين الذكور منها والاثاث . على أن أنواع الفراش لاتتبع باستمالة العشيقات بهيج الألوان فتجمع الى ذلك انتطر بأرابع الأزهار كما ومشاهد عند العلماء الذين يشمون عند دراسة أنواع الفراش ماتحمله أجسامها من الروائح العطرية المختلفة

﴿ غناء الحشرات ﴾

وليس الانسان وحده الذي يرسل زفرات فؤاده بالألحان والأنغام فان أقل الحشرات تعبر عن وجدانها وتستميل عشيقاتها بالغناء ، ومنه ما تسمعه أذن الانسان كما في الجدد والناموس وغيره ، وقد يكون اهم سبب له لشعائر الاثاث بوجود الذكور أى الاعلان عن أنفسها

﴿ دموع التماسح ﴾

وقد يضرب المثل بدموع التماسح دلالة على أنه بعيد عن التأثر بالعواطف الرقيقة ولكن علماء التاريج الطبيعيين الذين درسوا حياته في موطنه الطبيعية يرون أنه شديد التأثر بميوله وعواطفه الجنسية الى درجة الجنون فهو يثور ثورة يكاد ينفجر منها اذا أغضبتة الأنثى

﴿ الحب بين الطيور ﴾

ويقتر العلماء أن حياة الطيور تكاد تكون موقوفة على مناورات الحب والاستمتاع به ولكل نوع منها إجراآت وطرق عجيبة لإيجاد الاتصال بين الذكور والاثاث ، وذهب بعض العلماء الى أن أرقى مثل للزواج يوجد بين بعض أنواع الطيور حيث يجعل الذكر كل أعماله لاسعاد الأنثى وهي راحة على بطنها في العنق دون أن يتألم من أية مشقة في إعالتها وعاالة أفراسها الصغار ، ويرى الدكتور (لودلو) العالم الأمريكي أن تعريد الطيور مكون من ألفاظ غزلية وسواها حسبما تشعرب من الانفعالات والميول الجنسية نحو بعضها فهو في الحقيقة لغة عواطف الطير . ويرى الاستاذ (هكسلى) أنه من الخطأ البين حتى بين رجال العلم أن تجعل كل الانفعالات

النفسية حقا مقررًا للإنسان وحده وترجم ظواهر هذه الانفعالات في الحيوان والطير من هذه الناحية وحدها في حين أن الحقيقة والأمري الطبيعي أن تعتبر هذه الانفعالات من غرائز الكائنات الحية وأن الإنسان التسلسل منها محتفظ بتعبه منها مثل أى كائن حي ، وصفة القول أن الصفات الحسية والعواطف المختلفة التي استأثر بها النوع البشري حيوانية قبل أن تكون إنسانية ولم تبلغ درجتها الحالية إلا بعد أن تطورت فيه وفي أسلافه من أقدم العصور حتى هذا العهد اه من مجلة الجديد

﴿ بهجة الأبصار في أوراق الأشجار ﴾

لما كتبت هذا واطلع بعض العلماء عليه أخذ يحادثني قائلا ، لقد ظهر لي جبال العلم والحكمة في شجرة البرتقال وشجرة الكرم والتنوع فهما ، ولهمر الله لقد أنفستني وأبهج قلبي أن أرى الخلائق في شجرة الكرم وأرى الشوكة في شجرة البرتقال وأن لها مزية ظاهرة مع أن أكثر هذا النوع الإنساني لإبرفون من الشوك إلا أنه خلق لجود الأبداء وأن هذا الخلائق وجد اتفاقا ، فهذا القول يفتح لنا مجالاً للتبصر والبهجة هذا من العجب العجيب ، فهل تتوسع لنا في هذا الموضوع حتى اذا تفيانا ظلال الحدائق الغناء شربت صدورنا بأوراقها وأزهارها وتبين أشكالها وتفنن أثمارها . وتقول

وعلى فتن وأصفه بحسنه * يفنى الزمان وفيه مالم يوصف

ونرى في الزهر والنبات ما يراه علماء البديع في تعليم المبشرين قول الشاعر يصف مجاهدا قتل في الحرب

تردى ثياب الموت حرا فما أتى * لها الليل إلا وهي من سندس خضر

وهم فرحون طربون طربا لفظيا في ذكر الحمر والخضر وما يزاوونه بما يسمونه الجناس في قوله تعالى - ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة - من اتفاق لفظ الساعة في الموضعين واختلاف المعنيين وهكذا مما هو معروف مشهور . فقلت سأل ما بدا لك في أنواع الزهر والورق . فقال لقد أنعم على السر فيما يأتي (١) ورقة القصب والثرة والقمح (٢) ورقة البازلاء ورقة الورد (٣) ورقة الحناء (٤) ورقة المشمش مثلا (٥) وورقات الفجل والخروع (٦) وورقات العدس والترمس . هذه الورقات مختلفات اختلافا بينا ، فهل تشرحها لي شرحا يشرح صدرى شرح الله صدرك كما تشرح وتطرب لمعرفة السر في شوك البرتقال ومخلاق العنب . فقلت أذكر لك ما أعلمه في هذا المقام على مقتضى أصول علماء النبات

اعلم أن الله عز وجل قد أبدع في نظام هذه النباتات ابداعا لا حد له ، وما ابداع اناس في تركيب كلامهم ولا تزويقهم اصنوف عباراتهم إلا قسمة من أنوار الجبال الأعلى ولكن أنى يستوى السابق والاضلع * ليس التسكحل في العيين كالسكحل * ففي الطبيعة التي أبرزها الله لنا من الجمال ما يهز الالبصار - ولكن أكثر الناس لا يعلمون - إن ابداع علم في أوراق النباتات وفي أزهارها وفي أثمارها والابداع في الأوراق ﴿ نوعان ﴾ النوع الأول ﴿ في نفس تسكوين الأوراق ﴾ النوع الثاني ﴿ في نسبة بعضها الى بعض ﴾ الكلام على النوع الأول وهو تسكوين الأوراق ﴿

اعلم أن الله عز وجل أرسل لنا من لدنه ﴿ نورين ﴾ نورا حسيًا ونورا معنويًا عقليا وضرب النور الحسي مثلا للنور العقلي ، فكما اننا نرى الشمس واحدة وقد عم نورها الآفاق واشرفت بها الأفطار ولم تدر بنا ولا حيوانا ولا صغيرا ولا كبيرا إلا نشرت عليه ملاءة من أنوارها وهي واحدة هكذا نرى الله هو واحد وقد بعث من لدنه نورا عقليا وحكمة قدسية هندست خالق الأوراق والأزهار بحكمة واتقان بحيث يراعى في ذلك أن يظهر جمع الممكنات ، فكل ممكن في الوجود يبرزه ﴿ وبعبارة أوضح ﴾ انه كما توضع منافع الأشجار والزرع نوع ظواهرها ، فهذه التي ذكرتها فيها الحبوب كالقمح والثرة والبازلاء والعدس وفيها الفاكهة كالقصب والشمش وفيها الخضراوات كالقنبج وفيها الدواء كالخروع وفيها الزينة كالروائح العطرية في الورد والأصباغ الجليلة في الحناء

ولا جرم أن ما تحتاجه إما ضروري كالحبوب ، وإما دلي للأغذية كالخضر . وأما دواء كالخروع ، ولما أزيلت
كلها ، والورد . فهذه التي ذكرتها قد جعلت نموذج ما تحتاج إليه في هذه المبادئ الدنيا ، فهذا النوع الموافق
لحاجتنا بالحكمة والندمير بقوله نوح في ظواهر الأشكال بحيث يشمل كل ما يمكن حصوله في الخلق
إن عقولنا لا تتغلب في الورق إلا أحد هذه الصور ، أن تكون حافتها مستوية لا أسنان فيها أو أن
تكون فيها أسنان صغيرة أو أن تكون الأسنان كبيرة لا تبلغ نهاية الورقة أن تكون الأسنان بالغة نهاية الورقة
فهذه الأنواع الأربع كلها وجدت في هذه الأوراق التي ذكرتها ، مثال الأول ورقة الحناء (انظر شكل ٤٦)
ومثال الثاني ورقة الشمس (انظر شكل ٤٧) ومثال الثالث ورق الفجل والخروع (انظر شكل ٤٨ و ٤٩)
ومثال الرابع ورق العبدس وورق الترمس (انظر شكل ٥٠ و ٥١)



(شكل ٤٨)



(شكل ٤٧)



(شكل ٤٦)



(شكل ٥١)



(شكل ٥٠)



(شكل ٤٩)

ومن العجب أن النبات ذا الفلقة الواحدة كالقمح غالباً ترى ورقته لها عروق متوازية . وأما النبات
ذو الفلتين كالعدس والتمس فإن ورقه غالباً يكون مشبهاً عيمة الريش كورقة العبدس أو مشبهاً راحة الكف
كورقة الترمس . ثم إن هذه الأوراق كلها لها أعناق وتلك الأعناق إنما خلقت لها لترفعها عن الأغصان حتى
تلاقى ضوء الشمس وتمتع بالهواء ، ولولا هذه الأعناق لبقيت جامدة على أغصانها ، فهذه الأعناق الرافعة لها
إنما خلقت لهذه الحكمة ولولاها لم تخلف ، ولذلك ترى ورق القرطم لا عنق له بل الورقة حينئذ يسمى عامداً
النبات جالسة لحاوسها على مسنقها إذ لا حاجة إلى اتصالها عنده لأنها متممة بالهواء وبالبضوء . ولا حاجة إلى
ما يرفعها . ثم إن هذا العنق الذي يرفع الورقة ربما احتاج إلى ما يمتدده . ومعلوم أنه لا بد منه للورقة والورقة
نافعة للشجرة لأن الورقة أشبه بالبرق في الحيوان بها يكون ما يشبه النفس فيه فيسحب بها فيها من المادة الخضراء
(الكالوريفيل) تنقل غاز الكربونيك من الهواء فتحال له وتؤخذ الكربون (الفحم) وتطلق الأكسجين
في الجو فيذهب للحيوان . إذن هذه الأوراق لا بد منها لحياة الشجرة ولذلك اقتضت العناية أن يرفعها ذلك

العنق فتقابل الهواء والنور ليتم فعلها فتأخذ من الهواء الغاز وبشير النور لا تقدر على عملية التنفس . وقد جاء في كلام علماء الفقه ﴿ ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ﴾ فإذا وجب وجود هذا العنق ليتم عمل الورقة واحتاج إلى ما يسهل عليه فليجتمع له ما يسهل الناس في حفظ رقابهم من حوادث الجو . إن الناس يضعون على رقابهم أربطة في بلادنا وفي أكثر بلاد العالم ليقبهم الحر والبرد ورقابنا لا بد لنا منها فنحفظها كما أن رقاب الأوراق لا بد منها لها ، لذلك اقتضت الحكمة الخفية أن عنق ورقة البازلاء وعنق ورقة الورد يتخاها ما يسهل عليه علماء النبات (أذنين) وهما إما كبيرتان كما في البازلاء (انظر شكل ٥٢) وإما صغيرتان كما في الورد وترى الحماية لعنق ورقة السنط بالسلا ، ثم إن العنق إما يحيط بالساق كما في القمح والقصب والذرة فهو أشبه بالغمد وإما غير محيط به بل الاضخامة فيه كالسكتان فهذا جواب ما سألت عنه . إذن طواهر هذه الأشجار قد أخذت الأشكال التي يتصورها العنق وبواطنها تنوعت إلى ما تحتاج إليه في حياتنا ، فالطواهر والباطن في النبات توجب علينا دراستها لنهيا أجسامنا وترقي عقولنا . انتهى الكلام على النوع الأول في نفس تكون الأوراق صباح يوم الجمعة ١٦ إبريل سنة ١٩٢٩



(شكل ٥٢)

﴿ النوع الثاني نسبة الأوراق بعضها إلى بعض ﴾

وهذا تقدم شرحه مع رسم بعض الصور في (سورة الحجر) عند قوله تعالى - وأنبأنا فيها من كل شئ موزون - فلا نعيده . وأما الكلام على الأزهار فقد تقدم أيضا في أول سورة الشعراء وفي أول سورة الحجر وفي سورة الأنعام فابرجع

﴿ ذكرى الجمال والحكمة ومحاطة المؤلفات المصانع العالم بمناسبة عجائب الأوراق المرسومة فبا سبى ﴾ في هذا اليوم (الأحد ٢١ إبريل سنة ١٩٢٩) بعد كتابة ما تقدم أخذت نفسي تحتلني كفى أناط صانع العالم قائلا ﴿ يا الله إني وجدتك لم تفر صغيرة ولا كبيرة في هذا العالم إلا دبرتها ونظمتها ، أدأت شمسك وأثرت قرك ونجومك وأرسلت أشعتها على الأرض ولم يغادر هذا النور المحسوس صغيرة ولا كبيرة إلا أضاعها هذه شمسك الجيلة لم يكفها إرسال النور على السيارات حولها وعلى الأرض بل شمل نفعها الفرات والخشيرات كما شمل الأنعام والإنسان ، ووجدت أنك أت حجوت بالتدبير الممالك الصغيرة والكبيرة الحيوانية والنباتية من حيث عمومها ولم تفر حشرة ولا حيوانا ذريا إلا أكلت خلفه ولا نباتا صغيرا ولا كبيرا إلا أحكمت ، يزيدني دهشا أن أرى بعيني ورقة الورد وورقة البازلاء وورقة السنط عجائب مخففات مكفولات في كنفك ، فأعطيت

الأولى حافظا لها فيها ، والثانية حافظا لها أقوى ، والثالثة أعنتها بشوكة تقطعها العاديث ، حكم لا يفتان لها
الناس يمتدون عليها وهم عنها غافلون . من ذا الذي كان يثاق أن الحكمة والعناية تصل إلى ورقة السبط
الشيعة وأختها ، من ذا الذي كان يعقل أن هذه الزوائد والروافد على البازلاء والورد وذمت المنفعة
النامية لولا الحجاب المسدول بيننا وبينك الظهري نورك البديع فأشرق الأجسام والقابوب والأفئدة ، هذه
النفوس الأرضية قسمة من نورك وقد حجبته في المواد المليئة فهي الآن في شغلة ولولا الغفلة لم تعش طارقة
عين ولم يستقر لها قرار ، إني لأحس في نفسي بأن في هذه الأرض أناسا ممن قد اطلعوا على الخفايا
فأروك في كل ورقة وشجرة وزهرة وحجر ومدر وكوكب فعاشوا في النعيم الذي لا نعيم يوازيه ولا سعادة تضارعه
وهؤلاء لو تريت لهم الحور العين وأغدقت عليهم سائر النعم وما كوا الجنات والولدان لم يأبهوا بها ولم يعطروا
لها بل يرون نورك الذي يبرهم أعظم سعادة وجبال وأن احتجابهم عنهم أشد العذاب
أقول هذا موقنا به ، وهذه الطائفة التي تصورتها تصبح اليوم في نعيم وإن كانت في هذه الدار لا تشاق إلى
حال أرقى مما وصلت إليه لأنها ترى رب الدار وتقول « الجار قبيل الدار » ولا يرونها إلا وجهك . إن في
الأرض أناسا تمت سعادتهم قبل دخول الجنان - رضى الله عنهم ورضوا عنه -

أقول هذا لما شاهدته في هذه العوالم ولما عرفته أثناء هذا التفسير من إبداعك في صنعك ورأفتك بكل
ضعيف وكفالتك للثمرات والحشرات وصغيرات الأوراق والأزهار والهاماك لكل حي ما يصلحه والآن فهمت
قوئك - إن كل نفس لما عليها حافظ - وقوئك - مامن دابة إلا هو أخذ بناصيتها - وقوئك في قصة قارون
- إذ قال له قوم له لانفخ - ألم وقوئك - وابتغ فبا آتاك الله الدار الآخرة - وقوئك - وأحسن كما أحسن
الله اليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين - وقوئك - تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون
علوا في الأرض ولا فسادا - ألم فأنت لا تحب الفرجين ، وأنت لا تحب المفسدين ، ولا تحب الذين يريدون علوا
في الأرض وتأمرونا بالاحسان للناس كما أحسنت اليها ، وذلك كله تجلي لي في هذه الورقات وإبداعك فيها ،
أنت راعيت أضعف الورق في السنط وفي الورد وفي البازلاء ، فهكذا أنت تراعي كل إنسان من باب أولى وبصيرة
الخبر والبر - فلم الفرج ولم الحزن إذا لم يكن هناك عمل إلا عملك أنت ولا فرج إلا بما يعمل به الإنسان مستقلا ولا
عمل له في الحقيقة والمفسد في الأرض خالف منهجك الذي رأيتاه في رعايتك هذه الورقات والعلو على الناس
خلاف سننك فأنت تحفظ هذه الورقة كما تحفظ الشمس والقمر والإنسان وضوء شمسه لا يتكبر على الخلق
مثلا ويختص بالإنسان ، فعلى الناس أن يقتدوا بك في عملك . وهذه الزروع والأشجار قد تركت للناس عمارها
فأحسنت لهم كما أنك أحسنت اليها ، أفلا يجيب على أن أنشر بين الناس هذا الكتاب وغیره اقتداء بعمالك
وسيرا على منهجك إنك أنت الحكيم العليم

أيها الذكر هذا هو الذي قرأته في هذه الورقات فقرأه معي وأحسن كما أحسن الله اليك ، واعلم أن الله
عز وجل لا يكره منا إلا أحب العلو وحب الفساد . أما نفس العلو فهو أمر واجب كأن يكون الإنسان حاكما
أو أستاذا واليد العليا خير من اليد السفلى . ومعامم أن المعطي خير من الآخذ ولكن لا يرى أن له فضلا في
ذلك بل يعلم الله أنه ، وإذا قهرنا أعداءنا وجب أن لا يكون ذلك لمجرد الانتقام بل يكون ذلك لاصلاح اهل
الأرض كما كان ذلك دأب الصحابة في محاربة الأمم فلم يكن انتقاما بل كان عملا يراد به الاصلاح كما أن الله
يزيل نبات الصيف ويجعل محله نبات الشتاء للاصلاح لا للافساد في الأرض . هكذا فلتكن أعمال الناس .
هذا ما ذكرت عند نظره هذه الأوراق المرسومات والحمد لله رب العالمين

﴿ سعادة مؤلف التفسير وسعادة قرائه ﴾

هذه هي السعادة التي كنت أشهد بها بين الحقول والأشجار وعلى شواطئ الأنهار وأنشاب وافي . كنت

أنشد الحقيقة والحقيقة هي نفس السعادة ، ماهي الحقيقة التي كنت أنشد؟ كنت أريد أن أعرف ماوصل إليه عقل هذا الإنسان في معرفة هذا الوجود . فهاأنذا اليوم أعلن أن ورقة السط وورقة البازلاء وورقة الورد وآلاف أمثالها في الأرض والسماء قد أعطت نفس الإيقان الذي أيقنه أفلاطون وأرسطاطاليس وقبلهما سقراط من أمة اليونان . والإيقان الذي أيقنه مؤلف كتاب الفيدا بالهند . والإيقان الذي أيقنه (كانت الألمان) وسبنسر الأنجلينزي ومثالث غيرهم . هاهم أولاء كلهم قد وصلوا الى نقطة واحدة هي ماذكرته الان في هذه الوريقات . ايقن أفلاطون . بماذا ايقن ؟ ايقن بمبدع للعالم لأجل هذا النظام وبعده أرسطاطاليس وقبله سقراط . وتغلغل مذهب أفلاطون في عقول المفكرين من أمم النصرى والمصوفين من أمم الاسلام وفي أمم غيرهم . وتقابل هذا المذهب مع مذهب الفيدا في الهند ومع آراء أمم أوروبا الحالية أى العقول الراقية هناك ومع وحى جميع الأنبياء . إذن أنا الآن أعلن انى أكتب متفقا مع أكبر العقول في الأمم قديما وحديثا ولهذا الاجتال تفصيل في رسالتى المسماة ﴿ مرآة الفلسفة ﴾ وسأكتبها في هذا التفسير إن شاء الله تعالى اه ههنا ترجع للتفسير الفلفي يقول الله تعالى - وقال الذين كفروا انذا كننا ترابا وآبأؤنا أننا نخرجون الخ - ههنا ذكر الله أقوال الكفار والرد عليهم في أمر الآخرة

(١) يقول الكافرون كيف نخرج نحن وآبأؤنا بعد أن أصبحت أجسادنا ترابا وكيف يصير اقتراب أجسادا (٢) إن هذه المواعيد قد سمعها آبأؤنا من قبلنا وماهى إلا أحاديث الأقلمين يتحدثون بها في سمرهم ومحاوراتهم وليس لها حقيقة

(٣) أمر الله ﷺ أن يأمرهم بالنظر في الأمم التي كذبت فنقد كذبوا فلما كذبوا أهل كوا (٤) وكأمرهم بذلك أمره ﷺ الأنجنز ولا يضيّق صدره من مكربهم (٥) ذكر الله لهم يستعاضون العذاب الذى وعدهم به . ذلك انه أمرهم بالاعتبار بالأمم السافكة فسكانهم قالوا وآين العذاب الواقع بنا كما وقع بهم ؟ فأجاب قائلا عسى أن يكون تبعكم ولحقكم بعض متسبحون منه كيوم بدر وكالصابب التي تحمل باناس في أموالهم وأولادهم وفي مدنهم وفي منازلهم كآل تعالى - فلا تهابكم أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا - والعذاب على قدر الاحساس ومدام الانسان غافلا يظن أن هذه الحياة هي كل شئ فليعلم انه يعذب بكل حادث حل به لتعلقه بهذا العالم وارتباطه به ، فبقدر الارتباط يكون العذاب فيحزن لفقد المال والولد ولكل طارئ يطرأ لغفلته فهذا هو قوله تعالى - قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذى تستعجبون -

(٦) ذكر أن الله ذو فضل على الناس فانه غفرهم في النعمة وهم لا يشكرونها (٧) ذكر انه يعلم ما سرّون وما يعلنون ويعلم ما غاب في السموات والأرض (٨) والقرآن أيضا من علمه تعالى فهو يقص على بنى اسرائيل أكثر ما يختلفون فيه وهو هدى ورحمة للمؤمنين ، وبعد ذلك خاطبه ﷺ بقوله - إن ربك يقضى بينهم بحكمه - الخ ﴿ تفسير بعض الكلمات في هذه الآيات ﴾

(من قوله - وقال الذين كفروا - الى قوله - وانه هدى ورحمة للمؤمنين -) قال تعالى (وقال الذين كفروا انذا كننا ترابا وآبأؤنا أننا نخرجون) من قبورنا أحياء والعاقل في اذا ما دل عليه - أننا نخرجون - وهو نخرج وتكريرا طرفة للبالغة في الانكار والمراد بالاخراج الاخراج من الأجدات وهذه اللمة تبيان لمعهم ولزدياد ضلالتهم وجهالتهم (لقد وعدنا هذا نحن وآبأؤنا من قبل) من قبل وعد محمد ﷺ (إن هذا إلا أساطير الأولين) أحاديثهم وآكاذيبهم الى كتبوها (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المبرمين) هذا تهديد لهم على التكذيب وتخويفهم بأنه ينزل بهم - منازل بالمكذبين قبلهم

(ولا تحزن عليهم) على تسكينهم (ولا تسكن في ذنوب) في سرح صدر (بما يتكبرون) من تكبرهم فان الله
 يصدك من الناس (ويقولون حتى إذا الوعد العذاب الوعد) (ردفكم) بكم لتعكم لتعكم والاداء مزيدة
 للتأكيد (بعض الذي يستجابون) حاولوه وهو ما تقدم من عذاب الفوس والمعامات والزعاج لأنهم بكل ذلك
 يكون قاسيا على النفوس مدامت مغفرة بالله نيا ، فلما كانت نزاعة الى السرف والمفدية والعلم وحب الله خف
 عنها ما تجده في الدنيا وزال عنها في الآخرة (وان ربك لا يفتسل على الناس ولكن أن أنتمهم لا يشكرون)
 واعلم انه لا شكر للنعمة إلا بعد ادراكها وفهمها ، وحتى فهم النعمة شكر الله قلبه واعتقاده وقام بالعمل لطاعته
 وأبقى على الله بلسانه ، وكيف يشكر نعمة عو يجهلها ، فالجدة فيها تقدم ، والشكر له هنا يوجب ان درس هذه
 العوالم المذكورة فيها تقدم ، ولتعلم أن الامام الغزالي ألف بابا من أبواب الإحياء في شكر الله تعالى وذكر فيه
 درس العلوم وحتى فهمت هذه السورة ومقاصدها عرفت أن شكر المسلم ان يكون الابدية هذه العلوم والعوالم
 وعجايبها هؤلاء السكافرون لمعلمهم بالله قصروا عليهم على هذه الحياة وأنكروا أسوأها ، ولأنهم درسوا هذا الوجود
 لعرفوا انه لم يخلق سدى وأن هذه الحياة لو لم تكن هناك حياة بعدها لكان ذلك نقصا في الخلق أو الحكمة فما
 الحكمة في خلق الناس وموتهم بلا فائدة لهم . إن ذلك نقص مشين في خلق العالم وفي الحكمة . فالوقوف
 عند الحياة الدنيا لخلل بالعلم وبالشكر لله وجهل به وكر في الجهل كفرنا بنعمة الله وعسد شكره (وان ربك
 يعلم ما تنكث صدورهم وما يعلنون) أي ما تخفيه صدورهم وما تعلنه من عداوتهم له فيجازيهم (ومامن
 غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين) أي خافية فيها ، وغائبة وخافية من الصفات الغالبة والتأثير ما لليلة
 كافي رواية (إن هذا القرآن يقص على بني اسرائيل) بين لهم (أ كثر الذين هم فيه يفتلون) من أمر الدين
 وقد كان بنو اسرائيل يفتلون في التشبيه والتزييه وأحوال الجنة والنار وعزير والسبح (وانه لهدى ورجة
 للومنين) فأنهم المنعمون به (إن ربك يقضي بينهم) بين بني اسرائيل (بحكمه) بما يحكم به وهو الحق أو
 بحكمته (وهو العزيز) فلا يرد قضاؤه (العلم) بأحوالهم فلا يخفى عليه شيء منها (فتقول على الله) فتق بالله
 ولا تبال بمعادتهم (إنك على الحق المبين) وصاحب الحق حقيق بالوقوف بحفظ الله ونصره فلا ناصر لك سواء .
 أما هم فلا طمع في مشايعتهم ومعاذتهم لأنهم كالقوى وكالمهم وكالعلمي (إنك لا تسمع الموتى) لأنهم لا يفتنون
 باستماعهم ما يتلى عليهم (ولا تسمع الدعاء) دعوتك الى الحق والهدى (إذا ولوا مديري) معرضين ولا جرم
 أن الأصم إذا ولي مديرا قطع الطمع في اسبائه ورفع صوت أوتخوه (وما أنت بهادى العمى عن ذلالتهم) الى
 الهدى حيث الهداية لا تحصل إلا بالبصر (إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا) إلا من يصدق بالقرآن انه من الله
 (فهم مسلمون) مخلصون من أسل وجهه لله (وإذا وقع القول عليهم) أي اذا وجبت الحجة عليهم أو اذا لم يرج
 صلاحهم بالطرق المعروفة في آخر الزمان (أخرجنا لهم ذاب من الأرض) * وقد ورد في صحيح مسلم أن رسول
 الله ﷺ قال « بادروا بالأعمال قبل ست طلوع الشمس من مغربها والنجاة والدابة وخوصة أحدكم
 وأمر العامة » وورد فيه أيضا « ان أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس
 نضحي وأنها كانت قبل صاحبها فالأخرى على أرضها قريبا » ولم يرد في الصحيح على ما أعلم ما ذكر من
 صفاتها من أن معها خاتم سليمان وعصا موسى فتجولو وجه المؤمنين وتخطم ألس الكفار بالخاص حتى ان أهل الحق
 ليجتمعون فتقول لهذا يأمؤمن وتقول لهذا يا كافر وأن معها الجساءة وطولها ستون ذراعا لا يدركها طالب
 ولا يفوتها هارب ، ولها أربع قوائم وزغب وریش وجناحان ، ويقال لها رأس ثور وعين خنزير وأذن فيل
 وقرن إيل وعنق لعامة وصدرا أسد ولون غر وخاصة هرة وذنب كبش وخف بغير الخ وانها تخرج من الصفا
 فكل ذلك لم أره في الصحيح وإنما نعرف من صفاتها ما ورد في الصحيح كالتقدم فانه لم يذكر إلا زمن مجيئها
 ولم يرد في القرآن إلا قوله تعالى (تسلكهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) تسلكهم من الكلام بأن

الناس الخ وعلى قراءة كسر أن يكون المعنى تسكلمهم قائلان الناس كانوا بآيات ربنا الخ ، ثم ذكر قيام الساعة فقال (و يوم نحشر من كل أمة فوجاً) أى واذا كرم يوم نجتمع من كل أمة من الأمم زمرة (من يكذب بآياتنا) من اللبثين ومن الأولى للتميعض (فهم يوزعون) يجلس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا ثم يساقون الى موضع الحساب والمراد بذلك كثرة عددهم وكذا الفوج عبارة عن الجماعة الكثيرة (حتى اذا جاؤا) حضروا موقف الحساب (قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علماً) الواو للحال أى أكذبتم بها بآياتى الرأى من غدير فكر ولا نظر يؤدى الى احاطة العلم بكنهها لتعلموا بالتصديق أم التكذيب هى جديرة (أمأذا كنتم تعملون) أى أى شئ كنتم تعملون بعد ذلك وهذه الجلة تبكى لهم إذ لا عمل لهم غير التكذيب (ورفع القول عليهم بما ظاهروا) حل بهم العذاب الموعود وهو دخولهم النار بسبب ظاههم وهو التكذيب بآيات الله (فهم لا ينطقون) باعتذار لشغلهم بالعذاب (ألم يروا أنا جعلنا الليل ليكنوا فيه والنهار مبصراً) أصله ليبصروا فيه فيولج فيه لجعل الإصار حالاً من نفس النهار ، يقول الله ألم يبصروا تعاقب الليل والنهار وكيف جعلنا الظلمة والنور متعاقبين في أوقات محددة ، أليس ذلك دليلاً على عظم قدرتنا ووجودنا ، أوليس نوم الناس في الظلمة واستيقاظهم في النور بما يدل على أن لهم حالاً بعد الموت مخالفة وذلك بالحياة ، أليس الموت كالنوم إيلاً والبعث كاليقظة نهراً ، أوليس تسهيل المصالح باليقظة وتيسيرها على غاية نامة بهم ، يوم يبعثون فيعطى كل ما يليق له كما يفعل ذلك بعد اليقظة تماماً (إن في ذلك آيات لقوم يؤمنون) لدلائلها على الأمور الثلاثة المتقدمة وحدانية وبعث وعناية بالمصالح بعد البعث كما يفعل في اليقظة (ويوم ينفخ في الصور) قيل هوجع صورة * ويقال الصور القرن فهو غيث لا نبغات الموقى بانبعث الجبلش اذا نفخ في البوق ، يقول الله واذا كرم يوم ينفخ في الصور (ففرج) من الطول وعبر بالماضى لتحقيق وقوعه (من في السموات ومن في الأرض) ماتوا أى بقي عليهم الفرع الى أن يموتوا (إلا من شاء الله) أن لا يفرج بأن يثبت قلبه به ورد في حديث البخارى ومسلم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال « ينفخ في الصور فيصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من رفع رأسه فإذا موسى أخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أكان ممن استأى الله عز وجل أم رفع رأسه قبلى » وهناك أقوال فيمن استأنه الله كلالاً لذكره البعة وكاشهداء والخور والخزنة والعلم عند الله ولا تبق إلا بما يجيىء في الصحيح (وكل أتوه) جاءه بعد النفخة الثانية (داخرين) داخرون (وترى الجبال تحسبها جامدة) قائمة واقفة (وهي تموم السحاب) تسير سير السحاب حتى تقع على الأرض فتسوى بها وذلك لأن الأجرام الكبار اذا تحركت في سمت واحد لا تترك نيين حركتها (صنع الله) مصلحهم كد نفسه وهو مضمون الجلة المتقدمة (الذى أتقن كل شئ) أى أحكم خلقه وسواء (إنه خير بما تفعلون) علم بواطن الأفعال وظواهرها وهو المجازى عليها (من جاء بالحسنة فله خير منها) من عشرة الى سبع مائة وما فوق ذلك (وهم من فرج يومئذ آمنون) أى من خوف عذاب يوم القيامة وإن كان الرعب المتقدم عند مشاهدة الأهوال لا بد منه مع أن الحسن آمن من وصول ضرره اليه (ومن جاء بالسبيبة) بالشرك (فكبت وجوههم في النار) أى أبداهم أى كبوا وطرخوا جميعهم في النار (هل تجزون إلا ما كنتم تعملون) في الدنيا من الشرك أى تقول لهم الخربة ذلك (إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذى سوماها الله) بعد أن ذكر المبدأ والمعاد وشرح الدول والممالك والقيامة والفرع والثواب والعقاب وهذا تمام الدعوة ، أمر أن يستغرق في العبادة وتخصيص مكة بالإضافة لتسريفاً وحرمها (وله كل شئ) خلقاً وملسكا (وأمرت أن أكون من المسلمين) المتقدين أو التائبين على ملة الاسلام (وأن أنلوا القرآن) وأن أوأطب على تلاوته لتكشف لى حقائقه في تلاوته شيئاً فشيئاً (فن اهتدى) باتباعه إياى (فأما يهتدى لنفسه) فان منافع عائدة اليه (ومن ضلّ) بمخالفنى (فقل إنما أنا من المذبرين) ولا يضرنى ضلاله وماعنى الرسول إلا البلاغ (وقل الحمد لله) على نعمة النبوة والعلم والتوفيق للعمل (سبريك

آياته) في هذه الدنيا من الوقائع التي أخبر بها القرآن كنصر النبي ﷺ وكنهه ورعايات السكون وغرائب علم الأرواح والكنف الحديث في العلوم الذي أدهش العقول (فعرفونها) فعرفون أنها آيات الله ، ولقد عرف كثير من الناس في أوروبا وفي الشرق ربهم واليوم الآخر بقرأة علم الأرواح أو باستحضارها وبالاطلاع على عجائب العلم الحديث وظهور حقائق مذهشة (ومار بك بغافل عما تعملون) فان الله عالم به غير غافل عنه فالعقله والسهو لا يجوزان عليه انتهى التفسير اللفظي

﴿ لطائف هذا القسم ﴾

- (١) في قوله تعالى - أخرجنا لهم دابة من الأرض -
- (٢) وفي قوله تعالى - وترى الجبال تحسبها جامدة - الخ
- (٣) وفي قوله تعالى - وقل الحمد لله سيريكم آياته فعرفونها -
- (٤) وفي أن في هذه السورة شكرين لسبلان عليه السلام وحدين لبينا ﷺ وما سر ذلك
- (٥) وفي تلخيص كتاب الشكر اجالا للامام الغزالي في الاحياء وتذكر كبر السامعين بهذه العلوم

﴿ اللطيفة الأولى من كتاب الأرواح بالحرف ﴾

وعما يدهش العلماء أن القرآن ربما أشار بطرف خفي الى حادثة ظهور الأرواح في هذا الزمان في آية - واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تسلكهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون - . يقول الله تعالى - واذا وقع القول عليهم - أى شارف الوقوع وهو قرب قيام الساعة وحقت لك العذاب على نوع الانسان بفجاءها المعنويات وعكفوا على الماديات وكذبوا البيانات وشكوا في الآيات وأصبحوا لا شرف لهم في حكمائهم ولا أفرادهم ومروا على الكذب والنفاق وازدادوا بالعلم عبي وبالفلسفة ظلماء أخرجنا لهم من الأرض من يطرق الموائد ويحركها ويمسك الأقلام في أيديهم ويكتب ويترأى لهم في أشكال وأزياه مختلفة ووجوه نورية فترأ أبصارهم تارة ويسمعون كلامه وطورا يبصرون أشكالا وتارة يقرؤن خطوطا وأونة يسمعون صريرا وصوتا شديدا كالرعد القاصف وقد يحسون برودة تمر عليهم ثم تتحرك الأيدي بالكتابة فكان في عمله أشبه بمن يدب على الأرض من الانسان في تعقله وعمله وبما يجزى فوقها من الدواب في حركاتها وأعمالها الأخرى ، فهذا يشير له معنى قوله - أخرجنا لهم دابة من الأرض - وهذه الدابة تبين للناس - فائق وتدرس لهم حكمة وترى بهم انهم غافلون جاهلون خالون فيجلس أمامها أكبر الضالين وأعظم الفاسقين وأشد الغافلين ومن يدعى انه ملك مقاليد العلم وبرع في الحكمة المادية فيخسر ساجدا لربه خاضعا لحلقه موقنا أن روحه سبق بعد موته ، فهذا معنى - تسلكهم - الخ وقرأ ابن مسعود - تسلكهم بأن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون - وهذا هو الحاصل الآن بعينه وهذه معجزة للقرآن وحكمة ثابتة للفرقان فان الآلاف المؤلفة من البشر اليوم في أنحاء العالم يوقنون اذا تحققت مذهب الأرواح وليس الايمان بكاف بل اليقين هو اكمل الايمان فتعجب من الآية وانظر كيف كان هذا مظهرها وهي مسألة ظهور الأرواح فالقرآن يشير اليها

قال شير محمد ، باسدى إن تفسيرك هذا يخالف ما جاء عن سيد البشر وكيف نترك قول النبي ونسمع مقلدك ، وأولس النبي ﷺ أعلم بالكتاب منك . قلت وكيف ذلك . قال ، قال الفخر الرازي إن لهذه الدابة أربع قوائم وزعجا وريشا وجناحين * وعن ابن جرير في وصفها رأس نور وعين خنزير وأذن فيل وقرن أيل وصدر أسد ولون نمر وخالصة بقروذنب كبش وخبعير وانما تخرج من المسجد الحرام وأخرج من الضفا وقيل تخرج بالعين ثم تخرج من بين الركن حذاء دار بني مخزوم . فقلت يا شير محمد اعلم أنه لا دلالة في الآية على ما روي وقد قال الرازي نفسه فان صح الخبر فيه عن رسول الله قبل والا لم يلتفت اليه وهو يريد أن الخبر غير صحيح . أقول ولقد بحثت في كتب الصحاح فلم أعث على هذا الوصف للدابة ، على أنه لو صح فرضا

لدل على أنها مخافة اسكل حيوان . فقال ولكن كيف تقصروا على مسألة الأرواح وأنى لك هذا . فقلت يا شريحمد أنا لم أقل ان هذا هو المعنى ولكن أقول انه رمز له وإشارة ، فالآية باقية على ظاهر معناها ترمز الى ما ذكرنا ، فالدابة باقية على المعنى الأصلي فكل علمها الى الله تعالى وتسكون رمزا لهذا وهذا قسم من أقسام السكينة في علم البيان فاللفظ على حاله يشير لما أكثبه الامام الغزالي في تفسير قوله وَاللَّهُ يَخْتَارُ « إن للملائكة لا تدخل بيتا فيه كتاب ولا حورة » فقد جعلهما على حالهما ورمز بهما الى الشهوة والغضب فافهم ، فاذا فهمت هذا فقد « قطعت جهيزة قول كل خطيب » وقطع لسان كل معترض بذلك فقد سدت في وجهه أبواب الجدل - وكفى الله المؤمنين القتال - انتهت اللطيفة الأولى

﴿ اللطيفة الثانية في قوله تعالى - وترى الجبال تحسبها جامدة - الخ ﴾

لأين لك في هذه اللطيفة عجيبه من عجائب القرآن وهي ان هذه الآية بديعة الوضع محكمة الصنع فان التفسير المتقدم يناسب المتقين من الأمة الاسلامية ، واذا فسرت بأن الأرض دائرة حول الشمس والجبال الطابع سائرة معها ونراها الآن جامدة وهي في الحقيقة جارية جرياسريعا جدا فان ذلك يناسب قوله - صنع الله الذي أتقن كل شئ - فهذا هو الاتقان والا فالتقايمة تخرب للاتقان يناسب هذا التفسير

﴿ حكاية ﴾

قد ذكرت في سورة البقرة أن سيدة روسية تسمى (الدمام ليبيديف) قد جاءت الى مصر وأقول الآن ان وزير المعارف إذ ذاك قال لها لما سأته عن يدرس معها علم التصوف ان الشيخ طنطاوي له إلمام بهذا العلم ثم اتى لما اجتمعت معها في المنزل الذي نزلت به أخذت أدرس معها هذا العلم في الرسالة القشيرية نحو تسع سنين وهي كانت بعد الفهم تترجمه الى اللغة الفرنسية ، واستمرت في الكتاب وفيه حكايات كثيرة عن الصالحين فقرأتها حكاية عن الجنيد رحمه الله تعالى ، ذلك انه كان في مجلس ذكر وهناك قول يندد فطرب التلاميذ طر شديدا والشيخ ساكن لا يتحرك فقال له أحد التلاميذ يا سيدي أليس لك حاجة في السماع فقال - وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر من السحاب - فقالت ما مناسبة هذه الآية في الحكاية . فقلت إن للآية « معنيين » معنى يليق بالأمة الاسلامية التي قبلنا ، ومعنى يليق بأيماننا والقرآن يحتمل المعنيين ولكن الثاني أقرب . فقالت ما هما المعنيان . قلت أما المعنى الأول فان الجبال يوم القيامة تمر من السحاب لأجل أن تصل الى الأرض فنسوى بها واعظم تخيمها يراها الانسان كأنها جامدة غير متحركة وهذا يناسب مساق الآية ، وأما المعنى الثاني فهو أن الأرض تجري سريعا والجبال ما هي إلا دن أجرامها فهي جارية تمر هي والأرض حول الشمس كما يمر السحاب حول الأرض والدليل عليه قوله - صنع الله الذي أتقن كل شئ - فعبر بلفظ أتقن لا بلفظ خرب كل شئ لأن التقايمة تخرب لا اتقان للصنع وفرق بين الصنع والتخريب وكان الله أتى بالآية على هذا الشكل لتكون موافقة للصورة الأولى من حيث مساقها وهذه الصورة من حيث نهايتها ويكون فهم الناس هو الذي يخطئ ويصيب والحقاقي باقية على حالها ، وأما الشيخ الجنيد فلم يرد هذا ولذا ذلك بل قال انه في سكونه أشبه بالجليل الذي هو متحرك ويظن الناس انه ساكن يريد انه يرى ظاهره ساكنا ولكن قلبه متحرك في مشارق الأرض ومغاربها ويجول في العاني العلية البديعة ، فلما سمعت هذا القول فرحت فرحا شديدا وقالت تعس القرعجة يقولون لبس في القرآن لطائف ولا نسكت بديعة ، وها أنا ذا أنقل لك المحاور التي جاءت في كتابي ﴿ جواهر العلوم ﴾ الذي هو أول ما ألفته من الكتب العلمية فقد جاء فيه ما فيه لانه فيه زيادة فائدة

قال تعالى - ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين *

وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر من السحاب صنع الله الذي أتقن كل شئ -

معلوم بما قدمنا في المجالس السابقة والمذكرات أن علماء الهيئة ﴿ قسبان ﴾ المتقدمون وهم يوافقون

ما ينظر للنظر العالم من ثبوت الأرض ودوران الشمس والمتأخرون وتخالف فهمهم ما يعرفه العامة فيحكمون بدوران الأرض حول الشمس وهذا المقام قد أوضحناه سابقاً بما لا مزيد عليه وقدمنا أن هذه سبيلها دائرة على الظن وأن الثاني أقرب الى الثاني من الأول وأن القرآن لم ينزل لتدقيق مثل هذه المسائل لأنه لما هو أجل من هذا إذ هذه الأشياء أقرب شها الى الصانع وقلنا ان اشكالها على نوع الانسان دعا الى نحو الأفكار والمقصود إذ هو في عالم البرية ثم تقول الآن الخيب كل الخيب من وضع الآية التي نحن بمسئدتها وضعا متقنا على حسب ما قدمنا وبيانه أن قوله - ويوم نبشخ في الصور - اذ قوله - داخرين - أي صاغرين مسوقة ليوم القيامة ثم قوله بعدها - وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ من السحاب - حلما العلماء على يوم القيامة - ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة - والشدّة عظمتها ترى كأنها واقفة ، ولارب أن هذا التفسير يناسب من علفت في ذهنه الهيئة القديمة من أيام نقل الفلاسفة اليونانية الى الآن فناسب ما قبل الآية وصدرها أول الأمة ، وإذا نظر الى قوله بعدها - صنع الله الذي أتقن كل شيء - نجد أن خراب الأرض ينفي الاتقان وإنما الاتقان يناسب سير الأرض وجبالها ثم يراها الانسان مع شدة حركتها ساكنة لاتتحرك فهذا هو الاتقان العجيب وإنما لم يقل وترى الأرض لأنها على هذا الرأي لا ترى لامتحركة مع خروج الانسان بارزة عنها وهذا مستحيل في الدنيا ، أما الجبال فرويتها ممكنة ثم نظر كيف تسير الأرض بتلك الحركة العجيبة حول نفسها وحول الشمس ونحن نراها ساكنة لم يحس أحد بحركتها من آدم الى الآن ، فهذا هو الاتقان وهذه هي الحكمة وهذا هو الوضع العجيب الذي جمع بين الحركة والسكون ، ففيه تنبيه على أن العالم كله في حركة مستمرة مع انه يرى في سكون بل الانسان يرى ساكنا مع انه لا يفت فكره لحظة لاني البقطة ولاني المنام إذ قوته الخيلة لا تفت حركتها لحظة ولا تنف الى الموت وهكذا الأمة في حركة مستمرة إمالي صعود واما الى هبوط واما الى استمرار ، فالصعود باختراع الجديد والهبوط بهمدم سور المدنية الحقّة والاستمرار في الامور الدنيوية على ما عودهم الآباء بلافكر جديد ، فالعالم كالعالم كالانسان والأمة كل في حركة مستمرة ويرى في الظاهر كأنه ساكن دائم السكون ولم نذكر هذا على انه تفسير للآية ولكن لمناسبة العالم بعضه بعضا وإنما نحن في ذكر الجبال وانما على الأرض وترى انها ساكنة مع انها على الهيئة الجديدة سائرة دائما معها وهذا هو غاية الاتقان ويحق لنا أن نقول - صنع الله الذي أتقن كل شيء - بعد ما ذكر هذا ما خطر ببالى الآن ، وفي لا عجب من هذا الوضع المتقن في الآيات وكيف تناسب صدرها صدر هذه الأمة وعجزها متأخرها أى العصر بين المعاصرين للأوروبيين فمن تضاد الآيات مذهب السابقين وأشارت لمذهب المتأخرين^(١) ولعمري هذه هي الحكمة العجيبة جعل نظام كلامه كنظام ملكه ، فما أتقن الفعل وما أحسن القول ، سياستان متشابهتان - مآثرى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع المرهل ترى من فطور - وعندى أن هذا وأمثاله هو الإعجاز والحكم لا التاكيد بان ولا الجنس والطباق ولا غيرها ، ألا فليتك الله العلماء وليبينوا للناس ما رآهم ولا يعلمون يتفكرون . ومن عجيب الاتقان نفس هذه الآية فسكني باتقانها واحكامها برهاننا ساطعا ومعجزة لمن درس العلوم وذاق لذة

(١) فيكون ملخص المعنى سيقوم من في السموات ومن في الأرض فرعين لإيمان شاء الله وهم جميعا صاغرون ، ولارب أن السموات والأرض أكبر من فيها واليه الرضى بقوله - خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس - وإذا كانت السموات والأرض أطاعتا حتى قال فيها - قالتا أينما طاعتين - فكيف لا يأتي كل من فيها صاغرين أذلاء ، أولايرون أن الأرض التي هم عليها وما فوقها من الجبال متقدة مسخرة في هذه الحياة الدنيا لا يمكنها الاستقرار لحظة من الزمان - وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ من السحاب فاذا كانت الأرض التي خلقها أعظم من خلقكم أنتم في الحياة الدنيا خاضعة له مع جبالها وأنتم عليها فكيف بكم أنتم وحكم فلا بد من إتيانكم صاغرين يوم القيامة * أطرق كرا إن النعام في القرى *

المعارف ، ولعمري لا يعقل هذا إلا العالمون ، فتأمل كيف ناسب مراعاة مذهب المتقدمين سابق السلام ومذهب المتأخرين لاحقه ، وكيف ثم كيف قال بعدد أربع آيات في آخر السورة . - وقل الحمد لله سيريك آياته فتعرفونها - اه

﴿ اللطيفة الثالثة في قوله تعالى . - وقل الحمد لله سيريك آياته فتعرفونها . ﴾

لأذكر لك ما كتبت في « جواهر العلوم » تحت عنوان ﴿ إن القرآن والسنة يتبعدا عجبا ره كلما عاды الزمان ﴾ والذي أعلمه من ذلك

(١) قوله تعالى - ويخلق ما لا تعلمون - بعد قوله تعالى - والخيول والبغال والحمر لتركبوها وزينة - إذ لم يقل - ويخلق ما لا تعلمون - في القرآن كله إلا بعد ذكر ما يركب من البغال والخيول والكهز به والسفن الخربية والبالون والتلغراف وبلاسلك أوبه وكل هذه إما حاملة رسالة أو وقرا وهي تختص بالدراب عادة ، وقال أيضا - وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون ﴾ وخلقنا لهم من مثله ما يركبون - وقد وضع هذا في سورة النحل أيضا لما ذكرنا (٢) - ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا - وقد سكن الظل بواسطة الفوتوغرافية (٣) للوارية في ذكر - وكل في فلك يسبحون - بعد ذكر الشمس والقمر والأرض وجعلها بعد الشمس والقمر وذلك لاجتماع الأهم على حركتهما ، وأما الأرض فذكرت إيناسا لمن يعتقد سكونها لوجود الفصل بالشمس والقمر ولأن يعتقد دورانها بدخولها في - يسبحون -

(٤) ذكر السفن في قوله تعالى - وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون - بعد السكاك والأرض إشارة إلى أن الجميع من واد واحد ، فالسفن في البحر كالشمس والقمر والأرض في الأثير وهي الملائكة الملائكة للفضاء ، وكان السكاك كها والأرض سفن في بحر الأثير - فقال لها والأرض اثبتا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين -

(٥) اقتربت الساعة وانشق القمر - أولم يرؤا أنا تأتي الأرض ننقصها من أطرافها - إشارة إلى ما قيل أن القمر انفصل من الأرض فنقصت وانشق هومنها

(٦) - أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقنهما - قالوا إن الشمس والأرض كانتا شيئا واحدا فافصلنا

(٧) مادة العالم الأثير وهو مائل للكون لم يعرف إلا بالمعقل لدقته عن الحواس - ثم استوى إلى السماء وهي دخان -

(٨) - ومن آياته أن خلقنا من تراب ثم إذا أتم بشرتنا نفرون - اكتشف أن حواس الإنسان وأعضائه كلها تراب صارت نباتا وحيوانا ودخل في الجسم فصار هو نفس الإنسان

(٩) - بل هم في لبس من خلق جديد - قد اكتشف أن جسم الإنسان يتجدد في كل مدة نحو ثلاث سنين فتذهب مادته ويؤتى بدلها بالمواد النباتية والحيوية والمعدنية فتصير بشرا سويا منشرا - ثم إذا أتم بشرتنا نفرون -

(١٠) - حوت عليهم الميتة والدم ولحم الخنزير - قد كشف أن الخنزير منشأ البودة الوحيدة (١١) وقد

(١١) وفي الخنزير دبدبان لا تؤثر فيها الحرارة في درجة من درجاتها . ولقد أخبرني أستاذنا الشيخ جزء فتح الله عن دولة الغازي مختار باشا أن جماعة ماتوا بعد أن أكلوا فبحت الأطباء عن سبب موتهم فإذا هم أكلوا لحم الخنزير فأما نهم مكره بانه وهو بلامين من هذه القاعدة ، وفي مقدمة (ميزان الجواهر) فوائد في هذا أيضا فأقرأها هناك إن شئت

تقدم رسماً والكلام عليها في هذا التفسير

- (١١) كراهة أكل لحم بعض البقر لأنه منشأ النار
 (١٢) وجوب غسل أثر الكاب سبعاً فقد كشف الله سم ومثله الهر كما في بعض أمثبات الجامع الصغير
 (١٣) المستنقعات منشأ الكروبات القتالة للإنسان وقوله عليه الصلاة والسلام « لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ولا يغتسل فيه » فبالأول يزيد ضرره وبالثاني يوجب المغتسل الضرر بالكروب
 (١٤) ورد في السنة أن الطاعون من وخز الحنق وقد ظهر أنه حقاً من الحيوانات المكارونية التي هي قسم من أقسام الجن في الحديث الذي في كتابنا « ميزان الجواهر » نقلاً عن الإحياء حيث قال فيه وصنف كاهلواء

(١٥) الأمر بكثرة الاغتسال والوضوء وهذا أعظم داع لعدم الدعاوى واعتلاء السجون كما قاله العلامة (بنام الانجليزى) مشرعهم الشهير الذى درس علوم الأمم كلها وقال « من راضب على اغتسال الدين الاسلامي لم يصبر منه ذنب ولا جرحه » فالنظافة من محاسنها كما استحسناً أيضاً منع الجرم عنها بأن في جميع الكثرة الأرضية وعنده من محاسن هذا الدين واليه الاشارة بقوله تعالى - إن الله يحب المتطهرين -

(١٦) ظهور الازدواج في جميع النبات - ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين - وأبنا فيها من كل زوج -

(١٧) - وأرسلنا الرياح لواقح - قد علم مما قدمناه أن الريح هي الملقحة لأكثر النبات
 (١٨) ظهور الجدرى في أمحباب القبل بالكروب الذى دل عليه قوله تعالى - وأرسل عليهم طيرا أبابيل -

أى متاعه مجمعة - ترمهم بحجارة من سجيل - أى من الطين الذى يتأصك على سطح المستنقعات
 (١٩) ظهر أن كل شئ له مقدار محدود بالتجليل الكيفي - وكل شئ عنده بمقدار -

(٢٠) - ويوم ينفخ في الصور - الخ تقدم قبل هذا
 (٢١) اعلم أن الأرض مزينة بالجبال ولولاها لاضطربت في سيرها لأن الجبال والطبقة الصوانية تحفظا الكرة النارية أن تتصاعد فتختل الأرض - وألقى في الأرض رواسي أن تمدد بهم -

(٢٢) قوله تعالى - حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج - قد تقدم في سورة الكهف

(٢٣) قوله تعالى - ولنجدن أقرهم - مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى - ومعلوم في الاصول أن الذين اسم عام لا يخص من نزلت الآية بسببهم وظهر في كل زمان لاسباب هذا الزمان أن كثيراً منهم يدخلون بسرعة في الاسلام بخلاف اليهود باجتماع فلاسفة الأمتهن ، وفي أمريكا الحبب المحباب وكذلك في أوروبا ، وسيأتى الزمان المستقبل بأعجب من هذا في الامحجاز وقال تعالى العيسى - وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة -

(٢٤) تشتت اليهود في أقطار العالم وعذبهم الفرنسيون في الجزائر وغيرها وطردهم الروس وهم بمغضون في كل دولة - واذا تأذن ربك لبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسوءهم سوء العذاب إن ربك لسريع العقاب -

(٢٥) - ويسأونك عن الروح من أمر ربى وما أوتينهم من العلم إلا قليلا - قد أجمع علماء اليونان والعرب وأوروبا أن علم النفس إنما يكون بعد الرياضيات والطبيعات ، وهالك آخر ما وصل اليه البحث الى وقتنا هذا من ترتيب العلوم بحيث ان المتأخر لا يفهم إلا بعد المتقدم (ا) العلوم الرياضية (ب) العلوم الفلكية (ج) العلوم الطبيعية (د) علم الكيمياء (هـ) علم وظائف الأعضاء (و) علم النفس والمنطق (ز) علم الاقتصاد السياسى (ح) علم تكوون الشعوب (ط) علم تمييز الجمال (ى) علم ما وراء الطبيعة ويدخله العقائد ومعرفه الخالق والروح ، وأما علم النفس فأنما هو ظواهرها لاحقيقتها (ك) علم الأخلاق (ل) علم الحقوق

(م) العلوم السياسية ، فأتى إليها الذكي ترى من هذا أن علم الروح في المرتبة العاشرة مع العلم الإلهي المعبر عنه بما وراء الطبيعة أو الفلسفة الأولى أو العلم الأعلى والمخاطب بهذا هم يهود جزيرة العرب ولا ريب أنهم أبعد الناس عن هذه العلوم فلا يتكلمون فيها الرياضيات العليا فضلا عن الروح فلذلك قال - وما أولئك من العلم إلا قليلا - أى ولا يفهم الروح إلا من درس علوما كثيرة ، وما أعجب قوله - من أمر ربى - إذ علم الروح وعلم الألوهية في الدرجة العاشرة

(٢٦) قال عليه الصلاة والسلام ﴿صنفان من أمتي في النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مائلات يميلات رؤسهن كأسنمة البخت لا يدخلن الجنة ولا يخرجن ربهن وإن رجحنا لوجدن من مسيرة كذا وكذا﴾ أخرجه مسلم ، قوله كاسيات عاريات أى يستترن بعض أجسامهن ويكسفن بعضها أو يلبسن ثيابا رقيقة تصف ماتحنها فهن كاسيات ظاهرا عاريات حقيقة ، وقوله مائلات أى زالعات عن طاعة الله فلا يحفظن فروجهن ، وقوله يميلات أى يميلات الرجال الى الفتنة ، وقوله كأسنمة البخت أى يكبرنها من المقانع والخر والعمام أو بصله الشعر كأسنمة البخت انتهى من تفسير الوصول جامع الأصول . وقد ظهرت تلك السياط بعد النبوة بأزمان وهو الكبرياج . أقول فأما النساء الموصوفات بذلك فقد رأيتهن في زماننا

(٢٧) ورد أن الذباب فيه داء وقد ظهر هذا بالاستكشاف

(٢٨) قال تعالى - وخلق مثل الذي علمين بالعرف وللرجال علمين درجة والله عز ورحمكم - قدقارن علماء أوروبا بين النساء الملعونات وبينهن حين لم يتعلمن فاستنجدوا أن المرأة كلما قتمها التعليم لتلحق الرجل آخرتها الحكمة الإلهية في القوة والادراك والجسم فصارت على الثلث منه في مجموع قواها ، فكما تقدم التعليم آخرتهن الحكمة على مقدار ذلك لتبقى درجة الزيادة محفوظة بين الرجال والنساء والا لاختل النظام ينساولى الرجلين ولذلك قال بعدها - والله عز ورحمكم - أى غالب حكيم فيأصنع (اقرأ المرأة المسلمة لصديقتنا محمد أفندي فريد وجدى فقد ذكر هذا وأنه قامت قيامة فلا تفهم الآن ينذرون قومهم الخطر

(٢٩) إن التفوق داخل في محوم - قالوا أنطقنا الذى أنطق كل شئ -

(٣٠) قوله تعالى - سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - أما آيات الآفاق فهي جميع ما استكشف في العلوم الحديثة في الأرض والسماء بعد أن كانت منحصرة في كواكب معدودة من السيارات وهي (٧) مع جهل الثواب وعناصر محدودة فقد كشفت كواكب سيارة أخرى وعرف كثير من الثواب وهكذا العناصر بعد أن كانت (٤) وصلت الى نحو (٧٠) وأما آيات الأنفس فإن للإنسان جسما وروحا ، أما الجسم فظاهرته أشعة ترتعج التي هي عبارة عن أضواء شرر المكهرباء المنحصرة في آلات تسلط على الجسم فتكشف الأعضاء من الداخل وتظهر الدورة الدموية من وراء الجلد واللحم والقلب والعروق كأن هذه أجسام شفاقة لا تحجب ما وراءها مما يدهش العقل ويحارقه ففكر اللبيب مصداقا لقوله في هذه الآية - وفي أنفسهم - ومعلوم أن في للظرفية أى الآيات المظروفة في نفوس النوع البشرى والمراد بها هنا ما يشبه الجسم . وأما الروح فقد ظهرت مجابها بالتوهم المغناطيسى الذى تناقلته الأفرنج عن الهند . انتهى ما أردت من كتابي ﴿جواهر العلوم﴾

(الطيففة الرابعة . إن في هذه السورة حدين وشكرين)

اعلم أن سليمان عليه السلام شكر الله مرتين في هذه السورة ، شكر دخل في ضمن الدعاء إذ قال - رب أوزعنى أن أشكر نعمتك - الخ وشكر دخل ضمن قوله - هذا من فضل ربى ليبارك أن أشكر أم أكفر - معاً أن الله يستجيب دعاء الأنبياء في الأولى ، فأما في الثانية فإن الأنبياء أقرب الناس الى الشكر إذا أتم الله عليهم نعمة ، فاعجب كيف كان له ﴿شكران﴾ أحدهما ﴿على نعمة العلم﴾ والثانى ﴿على نعمة الملك﴾ فأما سيدنا محمد ﷺ فإنه أمر من الله أن يحمده وأن يسلم على الأنبياء وكل مصطفى بعد أن ذكر نعمة

سليمان بالعلم والمالك ، ولما انتهت السورة أمر أن يحمد تعالى على أن أمته ستنال العلم والعرفان وأن الله يعلمها على عجائب هذه الدنيا ، هما جسدان وأنت تعلم أن النبي ﷺ يبعث ربه مقام محمودا والمقام الم محمود مقام يحمد القائم فيه ويحمده كل من عرفه فهو مطلق في كل مقام يتضمن كرامته وليس خاصا بمقام الشفاعة بل هو مقام أعم منه ولذلك قيل أيضا { أنه مقام يعطى فيه لواء الحمد } فهذا المقام أعم وعليه نقول أنه ﷺ لما أمر أن يحمد الله ويحمي الأنبياء في هذه السورة وأمر أن يحمد الله على أن الله يعرفنا آياته بعده دل ذلك على أن هذا أيضا مقام جديحمده في العالم على رقي أمته لأنها ستعرف هذه العوالم - سريكم آياته - وستكون لها القدر الملقى في العوالم السكونية وتعرف علم الأرواح كما تقدم في قصة سليمان والعوالم الطبيعية من حيوان ونبات إلى آخر ما تقدم في هذه السورة وعلم الفلك أيضا كما عرفت وستصبح أعلم الأمم وأحسنها نظاما

إن الحمد لا يكون إلا بعد معرفة الم محمود عليه والم محمود عليه هو النعم والنعم جسمية وروحية وغيرها وجميع العوالم نعم فمن جهل شيئا فانه لا يحمد الله عليه وكيف يحمد على ما لم يعرفه . إن الحمد نوع من الشكر والشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح ، فمن قال الحمد لله فهو شاكر على نعمه ويكون هذا الحمد على مقدار ما عرف من النعم الواردة من الله إلى عباده وهذا المعنى هو الموافق لقوله تعالى - وأمرسناك لإراحة للعالمين - وظهور رجة للعالمين أن يكون المسلمون أرقى الأمم في جميع فروع العوالم كما يقتضيه القرآن على مقتضى ما بينا في هذا التفسير . يصبح المسلمون أقوى أهل الأرض علما وعقلا وحكمة وعدلا ويكونون رجاء أهل الأرض آباء لهم . هذا هو المقام الذي يحمد فيه رسول الله ﷺ في الدنيا . فأما حمده في الآخرة فعوالم . فإذا رأينا سليمان ﷺ أوتي حكمة وعلمًا وملكا وحسن سياسة فليكن أتباعه ﷺ قائمين مقام سليمان في ذلك وفي غيره من عموم العلم والحكمة وليكونوا معلمين لكل الأمم مهذين لهم

إن النبي ﷺ كما تقدم أمر أن يحمد الله فهو له مقام محمود يحمد فيه ربه ويحمده كل من عرفه وأيضا له الشفاعة ، ولأجره أن هذين يستلزمان أن ترتقي الأمة الإسلامية وتسكون نورا لأهل الأرض في مستقبل الزمان ، ألا ترى أن الشفاعة تكون على مقتضى ما وصل للناس من علم وكذا الحمد يكون على مقتضى نعم وأهم النعم العلم . إذن يكون لواء الحمد ومقام الشفاعة يرجعان لشيء واحد لأنه إذا حمد الله على نعمه وحده الناس عليها فلاحد إلا عن علم وإذا شفع للناس فالشفاعة على حسب مقتضى العلم والعلم فيها بيقع العمل إذن ينتج من ذلك أن هذه الأمة ستكون أمة علم أرقى من سائر الأمم فتكون محمودة لعلمها وعملها وحامدة لأن الحمد على نعمة العلم والعمل . انتهت الطائفة الرابعة

﴿ الطائفة الخامسة ﴾

قال الله لسيدنا محمد ﷺ - فبهذا هم اقتده - وقد شكر سليمان عليه السلام على نعم العلم والمالك فلنبصت في الشكر وقد أمرنا الله بالشكر فلنبصت فيه ما له من العلاقة بهذه السورة وبرق الاسلام في المستقبل . وأعلم أن الشكر مطلوب قال تعالى - واشكروا لى ولا تكفرون - وقال - وسنجزي الشاكرين - وقال - ولقليل من عبادى الشكور - وقد جعل الله الشكر مفتاح أهل الجنة وهو - وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده - الخ ولا نزيل بذلك قالات والأحاديث كثيرة

ولأنخص لك بعض كلام الامام الغزالي في هذا المقام لتعرف أن أمة الاسلام الآن لم تقم بالشكر ولما لم تقم بالشكر دخلها الفرجة واحتلوا ديارنا ، فهل يعلم المسلمون أن العوالم الطبيعية والرياضة والفلكية والعمل بها هو شكر الله ، هل يعلم المسلمون ذلك ؟ هل يعلم المسلمون أن ما ذكر في هذه السورة من عجائب الخلق والهدى وعجائب العفاريق والملائكة والعجائب التي عدناها كالأنهار والجبال والبحار والسماء والأرض والحيوانات والأشجار ، هل يعلمون أن علم ذلك واستعماله وقوله من خالقه هو الشكر . إن المسلمين لوعلموا ذلك لسكنوا

تبعوا في هذه العالوم ولكن قام رجال صغار العقول صرفوهم عنها ، هل يعلم المسلمون ذلك ؟ فوا حسرتا على أمة قتلتها رجال سمو أنفسهم قادة ومهام بعالمين

يقول الامام الغزالي عليه السلام لا بد للشكر من علم وحال وعمل ، فالعلم هو الأصل والحال هو الفرح الحاصل بالانعام والعمل القيام بما هو مقصود المنعم ومحبوه ويكون العمل بالقلب واللسان والجوارح عليه السلام وفي مقام العلم أخذ يشرح نعم الله عزوجل في النفس وفي البدن وفي المال وفي الأصحاب وجعل كل واحد من هذه أربعة أقسام فصي (١٩) ولا حاجة إلى تفصيلها ولكن نقول اذا نظرنا إلى صحة البدن وحده عرفنا أنه لا بد له من طعام والطعام لا يناله الانسان إلا بالنبات والنبات لا يتم إلا بالطر والأرض والبطر وبالشمس وبالطواء

ثم إن الانسان لا يتعاطى الغذاء إلا اذا أعطى أعضاء باطنة وظاهرة ، فظاهرة للجب والباطنة للهضم وغيره ، ولابد من الحواس الظاهرة والباطنة ، فهنا عاوم التشريح وعالوم النفس وعالوم النبات وعالوم الحيوان وعالوم السموات لما علمت أن الحرارة منبعثة من الشمس إلى الأرض فصحت بذلك ، إن جميع العالوم لا بد منها في معرفة نعمة الله تعالى . فبني عرف الانسان هذه العالوم التي هي مرتبطة ارتباطا لا انفكاك له فقد عرف النعمة ودرقه النعمة ليست شكر الله بل هي ركن واحد من أركان الشكر عليه السلام الركن الثاني عليه السلام الفرح بالنعم لا بالنعمة ولا بالانعام ، فاذا رأيت جمال الله في السموات والأرض وأدركت بعض العالوم أحسست بمرور ، ولكن يجب أن يكون السرور من خلق هذا الجمال عليه السلام الركن الثالث عليه السلام العمل بموجب هذا الفرح وهذا العمل انما يكون بالقلب واللسان والجوارح ، فأما قلبه فيصعد الخيرة لجميع الناس ، وأما لسانه فيذكر الله به دائما ، وأما جوارحه فيصير فيها كلها في فعل الخير ، فالعين مثلا لا تنظر إلى محرم بل تنظر نظرا اعتبارا

أنا لا أطيل عليك ما ذكره الامام الغزالي فاني لو ذكرت وشرحته لاحتاج إلى المجلد ولكن الذي يهمني في هذه السورة أن تنظر إليها الذكي ، انظر واجب من أمة الاسلام ، انظر كيف يقول سليمان عليه السلام - ليوفني أشكركم أكفر - ويقول - رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والدي - ولما بحثنا عن الشكر وجدنا مبداء العلم بالنعمة ، ولما بحثنا عن العلم بالنعمة وجدناه دراسة هذه العالوم المذكورة في هذه السورة وفي غيرها علوم الحيوان من طير وحشرات وغيرها وعلوم النبات وعلوم السموات وعلوم التشريح والطب وغيرها ، يارب عجا لامة هذا دينها وهؤلاء علمائها . ألهذا الحد يجعل المسلمون . ألهذا الحد ينعمون . يذكر الله الشكر ويقول عالم الاسلام الشكر يعلم والعالم شمل سائر العالوم التي فازت بها أوروبا علينا وغلبتنا والمسلمون نائمون ، ألم يقرأ أحد منهم كتب السابقين ، ألم يقرأ القرآن ، ألمها القارئ الذكي بالله أيقظ هذه الأمة واخبرها أن الله أمرنا بالشكر وأن الشكر مبدؤ العلم بسائر العالوم التي جاءت في هذه السورة من الأرض والسماء والأنهار والبحار والجبال والحيوان وكل ما أمكن معرفته والمسلم اذا لم يعرف هذا وهو قادر فهو غير شاكر ومتى عرف فانه يفرح بالنعم نفسه لانه لا يملكها ومتى فرح به وجب عليه أن يحب الناس كلهم

ويشكر الله بلسانه ويعمل الخير لسائر الناس فالشكر علم تام واخلاص عام وعمل نافع لجميع الجوارح المسلمون غير شاكرين ما لم يفتحوا مدارس ابتدائية ومدارس ثانوية ويذيعوا تعاليم جميع الأمم من فلك وطبيعة وكيمياء وحيوان ونبات وانسان وطبقات الأرض ، وهذا التعليم لا بد منه لسائر الطبقة المتوسطة أما الطبقة العليا فهم المختصون بعلوم خاصة كالطب والهندسة وغيرها ، كيف جاز للمسلمين أن ينموا أجيالا وأجيالا كيف يجولون شكر النعمة ، كيف تركوا علم النبات وعلم الحيوان وعلم التشريح وعلم النفس وعلم الفلك ، كيف تركوها والله أمرهم بالشكر والشكر علم وحال وعمل ، شكر سليمان وشكر عليه السلام فهذا هو شكرهما لقد نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماء وقرأ قوله تعالى - ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فحق عذاب النار - ثم قال صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبيلته ، ومعناه أن يقرأها ويترك التأمل ويقتصر من فهم ملكوت

السماوات على أن يعرف لون السماء وضوء النجوم وذلك مما تعرفه البهائم أيضا ، فمن قنع منه بعرفة ذلك فهو الذي مسح بها سائته ، فته في ملكوت السموات والآفاق والحيوانات عجائب يطلب معرفتها المحبون لله تعالى فإن من أحب علما قاله لا يزال مشغولا يطلب تصانيفه ليزداد به من الوقوف على عجائب علمه حبا له فكذلك الأرض في عجائب صنع الله تعالى فإن العالم كله من تصنيفه بل تصنيف المصنفين من تصنيفه الذي صنفه بواسطة قلوب عباده ، فإن تعجب من تصنيف فلا تعجب من المصنف بل من الذي سخر المصنف لتصنيفه بما أنعم عليه من هدايته وتبديده وتعريفه اهـ

فهيذا عرفت معنى الشكر المذكور في قول سليمان عليه السلام وأن ملخصه معرفة جميع العلوم والفرح بالمنعم وإظهار الخيرة للناس فاطية وانطلاق اللسان بالشكر والجوارح بالأعمال الصالحة . وأمر الله لاني ﷺ بالحمد على أن الله سرينا آياته إشارة الى أن هذه العلوم ستذاع في الأمة الإسلامية وهو اخبار بما سيقع لاحالة من سعادة هذه الأمة ورقمها حتى أمر نبيه أن يحمده الله على معرفتنا ومعرفتنا لا بد أن تشمل كل العلوم ونظام المدن المذكور في هذه السورة ومعرفة العوالم الروحية من ملك وجن باتساع علم تحضر الأرواح وفهم العوالم كلها وانتظام ممالكنا كنظام ملك سليمان والأفلاذ قال له بعد تلك القصص - قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى - ذلك إشارة الى أننا سنستخرج على منوالهم ونحفظ مدننا ونرقى عالمنا ونشكر ربنا حتى حمد الله نعتنا على معرفتنا والمعرفة يتبعها العمل والحمد لله رب العالمين

﴿ جوهره في مقال عام في قوله تعالى - سرهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - الخ ﴾

هذا المقال قد وصلت به فيما تقدم ، ووعدت أيضا بأن أكتب هنا في تفسير هذه الآية ﴿ رسالة امرأة الفلاسفة ﴾ ولكن وجدت المقام لإسع هاتين الرسالتين فسأجعل الرسالة الأولى في سورة فاطر عند قوله تعالى - ما يفتن الله للناس من رجة فلا يمسك لها - وأجعل ﴿ امرأة الفلاسفة ﴾ في سورة الفاتح عند قوله تعالى - فاعلم أنه لا إله إلا الله - الخ - والعلم بذلك للأنبيا وهي ولكنه لنا كسبي ، ورسالة الفلاسفة فيها ملخص آراء الأمم قديما وحديثا وبها يفهم المفكرون قوله تعالى - كل شئ هالك إلا وجهه - وقوله تعالى - وقل الحمد لله سرهم آياته فتعرفونها - وملخص الرسالة أن الموجود الحقيقي السكامل هو الله وماسواه هالك ، وهذا الذي سميناه هالكا له نوع من الوجود بحيث يكون كله آيات دالة على جلال الله تعالى وهذه الآيات تتجدد وقتا فوقتا ، وأوجم أن ﴿ رسالة امرأة الفلاسفة ﴾ فيها ملخص أصول الحكمة العامة في هذه الدنيا بحيث يطالع الأذكياء قراء هذا التفسير على ما استبان من نظام هذه العوالم بطريق العقل

(١) فمن نظريات جعلت مقدمة للرسالة بحيث تبين أن النفوس الإنسانية ليست من عوالم الأرض بأدلة عقلية وانها باقية بالبراهين الحسية التي توافق عقول جميع الأمم فهي أشبه بمقدمات علم الهندسة التي قبلها جميع العقول وتكون لها نتائج فيها اليقين الذي لا شك فيه ، وهذه الأدلة والحمد لله لم تكن إلا في هذه الرسالة ليعل المسلمون قوله تعالى - وقل الحمد لله سرهم آياته - الخ فهذه البراهين من آيات الله المتجددة في زماننا فليفرح بذلك عقلاء الأمم مقربا

(٢) ومن آراء أقدم الفلاسفة وكيف كانوا في بحثهم متدرجين من ماذيين ودهريين وسوفسطائيين وعلماء إلهيين من طاليس ومن بعده الى فيثاغورس الذي يقول ﴿ أصل العالم العدد ﴾ الى أنبذوقاس الذي يقول ﴿ أصل العالم الحب والمداوة ﴾ الى لانسساغورس الذي يقول ﴿ للعالم إله ولكنه تركه كما يترك الإنسان الساعة تجرى وحدها ﴾ الى سقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس الذين يقولون باله صانع للعالم منظم له ملصع لصغيره وكبيره الى من بعد هؤلاء من المشائين والرواقيين وعلماء الاسكندرية ثم انتقال العلم من الاسكندرية الى أمم الاسلام أيام الفارابي ومن بعده ثم انتقال العلم الى أمم أوروبا ، وكيف ترى هناك أن علماء أوروبا

الحاليين يقولون بأوفى حجة وأجلى بيان ﴿ أهم في معرفة الله والنفس ومبدأ العالم لم يصلوا إلى عشر معشار سقراط وأفلاطون ونحوهما وأن المذاهب المنتشرة اليوم في أوروبا لم تخرج عن كونها انكسار المذاهب اليونانية فن زعم أن العالم مادي ولا إله فذلك هو عين مذهب طاليس قبل الميلاد بأكثر من خمسة قرون ، ومن زعم أن الحقائق لا تعرف وهو شاك فهو أشبه بالسوفسطائية بأقسامهم الثلاثة التي سترها وهم (العندية والعنادية والنادرية) وإذا رأيت قوما من أوروبا نبقوا في ذلك وأدركوا بعض سر التكوين مثل الفيلسوف (كنت) الألماني الذي تتبعه اليوم الأمم الألمانية ، وتبعهم في قراءة كتبه أمة إيطاليا فاعلم أن هذا المذهب عينه هو مذهب سقراط وأفلاطون الذي سقرا فيه الحكمة البديعة بحيث أنك حين تطالع على ما نقلته عنهما بنصه ونصه مما نقله أسلافنا بنصه تدهش إذ ترى أن القرآن حقا وصدا نفس آراء هؤلاء الفلاسفة الذين خلفهم الله قبل أن ينزل القرآن ، أما أنا فاني اعتراني الدهش وإزداد تعجب من صنع الحكيم العليم الذي أنزل حكمته على قلوب عباده قبل نزول القرآن بنحو (٩) قرون وجعلها أشبه بتفسير للقرآن المنزل على عبد من عباده في جزيرة قاحلة ، وسقرا في الرسالة المذكورة كيف جاء حب الله على لسان الفلسفة وكيف يكون إزدراء هذا الوجود المتغير الناقص وكيف يجب علينا في هذا الوجود أن ننظم دوله فلا نلدن الدنيا الناقصة ولكن ننظمها ونتبعه أثناء تنظيمها إلى مبدعها ، كل ذلك ستره في ﴿ امرأة الفلسفة ﴾ وتستجب أنت كما عجبت أنا من تقافي هؤلاء الفلاسفة في حب الله والاخلاص له وهذا هو لب القرآن . أوليس هذا هو معنى قوله تعالى - فاعلم أنه لا إله إلا الله - وقوله تعالى - وقل الحمد لله سربكم آياته فتعرفونها - ومتى قرأت هذه الرسالة أيها الذكي ستقول كما قلت سواء بسواء ، لقد رأينا آياتك يا الله في هذه العوالم كما رأيناها ظهرت على قلوب الحكماء من الأمم أذ تجلت قبل نزول القرآن وخبت في الكتب وظهرت اليوم فوجدناها مفسرة للقرآن بحيلة للحقيقة موضحة لحقيقة العقل والنفس بل فوق ذلك ترى ما كان من الخلاف بين أفلاطون وأرسطاطليس من قول الثاني للأول ﴿ ان تعاليمك الفلسفة لم يظهر فيها المناسبة والارتباط بين عالم المثال الذي تخيله وبين هذه العوالم المشاهدة إذ أنك اعتبرت أن العلم لا يبنى إلا على أمر ثابت ولا ثبات لعالم المادة من سموات وأرضين والثابت في نظرك هو عالم المثال ، وقد قلت ان ما يظهر للناس في الأرض والسماء إنما هو على مقتضى عالم المثال وهو على صورته أونسخة من نسخته ﴾ فهذان العالمان المادي والمعنوي لم نعرف المناسبة بينهما

ثم قال (أرسطاطليس) بعد ذلك ﴿ أنا أرى أن العلم لا يحتاج إلا إلى المادة والصورة والمادة لا توجد إلا بهذه الصور التي زارها في الأرض والسماء الخ ﴾ وقد جاء المشاؤون بعد (أرسطاطليس) أيضا وفندوا رأيه واعتضوا عليه وقالوا له ﴿ اتنا لم نعرف المناسبة بين المادة والصورة وبين الله الذي صنع العالم وأنت برهنت على وجوده ، وأنت لم تبين المناسبة بينهما كما لم تبين أستاذك المناسبة بين عالم المثال وعالم المادة ﴾

هنالك أخذت الأمم بعصدهم تقرأ هذه الآراء وتبين اتحادها تارة واختلافها تارة أخرى ، فهذه المجادلات التي سترها في الرسالة المذكورة ولخصتها هنا لا يكون لها أثر بعد المقدمات والحجج التي سترها بمقتضى مظاهر للناس اليوم في العالم من العلوم في ﴿ رسالة امرأة الفلسفة ﴾ إذ ترى أن البراهين اليقينية التي ذكرتها في أولها لا يرد عليها ماورد على أفلاطون وأرسطاطليس ، وستقرأ هناك أن خلق العالم يتضح بما يراه الإنسان في نفسه من العوالم العقلية ، وسترى شرح ذلك وتعلم أن هذا هو قوله تعالى - فاعلم أنه لا إله إلا الله - فهذا هو العلم بانفراد الله بالالهية لأنه أتى بملخص عقول الأمم قديما وحديثا وهذا يفهمنا قوله تعالى - سربهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق - وقوله تعالى - وقل الحمد لله سربكم آياته فتعرفونها - فهذه الرسالة ظهر فيها كيف كان علم النفس هو المفتاح الذي به فتح ما أغلق على الناس أيام سقراط وأفلاطون ومن

بعد ما به زال الاشكال الذى ورد على طر يقينهما في تبين أصل العالم وسأله العالم المادى بالعالم العقلى وصلتهما
بعضهما ، فهذا الاشكال كله ستره قد حل في هذه الرسالة . ومن أعجب العجيب انهما لم تطهر للناس إلا في
تفسير القرآن عند آية - فاعلم أنه لا إله إلا الله - وقد انطبقت على هاتين الآيتين المتبين ختم بهما دلتان
السورتان الدالتان على أن المادة باطلة وأن العالم المشاهد آيات الله والله سيرها لنا ، وهاتين أولاه قد
رأيناها في كلام العلماء والحكماء . وفي العالم المشاهد ، ومن أهم الآيات التى أراها الله لنا ابقاء لعبده تقسيم
العلوم ، وهذه سنختم بها ﴿ رسالة امرأة الفلاسفة ﴾ بحيث يطلع الأذكى من المسلمين على آثار عقول الأمم
البائدة وما تركته لنا من العلوم الرياضية والطبيعية والإلهية وتهذيب الأفراد وتديب المنازل وتديب المدينة والأخير
هو علم السياسة وهناك تقسم هذه العلوم الى (١٧) علما وهذه العلوم فروع تبلغ أصولها مع تلك الفروع نحو
(٦٠) علما وصناعة ، وهناك ترى أن الصناعات كالطب وكالزراعة وأمنائها وهكذا التجارة والحدادة ماهى
لأفروع لتلك العلوم . هذه هي الآيات التى وعد الله أن يريناها وهى آيات العلوم الحسكية المنقولة عن الأمم
الخالية الموافقة للقرآن حقا وصدقا وآيات هى أقسام العلوم وما يناسبها من الصناعات التى لابد منها للأمم . هذه
هى ﴿ رسالة امرأة الفلاسفة ﴾ التى وعدت بها فيما تقدمت والتى ستطلع عليها أيها الذكى في (سورة النقتال) عند
قوله تعالى - فاعلم أنه لا إله إلا الله - وقد تضمنت إيضاح الآية في آخر هذه السورة ونظيرها آية - سترهم آياتنا في
الآفاق وفى انفسهم - والآية التى في آخر سورة القصص وهى - كل شئ هالك إلا وجهه -

أما المقال العام الذى وعدت أن أكتبه هنا فيما تقدم وسأذكره في سورة فاطر عند قوله تعالى - ما يفتح
الله للناس من رجة فلامسك لها - لأن الحال اقتضت ذلك فهناك ملخصه ابقاء بما وعدت ومقدمة لذكرها
هناك فهي

(١) أولا ان اشراق العوالم التى تحيط بنا على ﴿ قسمين ﴾ اشراق ظاهر واشراق باطن ، فالأول ما تدركه
الحواس والثانى ما تدركه العقول ، وهذا الأخير مراتب وراء مراتب ولن نصل لمرتبة لا بعد وصلنا الى مرتبة
قبلها والجهد في الآية تابع لاستكناه الحقائق وظهور المعلومات فلان تكون المعرفة اللاحقة لإعداد السابقة
(٢) المسلمون في القرون المتأخرة نظروا العوالم الظاهرة فلم يزيدوا في معرفتها عن العامة مع انهم
يقروا في القرآن قصة سليمان إذ سخرت له الريح وهذه القصة تدلهم أن هناك منافع غير التى عرفها العامة في
هذه المجالات المحيطة بنا

(٣) مثل ان الهواء مركب من نيتروجين وأوزون واكسوجين ومن مواد أخرى وهذه المادة وهى
النيتروجين أو الأوزون وجدت مركبة مع مواد أخرى في جزيرة (شيلى) فجعلها الناس سبادا لأن النيتروجين
من مركبات السباد المعروف من السواب في القرى وبلاد الفلاحين في مزابهم

(٤) وقد استخدم العالم الألماني (فرترهاير) الكهربية في استخراج النيتروجين من الهواء بدل الانكسال
على ما يستحضره الناس من (جزيرة شيلى) وعلى ما يخفونه من سباد الحيوان وضع في الهواء بالكهرباء ما
يصنع الناس في الماء من تربيده وجعله ثلجا فالناس جميعا يجدون طريقة لجعل الماء السائل جسما صلبا وهو
الثلج هكذا العالم (فرترهاير) جعل النيتروجين بالكهرباء جسما صلبا بعد أن كان جسما غازيا كالخباز
في الهواء ، فالخباز يكون سائلا ثم صلبا وهكذا الغاز الذى هو جزء من الهواء يرجع سائلا فصلبا ويكون سبادا
وهو المطلوب وذلك بواسطة (الفون الكهربي) الآتى شرحه في سورة فاطر في المقالة العاشرة هناك

(٥) كان عند الألمان مصانع كبيرة زمن الحرب يستخرج بها النيتروجين من الهواء فبه تكون المواد
المهلكة ثم حوّل هذا كله بعد الحرب الى سباد

(٦) المسلمون يأكلون الملح ولا يعلم أكثرهم أن علماء أوروبا استخرجوا بالكهرباء من محلوله في ماء

البحار مواد مثل السكاور والصودا السكارية والهيدروجين ، والسكاور المذكور المستخرج من الملح ينفع في تطهير ماء الشرب من الجراثيم فيمنع انتشار الجلى التيفودية وينفع في جعل الورق أبيض ، وينفع في أحداث التخدير للريض عند العملية الجراحية ، ويكون سها للأعداء في الحرب إذ يرسل في الهواء ، ويكون في المفرقات القاتلات للأعداء ، ويكون قاتلا للحشرات ، إذن ملح الطعام يأكله المسلم ولا يعلل أنه أصبح مطهرا لشربنا قاتلا للحيوانات الدرية التي تقتك بالناس في الوباء مبيضا لورقنا مزينا لآلام جرحانا مهلكا لأعدائنا

(٧) إن المسلمين الذين جهلوا هذه العلوم التي عرفتها الأمم في الأرض يعاقبون في الدنيا والآخرة لأنها فروض كفايات ، فإذا أمر الله بقطع يد السارق لأجل ربع دينار أفليس معناه أنه يحافظ على المال النافع لنا ، وإذا أمر بقتل القاتل فعنه أنه يحافظ على نفوسنا ، إذن هذه العلوم تحفظ أنفسنا وتحفظ أموالنا فكيف يسوغ للمسلمين تركها

(٨) وهناك فوائد كثيرة للكور وغيره من عناصر الملح وصلت إلى (١٢) فائدة كلها نافعة في الحياة فكيف يحفلها المسلمون وهي فرض كفاية

(٩) وهناك معدن يسمى (الالومنيوم) وله فوائد عظيمة ستذكر لاحول لاطالة الكلام عليها هنا مثل أنه إذا خلط مع القصدير استعمل بدل النحاس ، ومثل أنه يجعل صفائح للتفقيض ، ومثل أنه يركب مع النحاس فيكون شبيها بالنهب ، فكيف يترك معرفة هذا المسلمون وهو من فروض الكفايات

(١٠) إلى أنذر الأمم الإسلامية بأنهم إذا أهملوا العمل بما في كتابي هذا فإن هذا القرن يكون آخر قرونهم في الأرض

(١١) أفلا ينظرون كيف اخترع (المستربالي) زجاجا سها (زجاج بلاس) وهو زجاج لا ينكسر ومنه تدخل الأشعة فوق البنفسجية من الشمس لتنتفعا في الصحة بخلاف زجاجنا المعروف وهو مصنوع من مواد أرخص من المواد التي صنع منها زجاجنا ، وسيصنع من هذا الزجاج ألواح هيئة قشر السلحفاة وأقلام لن تنكسر وهكذا

(١٢) فبأيها المسلمون ، عليكم أن تجتدوا في الأعمال حتى تلحقوا الأمم ثم تكون هناك أجيال بعدنا إسلامية متحدة مع الأمم في رقي أهل الأرض . انتهى الكلام على ملخص المقال العام الذي سيكتب في سورة فاطر كما تلخصت قبل ذلك ﴿مرآة الفلاسفة﴾ التي سيكتب في سورة القتال عند قوله تعالى - فاعلم أنه لا إله إلا الله - اه

﴿جوهرة في بعض سر الطاء والسين في قوله تعالى - قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى -﴾
هنا السين في - وسلام - والصاد والطاء في - اصطفى - والحرمان الأخيران من واد واحد لأنهما من حروف الطباق وهي الصاد والصاد والطاء والطاء ، فسلام مبتدأ بالسين واصطفي مبتدأ بحرفين من واد واحد وهما الصاد والطاء المذكورة في - طس - في أول السورة ولا عبرة بالهزمة لأنها رائدة للتوصل للنطق بالسكون وهذا تذكرة بالسلام للصطفين وفتح باب لفهم مأسأسمعه لك

إن الانسان على الأرض دائما في اضطراب مادام جاهلا بنظام هذا العالم وما مبدؤه وما مبدعه وما نهايته ونهاية الأرواح وأكثره يشك في مستقبل هذه النفوس الانسانية ويسمع بالزلزلة وبالوباء وبالجهرب وبفتك الحيوانات الدرية في الانسان ، ويرى هذا العالم كله اختلاطا واختباطا ولا نظام فيه ولا أمان غاية الأمر أن المؤمنين بالبيانات يسلمون تسليما ولا يفكرون والمفسكرون منهم يقعون في هذه الما زق فإذا فكروا في هذا نشأت لهم وساوس وأحسوا بالألم النفسي وزايلهم السلام والأمان فنفسهم في وحشة وإن ظهروا مستأنسين وقلوبهم في غم وإن كانوا في ظاهر أمرهم فرحين ، وهؤلاء متى عرفوا الحقائق واطمأنت نفوسهم إليها وركنوا

لما أحسوا بالسلامة والامان وأيقنوا بأن من يسوسهم في الدارين رحمن رحيم لا يهزى عليهم إلا ما هو خير لهم عاجلا أو آجلا ويرون الموت والمرض والفقر وأشباهاها أعراضا زائلة كما يعثر الأرض بقول وحقها هذا نزل عليها الماء اهتزت وربت ، فهؤلاء هم المصطفون الأخيار الذين تسلم نفوسهم من تلك المهلكة في هذه الحياة وخيرها ، وهؤلاء هم الذين قال الله فيهم - لا ينزهم الفرع الأكبر - الخ - ذل فيهم - الذين تنوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم - الخ - وقال فيهم - والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار - والقرآن يفسر بعضه بعضا ، فهذه الجلالة جاءت فيها السنين والظلمة والاصحاح لصادق السنين والطاء ذكرنا في أول السورة لتوفيقنا لآيات الأخرى . ولما ذكر السلام والاصطفاء أعقبه بالدروس التي يدرسها أولئك المصطفون فذكر السموات والأرض والمطر والحدائق والأشجار والأنهار والجبال والبحار والبراريخ بينها واجابة دعاء المضطر والمهداية في البر والبحر وارسال الرياح ، فهذه الطائفة التي أفضت عقولها بهذه العلوم والحكم تكون مصطفاة وأنفسها تعيش في سلام وتوحي في سلام كما قال تعالى في عيسى عليه السلام - وسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا - وهذا السلام هو الذي يقوله المسلم في التشهد فيسلم على نبيه وعلى نفسه وعلى الصالحين من الأمم ، ومثل هذه النفوس المصطفيات هي التي إذا صلت وقرأت - اهتدوا الصراط المستقيم - صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم - لا تفهم معنى الغضب كالذي تفهمه على غضب الناس لأن غضب الناس انفعال ورحمتهم انفعال ولكن غضب الله ورحته لا انفعال فيها بل الله مزمع عن ذلك وإنما هدم شؤون النظام والتدبير والاحكام في الخلق سميت رحمة في حال وغضبا في حال بحسب مراتب الموجودات لاغير ويفهمون ذلك من تسبيحهم في حال الركوع والسجود فالسليم يقول ﴿ سبحان ربى العظيم ﴾ ويقول ﴿ سبحان ربى الأعلى ﴾ ويفهم من ذلك المصطفون انه مزمع من الغضب الانفعالي ومن الرحمة الانفعالية عند قراءتهما الفاتحة (ففيها ذكر الرحمة وفيها ذكر الغضب وفيها تقديم الرحمة على الغضب للإشارة الى قوله تعالى - ورحمتي وسعت كل شئ - والى ماورد في الحديث ﴿ ان الرحمة سبقت الغضب ﴾ لأن هذا نقص في العباد والله كامل حكم التدبير منظم الشؤون ، وهذه الطائفة حين تعرف هذا توفيق بأن نفس الصلاة فيها رموز وعلوم وحكم وكلما ارتقى الانسان فيها زاد علما كما قال تعالى - وكل رب زدني علما - فالسليم وهو يقرأ الفاتحة يفهم معنى الرحمة والغضب اجالا فإذا ركع وسجد فهم أن الله مزمع عن صفات العباد بالتسبيح . ومن أعجب العجب أن يقول في هذه الآية - وقال الحمد لله وسلام - الخ ثم يقول في آخر السورة - وقال الحمد لله سريكم آياته فتعرفونها - فهنا أمره بالحمد وجعله مصحوبا بالسلام وأردفه بالدروس التي يتلقاها المصطفون وفي آخر السورة أمره بالحمد وأنبهه بنفس الدروس اجالا وهي انه سريهم آياته وانهم يعرفونها . ولاجرم أن الدروس التي جاءت في هذه الآيات هنا بعض الدروس المجملية في آخر السورة

الله أكبر . تبين هنا أن السلام بعد الحمد ولاحد إلا على نعمة والنعمة مذكورة في هذه الآيات هنا مفصلة وفي آخر السورة مجملة وهذا قوله تعالى في سورة أخرى - دعواهم فيها سبحانه اللهم وتحمينهم فيها سلام * وأتو دعواهم أن الحمد لله رب العالمين - واعلم أن الحمد مصحوب بالسلام المتبوع بالآلاء والنعمة فيما نحن بصدده وبعده الحمد التي في آخر السورة وقد بيناها الآن كأنهما تطبيق أو نتيجة لما جاء في قصة سليمان في أول السورة إذ حمد الله هو وداد على نعمة العلم وأن الله فضلها على كثير من عباده المؤمنين ، فهما جدا الله على نعمة العلم وهما أمراني ﷺ أن يحمدا الله مرتين وذكر بعد الحمد المعلومات فاجاب لأسرار القرآن ، فتبين أن السلام يذكر مع الحمد والحمد لا يكون إلا على علم بالعمود عليه حتى يذعن القلب ويفرح بالنعمة . إذن فليعلم المسلمون أن ديننا دين حمد ولا معنى للحمد إلا على نعمة ولا تعرف النعمة إلا بالتعليم ، فليعلم المسلمون كل علم ولين يدوا على الأمم والأفلاخا من هذه الأرض لانهم لا أمان لهم في الدنيا لانهم يحلمهم

نواميس الوجود لا يقربون على مقاومة الأمم وهكذا يكون علاؤهم مضطرب في الآراء في الوجود وفي الأنفس الإنسانية ونهاية هذه الدنيا . هذا ما فتح الله به يوم الجمعة ٣١ مايو سنة ١٩٢٩

(المستنبطات التي وجدت بين سنة ١٧٠٠ وسنة ١٨٠٠ ترجع الى الأدوات والآلات الميكانيكية)
(فأمام مستنبطات العصر الحاضر فأكثرها كهربائي أو كيميائي معدني)

كتب كاتب أمريكي في مقتطف أكتوبر سنة ١٩٢٨ يقول مانسه

(١) في الولايات المتحدة خمسة ملايين آلة لاسلكية مستقلة

(٢) ألفت فيها شركات لنقل الصور الفوتوغرافية بالتلفراف السلكي واللاسلكي

(٣) وقرب الوقت الذي تنق في اذاعة الصور المنحركة كما تداع الخطب والأغاني والقصص وتستقبل

(٤) وقرب الوقت الذي يمكن فيه توزيع القوى الكهربائية فتلقطها البواخر في عرض المم والطيارات

محلفة في الفضاء

(٥) والأشعة التي فوق البنفسجية قد كمن في أمواجها فوائد صحية جزيلة ، وقد ألفت شركات لتوزيعها

بعدا تفان آلاتها فضاء بها المصابيح في السور والمكاتب والمعامل والمدارس تقطعي الناس قوى حيوية جديدة

(٦) ويسمى الناس زرعهم من الأشجار المستكنة في الهواء بسبب الكيمياء

(٧) ويسمىون جوارب حريرية وأدهانا مختلفة من الأشجار

(٨) والمادة التي تصنع بها السيارات تصنع منها الجوارب الحريرية والمفرقات والجلد الصناعي وهكذا

(٩) ثبت أن (معدن الكروم) اذا أضيف الى الصلب صار الصلب قاسيا جدا لا يصدأ فاستعمله يوفو

على الناس ملايين يخسرونها بسبب الصدأ

(١٠) والنفط يستخرج الآن من الفحم الحجري ومن القار بأسلوب كيمائي ، وذلك في ألمانيا بأسلوب

(برجوس)

(١١) وقطران الفحم الحجري يستخرج منه الآن أصباغ عجيبة تفوق التصوّر ، فهذه ملابس السيدات

الزاهية الألوان تصنع بأصباغ تستخرج من الفحم الحجري وفي المستقبل يحجب أكثر في هذه الألوان

(١٢) « مستقبل الطيران » - إن الطيران سيوصل الناس الى أخصب بقاع الدنيا وإلى حراج غيباء

لا يقيم الناس لها وزنا وستزيدهم ثروات طائلة بسبب الطيران

(١٣) النور الآن متحد مع الحرارة فتخرج ٩٦ في المائة من القوة يذهب في الحرارة و ٤ في المائة يعطى

ضوا ويسمى الناس من قلب الوضع فتسكون ٩٦ للضوء وللحرارة واذن ننار المنازل بجزم من عشرين

جزأ مما نستعمله الآن من الكهرباء ويتم ذلك بعد مائة سنة ، وفي ذلك الوقت تتولد الكهرباء بآلية من ضوء

الشمس رأسا لامن الفحم الحجري ولامن الماء المتحدر أو من قوة المد والجزر أو من حرارة باطن الأرض

(١٤) في كثير من البلاد ينابيع حارة ، في هذه الأماكن ستصير هناك مدن عظيمة لأن حرارة باطن

الأرض تستخدم حينئذ لتوليد الكهرباء والكهرباء هي سر الصناعة الحديثة

(١٥) وفوق هذا وذاك قوة الشمس ولا يعوزها إلا آلة تمتص الحرارة ولا تشعها ولم يوفق الناس الى الآن

لاختراع آلة تمتص الحرارة ولا تشعها ومتى وفق الناس لها أصبحت هذه مصدرا هائلا للقوة الهائلة الرخيصة الثمن

(١٦) إن المستنبطين الى الآن لم يعكفوا على استخدام المدو الجزر في توليد القوى بجهد وعزيمة

(١٧) قد استحدثت الناس آلة لاستحداث أصناف جديدة من النباتات والخضراوات والأثمار والأزهار

والاستاذ (برنك) أكبر مستنبط في هذا الميدان كان (اديسن) أكبر مستنبط في الكهرباء بآلية

(١٨) استنبط (برنك) مئات من الأنواع الجديدة من الأثمار والأزهار وأدخل فيها صفات لم تعرف من

قبل مثل البرقوق (خوخ) لاقشرة قاسية لفواته ، ومثل التين الشوكي الذي لاشوك في أغصانه ، وعنده أن الاستنباط هنا فوق ما استنبطه (الديمن) و (ماركوف) و (بيل) و (فورد) وغيرهم (١٩) وسيتدع الناس وسائل تغير الخمر فتجعله صالحا لأحوال زرعهم بإدارة زر كبير باقى ولانما منع علماء الزراعة من أن تكون أثمار الفواوله حجمها كحجم البطاطس وحجم الكرز والبرقوق (الخوخ) والتفاح كحجم رؤس الكرنب

(٢٠) وعند المهندسين الآن آلة لاسلكية تبعث في الفضاء أموجا صوتية خاصة فتفجر مقداراً من الديناميت على بعد (٢٠) ميلاً أو (٣٠) بشرط أن يكون في الديناميت آلة تقبل هذه الأصوات ، وأمثال هذا الجهاز يستعمل في البحث عن المعادن بحيث تكون الأرض التي لامعادن فيها لاتعوق الأصوات المذكورة فتصل في الوقت المعين لها وإن أبطلت دل ذلك على رواسب المعادن التي أخبرت هذه الأصوات

(٢١) وسيفوز الإنسان بالطعام المركب تركيباً كيمياوياً . قال وفي السنة الماضية أدب أحد أصدائي مادة لجمهور من معارفه وجنح طعامها مرتبة في العمل الكيماوى مثل (الأوردوفر) و (الابن والقشده) و (اللحوم) و (الخضراوات المختلفة) و (الشوربه) وهكذا الأثمار والمثلوجات وأصناف الحلوى ولم يكن للفلاح ولا للبستاني أثر في هذه المادة

(٢٢) إن في الجوهر الفرد قوة هائلة مدخرة . ويقال إن الهيدروجين في الماء الذي يملأ ملعقة شاي واحدة يولد مائة ألف كيلومن الكهر بائية وتسارى قوتها ١٣٣٣ ألف حصان فإذا أطلقت هذه القوة واستخدمت استغنى الناس عن الفحم استغناء تاماً وحينئذ تقطر القوة اللازمة لإدارة معمل كبير كما تقطر القطرة في العين (٢٣) إن العدد في الأجسام لها علاقة بالحياة والصحة والاعواقف والصفات الأدبية كالشجاعة والمضاء ولابد أن يصلوا إلى إطالة الحياة وربما يكون الرجل في نشاطه الجسدى وعقله الذى حينها يبلغ المائة من العمر انتهى ما أوردته من مجلة المقتطف وبه تم تفسير سورة الفل والجد لله رب العالمين

تم بحمد الله وحسن توفيقه الجزء الثالث عشر من كتاب الجواهر في تفسير القرآن الكريم
وبليه الجزء الرابع عشر * وأوله تفسير سورة القصص



(الخطأ والصواب)

فلما التصحيح فئاتنا سقطوا أشياء أخرى يدركها القارئ بلاتنبية وهذا جدول مما عثرنا عليه من ذلك

صواب	خطأ	صفحة	سطر	صواب	خطأ	صفحة	سطر
توحى	توحى	١١١	٢٢	البان	البكن	١٠	٢٢
ازدات	ازدان	١١٣	٦	وثانيا ليدل	وليدل	١٧	٢٤
بجماعات	بجموع	١١٣	١١	كشفا	اكتشفها	٢٦	١٧
المطلوب وهناك	المطلوب	١٢٧	٢٩	هز	هز	٢٨	٢٢
فهو	وهو	١٢٧	٢٩	جاء بعض غلط في كتاب « المختار في كشف الأسرار » في النسخة التي نقل المؤلف منها فتركناها بخاطها من صفحة (٣٢) الى صفحة (٣٦)			
أن ينال	ينال	١٣٠	٣٠				
ودخلها	ودخلها	١٣٧	٣				
دروب	ضروب	١٣٧	١٧				
ما	في ما	١٤٦	١٥	أخرجها	أخرجها	٣٧	٢٦
كنش	للقوم	١٥٨	١٦	لم يسقط	سقط	٤١	٢٠
ع	من	١٧٥	١٠	حسن	حسن	٤٩	٤
وكثرت	وفتت	١٨٣	٦	قيل	بين	٤٩	١٢
والرؤساء	أوالرؤساء	١٨٩	١٩	مشابه	مشابه	٥٠	٦
نها	نها	١٩٣	٤	مرتبطان	مرتبط	٥٢	٢٧
والجايه	والجايه	١٩٣	٦	استمرت	استمرت	٥٧	٦
غيرهم	غيره	١٩٦	٢٢	سد	صد	٥٨	٢٠
١٩٢٩	١٨٢٩	١٩٧	١٩	أيها الفقراء	أيها الأغنياء	٧٧	٥
النفوس أحسن	الغرض	١٩٧	٣٣	قسما	قسم	٧٧	١٥
الله	الله الله	٢٠٨	١٢	ليستخرج	ليستخرج	٧٩	٢٦
ليحذروا	ليحذرو	٢١١	٦	انخفضت	انخفضت	٩٠	٣
طريق	طريقه	٢١١	١٦	فهذا	وهذا	٩٥	٣٤
ثمرة	ثمرة	٢١٥	١٨	منسأه	منسأه	١٠٧	٧
يتنازلها	يتنازلها	٢١٥	٣٤	سألت	سألت	١٠٧	١٣
برون	لا برون	٢١٨	٢٠	وتم	وتم	١٠٧	١٣
طرا	طرا	٢٢٣	١٤	اتقوا	اتقوا	١٠٧	٢٣
جديرة	جديرة	٢٣٣	٦	الشمس	الشمس	١١٠	١٢
قدمهين	قدمن	٢٣٩	١٧	وما قبلها	وما قبلها	١١١	٦
				لعمرك	لعمرك	١١١	٢٠

(تم)

الجزء العاشر

من كتاب الجواهر في تفسير القرآن الكريم

صفحة

- ٢ تقسيم سورة الشعراء الى (٦ سبعة أقسام) ذكر القسم الأول مشكلاً الى - وان ربك هو العزيز الرحيم -
- ٣ التفسير اللفظي لهذا القسم
(الطيفة) في معنى - طمس - ومعنى - كبحص - كاف زكراً وهاه هزئاً ويا، يعجب وعين عيسى وصاد صديقاً وطاء لأقطع وأطمع ومعنى الرحيم
- ٦ ﴿الآيات في النبات﴾ الآية الأولى ﴿تنفس النبات﴾ الانسان والحيوان يفرجان بالتنفس الكاربون (الفحم) وهذا يفسد الهواء والنبات يصلحه لأنه يتنفس به عليه مادة الحياة (الأكسوجين) ولولا ذلك لمات كل حيوان على الأرض بالاختناق ﴿الآية الثانية﴾ ان النبات كايخرج بالتنفس الأكسوجين بالنهار يخرج حامض السكر يونيك بالليل ﴿الآية الثالثة﴾ أن النبات يتصاعد منه بخار كما يصعد من البحار وكما كثر الشجر في بلاد زاد المطر فيه، إن الندى الذي على سطوح الورق ليس من السماء بل هو من البخار المتصاعد من نفس النبات ومن النبات ما يتصاعد منه مضاعف وزنه بالليل والنهار . نبات الأباريق يشرب الناس منه الماء ﴿الآية الرابعة﴾ ادرس الأشكال الأربعة في صفحة ٧ والشكل الخامس في صفحة ٨ ففيها اوضح مسألة الانقاص فوق ما تقدم في الأنعام والحجر وغيرهما وبيان أعضاء التدكير والتأنيث الاسدية والمدقات وقد يكون القسبان في زهرة وقد تكون الاسدية على زهرة والمدقة على أخرى في نبات واحدة كالخيار وقد يكون أحدهما على شجرة وثانيهما على أخرى كالصوبر . بيان الزهرة السكامة القانونية المنتظمة وبيان زهر العليق والحجازي . جمال العلم والحكمة ﴿الآية الخامسة﴾ اهتزاز النبات عند التلقيح
- ١٠ النبات يحس ويتحرك . النبات يحس بالسموم والأفيون فيموت بالأول وينام نوما جماعياً بالتأني وحامض (البروسيك) يسم النبات . النبات الحساس يتكشأ اذا لامسته وورق الخس اذا هيجت أطرافه درت بعض عصاراتها ﴿الآية السادسة﴾ نبات (دسموديا) بالهند تتحرك فيه ورقتان متى أشرقت الشمس عليه فيكونان كعقرب الساعة ، والنبات المسعى مصيدة الفار اذا وقعت عليه ذبابة انطقت أهدابه عليه ﴿الآية السابعة والثالثة﴾ ان عضو التدكير والتأنيث يقترب أحدهما من الآخر زمن الانقاص وهما يهتران وقد ينطفأ أحدهما دون الآخر ، وبعض الأزهار المائية تطفو نهارة على سطح الماء وتغوص بالليل ، وقد يكون لاطلع أجنحة أو أهداب يسبح بها أو يطير في الهواء ﴿الآية التاسعة﴾ شجر المسافرين في (مداغشكر) لالواحدة (٢٤) ورقة وتحت كل ورقة ما يشبه (القارورة) فيشقها المسافر ويشرب ماءها وأيضاً شجرة اللبن يستخرج منها ما يشبه القشدة وفيها كثير من شمع كشمع العسل وتقوم في (فترويان) حيث يقل المطر وهو كالقشدة المحلاة وقد يتجمد كالجبين ، ومن النبات ما يستخرج منه ما يشبه سق القيل

بيان أن هذا هو المقصود من آية - أولم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها - الخ
 ١٢ الزهر إما دوسكن وإما دوسكنين وإما كثير المساكن والنبات (٢٤) رتبة أحادي أعضاء التذكير ثنائيا
 ثلاثيا إلى عشارها وهكذا . إذن الزهرة أشبه بمرور الهجاء فقد توعت باختلاف أعضائها على مقتضى
 تنوع النبات البالغ (٣٣٠) أنف نبات فهي كهم الإنسان جمع (٢٨) حرقا أو أقل أو أكثر فعبثت عن
 كل الموجودات

في القسم الثاني مكتوب شكلا من قوله تعالى - واذا نادى ربك موسى - إلى - وان ربك هو العزيز
 الرحيم - . التفسير اللفظي لهذا القسم

١٦ نبينا ﷺ يقول في القرآن بطريق الوحي يا أيها الناس اعبدوا ربكم الخ . يلفت العقول إلى الهجاء
 الكونية موسى عليه السلام يذكر لفرعون خلق السموات والأرض وخلق الآباء الأولين الخ ولما لم
 يفهموا عجائب الكون رجع كلامهم إلى المجازات ، فالتبى ﷺ رجع إلى البلاغة فقال الله - وان كنتم
 في ريب - الخ وموسى هرع إلى إبطال السحر بالقضاء الخ

١٧ تفسير قوله تعالى - قال فلا حول - إلى قوله - وان ربك هو العزيز الرحيم -

١٩ جوهرة في قصص القرآن من كلام الإمام الشافعي وأن التمكن درجة الأنبياء بعد المحنة ولابد لها من
 الصبر . وبيان أن العالم إنما هو من يتمكن في علم واحد ثم يتعرض لسائر العلوم . وجاء في الحديث
 الصحيح أن النبي ﷺ وصاحبه ذهب إلى أني الهيم فأطعمهم لحم الشاة ونخيل الشعير وشربوا ماء فقال
 ﷺ - لتسألن يومئذ عن النعم - وأن حال الصعوبة في الفقر خير من حالهم إذا سرت بيوتهم كالكمية
 وغدوا في حلة وراحوا في أخرى . وبيان أن لفرعون قاس وكتاب الكون الخ الهندى ينسجون هذا النحو

٢٠ أقوال علماء العصر الحاضر في التاريخ ، وبيان أن التاريخ وإن كان في ظاهره لا يأتى بدهم ولابد من
 لاهو ولا علم الشعر والأدب ، هو في الحقيقة متى كان منتظما يثير القوى من مكانها ويدفع الشعوب للرق
 بمقاييس الحاضر بالغائب ، فقارئ التاريخ كالطائر في أعلى طبقات الجو ومقارنة الزمان الحاضر بالماضى
 يفيدنا رقبيا واعتباريا . وقال فون سيل - إن من يعرف من أين لابد أن يعرف (الى أين) والسياسى
 الذى يجهل الماضى يتجهج الخطط التى يجهل نتائجها . وتبدأ جندي بنى (أميراطور ألمانيا) إذا خسر
 الحرب قياسا على نفي نابليون والفضل في ذلك للتاريخ ومعرفة التاريخ تعيين الأفراد على معالجة شؤونهم
 ومن يدرس من النتائج لخيبة آتال غيره فهو جاهل بالتاريخ ، فالأحوال مختلفة ودراسة التاريخ تبعث فينا
 اهتم لاداء الواجب . إن سيرة (الاسبانيين) في مضيق (ثرمبولى) تهيج الشجعان لخط الأوطان
 وتفوق الرومانين على يدى هنبال بلعب الحساسة فينا . التاريخ فلسفة تعلم بضرب الأمثال فيوقع جليل

٢٢ السحر عند الفراعنة . لقد كان للسحر عندهم منزلة وهالك قصة منقولة عن الورق البردى عن الأسرة
 التاسعة عشرة وهي ان فتاة أحد الملوك طلب أبوها من رمسيس الثانى أن يرسل له العبود (خونسو)
 فأرسله وأخرج العفريت من الفتاة وشرط العفريت أن يصنموا له مهرجانا لوداعه فأجابه ثم رجع العبود
 إلى مصر بحيلة . وعندهم عزائم يتلوها الأطباء للشفاء من المرض وهناك عزيمة تتلى إذا كان السوء من
 الباطن يقال - هلمى أيها الأدوية واطردى الأوجاع من قلبى ومن أعضائى الخ . وهناك عزائم لا يباد
 اطوام وللحيلة والقبول ويتلون شخصا على هيئة العدو ويقتلونه ويتلون العزيمة فيحصل للعدو ما حصل
 للصورة في زعمهم

٢٣ ثلاث محادثات بين الملك (خوفو) باني الهرم وبين أولاده الثلاثة إذ قال ابنه الأول ان أكبر علماء السحر

في زمن الملك نيقا عشقت زوجته رجلاً وأهدت عذاباً وحللاً بها في بستان زويتها فلما علم الساس بملك صنع صورة تمساح من الذهب وصنعه بألوان الخاتم على الزاني بزوج الساس صورة التمساح المشبه بهين أن ليفعل فالتقم التمساح الزاني وناص به في داء البركة ثم طلب الملك من الساس أن يذبحه فأتاه على هذا الرجل فقتل فأخبره الخبر فأمره بإرجاع الزاني في بطن التمساح وإسراق المرأة وقبض على الثاني خبير الفلاح المصري الساس الذي عاش (١١٠) سنة ورأى رأس الإنسان بعد قتله فوجس الموتى وأنضع له الأسد ويعرف حساب (أبت) وأنه من الميود (قوت) فأرسل لأحضاره فطعموا رأس أجرة وفرق بينها وبين الجثة وبالزينة وجعلت الرأس الفرجس وصاحت الأجرة ثم قمن إلهما التمساح الملك (سفرهم) إذ ركب في سفينة بالركبة يمشي بها (س) فأتاه بجواز من خشب النخيل الخلي والذهب وهن مدقان بمائة الجبال والخلي والحل والكل صفت فائدة فوقع نص (سفرهم) مؤلفه د. إسحق الناصريتين قرأ الساس العينة فاتفق الماء وظهور البحر ورجع إليها ثم رجع الماء لحالته.

٢٦ قدس كتب السحر وأخبار السحرة عند قسما المصريين . وبيان أن القراءة كانوا يتولون السحرة وهم يفسرون لهم الأحلام ولا يذبح الساس إلا بعد المرات الطويل وحسن السيرة ومقاومة الشهوات والتسك بالظاهرة والعفاف وترك أكل اللحم والسمك والاعتكاف في الخلوة وإذ كانوا يتولون بالأمور الخارقة للعادة ويجربون بعض المعينات هكذا جاء في «أدب الدنيا والدين» عند قسما المصريين

٢٧ جمال العلم وبرهجة الحكمة في كتابين أطاع عليهما المؤلف ، فأولهما كتاب «السحر الحلال» وفيه فوائده (١) مثل جعل رأس عميل مطبوخ يبع على المائدة كأنه سقي بواسطة المنقذنة إذ توضع في الرأس للطبوخة (٢) ومثل عمل برق في حجرة بالعرق مع الكافور (٣) ومثل أحداث قوس قزح بفتح الماء (٤) ومثل جعل الورق غير قابل للاسراق بنفسه بماء الشب (٥) ومثل تسكين شراب حتى يضيء في الظلام وذلك بإدخال الفوسفور في القنينة (٦) وحفظ الزهر حتى يظهر في غير أوانه (٧) وغليان حامض التريك بدون نار (٨) وتغيير لون الماء (٩) وتغيير هيئة جماعة في مكان (١٠) وتغيير لون طائر أو شيء زهرة (١١) وجعل صينية القهوة تدور من نفسها ظاهراً على الجلاس (١٢) وكيفية وضع شيء في العين وإخراجه من الدم كما يفعل المشعوذون (١٣) وتحويل فصل سكن من الفولاذ إلى نحاس أصفر (١٤) وكيف يكون الفولاذ كأنه سائل (١٥) كيفية اصطناع الجليد من الماء في فصل الصيف (١٦) سر خاص في عدد ٣٧ فإنه يضرب به ٣ و ٩ والخ فيخرج حاصل الضرب هكذا ١١١ و ٢٢٢ و ٣٣٣ وهكذا (١٧) طريقة للكتابة بحبر يظهر ويختفي (١٨) طريقة لأجل الكتابة بالاحبر (١٩) كيفية مندبل يدل على الخطر أو مندبل غير قابل للاحتراق ، وكيفية سمك النار ، وكيف تطير البضة ، وبيان عمل الحبر السري ، والخبر الذي ينظر لافقط ، وكيف ينزع الحبر من الثياب ، وكيف يكون اهلاك البراغيش والصراصير وطرد النمل ، وكيف يكون ضوء الفوسفور . هذا هو ملخص كتاب «السحر الحلال»

٣٢ والكتاب الثاني هو «الخمار في كشف الأسرار» وفيه كشف أسرار من ادعى النبوة مثل اسحق الأخرس الذي قام بأصفهان أيام السفاح وملك البصرة وجمان ثم قتل يومئذ كان ذكياً وتعلم العلوم ثم ادعى الخرس ونزل بأصفهان الخ

٣٣ ومثل (ستان) وهو من الاسماعيلية وقد حكم بمسياط وتحيل على الناس بأن تظاهروا بأنه قتل رجلاً ثم أحضر الناس في مجلسه وأظهر رأس هذا الرجل وهو لا يزال حياً وحوها دم وهو محجوب في الأرض جميعه إلا رقبته فاستنطقه فأخذ يقول أنت المقرب لله الخ ثم لما قام الناس قتله ثلاثين سنة فبهذه أمثاله

جعلت النور طافسين له بحيث يتناولون أن يتقوا من فوق الجبل على رؤس الأسنة متى أمرهم لأنه يدخلهم الجنة متى أمرهم . ومثل (فارس بن ربيعة) الذي ظهر في مصر بناحية (تفيس) وأدعى أنه كيميى عليه السلام ويرى الأرض والأجسام والأعشى وكان ياطح قدمه بسبب القضاء مع ما خرج من الأذى مع دهن الياسمين الخ وعشي في الماء فبأق السمنة اليه

٣٥ الكلام على الشيوخ السكاذبين الذين ليسوا من أمثال الخفيد وهو في الدرجة الأولى ولأمن أمثال الشيخ أبي الفياض وهو في الدرجة الثانية من أصحاب الاسماء بل هم من الدرجة الثالثة المنسوبة مثل أولئك الشيوخ الذين يزولون في النور وهو متقد نارا فيغيب الواحد منهم ساعة ثم يخرج منه ومعه طاجين سمك مقلو أو دجاج محشو أو خروف مشوي الخ وذلك لأن يكون فيه صانع في داخل مقسم من الحائط الخ فيدهش القوم ، أو الشيوخ الذين يسخون النار وقد أدهوا يدهن الضفدع مع البارود الثلجي فلا يحسبون النار ، أو الشيوخ الذين يأخذون البريق الفارغ فيملؤنه ماء بحيث يفرغون الماء فيه سرا من مخرج غم مدبوغ مخبأ تحت القميص من السم إلى السم ، أو الذين يوقدون الأصابع العشرة فتكون كالشمع وذلك يدهنها يدهن نزول التنور ثم بالتقطيع يشعلونها ، أو الذين يتحشرون لسكر جالس ما يطلبه من الطعام إذ يدخل أحدهم الخلوقة ويدعو الله فيه يحضر ذلك وما أحضره إلا الجحام الذي يرسله ومعه البطاقة ترسل للعجوز في المنزل ، أو الذين كراماتهم أكل الحيات أول النار ، أو الذين يغمسون التبدل في الخرمل فذا وقف على المنبر ورواه مسج وجهه بالتبدل فيطلت الدموع ، وهكذا الرهبان يأكلون أموال التمارى فيقتدي بقل في الكنيسة بيت القسيس وقد خرف ذلك ابن ذلك العادل يوم سبب النور

٣٦ عمل أهل الكيمياء وبين حيلة الرجل الجهمي على السلطان نور الدين بن زنكي إذ جعل الجهمي ألف دينار في بنادق ووضعها في مخلاة وأبعثها من عذارى يهرام معدودة ثم أظهرها بالعلم والصلاح حتى عرفه الملك وقد اشتهر الرجل بأنه يستخرج الذهب لأجل محاربة التمارى بأسي ذلك فأحضره الملك وخلاه به وظهر له الذهب في البنادق المتقدة على النار فصدقه وأرسله ليحضر مثلها بزعمه من بلاد الجهم وأعداه مالا جز لا فأخذه ولم يرجع

٣٧ بيان السبب في ذكر ما هو كالحرفات هنا وذلك في خمسة أسباب ١- وذكر خواص النفس الانسانية في قوة الارادة ، وذكر خوارق العادات على يد الصوفية وعلى يد أهل الطلسمات الذين قابلهم ابن خلدون إذ يمجنون الغم والذين يأكلون الشاة بغير ذبح ، وبيان أن هذه الآيات زلت لتعلم الناس أن القائمين بالحق لا يظلمهم غالب ، وبيان أن للخيال تأثيرا عظيما وهذه لها اتصال بنظرية (اينشتين) التي أعلنتها سنة ١٩١٥ وهي أن هذا الكون كله لا جسم فيه البتة ولا شمس ولا أرض وإنما هناك حركات في الأثير ظهرت آثارها في حواسنا الخمس ، أنها أجسام اختلفت آثارها باختلاف تلك الحركات لاغير ، وما العوالم إلا الأطول والعرض والعمق والزمان لاغير . خطاب للأئمة الاسلامية ليبيان أن هذه هي التي اتخذها المسلمون سلما لاستعباد المسلمين فأبوههم جاهلين . ذكر (سديوالفرنسي) أن آخر رقباء السكرمانية كان يصرف تصرفا مطلقا في أتباعه ثم تبعه في ذلك حسن بن الصباح وأتباع هذا لا يزالون في الهند إلى الآن ، وقد ظهر في القرن الحادى عشر الميلادى وملاك عدة قلاع واستوطن قلعة الموت قرب قزوين وأمر قومه بشرب الخنثى فهم الحشاشون ، ومعافم أن أنا ممنون بالهند في زماننا من أتباعه . فرقة الراوندية عبيدوا المصور فخار بهم لذلك وحاربوه ، فعلى المسلمين قراءة التاريخ

في القسم الثالث والرابع في من قوله ... واتل عليهم نبأ إبراهيم - إلى قوله ... وإن ربك هو العزيز الرحيم -

التفسير اللفظي

- ٤٥ جوهره في قوله تعالى - وإذا مرضت فهو يشفين - أصل الطب لا يعيدو ﴿ ثلاثة أحوال في التجربة الإلهام المصادقة والاتفاق ، وحكاية المرأة التي احتسب حبيسها فأنقذت الراس فشفيت ، وحكاية الرجل الذي وضع السكبد على ورق نبات فشلت فأرشد الناس إليها فقتله الملك ليعين الضرر يترافا لهم بيان النبات الذي يشبه الناس فيكون العاف ﴿ الحال الثانية ﴾ الإلهام بالرؤيا المصادقة
- ٤٦ رؤيا جالينوس إذ أمر بفصد العرق الضارب ففصده فشفي وهذا الرجل الذي انتفخ لسبه فأمر في الرؤيا أن يمسك عصارة الخس في فمه فبرأ ، ورؤيا الرجل الذي كان في مناته حجر عظيم فأمر في المنام بتعاطي رماد طائر ففعل ذلك فخرج الحجر مفتا ، وبعض خلفاء المغرب رأى النبي ﷺ يأمره بالآكل والادهان بزيت الزيتون ففعل فشفي ومنه رؤيا عبد الملك بن زهر إذ أمر أن يكتحل بشراب الورد ففعل فشفيت عينه
- ٤٧ ﴿ الحال الثالثة ﴾ الاتفاق والمصادقة وأن ذلك أفاد أن كل سم حيوان يمنع ضرره نفس له ، وأيضا هذا الحجم يشفي كل مرض مزمن كالجحم الحيات إذ تشفي البرص والجنام . وهناك ﴿ حال رابعة ﴾ مثل سائلة النطاف إذا أصيب فراخه بالبرقان يحضر حجرا أبيض في عشه فيأخذه الناس للبرقان ، وهكذا العقاب يحضر حجرا يعرف بالقلقل لأنشائه سهل على أنشائه بيضا ، ونبات الرازيانج تحرقه الحيات على عيونها إذا أغلقت بسبب اختفائها في الشتاء فانفتح الناس بذلك والطائر (ايس) علم الناس الحقن
- ٤٨ البازي يتداوى بأكل كبد طائر معلوم ، والسنابير تأكل الحشيش فإذا أمرضها أكلت الخوص فشفيت بالتمتع ، وإذا نالها أذى بالسموم عمدت الى السبرج ، والسفلى قضم بالهام فتحرق حشيشة أخرى فشفي . والمعزى البرية رميت بالنبيل فأكلت نباتا خاصا ففساقت الرماح عنها واللقاق بأنى بحشيشة خاصة في عشه يشمها أعداؤه فتعصى . وليت المتنافذ منافذها إذا هبت الرياح . والحباري قالت الأفوي وكما همزمت تناوت من نبات خاص فتشفي فلما قلع النبات مات الحباري . ابن عرس يستظهر في قتال الحية بأكل السذاب . والسبلن تأكله السكابل إذا دودت بطونها . والصقريدوى جرح الملقى
- ٤٩ مخلوطات هيوجليفيه منقولة عن البردي تاريخها ١٥٥٠ (ق.م) وهي بدور خاصة تنبت في الوجه القبلي تدارى التهاب القرنية مع عقاقير أخرى فيها (شكل ٦) الصورة الفوتوغرافية وترجمتها بالعربية وعندهم ﴿ سمان ﴾ أطباء وصيادلة مثل ماني وقتنا الحاضر
- ٥٠ آية - الذي خلقني فهو يهدين - فيها ستة أحوال الخلق الهداية الخ
- ٥١ الهداية على ﴿ قسمين ﴾ فطرية كالغشش وتعليمية تبدئ في الحيوان كالغراب يعلم صغاره الطيران خارج عشه وكالإنسان يعلم الصناعات الخ
- ٥٢ الهداية التعليمية في الطب ﴿ نوعان ﴾ حفظ الصحة ومداراة المرض . حفظ الصحة (نوعان) نوع يختص بالطعام والشراب والهواء . ونوع متم له كالنظافة واستعمال الصابون النقي وهذه (١٢) نوعا مثل غسل الأنف ونظيف الأذن والعين الخ
- ٥٣ السواك وعجائب النبوة وأن النبي ﷺ أمر بالسواك عند كل وضوء وبيان إيضاحه في كتب الفقه
- ٥٤ بيان مصداق النبوة في العلم الحديث وأن الرمد ومرض الجهاز الهضمي والفم والحفيرة والمعدة وسرطان الفم واللسان ونوازل المعدة أنزيمته وتقيح الأعور والتهابات المعلقة الدودية والأنيميا الخبيثة ومرض القاب والروماتزم والجلو وارتفاع درجة الحرارة والضعف وبعض الأمراض العقلية والتدبرن الروى (السل) كل هذه تحصل بسبب مرض الأسنان أو عدم نظافتها والسواك يمنع ذلك إذن هذه مجزئة لنسبنا ﷺ

- ٥٥ الكلام على التعليم الذى يختص بمعرفة الأطباء وفيه ﴿مسألتان﴾ الأولى ﴿ان للانسان أعداء فى داخل جسمه ويتعاطىهم هناك﴾ (فر يقان) جنود معدة لحياى وهى السمات البيضاء والحمراء ، وجنود تدخل عليها ويستطعم الفريقان أمد الحياة كأنها لأجلها ﴿المسألة الثانية﴾ إن قدماء المصريين حرصوا على الحنظل ، ونظروا اليوم بالتصوير أن الدودة الوحيدة فيه
- ٥٦ ﴿الوقاية أفضل من العلاج﴾ المكروبات تصل من المريض الى السليم بالهواء والماء وبالحشرات وبالطعام وبالملازمة وجميع الأمراض بالميكروبات ولكل مرض نوع من المكروبات ، وهى تتكاثر فى المواضع المزدحمة والبرك والخضفة وتقل فى الأماكن المرتفعة الخ ، ويكون فى التراب والأقدار والماء الزاكد وعلى جلد الانسان وفيه . الجسم مركب من أعضاء كل منها له نوع استقلال يعمل للجوع ، فيجب غسل اليدين قبل الأكل وغسل الوجه والقدم وبهذا تدفع الأخطار وتساعد جنودك الحمراء والبيضاء قتل البكتريا . كل هذا يشغل يدك وفك قبل الطعام وبعده . إن ٧٠ من المائة من الفلاحين يصبر مصابون بداء الرهقان والسبب ديدان تدخل الجسم من القمح مع الماء أو الطعام
- ٥٨ حكاية الرجل المصرى الذى دخل المصارف فى رجله وأثرت على عمله فما مضى ١٥ يوما حتى أحس ببس فى فكره وعينه ثم سأل جده ثم مات وكل ذلك لأنه استصغر الأمر جهلا
- ٥٩ تحريم علم الحنظل . أسطورة الحنظل الأسود . ذلك أن (جورس) و (ست) خصمان بينهما الحرب سجال فاحتال (ست) بأن جعل نفسه بهيمة حنظل أسود ونفخ على (جورس) نارا أصابته فى عينه فلذلك آمن (برع) الحنظل وقال ﴿ليكن الحنظل نجسا ومكرها لجورس﴾ وهذا موافق لأطباء الحديث (فانظر شكل ٧) وفيه فضلات من لحم الحنظل محتوية على أكياس الدودة الوحيدة (وشكل ٩) وفيه ديدان لحم الحنظل
- ٦٠ يان اشتراق النور الإلهى فى هذا التفسير إذ قالنى بعد ما كتبت هذا صديق وأخبرنى بأن علماء ألمانيا يقولون إن قوله ﷺ ﴿فر من المجذوم فرارك من الأسد﴾ جعلهم يضحون فوجدوا أن الثورات التى فى جسم المجذوم مخلوقة على هيئة الأسد
- ٦١ اعتراف المؤلف بنعمة الله واعتزافه منها وشكره وبيان أن هذا الزمان هو زمان ظهور الحقائق الإسلامية الكلام على مداواة المرض وهو القسم الثانى من تفسير قوله تعالى . وإذا مرضت فهو يشفين .
- ٦٢ ﴿العلاج بالهواء﴾ الهواء النقي كأنه يحفظ الصحة تعالج به المرضى فالصاب بالقرس يعالج بالبخار الساخن فيعرق وتلين أعضائه وهو (الاستحمام الترى) ومن يشكو حتى شديدة فيجرد من ملابسه وبقى فى الهواء الطلق تنزل الحرارة تعالا ويشعر براحة وحتى أحس بالبرد يلف فى ثوب فيعرق حالا
- ﴿العلاج بالماء﴾ البخار يستعمل فى الحيات والصداع الشديد ، والروماتيزم اذا تبعه الاستحمام بالماء البارد ويستعمل فى الساميل والقرح ويغذى فى التعب الشديد وفى منع الأرق والماء الدافئ يقوم مقام البخار فى جميع ذلك ، ووجع البطن تستعمل فيه القنينة المملوءة ماء دافئا لتسقي البطن وشربه يقي ويمنع الامساك اذا شرب وقت النوم الخ
- ٦٣ (جوردن سبرنج) نسب سمته لشرب كوب من الماء الساخن يوميا قبل النوم . كيفية الاستحمام البخارى الماء البارد يقوم مقام الماء الساخن . التلف بالثوب المبلول بالماء البارد نافع فى الحى والجبرى والأمراض الجلدية والجنون والدوار يشفيان بثوب مبلول فى ملح يلف على الرأس وإذا لف على البطن منع الامساك ويمنع ذلك كثرة الأحلام ونزف الدم من أى عضو يمتصه ذلك وكذا الرعاف يصب الماء البارد على الرأس وأمراض الأنف والزكام والصداع تعالج باستنشاق الماء البارد بهيمة خاصة والحلقة نافعة جدا للروماتيزم

وسوء الهضم والأوجاع في الأمعاء، وأحداث شبيهة بالحمى والتهاب في الأغشية المخاطية، وعند السكران. يقول الدكتور (هييس) الألماني: «إن التهاب الحصى يترافق مع الأمراض في القولون (كروهن) (كروهن) في داء بطني البطن، ذهبت شتى أمراض كروهن في القولون والتهور والتهور والتهور والتهور وحده سببها ويؤمل مرضه بفصله هو واحده من الأعضاء، الماء الداردي وهذا يقول ألبانيس المزملة وكثرة الحصى والضعف والتهور الدموي، السرطان، والحامل باستعمال هذا الاستعمال، ولا تتراكم وهناك نوع آخر من الاستعمال وهو بريق (وت، شيت، باك) وكل هذا أغنية خاصة وشهيرة.

٦٥ ﴿العلاج بالتراب﴾ ينفع في جميع الأمراض والاسهال والتعبان والامساك والادوية المطهرة ووجع المثانة والعين ويغني عن الشراب والأدوية مثل ماء الفواكه.

بيان شروط التراب الذي يستعمل لخبثه وكيفية العمل • علاج الحصى بترفع المارح بولاً ويومين ويستعمل كل يوم من بين على الأقل عبارة (كيهون) المتقدمة وتعمل لبخه الطالين على إنباته وبهائي عصصير الليمون مع وجاء بارد أو حار ولاسكرمه ثم يطفى نصف موزة مع زيت الزيتون • استعمال اللبن أيام الحصى قبل الغرة

٦٧ الامساك والابوستونيا والبواسير وتعالج كلها بفلاح واحد الاتحاد أدائها لأنها كلها بسبب أن المعدة انضغطت بفناء غير مضمود . إن جميع الأدوية المشهورة مضرة جدا بالناس فليجوع المريض (٣٧) ساعة ثم توضع اللبخة الطافية على البطن أثناء النوم ويستحم بالنهار من عشرين إلى ثلاثة (كيوهن) و يمتدئ المريض ساعتين كل يوم والمصاب بالبص لا يأكل شيئا غير عصير الليمون في ماء حار . إن الثمار كالبرقوق والزبيب الحامضة في الامساك المز

٦٨ ﴿ فوائد صحية من كتاب ولسكوكس ﴾ حسن المضغ يمنع البوابرجح وهي (١١) فائدة ومن أعجبها أن عصير البرتقال إذا شرب يوميا يمنع الحرج وأن أكل الفواكه بقرشها متى أمكن أفضل

٦٩ جدول لأدوية طبيعية مثل أن أكل البقدونس ينفع السكبة ، ومثل أن أكل البرتقال والليمون يورث الشجاعة . لطيفة في إزالة سوء الحضم الخ و بيان أن هذا الكتاب وإن لم يكن كتاب طب قد جاء فيه ما هو أعجب إذ يدهش الأذكى إذ يرون الحصى ينفع أنصافنا وأن البرتقال ينفع عنا الخوف وأن الجير الذي في السكر ينفي الجروح والمغذيوم الذي ينفع الفتيق يكون في السبانخ والخمس والخيوط الخ فهذه عجائب الحكمة الإلهية وشفاء الأجسام الإنسانية . إذن هي تلقى للتفسير

٧٠. بيان أن أكل التفاح والجزر ينفع لقوة التفكير. الليمون أعظم الفواكه وله فوائد كثيرة. وههنا ذكر يجب المؤلف من هذه الدنيا وما مناسبة هذه النباتات الى أعضائنا الداخلية والخارجية. ولعمري أى مناسبة بين عصير البرتقال وبين الجرب. إن هذه العلوم المذكورة فى هذا التفسير تجعل فى العاقل رغبة أن يدرس هذا الوجود وأن ينظر لما هو أعلى منه. ويان أن الاسيانيين لما رأوا أهل أمريكا يشمون الدخان منعوهم أولاً ثم سموه هم ثم ملأ الدنيا كلها. إذن الناس أشبه بجسم واحد وكل أمة عضو منه

٧٢ محاورات طيماوس الحكيم مع سقراط يقول في العلم الحيات ، هونسخة لما أووجل منه . صنع الله لأت جواد . المادة كات مضطربة ففضلها . العالم أشبه بجوان . وفي العالم عقل عام ونفس ومادة . هناك كان الإيمان الماضي والحال والاستقبال . الكواكب منظمه بهقول تدبرها . أرواح الناس مشاكسة لتلك العقول . الكواكب ومديراتها حدثت بعد العدم . جمع الله أرواح الأولين والآخرين و بين لها نظام

العلم وأن لها هي شهوات فن اتبهما رجع بعد الموت الى أسوأ حال ومن نبيذها رجع الى حال أرق في مقعد صدق . خلق البصر لتعرف الليل والنهار وتنتج للحكمة . انناصر بحسب أيامهم أربعة . المادة مثلثات مركبات في الأجسام هميشة هندسية وبها كان الخشن واللين والحر والبارد وهناك تحصل اللذة والألم ونحوهما باختلاف تلك الأشكال وقال إن الجسم الانساني صنته الملائكة بأمر الله ووضعوا النفس الأزلية مع المائة . النفس العنصرية في أعلى الصدر والشهوانية في أسفل البطن . وبين منافع أجزاء البدن كلها

٧٣ بيان ان الأمراض النفسية تكون بإفراط اللذة والألم المؤثر في الفكر ، أو بإفراط المروءة ونحوها فيكون سوء الخلق والتهور والشر عنده غير اختياري إما بفساد المزاج ولما بسوء التأديب فالشر بركايرض يستحق الاشفاق عليه وحفظ النفس والبدن يكون بالمعادلة بينهما فالنفس القوية في بدن عفيف ترضه والبدن اذا كان أقوى من النفس يجعلها بليدة فيجب رياضة الجسم بالحرركات البدنية ورياضة النفس بالموسيقى وباعطاء النفس العقلية والغضبية والشهوية ما يناسبها . يقول المؤلف إن هذه تذكرة ماجزته في حياتي من الأعمال الطبية لما مرضت في شباني منعت شراب الماء على الطعام وعقبه وقالت الطعام ولما بلغت الستين تركت اللحم وكان يجب أن تركه مدة الحياة فنقص مرض الروماتيزم ولكن بقيت بقية قليلة لأنني كنت أكل الخضر مطبوخا باللحم . ولما قرأت كتاب غلدي أسكت الخبز من غير أن يتخل مع زيت الزيتون والقواكه مثل الفطر والنفاح والليمون وربما أسكت الطعام من غير طبخ . بهذا زال الروماتيزم ، أنام ليلا والشبابيك مفتحة ونجرت بي مضت لها بضعة شهور وقد نجت فأعلمته الناس

٧٥ بيان جهل هذا الانسان وكيف يشرب الناس القهوة والشاي ويتعاطون السخان والطب منع ذلك كله . وبيان أن قرينة المؤلف سارعت الى عمل الخبز المذكور لما علمت به فساعدت المؤلف ، وبذكرة ما قاله ابن خلدون أن الصعبة ما تخلوا الدقيق تزهدا فظهر انه نافع في الصحة أيضا ، وقصة عمر مع الربيع بن زياد في زهده هي عين الطب الحديث . وبيان معنى قول سقراط من طلب اللذة هرب منه ، ويحمد المؤلف الله إذ كان يتعاطى زيت الخروع عند ارتبائك المعدة ويحصل له ضعف ولما ارتبكت المعدة حديثا امتنع عن الطعام يومين ولم يذق إلا عصير البرتقال فشفي . ذكر الاستشفاء بنور الشمس وأن الزارع الفقير لجعله بنعمة ربه لا يبعد الله على أنه أرغمه على الوقوف في الشمس طول النهار وعلى الحركة وكلاهما لصحته وهو لا يعلم ويظن صاحب الأرض انه يبقائه في منزله طول النهار سعيد مع انه شقي لحرماته من الرياضة البدنية والشمس والهواء النقي . كل هذا جهل الانسان . إذن كثرة الفقراء نعمة والأغنياء الجهاد فداء لهم معرضون للأمراض . كل هذا في حال جهل الأمم فلما ظهر العلم أخذوا يستشفون بنور الشمس ضحي (انظر شكل ١٠) في صفحة (٧٧)

٧٨ عالمي الله أثناء تأليف هذا التفسير كما يعامل الزارع الجاهل سلط على رجلا يناوئني في المزرعة في أمور تافهة فكان سببا في توجيهي الى الخلاه في الهواء النقي وحرارة الشمس فعلمت أن ذلك لا كمال الى الرياضة البدنية التي أقوم بها إذ كنت أمشي كل يوم نحو (٦) كيلومترات . ولقد فصل الله مع الأمم ما فله مع الأفراد إذ كان الغرب والشرق جميعا في خول نخرج من عمان أساطيل اسلامية لفتح الهندستان ومن جزيرة البحرين أساطيل أخرى ففتحوها ما بقي من بلاد الجعم ثم ملكوا السند الخ كل ذلك لإثارة العزائم وانفاش الانسانية كما يتعش الفلاح بالهواء والشمس والعمل في الحقل . الاحساس بالجوع أفاد الفلاح طعاما ورياضة وهواء نقيا ، واحساس المسلمين اليوم باحتلال الفرنجة يفيدهم تعلم العلوم وتعلم

الصناعات والتعاون العام . فهذه مواعيد ثلاثة تحصل بإذلال الفرجة كالثبات التي ينهبها الفلاح بسبب

ألم الجوع

٨٠ فكفى في خلق هذا الانسان . إن الله هو المولم . لولا ألم الانسان والحيوان لم يعبأ بهذا من مهيئ التيسيح في الركوع والسجود ، فاليسيح الحقيقي هو الذي يدرك سر هذا الرجود والألم المدكور داسي كالعش الخ وخارجي كالخر الخ إذن هنا هيكل ينفذه ألم داخلي وألم خارجي

٨١ اللذة تلازم الألم بل الذي فقد ألم الجوع ناقص وما ألم المرض إلا إحساس يطلب كمال الجسم بإدخال الدواء فيه . إذن التيسيح يفيد هذه المعاني

٨٢ إيضاح الكلام على الذات ، وبيان أن الخير والشر مقرونان في قرن

٨٣ الإبداع في هذا الوجود وأن هذا الوجود كما أنه (غذاء ودواء وفاكهة وشراب) هولوح بدرسه الناس وأن أهل الشرق وأهل الغرب متعاونون وإن لم يعلموا

٨٤ اعتراض على المؤلف بأنه لا مسيح إلا من يعرف هذه المعاني وجوابه بأن التيسيح اللفظي له أثر في النفس كما يؤثر التورم المغناطيسي

٨٥ القسم الخامس - كذبت عاد المرسلين - الى - وإن ربك هو العزيز الرحيم - كتب مشكلا والتفسير اللفظي

٨٦ القسم السادس - كذبت قوم لوط - الى - وإن ربك هو العزيز الرحيم - وتفسيره اللفظي

٨٧ لطيفة في قصة قوم لوط عليه السلام

٨٨ قصة سدوم وعمورة وأحدث الآراء في ذلك وبيان مقال الدكتور (أولبراط) أن القصة الواردة في الكتب المنزل ليست خرافة ولا رمزية وقد حصلت حوالي القرن التاسع عشر قبل الميلاد إذ جاء إبراهيم ولوط الى تلك البلاد قبل اليوم بأربعة آلاف سنة وكانت هناك حضارة وهذه المدن الخمس ظهرت آثار تدل على أنها كانت موجودة بنوار بحيرة لوط الهامة أيضا البحر الميت والبحيرة المنطة الخ

٩٢ التفسير اللفظي لقوله تعالى - كذب أصحاب الأيكة المرسلين - الخ

القسم السابع - وأنه لتزبدل رب العالمين - قد كتب مشكلا الى آخر السورة ثم تفسيره اللفظي

٩٤ جوهره في قوله تعالى - وما أهلكنا من قرية إلا الهنا منذرون - الخ وبيان أن ما كتبه الآن للمسلمين سيرفع من همهم كما رفع الكتاب بأوروبا همهم فقويت كما اتفق العالم نصح الشين بإيراد تاريخ الرمان إذ تبرجت النساء تبرجا أدى الى فساد الأخلاق فذهبت الدولة فاقطع بذلك الشبان

٩٥ الكلام على انحطاط ديانة قسما المصريين . كانوا يقولون « إن خالق الكون لا يصح النطق باسمه إعظاما له بل لا يعرف اسمه » ثم عرفوا صفاته وقدموا عبادته الكواكب والمخلوقات الأرضية ورمزوا لعبادة الله ثم انحطت مصر من سنة ١٦٠٠ (ق م) الى سنة ٣٤٠ (ق م) بسبب الثورات التي قامت فيها واستمرت الى العصر الروماني والحيوانات التي كانت رمزاً لله عند القدماء جعلوها فوق الهياكل بل عبدوا الطير والسمك والتمساح والحية ولما أكل أهل مدينة سمكا تعبدته مدينة أخرى عاقبوهم بأكل كلب وهو معبودهم ، وبيان نبوءة الفيلسوف (هرمس) والنبي (ابور) وقول الثاني « إن مصر ستقع في الهلاك » هذا ما كان من أمر خراب مصر وأخبار أنبيائها به تفسيراً لقوله تعالى - وما أهلكنا من قرية إلا الهنا منذرون » ذكرى -

٩٧ الفصل الثالث - فيما حل بالأندلس من احتجاب الخلفاء وشيوع الترف الخ وبيان أن الأندلس صارت

(٢٠) دولة بعد ذهاب دولة بني عامر وصار هؤلاء يحارب بعضهم بعضا ويحاربون البرغال والأسبان ويستأجر الابن على أبيه والأخ على أخيه يملوك النصرانية وكان أولئك الأمراء يستظهرون بالسيد قداموالمسيحي بل استعان به الأمراء بعضهم على بعض في الاسلام وقد توقع العقلاء خراب الأندلس قبل حصوله إذ قال أحد شعراء الأندلس

حنوا رحالك يا أهبل أندلس * فما المقام بها إلا من الغلط الخ

وبيان أن هذا مهجزة لنينا عليه السلام إذ قال : « إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح عليكم الخ » ثم أبان ان اتباع الذات يهلك الأمم

١٠٠ تفسير - وماتت ذات به الشياطين الأرواح (شجان) شريرة وبارزة سولة أكانت في أجسامها كالأدميين أم مجردة ولن يعيش البراة ولا الفاجر منها في غير ما استعمله وروح الشرير المتجسدة لانظيها إلا أرواح مثلها وهكذا البراة . كل ذلك في (كتاب الأرواح) فترى الأنبياء يخبرون بما هو مناسب للائكة الفخام ، والأشرا يخبرون بالامور النافهة تبعا للأرواح المناسبة لهم . تفسير قوله تعالى - وما يستطعون - الخ

١٠٢ ذكر أربع أسئلة للأرواح والاجابة عليها ببيان مايجب الأرواح الصالحة ويبعد الخبيثة ، وأن أهل الأرض لا يكمل عندهم ووجوب ترك الكبر والتجرد من الذات . تفسير قوله تعالى - فلتادع مع الله - الى قوله - انه هو السميع العليم - . أحاديث البخارى في انذار بني هاشم . تفسير قوله تعالى - هل أنشئكم - الخ و٢٦ سؤالاً وجهت الى الأرواح واجابتها عليها مثل هل تجيب الأرواح عن كل سؤال وهل المخارة الروحية تجعل باباً لله الخ

١٠٧ إيضاح لهذا المقام وتطبيق على الدين الاسلامي . بيان مداخلة الأرواح في أعمال الناس في القرآن وفي العلم الحديث

١٠٩ الكلام على الشعراء . التفسير اللفظي لقوله تعالى - والشعراء يتبعهم الغافلون - الى آخر السورة . الكلام على وزير مصرى كان يتباهى بأنه أمر بشرح ديوان ابن الرومي وعلى شاعر كبير مصرى حادثه في ذلك . مقالة نقلتها من كتابي ﴿ نهضة الامة وحياتها ﴾ في الشعر والتاريخ ، وأن أبا الطيب المتنبي مدح سيف الدولة وذهمه ومدح كافورا وذهمه . يقول * تجوز عليها المحسنين الخ * ثم يقول * لا تشترعبد الخ * هذا معنى - والشعراء يتبعهم - الخ ذكر حكم الشعر المدحوة

١١٣ بيان أن المسلمين في الأندلس بالغوا في الشعور تركوا المواهب العقلية والأسبان كانوا يكسهم قهروهم وطردهم من البلاد وكانوا يضعون الزمن في محاسن الورد ووصف المطر والمناظرة بينهما . ملخص الحكم المدونة في القصص الخمسة . كيف يعلم الشعر في الاسلام . تعليم الشعر

١١٥ تفسير سورة النمل وهي ﴿ أربعة أقسام ﴾ القسم الأول ﴿ من أولها الى - كيف كان عاقبة المفسدين - التفسير اللفظي لهذا القسم . بهجة العلم في بعض أسرار - طس - . وبيان أن الطاء في أول الطير والسبع في أول سليمان تشيران الى حديث سليمان والطير والنمل ويدخل في أمر الطير مسألة بلقيس وعرشها . وذلك يدعو الى ارتقاء النظام السياسي ، وعلى أن صالحا طير به قومه فوكل أمره الى الله فنصر وعلى أن لوطا نصر إذ آذاه قومه ثم وصف الله بحمال خلقه الخ

١٢٠ الطيور وسائر الحيوانات معلمات للانسان في كل زمان ، وإذا كان (سبئس) يوجب القراءة قبل الكتابة على مقتضى تاريخ الانسانية في ذلك ، فهكذا يقرأ الناس علم النبات والحيوان قبل علم جسم الانسان

ذكر الله الجراد والضفادع والدم الخ وقال انها آيات مفصلات وهكذا جعل الشمس والقمر آيات فلا بد من دراسة ذلك كله ، هكذا فعلت الأمم . هذه المنحجات موزونات للأفراد ليعملوا ويفسحوا وكل أمة كثر ازعاجها ارتقت كأمة اليابان كثيرة البراكين ، أما مصر فهي في أمن فلذلك تأخر ارتقاؤها عن اليابان قصة بلقيس تذكرة للعرب ونقر بعلمهم ولأهل اليمن خصوصا لأنهم ورثوا بلدا مدينتها في جاهليتها أرقى من مدينتها في الاسلام

سرى من أسرار النبوة قد ظهر في الطاء والسين وأن النمل له شبه بالانسان في حربه وأسراه الخ
١٢٣ أكبر الجماعات في الكائنات الحية جماعات النمل (٥٠٠) مليون وأقل منها أهل الهند وأهل الصين والمملكة الانجليزية . هذه السورة يستفاد منها اقتران سياسة الانسان بسياسة النمل والانسان أرقى من النمل عقلا ولم يزد عنه عملا فيها

١٢٤ ﴿ القسم الثاني ﴾ - ولقد آتينا داود وسليمان علما - الى - وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين - مكتوب مشكلا . التفسير اللفظي لهذا القسم

١٢٧ عجائب النمل . الأروقة والدهاليز والمنعطفات والتعاون بين الجماعات . قياس نظام الأمة على نظام النمل . دقة النمل في عمله وحوصه . موازنة بين شرائع النمل والأمم المتمدية . حكاية عن النمل الذي جعل له ما يشبه القطرة في البركة وصعد على الشجر ، يقطع النمل حبة القمح نصفين وحبة الكزبرة أربع قطع مساكن النمل لها أعمدة ومهوات وحجر صغيرات ولها بيوت فوق الأرض من أوراق الأشجار الخ
١٢٩ ومنها بيوت ترتفع (١٥) قدما ولها سراديب تحت الأرض . أحواله المعيشية وزراعاته وتربية ماشيته وحربه وأسراه وطرقه الزراعية وبقعه الذي يشرب لبنه وأطواره والبيض والعناية به وانقلاب البيض دودا وغزله حريرا كدودة القز ونسجه ونومه في برزخه أيلما وملاحظة الأهميات للأبناء والمساعدة في الخروج من الأربطة وغسل العيون والوجوه وإزالة التراب عنها

١٣٠ حكاية عن نملة قورنت في عملها بانسان

١٣١ الجمهوريات في الحيوانات من كلام البارود أقرى إذ ذكر النمل والقيطس والغربان ونحوها ثم فضل عليها كلها النحل في نظامها ثم جعل النمل أفضل من النحل وذكر ملكاته وأن الغلات تستعطر الرجحان من الملكة . الغلات يعرفن نمل قريتهن وينبذن سواه . السادة لا يأكلون إلا بخدمة العبيد

١٣٣ حرب بين قبيلتين من النمل ، وكيف تصطب الصقوف ، وكيف يرسلون الكشافه ، وكيف يجملون خنادق ومتاريس الخ

١٣٥ مسامرة من كتاب ﴿ علم الدين ﴾ على النمل . النمل وأسراه ولا يكون الأسرى إلا ليلا بعد الغزو .

النمل بعضه لا يرضى بالرق والأرقاء عليهم جميع الأعمال وهذا يجعل السادة ضعافا فتدور عليهم الدائرة ارتفاع المساكن الخلية تبلغ عشرين قدما والشكل هرمي فهي أشبه بكفر من الكفور ولا يمكن كسرها

ولو بنى الانسان كما يبنى النمل لارتفعت مساكننا قدر قمتنا (٥٠٠) مرة وقدر هرم الجيزة (٤) مرات أو أكثر . من النمل من له سراديب تحت الأرض فيأكل الخشب في منازل الناس ويسقط البيوت . وتم آتلف النمل من بلاد عامرة حتى هاجر أهلها ، وقد فر أهل محل من محلات بغداد من النمل وبعض بلاد فرنسا سنة ١٧٨٠ م خربت بسبب نوعين من النمل

١٣٨ متفرقات عن النمل ، النمل يعرف عدد بيضه ، النمل يفعل مع صغاره ما تفعله الأم الراقية في التغذية والرياضة ، النمل أقوى من الانسان (٣٠٠٠) مرة ، النمل فلاح ، بقر النمل ، النمل جراح ، للنمل مقبرة

التمل الغازى

- ١٣٩ ﴿رسالة عين التمل﴾ حديث بين المؤلف و بين المدرسين أيام الامتحان فى سرى درب الجماميز وأن بعضهم كله فى عين التمل فقال انها مقسمة الى مائى عين فحدثت ضجة فأحضر المؤلف نص علماء الألمان والتمسوا بين بواسطة أكبر عالم فى الزراعة بمصر جاء قوله مطبقا لما قرأه المؤلف فى الكتب الانجليزية
- ١٤٢ عجائب عين التمل ، لها خمسة عيون ، ثلاثة منها أمامية لكل عين منها عدسة محدبة وشبكة وليفية عصبية وخلايا اضافية ملونة بالسواد ، ومنها ما تكون قزحية . هذه هى العيون البسيطة . وعينان مركبتان كل منهما من نحو مائى عين صغيرة لكل عين قرنية فأهداب تكتنفها ومحزوظ وعدسة بلورية وشبكة العين ومنطقة ملونة بالسواد خارجة ومنطقة داخلية وأعصاب بصرية وليف عصبى ونسيج أساسى الحشرات ترى الأشباح بسرعة غريبة
- ١٤٥ ﴿التحل بعد التمل﴾ يقال ان ملكة التحل لها ١٤٠٠ عدسة صغيرة
- ١٤٦ ﴿التفراف الاسلكى وتبادل الخواطر﴾ تبادل الأفكار قد يحصل فى أوقات شاذة بين الناس ولكنه يكثر بين الحيوانات ويعرف هذا صائدو الطيور والحيوانات وفى أدنى مراتب الحيوانات ويطهر فى جميع الطيور — ﴿الحشرات والتمل﴾ للحشرات رأس ، صندوق . بطن . لها أدوار أربعة (يصفه . دودة . فيلجة . حشرة تامة) لها ستة أرجل
- ١٤٨ رسم مزعرة للتمل وهو الأرض التمل
- ١٥٠ رسم مساكن التمل (شكل ١٣) رسم مستعمرة التمل (شكل ١٤)
- ١٥١ رسم قرية التمل وطبقاتها (شكل ١٥)
- ١٥٣ التفسير اللفظى لقوله تعالى — وتفقد الطير — الى قوله — وأسلفت مع سليمان لله رب العالمين —
- ١٥٧ ﴿الطيفة الأولى﴾ فى الهدهد الذى أحاط عليها بمالم يحيط به نبي مع ذكر بعض أنواع الطيور وأن هذه تشمل عجائب الأسرار فى — طس —
- ١٥٨ نام المسلمون (٩٠٠) سنة وقد أبقت الله الأمم حوطهم فى أوروبا والشرق الأقصى فأراد اليوم إيقاظهم (أولا) بالكوارث والمدافع (وثانيا) بالندرات المبشرات ومنها هذا التفسير فأقول انى مأمور أن أتفقد كل شئ كما تفقد سليمان الطير وتفقد رسول الله ﷺ الكواكب ليلا والأشجار نهارا فى الحديث المشهور وأشار لتلك البطاء والسبن هنا . طاء الطائر وسين سليمان مفتاحان لجميع العلوم — هاؤم أقرأ كتابه —
- فها أنا ذا أتفقد الطير فأعرف أعضائها الداخلة وأحشائها والطيور السجاسية (شكل ١٦) مثل المجل والطيور ذات الأرجل السكفية مثل الابدس (شكل ١٧) والطيور الناطقة مثل الكزوار (شكل ١٨) والطيور المتسلقة مثل نقار الخشب (شكل ١٩) والطيور السرية مثل القنبر (شكل ٢٠) والطيور الجارحة مثل الحداة (شكل ٢١)
- ١٦٣ الكلام على الحيوانات الشديدة ذات الأبدى الجناحية مثل الخفافش (شكل ٢٢) والكلام على فق الطيران وتجربة العلماء فى طير الأوز العراق واختلاف أشكاله فى طيراته (شكل ٢٣ و ٢٤)
- ١٦٤ (شكل ٢٥ وشكل ٢٦ وشكل ٢٧ وشكل ٢٨ وشكل ٢٩ وشكل ٣٠ وشكل ٣١) ومن تنقضى لطيور الحرف والفنون والصناعات عند الطيور
- ١٦٥ هجرة الفيران من انجلترا بقيادة فأر أعمى . سر من أسرار الطاء والسبن . إن أمر التمل والهدهد مع سليمان أشبه بالتطبيق على آية — وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم — وهذه

الثالثة تراعى هنا . إن دراستها واجبة كدراسة الأمم حوانا . نحن لانعش إلا بقراءة حسنة العلوم وجعلنا بها معناه موتنا (اقرأ ما تقدم في سورة يوسف) فقد ظهر انه يموت أى قردان وأمثاله مات بروج بلادنا ، وبنا حافظ الناس على الطيور في بلادنا بعد ما كتبت عن ذلك في الجرائد الزائفة البراقة . هكذا جهل المسلمين بالأمم حولهم أيام قطب أرسلان وأيام دخول الفرنسيين مصر وأورثهم السكالك

١٦٦ صورة المدهد (شكل ٣٢) صورة أى قردان (شكل ٣٣) صورة الكبوان (شكل ٣٤) وهذا من سر الطاء والسين وهذه الطيور حياتنا وموتها موتنا والمسلمون لا يعلمون

١٦٨ صورة الزقاق البلدى (شكل ٣٥) كل ذلك من الطيور الآكلات الدود التى أنا أقول بتعريض صيدها بالبرهان لأن موتها موت لنا والمسلمون يجب أن يتعلموا

١٦٩ الكلام على المدهد تفصيلا وعلى فن الطيران في عصرنا الحاضر وأن الهواء أخذ من الماء (٨٠٠) مرة والبخار أخذ من الماء (١٧٢٨) مرة وقاعدة (أرشميدس) السلطان الأعظم هنا والكلام على عوم السمك وغوصه بهذه القاعدة ومنافخه الهوائى وحفظه نارة ونفخة نارة أخرى والكلام على الوزن النوعى وأن البالون جاء على هذه القاعدة ، أما طيران الطير في الهواء فعلى قاعدة أخرى ولم يقدر الانسان على تقليد الطير بل أخذ بتخيل الطيران كالطير في الشعر والخيال لاغير وفي قصة حسن البصري ، وفي القرن السادس عشر حاول رجل ايطالى الطيران وألماني في السابع عشر وآخر في الثامن عشر ثم درس الطيور وحركاتها (يورلى) في القرن الثامن عشر ورثس من الطيران ولكن (الميتال) قال « متى قدر الانسان أن يصعد في الحق بقوة رافعة وأخذ بيوم فتح له باب الطيران » فنجح في ذلك الشابان الأمريكيان سنة ١٩٠٥ واشترت الولايات المتحدة طيارتهما ثم احتفل بهما سنة ١٩٢٨ بمضى ٢٥ سنة على تحير بهما . فن سنة ١٩٠٣ ابتداء عصر جديد للطيران ، وفي سنة ١٩٣٦ يكون الطيران شاعا

١٧١ جوهره في قوله تعالى - الله لا إله إلا هو رب العظيم - وجوائى على سؤال سائل في معنى - ربّ العرش العظيم - و - ربّ العرش الكريم - وأن عظمة الملك لا تقتضى الكرم ، فكيف من ملك عظم ملكه ولكنه لا يقدر أن يواسى كل ضعيف ومسكين بل اتساع الملك يقعه عن ذلك واسكتا ترى الله لا يشغله تدبير الانسان عن تدبير حشرة أى دقيق والزناير بل هو بكل شئ بصير فهذا هو الكرم ومثل هذا الكلام في - فتعالى الله الملك الحق - لأن ملك أهل الأرض مجازى ، فالله مع كل مخلوق كالشمس مع كل نسمة ومن هذا نقول لابد من بقاء النفس بعد الموت وهذا قوله - أخستهم أنما خلقناكم عبثا - الخ

١٧٢ قول بلقيس - ما كنت فاطمة أمرا - الخ هذه الآية تدل على ما كان عند العرب من أمر الشورى في الوثنية وقد نسبها المسلمون كما ظهر من حادثة على بن الحسين التى أى أن يجوز لو فد الهند السقرالى مكة وأن نحكم البلاد بالشورى

١٧٣ قوله تعالى - فما أتاني الله خيرا مما آتاكم - هذه الآية تدل على أن نعمة العلم هى كل شئ جوهره في قوله تعالى - إن الملوكة اذا دخلوا قرية - الخ مع قوله - فتلك بيوتهم خاوية بما علموا - وبيان أصل هذا الانسان في الأرض فهمون عناصر محرقة مثل البوتاسا والبوتاسيوم والمعادن فيها قوة تحكم العناصر والنبات له نفس تضبطها والحيوان كثير الاختلاف ، والنفس حوت تلك الأحوال الى عواطف والانسان حوطا الى عواطف أعلى ، ثم آراء الفلاسفة كالفارابى وأفلاطون ، ثم ما حال الأمم

المماثلة والغالبية ، الانسان في هذه الأعمال لم يرتق عن الحيوان
١٧٤ تفصيل هذا الاجمال يشرح أمثال الصودا والحجر والمغنيسيا والسليكا والكور وأوكسيد الحديد و بيان
أن الانسان اذا استحضر أمامه من كل واحد من هذه قطعة فقد أحضر كل نبات وحيوان . إذن كل
نبات وكل حيوان ترجع كلها الى هذه المواد المحرقة وغيرها و بعض هذه القطع التي أمامك قد دخلت
بمقادير مختلفة في البارود عندفرنسا وألمانيا وانكفرا مثل ملح البارود والكبريت والعصم فهذه بعينها
دخلت في النبات ، النباتات إذن فيها مواد محرقة كالبارود

١٧٧ فما الذي حفظ تلك المواد حتى صارت بهيئة جميلة في النبات ؟ الذي فعل ذلك أمر آخر أت من عالم آخر
نسميه نفسا نباتية ، ثم هذا كله داخل في عالم الحيوان لأن الحيوان مبنى جسمه من النبات . إذن
هذه المواد المحرقة التي ضبطها النبات دخلت في الحيوان ومنه الانسان ، ولاجرم أن لهذا الانسان أسرا
من عالم غير عالمنا ضبط هذه العناصر المحرقة فانقلبت صفاتها فيه الى عواطف وأخلاق وآراء بعد أن
كانت بارودا قبل أن تغذي وسموما وأدوية ، وعلى مقتضى هذه العناصر المركبة وتنظيم النفس لها تكون
سياسة الأمم التي نحن بصدد الكلام عليها في الآتية ، ومن الناس من قالوا إنما الحياة لذات ومن قالوا
هي السكامة ومن قالوا هي الغالبية ومن قالوا هومدى بالطبع والمدينة فاضلة وفاسقة والفاسقة تظلم الأمم
بالعصبية أو اللغة أو الوطن أو الدين أو المصاهرة أو الاستعباد أو بالملك الجامع . هذه هي آراء المدينة الفاضلة
لأفلاطون وليس من هذا الحسوف اجتماع المسامين الديني في العصور الأولى لأنه نظام عام ، العالم الأرضي
كانه جهنم صغرى لأن الغالبية والظلم إنما جاء آعن أصل العناصر النارية ولولا تهذيب النفس النورية
العالية لهذه العناصر ونسكميلها بحصول اجتماع لأهل الأرض ، فالظلم في الأمم هو عين مآزله في الكبريت
والفسفور والعدل هو عين مآزله في النظم السماوى من حيث انتظام حركات الشمس والقمر وغيرها
ونفوسنا في الأرض تشبه تلك النفوس المدبرات للكواكب فهي نظمت هذه الأجسام الانسانية وكلما
زادت نظاما زادت قربا من تلك العوالم العليا ويشهد لذلك التشهد في السلام علينا وعلى عباد الله
الصالحين وغير أحوال أهل الأرض أن يكون السلام بينهم جميعا كالسلام بين الكواكب في نظامها

١٨١ آراء أفلاطون في سياسة الانسان ، يرى مشاركة النساء للرجال في الحرب والوظائف وأيس يعرف
الموجود الحقيقي إلا الفيلسوف وعلى الحكم أن يمتحنوا على العلم والعمل والعصر ، وهنا حكاية المغارة
التي تخيلها وأن فيها قوما لم يروا النور ثم رأوه تدريجا يمثل تعلم العلوم وأنه بالتسريع وأن هذه السموات
والأرضين ليس وجودها حقيقيا بل الموجود الحقيقي عالم المثال - ولله من وراءهم محيط - ثم بيان
حكومة الأشراف والحكومة العسكرية وحكومة الأغنياء وحكومة الجمهورية وحكومة أفراد المطلق وأن
كل واحدة أحسن مما قبلها ، وبيان بعض ناصح للأمم مثل الحجر على الشعراء والمصورين الذين
يشيرون الشهوات في الشعب

١٨٥ التعاليم الاسلامية ، ماذا أصاب أمنا الاسلامية من الأهوال السياسية ، وبيان أن هذه التعاليم الفلسفية
التي ذكرناها قد أترأها الله على قلوب الأمم قبل نزول القرآن ليفهم المسلم معنى كون القرآن ذكرا
فهو قد ذكر الانسان بالعلوم التي كانت مخبوءة في كتب الأمم من قبل نزوله وبه نفهم معنى - بل
هو آيات يثبت في صدور الذين أوتوا العلم - والحبب كل الحبب أن آراء أفلاطون في تدهور المدينة
في درجتها السابقة هي بعينها التي جاء بمعناها حديث البخارى ﴿ إن أخوف ما أخاف عليكم الخ ﴾
إذ جعل التهاوت على الذات مهلكا للأمم وهذا هو الذي بكى له رسول الله ﷺ وصحابه وقت أن

حلت الغنائم يوم بدر هذا عجب عجب

فلسفة قدسية ثم ينزل وحى وتكون هي شرح له وهذا أعظم معجزة

١٨٧ الكلام على تحريب الفاتحين للممالك وكيف يحاذرون بزوال ملكهم من ابن خلدون مصداقا للآية .

خلافة بني أمية ، ثم خلافة بني العباس ، ثم قيام بني هاشم بالثورات مثل آل الحسن وآل الحسين ،

عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بالأندلس ، خروج المهدي محمد بن عبد الله (الناس الزكية) وفرار

أخيه إدريس بن عبد الله إلى المغرب الأقصى وإجارة البربر له ثم اقراض الدولة بعد حين وقام على

أقاضيها العبيديون ثم ملك نفس البرابرة ورجع العرب إلى الشرق

١٨٨ سر ارتقاء العرب ثم انحلال دولتهم ، العالم كله جسم واحد ، لما أخذت دولة الرومان في الانحدال أخذت

لله أمة بدوية في الصحراء بنيت أرسله وأحل له القتائم وجعلهم خلفاء الأرض فلما جعلوا المدل وسيلة

لإصلاح الأمم بقيت دولتهم ولما جعلوه لشهواتهم وصاروا ملوكا لا خلفاء أزال الله ملكهم ولم يزل إلا بعد

ما مكن الإسلام في الأرض وهو عدل يحوّل لكل أمة دولة يستخرج مواهبها ثم يوقظ أمة أخرى

١٨٩ نبتة من أسباب زهاب دولة العرب مصداقا للآيات والأحاديث ، زواج أمرائهم بالأجانب في الأنديس

عبد العزيز بن موسى بن نصير تزوج بأرملة لزيق ملك القوط ، محمد بن عبد الله تزوج بإسبانية تسمى

(ماريه) وابنها عبد الرحمن الناصر وهكذا غيرهم بالأنديس ، وهكذا فشا الزواج والتسرى بالإسبانيات

من القوط وغيرهم وهكذا تسرى في العامة كما تسرى في الأمراء ، وهكذا هذا التلقيح أثر في البربر

ففرق أخلاقهم ولذلك انحلت الأمة وانقسمت إلى (٢٠) دولة

١٩٠ كيف يحصل الفساد والخراب في الأمم المغلوبة على أمرها ، وبيان أن من عواقب الملك حصول المائلة

للقبيل واهيادهم أسوأهم

١٩١ بيان أن بني إسرائيل لما أنسوا بالنيل في مصر لم يجدوا من أنفسهم قدرة على دخول أرمياء بالشأن

فكان من الحكمة أن يبقوا في القفر بجهة سيناء (٤٠) سنة حتى يفنى هذا الجيل ويخرج جيل عزيز

الجانب حر

١٩٢ بيان أن الأمة إذا صارت في ملك غيرها أسرع إليها الفناء ، وأن الإنسان خلق سيدا فإذا ذلّ هلك

والحيوانات المفترسة لا تتنازل إذا حست في أفضائها ، وبيان أن أمة العرب (إذا تركت دينها) وغلبت

أمة أسرع إليها الفساد وأنهم لا يبالون إلا بالجباية ويتركون الناس فوضى

١٩٣ بيان أنهم أبعد الأمم عن السياسة (إذا تركوا الدين) وذو كرماله رستم لما جمع عمر المسلمين للصلاة وقوله

(عمر يعلم السكاب الآداب)

١٩٤ الظلم مؤذن بخراب العمران وأن الأمم الظالمة تقع في سوء أعمالها وأن من عواقب الملك حصول الترف

والتعيم ذلك لأن الجيل الذي يتشكل على غيره في أموره يصبح عاجزا وهذا كله موافق للأحاديث والآيات

١٩٥ بيان أن الأمم العربية لما ضمت لخلق الله أمما أخرى إلهارة أرضهم منهم دولة انكسرت وأول ظهورهم

كان سنة ٥٥ (ق م) ودولة الفرنسيس وابتداء ملكهم سنة ٤٢٠ (ب م) ودولة هولانده واستقلوا

سنة ٩٨٧ هجرية

١٩٦ استعمار الفرنجة لبلاد الإسلام وهل يدوم

١٩٧ تلخيص ما تقدم - حافلة جامعة لعلماء الشرق وأوروبا دعى لها المؤلف يوم ٢٤ إبريل سنة ١٩٢٩ من

أحد زكي بلاش وظهر في هذه الحفلة كيف أصبح أبناء العرب في هذا الزمان يرجون علماء أوربا أن

يكنونوا واسطة في أن أوروبا تعاملنا معاملة الاخوان لامتناه الأذلاء وذلك بالامتيازات الأجنبية في مصر التي زالت من جميع الأرض إلا من مصر ، فليتناظر سادة الأمم قديما كيف دلوا لها حديثا وذلك بالأسباب المتقدمة.

٢٩٨ رأى المؤامرات في اسعاد هذه الأمم الاسلامية في المستقبل وذلك أن يكون الاجتماع بالعلم والدين بعد أن فشل الاجتماع بالصنعية ، فليعلم التعليم بلاد الاسلام

٢٠٠ عبرة تاريخية في آية - إن الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها - أول افساد الجماعات يكون بالصنوعية ثم تقوى فتصير جهرا كما حصل من السلطان سليم الذي خرب مصر ، فلقن حارب الصليبيون المسلمين فما عذر السلطان سليم المسلم ، ذلك الذي أخذ رجال الصناعة من مصر وأهلكهم كما قيل وهم نحو ألفين فصارت البلاد زراعية ضعيفة لا يهتمها سوى المال حتى ان بها اليوم ٦٠ وزيرا كل منهم ينال ١٥٠٠ جنيه في العلم ، كل ذلك من تأسيس التركة - والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون -

٢٠١ الطيف الثالثة في نقل عرش بلقيس ونحوه ، هنا نحو ٢١ سؤالا أقيمت للأرواح في نحو هذا المقام والاجابة عليها بأجوبة جميلة بدعته لاتصدر إلا عن أهل الحكمة العالية مثل السؤال عن السيل العام هل هو عنصر الأشياء والاجابة عليه بأن كل مافي الكون مركب منه ، ومثل السؤال عن المناسبة بينه وبين السيل الكهر باني والاجابة عليه بأن ذلك مركب منه ، وهكذا الكلام على الأرواح ونحويكها للجماد بذلك السيل العام والسيل الخاص في الوسيط الخ ومثل تفصيل الأرواح الكلام على تلك الزهور البسدة التي حضرت في المجلس بواسطة الأنسة (نبشول) والحجرة مقفلة زمن الشتاء وكيف حضرت وهل هي من أرضنا أم من أرض أخرى والاجابة بأنه لا يمكن أن يحضر من غير أرضنا وهكذا

٢٠٦ القسم الثالث - ولقد أرسلنا الى نوح - الى - فساء مطرا المنذرين - كتب مشكلا وتفسيره اللفظي جوهره في قوله تعالى أيضا - إن الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها - مع قوله - فقلك يوتهم خاوية بما ظفروا -

الطيفة في رأى فيلسوف الصين (كونفوسوس) في دولية العالم وفي مدح (كبت كننج) في شعره لأمرأة الشرق قديما وحديثا مع انه رجل انجليزى وأن النوع الانساني فيه عواطف يمكن انماؤها للحبة العاتقة

٢٠٩ القسم الرابع - قل الحمد لله وسلام على عباده - الى آخر السورة قد كتب مشكلا

٢١٠ تفسيره اللفظي

٢١٢ لطيفة في الموازنة بين هذه المذكورات السبع عشرة التي أولها خلق السموات والأرض وآخرها تكامل علمهم في الآخرة بالتحجج وهم عبي عنها وبين الحمد في الفاتحة والتحيات لله والسلام على النبي ﷺ والصالحين والحمد مل السموات والأرض

٢١٤ جوهره في قوله تعالى - أمئن خلق السموات والأرض - الى قوله - أن تبتنوا شجرها - والكلام على المطلب الأول في الحداثات ذات الهجة وأن الناس يعيشون مسحورين بنواهم إذ يرون الماء والطواء والمعادن كالحديد والكبريت ونحوها اذا هي جوامد ولكن هذه الجوامد هي أعينها الشخير والتمح والخشخاش والجزر وهي أنفسها الجذر والساق واللجن ترسم صفات والساق بضم صفات وكل منهما منجبه الى جهة ما فأحدهما للأعلى والآخر للأسفلى ولكل منهما عمل ، والنتيجة منافع ذات بال للحيوان والانسان وهذه المنافع تابعة للواد المنتقة الممتصة بتلك الجنود مقيمة بمقدار المنافع على حسب

الأنابيب الشعرية المختلفة فتحتمل باختلاف تلك المنافع من غذاء ودواء وفاكهة وبلاس وغيرها وساعد على ذلك الخضرة المختلفة الأشكال الناجمة من مادة السكاوروفل المنبتة في جميع الأشجار المختلفة السكاورون المخرجة الاكسوجين المرسل منها الى الحيوان والانسان وهكذا دواليك مع اختلاف الجذور ومن وتدى وابتى ودردى (شكل ٣٦ و ٣٧ و ٣٨)

٢١٦ بيان أن هذا معنى قول الغزالي ﴿إن المشعوذ البارع لن يفعل مثل ما تراه في الطبيعة﴾ و بيان أن الساق راحقة وقائمة ومتسلسلة كالقضاء والقرع وكالقطان والذخيل وكالبلاب وأن السكرمة والبالاء والبرقال لها إما محالقي محورة عن الفصوص أو عن الأوراق ولما شوك محوّل عن أغصان المنافع خاصة (شكل ٣٩) صورة محالقي السكرمة وذكر الإشارة الى العلوم الربانية في النبات و بيان معنى - ما كان لسم أن تنبتوا شجرها - و بيان حدائق البحرا الى كشفها (الستر و بيلم) في مياه جزائر (البولينيز) وشاهد نباتها الجبل وحيوانها المختلف الأشكال وهو تحت البحر في آلة اخترعها حديثا تمنع الغرق ولا تمنع رؤية الأشياء ولانصيرها

٢١٨ تطبيق المذاهب الفلسفية على مناظر هذا النبات وأن طاليس اليوناني الذي يشبهه السنج في الهند طبقة أقل من علماء الوجوديين في الهند ومن سقوطوا وأفلطون الخ أو تلك الذين وقفوا على الحقيقة مفصلة (المطلب الثاني والثالث في قوله تعالى - آمن جعل الأرض قرارا - والرابع في قوله - وجعل خلالها أنهارا - والخامس في قوله تعالى - آمن يحيط المضطرب - الخ

٢٢٠ ﴿البهجة في الحدائق ذات البهجة﴾ و بيان أن الروضة التي أنشئت حديثا عند جامع ابن طولون بمصر ذكرتني بوضاعة هذا المكان سابقا وبجمل أكثر المسلمين التاركين القاذورات تفك بهم فسكا ذريعا وهم نائمون ، و بيان أن نبات أمثال هذه الحديقة يرسل في الهواء مادة الحياة الى الحيوان كما كشفه العلم حديثا وبالعكس

٢٢١ ﴿اللطيفة الثانية﴾ في بهجة الحدائق و بيان اني أيام شباني كنت أجلس في الحقول والبساتين ويخيل اليّ أن بالبساتين طربا وما كان ليصور بخلدني أن هناك ذبأبا كبيرا له طبل (شكل ٤٠) ولأن للتمل أصواتا غنائية عجيبة ولأن للعشرات جهاز تنفس ولأن بعض الخنافس تطير (شكل ٤٣) ولأن هناك شجرة يشرب منها السائحون ماء صافيا (شكل ٤٤) ولأن الطلوس يغازل أنثاه (شكل ٤٥) ولأن للعنكبوت بصيرا وأعمى نوعا من الغزل بطرق مختلفة وهكذا

٢٢٢ ﴿بهجة الايصاري أوراق الأشجار﴾ والكلام على تنوع الأوراق تنوعا عجيبا كتنوع الأطعمة والأغذية والأدوية والزينة ، فإذا رأينا ورقة الحناء مستوية لا أسنان فيها وورقة الشمس لها أسنان صغيرة وورقة الفجل أسنانها أغور في الورقة وورقة العنبر أسنانها بلغت النهاية فأصبحت الورقة الواحدة أوراقا فهكذا نوع مقاصدها من زينة للأولى وفاكهة للثانية وخضراوات للثالثة وحجوبا للرابعة وهذه أشكالها الحناء (شكل ٤٦) الشمس (شكل ٤٧) والفجل والخروع ٤٨ و ٤٩ والعنبر والترمس ٥٠ و ٥١ كل هذا في صفحة ٢٢٨ ثم الكلام على ورق النبات ذي الفلقة الواحدة إذ تسكون متوازية وهي في ذي الفلقتين إما كالريش وأما كالراية ثم ان عنق الورقة له ما يشبه في الانسان رباط الرقبه لحفظه كورقة البالاء (شكل ٥٢)

٢٢٩ الكلام على نسبة الأوراق بعضها لبعض وعلى الأزهار وأن الكلام على ذلك قد تقدم فلا نعيد
٢٣٠ ذكرى الجبال والحكمة ومخططة المؤلف لصانع العالم وظهور دهشه من أن يرى ورقة الورد والبالاء

والسنت بحجيات بما يقبها عاديات الدهر واعتقاده أنه لولا الحجاب المسدول على عقولنا واننا لم نشاهد صانع العالم لآتت هذه النفوس من بهجة الجبال ولكن من الحكمة هذا الحجاب . سعادة مؤلف التفسير وسعادة قرائه إذ يقول إن هذه هي السعادة التي كان يشهدها لما كان في إذ كان يجب أن يقف على ماوصل اليه عقل الانسان من المباحث وهذا هو اليقين الذي أبقته المؤلف بمشاهدة أمثال ورقة السنت والبالازة الخ كايقان أفلاطون الخ من أمة اليونان وإيقان (كنت) الألباني و (سبنسر) الانجيزي والنقطة للجميع واحدة وأن هذه الآراء سيتم شرحها في رسالة امرأة الفلاسفة وذلك من حيث العلم لاغير تفسير بعض الكلمات في هذه الآيات . التفسير للنظري لآيات - ولا تحزن عليهم - الى قوله - لا يوقنون -

٢٣٢ تفسير الآيات من قوله تعالى - ويوم نحشر من كل أمة - الى آخر السورة

٢٣٣ الطائفة الأولى من كتاب الأرواح في أن العادة التي تكلم الناس هي رمز العلم الأرواح الذي ظهر في أمريكا وأوروبا ، وبه عرف كثير من الناس ربههم ، والرمز نوع من أنواع الكتابة مع بقاء اللفظ على حاله

٢٣٥ الطائفة الثانية - وترى الجبال تحسبها جامدة - وحكاية المؤلف مع المدام (ليبيديف) الروسية وتفسير لكلام الجنيد إذ عبر عن نفسه وهو ساكت والقول بنشد بقوله - وترى الجبال - الخ فقال المؤلف إن الآية تتفق في ظاهرها مع أقوال القدماء في الفلك وفي حقيقتها مع علماء العصر الحاضر فيه وأن كلام الجنيد يريد به انه يرى ساكنا وقلبه متحرك كالأرض وما عليها وقالت - افقد كذب الترجمة إذ يقولون لا بدائع في القرآن

٢٣٦ وهنا نقل المؤلف من كتابه جواهر العلوم في هذا المعنى مع ايضاح

٢٣٧ الطائفة الثالثة في قوله تعالى - وقيل الحمد لله سبريكم آياته فتعرفونها - وهنا نقل المؤلف من كتابه « جواهر العلوم » (٣٠) مجزة كشفها العلم الحديث ، المركبات الحديثة والتصوير الشمسي وانشقاق القمر من الشمس وكون السماء دثنا (الأثير) ومثل كراهة أكل لحم البقر ومثل غسل أثر الكلب وهكذا المكروبات ومثل كثرة الاغتسال في الدين الاسلامي وهكذا والقاح الأشجار ومثل بأجوج ومأجوج ، ومثل ظهور السكراباج في الاسلام ، ومثل النساء المتبرجات ، ومثل ان الذباب داء ، ومثل ان النساء تؤخرهن الطبيعة كلما أردن التفوق على الرجال والفوقتوا وكل هذا على مقتضى الآيات والحديث الشريف

٢٣٨ الطائفة الرابعة إن في هذه السورة جدين وشكرين . جدان للنبي ﷺ وشكران لسليمان أحدهما لتعنة العلم والثاني لتعنة الملك . والجدان من نبينا ﷺ أحدهما هو مقامه المحمود وثانيهما حمده الله على انه سيعلم هذه الأمة وجميعها - خير أمة أخرجت للناس -

٢٤٠ الطائفة الخامسة في تلخيص كلام الغزالي ليظهر منه أن الأمة الاسلامية اليوم لم تقم بالشكر فلذلك احتلت بعض بلادها الفرنجة

٢٤١ تفصيل الكلام على الشكر وانه علم وحال وعمل من كلام الامام الغزالي ، وبيان أن المسلمين اليوم غير شاكرين غالبا

٢٤٢ جوهره في مقال علم في آية سترهم آياتنا - الخ وبيان ما يخص النظر في آيات التي ستذكر في رسالة (مرأة الفلاسفة) وانها قد خلصت من الاعتراضات التي وردت على أفلاطون وأرسطاطاليس في الكلام على نظام الدنيا وما أصل العالم ومماثلة المسألة وهكذا وبيان ما في هذه الرسالة من آراء العلماء قديما وحديثا

- ٢٤٤ بيان أن هذه الرسالة سيكون في آخرها تقسيم جميع العلوم وهي (١٧) ولها فروع تعدّ صناعات
- ٢٤٥ انذار المؤلف للأُمم الاسلامية اذا تركوا هذه العلوم
- ٢٤٥ جوهرة في بعض سرّ الطاء والسبين في آية - قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى - وأن الانسان مضطرب مادام جاهلا بنظام الدنيا
- ٢٤٦ متى عرفت الحقائق أحسست بالسّلام ، سلام عيسى في مواطنه الثلاثة وسلام المسلم في القسّيد الخ والمسلم إذ ذاك يفهم معنى الرحمة ومعنى الغضب في سورة الفاتحة وأن الله منزّه عن الرحمة والغضب اللذين يتصف بهما نوع الانسان بل رحمة وغضب يرجعان لنظام الوجود ولتراتب المراتب وذلك يعرفه المسلم في التسبيح في ركوعه وسجوده
- ٢٤٧ المستنبطات التي وجدت في هذا العصر مثل الصور الفوتوغرافية ومثل الأشعة التي فوق البنفسجية التي كتبت فيها قوى عظيمة شحمة نافعة ، ومثل تسميد الزرع من نفس الهواء وهكذا وهي ٣٣ آية من آيات الله تعالى التي وعد بها إذ أمر بالحمد عليها فقال - وقل الحمد سبّركم آياته فتعرفونها - وآخرها العمد لاطالة الحياة وصحة العقول والعراطف

(تمت)

